

منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري  
قسم اللغة العربية وأدابها  
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد خيضر - بسكرة

# بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية

الجزء الأول

الدكتور: بلقاسم دفه

منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد خيضر - بسكرة

# بنية الجملة الطلبية ودلائلها في السور المدنية

الجزء الأول

الدكتور بلقاسم دفة

2008هـ - 1429م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعُنَّا إِلَّا نَسْ وَالْجِنُّ عَلَىٰ  
أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
بِعُضُّهُمْ لِبَعْضٍ، ظَهِيرًا﴾. سورة الإسراء، الآية: 88.

# الإهداء

- إلى والدي الكريمين - رحمة الله عليهما - دعاء وثواباً لهما عنده سبحانه لما قدما.

- إلى أسرتي التي هيأت لي الجو الملائم للبحث.

- إلى كل غيور على وطنه الجزائر وأمته العربية والإسلامية.

- إلى حماة لغة الضاد الذين حملوا لواءها، وعملوا على ترقيتها.

أقدم عملي العلمي هدية تقدير وعرفان.

# مدخل

## 1- مفهوم "بنية" و "جملة"

## 2- الفرق بين السور المكية والمدنية

أعرض - في هذا المدخل - إلى مصطلحي "بنية" و "جملة"، ثم أتناول الفرق بين مفهومي "مكية" و "مدنية" في القرآن الكريم.

### أولاً - البنية:

أتناول مصطلح "البنية" "La structure" لغة واصطلاحاً. وأبدأ بادئ ذي بدء بالمعنى اللغوي .

**أ- البنية لغة :** يوجد للفظ "البنية" فعالن: "بنا" بالمدّ يبنو، جمع بنوة أو بُنْوَةٌ<sup>(1)</sup>، و"بني" بالقصر، يعني من البناء.<sup>(2)</sup>

ويقال: بنية، وبنى - بكسر الباء - اسم مقصور، وبُنْيَةٌ وبنى - بضم الباء - مقصور كذلك<sup>(3)</sup>. و"بنية" على وزن " فعلة" ، وكأن البنية الهيئة التي بني عليها، مثل: رِشْوَةٌ وَمِشْيَةٌ وَرَكْبَةٌ<sup>(4)</sup>.

والبنية والبنية : ما بنيته، وهو البنى والبنى، ورد عن العرب بضم الباء. أنسد الفارسي عن أبي الحسن:

أولئك قومٌ، إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا

ويروى: أن أحسن البناء بالكسر؛ قال أبو إسحاق : "إِنَّمَا أَرَادَ بِالبَنِي جَمْعَ بَنِيَةٍ".<sup>(5)</sup>

والبنية والبنية: ما بنيته على هيئة وصورة معينة، وجمعه البنى والبنى، وجمع أبنيات.<sup>(6)</sup> والبناء و البنيان شيء

واحد، وهو نقىض الهدم،<sup>(7)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿كَانُوكُلُّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.<sup>(8)</sup>

ومن الفعل "بني": البنية أو البنية، والبنى، والبناء، والبنيان، والبنية، والابتناء، والباني.<sup>(9)</sup> وهذا الفعل "بني" ومشتقاته أكثر دوراناً واستخداماً من الفعل الثاني "بنا" في مؤلفات اللغويين القدماء والمحدثين .

(1) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د.ت) 14/89،(بني)، والزبيدي، تاج العروس، دار صادر بيروت، (د.ت) 10/46،(بني).

(2) ينظر، أبو هلال العسكري، التلخيص، تحقيق عزة حسن، دار صادر بيروت ، ط.2، 1993 ، 262/1 ، 261.

(3) ينظر، المصدر السابق، 261/1 ،.. وأحمد بن فارس، محمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ط 2 ، 1986 ، 1/136 ،(بني)، وابن منظور، لسان العرب، 94/14،(بني).

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 94/14،(بني).

(5) ينظر المصدر السابق، 14/94.

(6) ينظر، المصدر السابق، 94/14، و الزبيدي، تاج العروس، 10/46،(بني).

(7) ينظر، الفيروز آبادي، القاموس الخيط، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت)، 4/305،(بني)، والزبيدي، تاج العروس 10/46،(بني).

(8) الصف، 4.

(9) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 94/14،(بني)، والفيروز آبادي، القاموس الخيط، 4/305،(بني)، والزبيدي، تاج العروس، 10/46،(بني).

ومعنى لفظ "بنية" لغة في كل ما ورد لا يخرج عن كونها تدل على بناء الشيء على هيئة وصورة معينة. إلا أنَّ كلمة "بنية" كلمة واسعة فضفاضة، لا تكاد تعني شيئاً لأنها تعني كل شيء.<sup>(1)</sup> ويدل اتساعها ذلك على أنها اقتحمت حل العلوم، وقد أدى تنوعها الدلالي إلى وجود تعريفات عديدة، نقتصر على بعضها مما له علاقة بميدان علم اللغة.

**بــ البنية اصطلاحاً:** لقد انطلقت حل التعريفات لمصطلح "بنية" من مفهوم النظام، يقول زكريا إبراهيم: "البنية عندهم جميعاً... هي ذلك النظام المتsequ الذي تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوافق، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات -أو العلاقات المنطقية- التي تتفاصل ويحدد بعضها بعضها على سبيل التبادل"<sup>(2)</sup>، فالبنية هي كل تماسك بنظام من العلاقات اللغوية، سواءً كانت ألفاظاً تؤلف جملة أم جملة، أم أصواتاً تؤلف لفظاً أم ألفاظاً، وأن عناصرها تخضع لمبدأ التغيير والتحويل بسبب ترتيب عناصرها.

وتأخذ بعض التعريفات بمبدأ العلاقة فتحدد البنية بأنها "مجموعة من العلاقات التي تربط العناصر بعضها"<sup>(3)</sup>، فهي ليست عنصراً واحداً، أو مجموعة من العناصر بل هي العلاقات النظمية التي تؤلف بين تلك العناصر، والتي تتكون منها البنية، والكل ليس إلا نتاج هذه العملية،<sup>(4)</sup> وتلك البنية الفظية من صوتية وصرفية ونحوية هي التي تحمل المعنى للمتلقي؛ فالمعنى يستخرج من مجموعة العلاقات التي تربط العناصر جميعها وفق أحكام لغوية معينة تبعاً لنظام تلك اللغة.

وبعض التعريفات تعرف البنية على أنها مادة "تحويلية"<sup>(5)</sup>، أي: أن عناصرها تخضع لمبدأ التحويل والتغيير، وذلك عن طريق التقديم والتأخير، أو ما يسمى بترتيب العناصر.

ونشير إلى أنَّ مصطلح "البنية" يرادف مصطلح "البناء"، فالبنية والبناء إذن -عند البعض- يعتمد على ترتيب العناصر<sup>(6)</sup>؛ فهو في الجملة تنسيق لعناصرها، وترتيب لأفكارها، فليست الجملة حطاً أفقياً من كلمات متتابعة، وإنما هي نسق منظم على نحو مخصوص، يتوقف فهم التركيب في شطر كبير منه على هيئة نظم الكلم<sup>(7)</sup>.

(1) إبراهيم زكريا، مشكلات فلسفية (8)، مشكلة البنية أو أصوات على البنوية، دار مصر للطباعة، (د.ت)، ص.8.

(2) مشكلة البنية أو أصوات على البنوية، ص.77، 78.

(3) ينظر، المرجع السابق، ص.34.

(4) ينظر، محمد الخناش، البنوية في اللسانيات دار الرشاد، الدار البيضاء-المغرب-ط1، 1980، ص102.

(5) ينظر، جان بياجيه، البنوية، ترجمة عارف مينيمة وبشير أبويري، منشورات عوريدات، بيروت، باريس، ط2، 1980، ص.8.

(6) ينظر، عبد الوهاب جعفر، البنوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف بمصر، 1980، ص.12.

(7) ينظر، نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظائر اللغوي الحديث، دار البشير، مكتبة وسام، عمانالأردن، ط.2، 1987، ص.29.

ويستهل البناء بإذكاء بواعث القول وينتهي بإثارة المترافق واستجابته التلقائية. فالبناء إذن مرتبط بالجملة من حيث ترتيب عناصرها، لإيصال المعنى للمترافق، وهذه العناصر تسير وفق أحكام لغوية وإرادة ذاتية تبدأ عبر اختيارات تجيزها اللغة، ليصل المنتج إلى مستوى الإبداع والابتكار بخرق سنن اللغة وقوانينها.<sup>(1)</sup>

ولهذا يرى حلمي خليل أن "علم اللغة البنائي" - Structural linguistics - يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر لغوي لا يمكن أن يتم بمفرده عن العناصر الأخرى، وأن علم اللغة البنائي كذلك ينظر إلى اللغة على أنها وحدات صوتية تتكون من وحدات مورفولوجيا، وهذه تتكون بدورها لتألف جملة<sup>(2)</sup>. فاللغة تقوم على نظام من الأحكام المحددة، وهذه الأحكام ليست في حقيقتها إلا شبكة تقنية معقدة مؤلفة من مجموعة شفرات. وهكذا نجد لكل لغة نظاماً معيناً، ونجد في الوقت ذاته لهذا النظام أو البنية تسلسلاً طبيعياً خاصاً، وهذه البنية هي التي تضم الأفكار بداخلها وتنظيمها، فكأن هذه الشيفرات ظروف، وكأن ما تحمله من دلالات مظروفات. وبذلك يمكن أن يتصور أن الفكرة تنجز من خلال بنية فنية معينة.<sup>(3)</sup>

ويبدو أن اللغويين العرب القدماء أدركوا بدورهم مفهوم "بنية الكلام" من خلال معالجتهم للقضايا اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية. وقد عبروا عنها بمصطلحات مختلفة في دوليهما، متفقة في مدلولاتها، ومنها: النظم، والتأليف، والترتيب، والبناء، والتعليق، وكلها تشير إلى عملية تنسيق الألفاظ في تراكيب لغوية صحيحة. فهم مدركون أن هناك ارتباطاً واضحاً بين المبني والمعنى، أو الدال والمدلول. والمبني عندهم يبدأ بأصغر وحدة، وهي الصوت، وينتهي بأكبر وحدة وهي الجملة، وبذلك وصلوا إلى فكرة نظام الجملة، وما ينشأ عنها من معانٍ تبعاً لترتيب عناصر الجملة، وكذا الحذف والزيادة. يقول أبو هلال العسكري: "وتحير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزین صفاته فإن أمكن مع ذلك منظوماً من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه".<sup>(4)</sup>

فالبناء انتقاء للألفاظ وتأليف فيما بينها، وذلك لا يتأتى إلا لبارع في صنع بناء الألفاظ والتنسيق بين معانيها. وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: (ت 471 هـ) "والنظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع"<sup>(5)</sup>. ويقول أيضاً: "واعلم أنّ ما هو أصل في أن يدق النظر ويفيض المسك في توخي المعانى التي عرفت أن تتحد أجزاء

(1) ينظر، محمد الماكري، الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهري)، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 176.

(2) ينظر، العربية وعلم اللغة البنائي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 7.

(3) ينظر، عبد الملك مرطاض، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص 19.

(4) كتاب الصناعتين، حققه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1989، ص 159.

(5) دلائل الإعجاز في علم المعانى، صحيح محمد عبد، محمود الشنقيطي، وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 73.

الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتت ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن نضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمنيه هنا حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يضر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنواع مختلفة".<sup>(1)</sup>

ويرى عبد القاهر أن التأليف الجيد إنما يتم في الألفاظ "مرتبًا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل".<sup>(2)</sup> وهذا الرابط بين البنية والدلالة يفسح المجال للمتلقى أمام التأثيرات الأسلوبية فتكون القيمة للبنية لفظاً و دلالة معا.<sup>(3)</sup>

ويعد الترتيب في مباني الجملة من أهم ما يجب أن يصرف اللغوي جهده له، فمن طريقه يصل إلى دلالة معينة قد لا يكون الوصول إليها بغیره يسيرا، فهو أبرز المحالات التي تبرز اتحاد المستوى الترکيبي مع المستوى الدلالي "syntax" مع المستوى الدلالي "Sémantique".<sup>(4)</sup>

فالبناء مرتبط ببناء صيغ الألفاظ، وبناء صيغ الجملة على نظام خاضع للأحكام اللغوية، وتعتمد العناصر التأليف والتراكيب بين المؤلفات المختلفة. والتأليف هو الذي يوليه علم اللغة عناية كبرى. يقول فندریس Vendryes "نقلًا عن فنك Fiknk": "... الاختلافات في البنية بين اللغات تنتج من الكيفيات المتنوعة التي تتوقف عليها عملية التأليف".<sup>(5)</sup>

وفائدة النظم أو الترتيب "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير تأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>(6)</sup>، فالنظم يهتم بترتيب الكلمات في جمل، أي أنه يدرس الطرق التي تتتألف بها الجمل من الكلمات. دراسة النظم في جوهرها تهدف إلى تحديد القواعد المألوفة في ترتيب البنى الشكلية<sup>(7)</sup>.

ويقرر عبد القاهر الجرجاني: "أنه لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في إثر بعض على التوالي نسقاً وترتيباً حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون للذى يجيء بها مضموماً بعضها إلى بعض غرض فيها ومقصود لا يتم ذلك الغرض وذلك المقصود إلاّ بأن يتخير لها مواضع فيجعل هذا أولاً وذاك ثانياً"،<sup>(8)</sup> بحيث تصبح بنية الجملة صورة للوجود الذهني التصوري لمعانٍ، وبالتالي تصبح عملية الإفراز الفنى

(1) المصدر السابق، 73، 74.

(2) ينظر، أسرار البلاغة، تصحیح محمد عبده، وتعليق محمد رشید رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص.3.

(3) ينظر، سعيد أبو الرضا، في البنية والدلالة، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت)، ص.32-89.

(4) ينظر، خليل أحمد عماد، آراء في الضمير العائد ولغة أكلون البراغيـث، دار الشير، عمان، ط.1، 1989، ص.18.

(5) اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص.105.

(6) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح أحد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1988، 1، ص.45.

(7) ينظر، محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص.226.

(8) دلائل الإعجاز، ص.363.

ميزة نوعية للأثر الأدبي، لأن تقديم لفظ وتأخير آخر مبني على اهتمام المبدع بإبرازه ونماء ما يليه لتكامل البنية الكلية<sup>(1)</sup>، التي تخضع لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب الأجزاء، وفق مبادئ اللغة ونومانيسها، أما المعاني فيتم فيها العدول على المباني الجاهزة<sup>(2)</sup>، أي: الخروج عن استخدام المألوف إلى معانٍ مجازية تفهم من خلال السياق.

ومن هنا يتجلّى مفهوم "بنية الجملة" في عملية النظم والربط، والتأليف، فهي مجموعة من العناصر اللغوية التي ارتبطت لتدوي معنى للمتلقي.

## ثانياً- الجملة:

لقد تعددت مفاهيم الجملة وتنوعت نظراً لاختلاف وجهات وآراء علماء اللغة ومناهجهم. ولا أريد أن أفصل القول في خلافات اللغويين والنحاة في تحديد مفهوم الجملة، ولكنني سأكتفي بعرضها عرضاً مختصراً، فأقصد حدها مبيناً ما ترتب على هذا الحد من جوانب لها أثرها في بناء الدرس النحوي الحديث وتوجيهه، ثم أخرج من ذلك كلّه بوضع حدّ أقصى صوبه للجملة التي سأقسمها وأوزعها في ضوء ذلك.

وأتحدث بادئ ذي بدء عن مفهوم الجملة عند اللغويين والنحاة القدامى والمعاصرين من العرب، ثم عند علماء اللغة الغربيين.

### 1- مفهوم الجملة عند اللغويين والنحاة العرب القدامى:

لعل الباحث في التراث اللغوي العربي يدرك أن للعلماء العرب القدامى اتجاهين أساسين في تحديد مفهوم الجملة.

**الاتجاه الأول:** يرى علماء هذا الاتجاه أن مفهوم الجملة يرادف مفهوم الكلام. ومن علماء هذه الوجهة سيبويه، وابن جني، والزمخشري، وابن يعيش، والإسقرايسي.

لقد استشهد سيبويه (ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) بجمل نحوية تامة في مواطن عدة مراعيا فيها المعنى، ومعبراً عنها بلفظ الكلام دون استخدام مصطلح "الجملة"، فيقول: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحال ف منه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيك أمس وسأتيك غدا، وأما الحال فإن تنقض أول كلامك بأخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس".<sup>(3)</sup>

فسيبويه لم يتحدث عن معنى الجملة اصطلاحاً، وإنما يفهم مدلولها من خلال ذكره لركني الجملة: "المسند" و"المسند إليه". وهو في باب الإسناد يبين أن الجملة لا تستغني عن أحد هذين الركينين، ويفهم أن الجملة عنده ما تكونت من المسند والمسند إليه، كالمبتدأ وخبره، والفعل وفاعله، فيقول: "وهما ما لا يعني واحد منها عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا . فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قوله: عبد الله أخوك . وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب

(1) ينظر، سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص 136.

(2) ينظر، محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984، ص 200، 201.

(3) الكتاب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الحاخامي بالقاهرة، ط 3، 1988، 25/1.

عبد الله، فلا بد لل فعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء ."<sup>(1)</sup>  
ويلاحظ - مما ذكر - أن سببويه لم يستخدم مصطلح "جملة" وإنما استعمل مصطلح "الكلام" وأراد به الجملة،  
وذلك حين حديثه عن الجمل المفيدة.

أما ابن حني (ت 392هـ) فقد نص صراحة على الترافق بين مفهومي "جملة" ، و"كلام" بقوله:  
أاما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لعناته، وهو الذي يسميه النحويون الجملة، نحو: زيد أخوك، وقام محمد...  
فكل لفظ استقل بنفسه، وجنبت منه ثمرة معناه فهو كلام."<sup>(2)</sup>  
وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت 538 هـ) بقوله : "والكلام هو مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى  
الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك : زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل اسم، نحو قولك : ضرب زيد،  
وانطلق بكر، ويسمى الجملة ".<sup>(3)</sup>

وهذا الترافق أو الخلط في المصطلح نجده أيضا عند ابن يعيش (ت 643هـ) حيث يقول : "اعلم أن الكلام  
عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناته، ويسمى الجملة، نحو: زيد أخوك، وقام بكر ، وهذا معنى  
قول صاحب الكتاب، المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ".<sup>(4)</sup>

ولم يخرج الإسفرايني (ت 684هـ) عن التقليد؛ فقد تأثر بمن سبقوه ، فهو يرى أن التأليف قد يجري  
بين الاسم والفعل "إما على وجه الإسناد، وهو تركيب الكلمتين أو ما يجري مجراهما بحيث تفيد السامع،  
ويسمى كلاما أو جملة".<sup>(5)</sup>

والواضح أن المصطلح عند الإسفرايني مازال يكتنفه الغموض، أي أن "الكلام" مرادف لمصطلح "الجملة".  
وهذا المفهوم رددته ابن منظور (ت 711 هـ)، فيقول: "والكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة".<sup>(6)</sup>

فاجملة - إذن - عند علماء هذا الاتجاه تعد رديفا للكلام ، وهي التركيب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.  
**الاتجاه الثاني:** الجملة عند علماء هذا الاتجاه تدل على معنى مخالف لمعنى الكلام، ويمثله كل من رضي الدين  
الإسترابادي وابن هشام الأنصاري وعلي بن محمد الجرجاني .

وإذا كنا قد رأينا أن الكلام يرادف الجملة عند الأوائل، فإننا نجد الإسترابادي (ت 686هـ) يرى أن الجملة  
والكلام غير متزلفين، وأن الجملة أعم من الكلام مطلقا ، إذ شرطه الإلقاء بخلافها ، فيقول : "والفرق بين الجملة  
والكلام ، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا ، كاجملة التي هي خبر المبتدأ... .

(1) المصدر السابق، 23/1.

(2) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، (د.ت)، 17/1.

(3) المفصل في علم العربية، دار الجليل، بيروت، ط2، (د.ت)، ص6.

(4) شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الشبيبة، القاهرة، (د.ت)، المجلد الأول، 18/1.

(5) لباب الإعراب، تحقيق هباء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1984، ص149.

(6) لسان العرب، 12/523، (كلم).

والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس".<sup>(1)</sup>  
 في حين يعرفها ابن هشام (ت 761 هـ) بقوله : "الكلام هو القول المفید بالقصد، والمراد بالمفید ، هو مادل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، وهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس... والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدة، فليس بكلام ".<sup>(2)</sup> فهو يفرق بين مفهومي "جملة" و"كلام" من حيث إن الكلام يحسن السكوت عليه. أما الجملة فيعني بها عناصر الإسناد، كال فعل مع فاعله، والمبدأ وخبره، فيقول: "والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ"قام زيد"، والمبدأ وخبره، كـ"زيد قائم" وما كان مترلة أحدهما، نحو: ضرب اللص".<sup>(3)</sup>

ويرى ابن هشام بتصوره هذا أن المعنى موجود في الكلام أو في الجملة المفيدة. ويؤرثه الجرجاني علي بن محمد (ت 816 هـ) فيما ذهب إليه ، فيقول: "الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أستدلت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيد قائم ، أو لم يفدي كقولك: إن يكرمي ، فإنه جملة لا تفدي إلا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً".<sup>(4)</sup>

ويتضح من هذا التعريف أن الكلام شرطه الإفادة دائمًا، في حين أن الجملة لا تشترط إتمام المعنى، وذلك كجملة فعل الشرط، أو جملة جواب الشرط، وجملة جواب القسم، وجملة صلة الموصول... وهي في واقعها اللغوي غير تامة المعنى؛ لأنها أجزاء جمل، فلا يتضح معناها إلا من خلال الجمل التامة.

ولم يكن الاختلاف بين النحوين واللغويين حول تعريف الجملة، والفرق بينها وبين الكلام، بل تعداها إلى الاختلاف حول تقسيمها ، فهي عند أغلبهم اسمية وفعلية ، وزاد بعضهم الشرطية والظرفية، يقول صاحب المفصل: "و الجملة على أربعة أصناف: فعلية و اسمية وشرطية وظرفية وذلك: زيد ذهب أخوه، عمرو أبوه منطلق، وبكر إن تطعه يشكرك، وخالد في الدار".<sup>(5)</sup>

وسلك هذا التقسيم الإسبرائي في كتابه "الباب الإعراب" متأثرًا بالزمخري،<sup>(6)</sup> أما ابن يعيش فلم يقر تقسيم الزمخري، حيث يقول : "وهي قسمة لفظية وهي في الحقيقة ضربان : فعلية واسمية، لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين الشرط فعل وفاعل والجزاء فعل وفاعل والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل".<sup>(7)</sup> أما صاحب معنى الليبيب فقد زاد على القسمين المعلومين الظرفية، فعنده "الاسمية هي: التي صدرها اسم،

(1) الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، 1/8.

(2) مغني الليبيب، تحقيق ح. الفاخوري، دار الجليل، بيروت، ط 2، 1997، 2/5.

(3) المصدر السابق، 2/5.

(4) التعريفات، ضبطه محمد عبد الكريم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1991، ص 91.

(5) الزمخري، شرح المفصل لابن يعيش، 1/82.

(6) ينظر، لباب الإعراب، ص 149، 150.

(7) شرح المفصل، 1/88.

والفعالية هي: التي صدرها فعل... والظرفية هي: المصدر بظرف أو مجرور.<sup>(1)</sup>  
وبيدو جلياً إغراق النحاة القدماء في الجانب الشكلي للدراسة الجملة، الشيء الذي أدى بهم إلى هذا التقسيم،  
وإلا ما كان اهتمامهم منصباً نحو الصدر الذي يرون أنه كفيلاً بتحديد نوعي الجملة، فنظرتهم هذه  
لا تصلح لتصنيف الجمل في اللغة العربية؛ فهناك جمل صدرها اسم، ولكنهم أدرجوها في الفعلية، وجمل أخرى فعلية،  
ولكنهم أدرجوا في الأسمية، مما أدى بهم إلى الإعراب التقديرية وإلى التأويل.<sup>(2)</sup>

ويلاحظ أن السيوطي (ت 911 هـ) قد تأثر بمنهج ابن هشام، فنجد أنه يقول: "والجملة قيل: ترادف  
الكلام والأصح أعم، لعدم شرط الإفاده، فإن صدرت باسم فاسمية، أو فعل فعلية، أو ظرف أو مجرور فظرفية".<sup>(3)</sup>  
والواضح أن اختلاف النحاة في تصنيف الجملة مرده إلى اختلاف شكلي ماض، كما مر بنا في تقسيم  
الزمخيري وابن هشام.

ويعكس لنا رأي ابن يعيش التصور الصحيح لنوعي الجملة العربية، وهو يرد على الذين يخالفونه الرأي، بقوله:  
" وهي قسمة لفظية، وهي في الحقيقة ضربان : فعلية واسمية".<sup>(4)</sup> و هذا الرأي هو السائد والمعمول به في تقسيم الجمل،  
وقد اعتمد حديثاً من قبل اللغويين، وهي خدمة جليلة قدّمتها السلف للخلف.  
هذه بعض النقاط الجوهرية التي تدل بوضوح على مدى عمق الدراسات العربية القديمة أحياناً، وخفقها أحياناً  
آخر، فالكلام مثلاً عن تصنيف الجمل عند بعضهم -كما سبق أن قدمت- ينم عن قصور في التقسيم، بسبب التعلق  
بالشكل، والابتعاد عن المعنى.

يتضح مما سبق أن الدراسات القديمة سارت في اتجاهين رئيسين: اتجاه اهتم بشكل الجملة، واتجاه اهتم بالمعاني  
المستقلة منها، ولو أن هناك اتجاه آخر يوفق بين الشكل والمعنى. والظاهر أن أحمد بن فارس (ت 395 هـ)  
تنبه لهذا، وهو يكتب فصل "معان الكلام" جاعلاً المعاني عشرة، وهي: الخبر والاستخار والأمر والنهي  
والدعاء والطلب والعرض والتحضير والتمني والتعجب. وتحدث عن خروج تلك المعاني عمما جعلت له إلى دلالات  
أخرى؛ فالخبر مثلاً يخرج إلى التمني والتعجب والإنكار.<sup>(5)</sup> وهذه المسائل تقوم أساساً على دراسة التركيب النحوي  
الذي يؤدي إلى معان ثانية تفسرها السياقات الدلالية .

وبهذا الفهم يكون أحمد بن فارس أول من وضع مصطلح "معان الكلام" لمباحث الجملة الخبرية والإنسانية،  
وكذلك الحرجاني (ت 471 هـ) فقد ركز في نظرية النظم على ضرورة مراعاة المعنى، وذلك بوضع الألفاظ في سياق

(1) ابن هشام، معنى الليبب، 7/2.

(2) ينظر، ابن هشام، معنى الليبب، 7/2، 8.

(3) همع المقام، تحقيق أحد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، 49/1.

(4) شرح المفصل، 1/88.

(5) ينظر، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وستان العرب في كلامها، على عليه ووضع حواشيه أحد حسن بسيج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997، ص 133 وما بعدها.

محدد لتفي بدلاتها، فيقول: "ليس النظم شيئاً إلا توخي معانى النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معانى الكلم".<sup>(1)</sup> فدلالة الجملة تتضح وقد ارتبطت عناصرها، لأن الصلة وثيقة بين اللفظ ومعناه، لسبب "أن اللفظ تبع للمعنى في النظم"،<sup>(2)</sup> على أن الرابط فيه تعلق بالفاظ التركيب، فالمعنى يبرز في أحسن صورة في ضم بعضها إلى بعض، تعليق بعضها بعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، لا أن ينطأ بعضها في أثر بعض من غير أن يكون فيما بينها ما تعلق".<sup>(3)</sup> فلا يحصل المعنى من ألفاظ غير مرتبطة ارتباطاً لغوياً صحيحاً، ولذلك كان "علم المعانى" ضرورياً في فهم الأساليب اللغوية.

وقد اتضح هذا الأمر للقدامي كالسكاكى (ت 626هـ)، والقرزوبى (ت 739هـ) بأن "علم المعانى" هو علم يعرف به أحوال التركيب العربي التي يطابق بها مقتضى الحال<sup>(4)</sup>؛ فهو علم يتبع خصائص التركيب في الإفادة، وما يتصل بها من استحسان وغيره.<sup>(5)</sup>

وحصر هذا العلم في الإسناد الخبرى، وأحوال المسند إليه، والمسند، ومتعلقات الفعل والقصر، والإنشاء، والفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب والمساواة.<sup>(6)</sup> فالقدامي بوصف عام يقسمون الجملة بلاغياً إلى قسمين: الخبر والإنشاء ، والإنشاء منه ما هو طلبي، وغير طلبي.<sup>(7)</sup>

وقد اقتصر السكاكى على "الطلبي" من القسم الثاني "الإنشاء" ، وجعله في مقابل القسم الأول "الخبر". وتبين له أن النوعين قد يخرجان إلى معان وأغراض مجازية؛ فالطلب -مثلاً- قد يخرج إلى معان كالإنكار والتوصيح والتهديد والزجر وغيرها،<sup>(8)</sup> أما بالنسبة إلى أقسام الطلب فهي عنده خمسة: التميي والاستفهام والأمر والنهى والنداء.<sup>(9)</sup> وتستوجب هذه الأقسام الطلبية شرطاً لا بد من توافرها، فالاستفهام الحقيقي -مثلاً- يتطلب مجموعة من الشروط الأساسية، إذا ما توافرت ، فإن المعنى المقامى يكون هو الاستفهام أما إذا حذف شرط من تلك الشروط فإن الاستفهام يتحول إلى معنى آخر،<sup>(10)</sup> يفهم من خلال السياق.

(1) دلائل الإعجاز، ص 403، وينظر له ص 282، 404.

(2) المصدر السابق، ص 45.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 359.

(4) ينظر، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987، ص 161، 168، 169، والقرزوبى، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 15.

(5) ينظر، السكاكى، مفتاح العلوم، ص 161.

(6) ينظر المصدر السابق، ص 169، والقرزوبى، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 16.

(7) ينظر، القرزوبى الإيضاح، ص 135، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ترتيب وتعليق وشرح عبد الغنى الدقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1994، ص 40.

(8) ينظر، السكاكى، مفتاح العلوم، ص 305، 306.

(9) ينظر، المصدر السابق، ص 165-304.

(10) ينظر، المصدر السابق، ص 304، 305.

## 2-مفهوم الجملة عند العلماء و الباحثين العرب المعاصرین:

يختلف مفهوم الجملة عند علماء العرب المعاصرين بسبب انتماهم إلى المدارس والمذاهب اللغوية عن طريق الأخذ من القدماء العرب، أو التأثر بالنظريات اللغوية الغربية. وتبعاً لذلك فالقواعد والأحكام اللغوية القديمة لم تبق على حالها، بل تغيرت مع تطور الدراسة اللغوية الحديثة، فتعددت بذلك مفاهيم الجملة باختلاف وجهات النظر؛ فهناك من اللغويين العرب من يعرف الجملة بأنها: "قول مركب مفيد أي دال على معنى يحسن السكوت عليه".<sup>(1)</sup> ونکاد نلمس التعريف نفسه عند الحاج صالح عبد الرحمن الذي عد الجملة "نواة لغوية تدل على معنى وتفيد فائدة".<sup>(2)</sup> ويلتقي هذا التعريف بالنحوة القدامية في بعض الجوانب، "فقد عرفوا الجملة تعريفاً روعيت فيه جوانب أساسية فقد راعوا في تحديدها مفهوم الإسناد ومفهوم الإفادة، فالجملة في نظرهم هو ما تركب من مسند ومسند إليه".<sup>(3)</sup> أما مفهوم الإفادة عندهم فمقتربن باستقلال الجملة وعدم احتياجها إلى ما يتمم معناها، ومن هنا يتراءى مظاهر آخر للجملة وهو أنها وحدة الكلام.<sup>(4)</sup>

ويفهم من التعريف السابقة أن شرط الجملة التأليف الذي يحمل دلالة للمتكلمي، ولذلك فهي مجموعة ذات عناصر لغوية إسنادية، وقد أنشئت قصد التفاهم في بيئة لغوية معينة .

وليست الجملة مجرد سلسلة من طبقات تراكمية من المفردات دون علاقـة ترابطـية تسرـي في عـناصرـها، بل لها عـلاقـة كـعـلاقـة الإـسنـاد<sup>(5)</sup>. وإن الإـسنـاد لا يـنـعـقـد إلا بين اـسـمـين كـعـلاقـةـ المـبـدـأـ بالـخـبـرـ، أوـ بـيـنـ فـعـلـ وـاسـمـ كـالـعـلاقـةـ بـيـنـ الفـعـلـ وـفـاعـلـهـ، وـالـفـعـلـ بـنـائـبـ فـاعـلـهـ، وـالـوـصـفـ المـعـتمـدـ بـفـاعـلـهـ أوـ نـائـبـ فـاعـلـهـ،<sup>(6)</sup> فالجملة: "هي بناء لغوي يكتفي بذاته وتترابط عناصره المكونة ترابطاً مباشراً أو غير مباشـرـ بـالـنـسـبـةـ لـمـسـنـدـ إـلـيـهـ وـاحـدـ أـمـ مـتـعـدـ".<sup>(7)</sup> وـظـلتـ هيـ الـوـحـدـةـ

(1) أحمد مختار عمر وآخرون، النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط. 1، 1984، ص 11، ويظهر، محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حلقات الجامعة التونسية، العدد 14، 1977، ص 34.

(2) مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971، ص 65. وغاية البحاثة في هذا المدخل أن يبين أن هذا الرأي هو رأي النحوة العربية القدامية الذين ميزوا بين المعنى والفائدة، فقد أشار به قائلاً: "ولهذا أهمية عظيمة جداً، لأنه الأساس الذي بنيت عليه نظرية الإفادـةـ الحديثـةـ -Théorie de l'information-

(3) عبد القادر المهنري، الجملة في نظر النحوة العربية، حلقات الجامعة التونسية، العدد الثالث، 1966، ص 39.

(4) ينظر، المرجع السابق، ص 39.

(5) ينظر، محمد إبراهيم عباده، الجملة العربية، دار بور سعيد للطباعة، مصر، 1988، ص 209.

(6) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط. 2، 1979، ص 194.

(7) جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 40.

الأساسية في التحليل اللغوي العادي منه أو الملفوظي. وهي تنقسم إلى مقوماتها أو أركانها من مسند إليه ومسند ومتعلقانهما.<sup>(1)</sup>

والجملة عند إبراهيم أنيس "هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من الكلمة واحدة أو أكثر".<sup>(2)</sup>

ويوضح أن أنيس قد جعل تعريف الجملة شاملًا لكل تراكيبيها بدءً من صورتها الصغرى ككلمة واحدة عند الحذف، وانتهاءً بالجملة الأكثر تركيباً، فالمهم عنده أن تكون تامة المعنى. وهذا الفهم بحد ذاته عند مهدي المخزومي الذي يعرف الجملة بأنها "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفید في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين التكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المستكمل إلى ذهن السامع".<sup>(3)</sup>

ويقول -أيضاً- "والجملة في أقصى صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، وليس لازماً أن تحتوي العناصر المطلوبة كلها، قد تخلو الجملة من المسند إليه لفظاً، أو من المسند، لو سره وسهولة تقاديره".

<sup>(4)</sup> كما يعرفها كذلك بقوله: "الجملة هي الوحدة الكلامية الصغرى".<sup>(5)</sup>

ويلاحظ أن تعريف الجملة بأنها "وحدة الكلام"، أو أنها "وحدة كلامية مستقلة" تعريف ينطوي على قصور في الدراسة النحوية للتركيب العربي، لأنّه لم يعرض للتركيب أو بناء الجملة، وهو لا يعدو أن يكون ترديداً لآراء القدامي في بعض جوانب اللغة؛ فالجملة في حقيقتها هي مجموعة وحدات كلامية منسقة ومرتبة، ومتصلة بقوانيين وأحكام لغوية، وهي في تركيبها تؤدي معنى لغويًا، كالجملة الخبرية والإنسانية، وأنها "تحتوي من الوجهة النحوية على تركيب نحوي على الأقل، كما تحتوي من الوجهة الدلالية على رسالة واحدة مكتملة المعنى على الأكثر"<sup>(6)</sup>، لأنها قد تتكون من تركيب واحد مفید، أو من تركيب ذي شقين يكتملان ليكونا جملة واحدة ذات معنى كما هو في الشرط وجوابه؛ فجملة فعل الشرط، أو جملة الجواب، وجملة صلة الموصول -مثلاً- يظل معناها جزئياً، أي ناقصة المعنى، في حين أنها تنسحب وفق نظام لغوي سليم، ولذلك فالجملة نوعان: جمل تامة المعنى، وجمل ناقصة.

والجملة بوصفها قولًا يمكن أن ترتبط جميع عناصرها بمسند واحد، أو بمسندات متراكبة، والإسناد ينعقد بين المسند والمسند إليه،<sup>(7)</sup> فإن كان كلامهما اسمًا أو بمنزلة الاسم، فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلًا، أو بمنزلة الفعل

(1) ينظر، عدنان بن ذرييل، اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981، ص 14.

(2) من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1978، ص 260، 261.

(3) في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت)، ص 31.

(4) المرجع السابق، ص 33.

(5) المرجع السابق، ص 33.

(6) كمال بكداش، التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، مجلة الفكر العربي، 1979، العدد 9-8، ص 46.

(7) ينظر، أحمد خليل عمابير، في نحو اللغة وتركيبيها، عالم المعرفة، جدة، ط 1، 1984، ص 98.

فاجملة فعلية.<sup>(1)</sup> و بعبارة أخرى إن الجملة الاسمية هي التي يدل فيها المسند على الدوام والاستقرار، و الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد، لأن الدلالة على التجدد لا تستمد إلا من الأفعال.<sup>(2)</sup>

ويرى قام حسان أن التحديد بالاسمية والفعلية يأتي نتيجة لمعنى الوظيفة أو المعن الأعم، وذلك لأن كل الكلمة من كلمات الجملة تتخذ معنى أعم يتضح في وظيفتها التي تؤدي ضمن الأبنية الداخلية للجملة، وموقعها من النظام النحووي العام.<sup>(3)</sup> وبحده أيضا - يشور على الدراسات النحوية القديمة، لأنه يرى أن أصحابها لم يهتموا بالمعنى التركيبي للجملة، فيقول: "إنهم لم يعطوا عنابة كافية للجانب الآخر من دراسة النحو، وهو الجانب الذي شتمل على طائفة من المعان التركيبية والمعانى التي تدل عليها".<sup>(4)</sup>

ومن نظرته هذه إلى المعان التركيبية يرى أن الجملة تنقسم إلى إسناد خيري، وإسناد إنشائي، وأن الإنسائي ينقسم بدوره إلى طليبي وغير طليبي.<sup>(5)</sup>

وما يريد أن يخلص إليه هذا الباحث هو تصويب النظرة القديمة للنحو، وذلك بالنظر "إلى التحليل باعتباره طريقة للوصول إلى التركيب ذلك بأن المادة المدروسة تصل إلينا حين تصل في صورتها المركبة".<sup>(6)</sup> ويرى بذلك "أن يكون علم المعان قمة الدراسات النحوية".<sup>(7)</sup> وهذه النظرة صائبة، لأن الجملة في نظامها اللغوي هي مجموعة العلاقات النحووية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطاً وظيفياً.<sup>(8)</sup> فالدارس يخضع التركيب لدراسة المعان، وهي مرتبة في الصور اللغوية مستبعداً التقديرات العقلية، أي: ينظر إلى الصور اللغوية المختلفة، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفاً وظيفياً.<sup>(9)</sup> وذلك للوصول إلى "معانى البنية" التي يحددها تركيب الجملة، تلك المعانى التي تدور على ما إذا كانت الجملة تقريراً، أو استفهاماً، أو رجاء، إلخ.<sup>(10)</sup>

والواقع أن اعتماد الجانب الشكلي في الدراسة اللغوية لا يزيدتها إلا بعداً عن جادة الصواب، والأجدر أن لا ينجز في بين اللفظ ومعناه، ولا نفصل بين دراسة المعن ودراسة النحو؛ فهما كل متكملاً، فاللفظ والمعنى وجهان لعملة

(1) ينظر، محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حلقات الجامعة التونسية، العدد 14، ص34، وينظر، المنصف عاشور، التركيب عند ابن المقفع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص23.

(2) ينظر، مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص41، 42.

(3) ينظر، مناجح البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء، المغرب، 1979، ص234.

(4) قام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص16.

(5) ينظر، قام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص16.

(6) المرجع السابق، ص17.

(7) المرجع السابق، ص18، وينظر، محمود السعران، علم اللغة، ص261.

(8) ينظر، عبد السلام المساي، ومحمد المادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب، تونس، طرابلس، 1980، 135.

(9) ينظر، محمود السعران، علم اللغة، ص206، 207.

(10) المرجع السابق، ص231.

واحدة؛ لا يصلح فصلهما عن بعض، ولذلك " فالجملة الصحيحة نحوياً ولغويًا هي الجملة الصحيحة عند أهل المعاني."<sup>(1)</sup>

ومن هنا يتراهى لنا أن علم المعاني مرتبط بعلم النحو؛ فمطابقة الكلام لمقتضى الحال "لا يتم ولا يمكن أن تتم إلا بعد مراعاة قواعد النحو".<sup>(2)</sup>

وأرى ما يراه رجاء عبد من أن مباحث علم المعاني، و منه الجملة الطلبية يدخل في باب الدراسات النحوية لا الدراسات البلاغية.<sup>(11)</sup> وبتعبير آخر فـ: "إن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعى لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني".<sup>(3)</sup> وما يدرس ضمنه بحث "الخبر" و "الإنشاء". والإنشاء ينقسم بدوره إلى طبلي، وغير طبلي. ويضم القسم الطبلي: الاستفهام والنداء والأمر والنهي والدعاء والعرض والتحضير والتمني والترجي.<sup>(4)</sup>

والجملة الطلبية حفل بها علماء اللغة و علماء التفسير لما جاء فيها من تلون خطابي، وخروج التراكيب إلى معانٍ مجازية، فالتلتون في الأساليب الخطابية مما يجدد نشاط المتكلمي ويشير شعوره ويجعل انتباذه فيجعله متوجهاً بـ مستجيبة لطلبات المتكلم.

### 3-مفهوم الجملة عند العلماء الغربيين:

أما مفهوم الجملة عند اللغويين الغربيين فسنكتفي بذكر تعريف بعضهم؛ فقد عرف اللغويون التقليديون الجملة بأنها "عبارة عن التعبير عن فكرة أو شعور بواسطة كلمة أو كلمات تستخدم بصورة معينة لنقل المعنى المقصود"،<sup>(5)</sup> كما تعرف الجملة -عندهم- صوتياً بالوقف أو السكت الذي يحددتها، وهي تتكون من مسند إليه ومسند.<sup>(6)</sup> ويلتقي هذا التعريف بتعريف اللغويين العرب القدامى في أن الجملة هي اللفظ الذي يحمل معنى يحسن السكوت عليه.

ويعرفها يسبرسن "O.JESPERSEN" على أنها "عبارة عن منطوق إنساني مستقل، وتدل قدرته على استقلاله، على أن ينطق به وحده".<sup>(7)</sup> فالجملة عنده وحدة لغوية، تتمتع بالاستقلالية.

و يعرفها ليونارد بلومنفيلد L.BLOOMFIELD الذي ينتمي إلى المدرسة البنوية على أنها "عبارة عن شكل

(1) عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ بالرياض، السعودية، ص 240.

(2) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، ط 2، 1971، ص 36.

(3) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

(4) ينظر، المراجع السابق، ص 124، وينظر له، البيان في رواع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب بالقاهرة، ط 1، 1993، ص 97.. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنسانية في النحو العربي، مكتبة الحاخامي بالقاهرة، (د.ت)، ص 14.

(5) جورج مونان، مفاتيح الألسنية، عربه وذيله بمجمع عربي فرنسي، الطيب البكوش، تونس، 1/1981.

(6) ينظر، المراجع السابق، 1/1.

(7) The philosophy of language grammar, London, 1924, P307.

لغوي مستقل، وغير متضمن في شكل لغوي آخر أكبر وفق مقتضيات التركيب النحوي".<sup>(1)</sup>  
ويلاحظ أن بلومفيلد يركز في تعريفه للجملة على استقلال التركيب واستقامته، لأن الأساس عنده أن يكون التركيب قابلاً للتحليل إلى المكونات الأساسية؛ فهو يعد أكبر وحدة نحوية يمكن أن يجري عليها التحليل اللغوي، في حين أنه غير مكون لأي شكل لغوي آخر.<sup>(2)</sup>

وأما ر.روبرت R.ROBENS فقد عرف الجملة بقوله: "هي أطول بنية يمكن إجراء تحليل نحوبي بداخلها"<sup>(3)</sup>.  
ويعرفها جون ليونز J.Loyons بأنها "أكبر وحدة يمكن أن تخضع للتحليل النحوي".<sup>(4)</sup> فهي من ثمة كيان مجرد يستطيع اللغوي بواسطته تفسير الارتباطات التوزيعية القائمة داخل المنطوقات.

وهذه النظرة صائبة، لأن الجملة في نظامها اللغوي هي مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطاً وظيفياً<sup>(5)</sup>. وترتبط جميع عناصرها بمسند واحد أو بمسندات عديدة متراقبة<sup>(6)</sup>. والإسناد ينعقد بين المسند والمسند إليه". فإن كان كلاهما اسماً أو بمتلة الاسم، فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلاً، أو بمتلة الفعل فالجملة فعلية"<sup>(7)</sup>. وبعبارة أخرى فإن الجملة الاسمية هي التي لا يدخلها فعل في تركيبها، والفعلية هي ما تضمنت فعلًا بين عناصر الإسناد.

ويتضح مما سبق أن الجملة تعد أكبر وحدة لغوية مؤلفة وفق قوانين وأحكام نحوية، تخضع للدراسة والتحليل.  
وأما مفهوم الجملة عند علماء اللغة التوليديين فيرى رائد هذا الاتجاه "نوم تشومسكي" N.Chomsky - بأنها "مجموعة سلاسل المكونات الأساسية، وليس السلاسل المتكونة من وحدات صوتية"<sup>(8)</sup>. أو أنها "ما تحتوي على سلسة من الأدلة النظمية، يجري توليد كل منها من قبل الأساس في المكون النحوي".<sup>(9)</sup>  
فالجملة في مفهوم الاتجاه التوليدي التحويلي هي ما تنتجه القواعد التحويلية نفسها،<sup>(10)</sup> فلا بدّ للجملة من أساس نحوبي، وهو عبارة عن مطابقة الجملة لقواعد اللغة واحترامها، و لابد لها من أساس دلالي، ويتمثل في المعنى الموجود في ذهن المتكلم.

والجملة عند اتباع المنهج التوليدي التحويلي تعد قمة الدراسات اللغوية، فلا يمكن أن تبتعد الدراسات اللغوية إلا عنها. فهم ينطلقون في التحليل بدء من الجملة التي تشتمل على عدد من العناصر المكونة الأساسية

(1) Language, London, 1973, P170.

(2) Z.Haris, methods in structure linguistics, Chicago, 1951, P2,3.

(3) Linguistique générale, An introduction survey, London, 1924, P171.

(4) An intrdution to thioretiol, linguistics, C.U.P, 1986, P35

(5) Edward Sapir, linguistique, l'édition de minuit, Paris, 1968, P34, 36.

(6) André Martinet, Eléments de linguistique A.Colin, Paris, 1980, P131.

(7) برجمستراس، النظائر النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد الواب، دار الرفاعي للنشر بالرياض، السعودية، 1982، ص 124.

(8) مظاهر النظرية نحوية، ترجمة مرتضى جواد باقر، بغداد، 1983، ص 39.

(9) المرجع السابق، ص 40.

(10) ينظر، محمد علي الحولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الرفاعي للنشر، الرياض، 1981، ص 31.

(*Immédiat constituent*). وعلى الباحث اللغوي أن يحمل الجملة إلى عناصرها الرئيسية.<sup>(1)</sup> ويوضح مما سلف مدى تأثر الاتجاه التقليدي بالفلسفة في تحديد مفهوم الجملة مما أبعدها عن التعريف اللغوي الذي يجعل من الجملة قمة الدراسات اللغوية.

ومن أهم الأسباب المنهجية في التحليل التي دعت تشومسكي إلى الاعتماد على البنية السطحية (*Surface structure*) والبنية العميقـة (*deep structure*) هو قصور المنهج البلومفيليـي على تحليل بعض المعطيات اللغوية. فقد أخذ تشومسكي على البنـيين أنـهم اقتصرـوا على ظاهر اللفظ عند التحلـيل، والحق الأخذ بالمستوى السطحي والمستوى العميق معاً. فتشومسـكي اهتم بالجملـة وحـدها وبالطابـع الإبداعـي للـلغـة، وهو يلتـقي مع البنـيين بصـورة أو بـآخرـى، وهذا ما جـعل "جان بيـاجـيه" - JEAN PIAGET - يطلق على نـظرـية تشومـسـكي اسم "البنـوية التـحـويلـية".<sup>(2)</sup> (*Transformation structuralisme*)، وذلك لأن الصـحة التي جـمعـت مـدارـس لـغـويـة مـخـتلفـة من دـوـسوـسـيرـ إلى تشومـسـكي تـؤـمـن جـمـيعـاً بـأن اللـغـة عـبـارـة عـن نـظـام مـن الـعـلـاقـات تـبـدـأ مـن الـجـمـلـة، إـلـى الـكـلـمـة، وـتـنـتـهـي إـلـى أـصـغـر وـحدـة صـوـتـية فـي الـلـغـة.<sup>(3)</sup>

والواضح أن نـظرـية تشومـسـكي قد أعادـت صـيـاغـة الكـثـير مـن أفـكار وـمـبـادـئ النـظـرـية البنـوية، وبـخـاصـة فـي كتابـه (*Syntactic structures*) سنة 1957.<sup>(4)</sup>

وـهـدـفـ الـبـنـويةـ بـوـصـفـ عـامـ هو درـاسـةـ الـبـنـيةـ الـلـغـوـيـةـ فـيـ كـلـ مـسـتـوـيـاتـ الـخـطـابـ .

**ثالثـاـ-المـرـادـ بـالـسـوـرـ الـمـدـنـيـةـ:** أـعـرـضـ هـنـا إـلـى "معـنـىـ السـوـرـةـ"ـ، وـإـلـىـ المرـادـ بـ"ـالـمـكـيـ وـالـمـدـنـيـ"ـ. حـدـ السـوـرـةـ اـصـطـلاـحـاـ: هيـ أـنـهـاـ "ـقـرـآنـ يـشـتـملـ عـلـىـ آـيـ ذـوـاتـ فـاتـحةـ وـخـاتـمةـ، وـأـقـلـهـاـ ثـلـاثـ آـيـاتـ"ـ.<sup>(5)</sup> وـأـطـولـ السـوـرـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ، وـأـقـصـرـهـاـ سـوـرـةـ الـكـوـثـرـ .

وـمـنـ الـقـرـآنـ مـاـ هـوـ مـكـيـ، وـمـاـ هـوـ مـدـنـيـ. ولـلـعـلـمـاءـ فـيـ ذـلـكـ ثـلـاثـ آـرـاءـ اـصـطـلاـحـيـةـ، كـلـ رـأـيـ مـنـهـاـ بـيـنـ عـلـىـ اعتـبارـ خـاصـ، وـهـيـ :

**1ـ اعتـبارـ مـكـانـ النـزـولـ:** فـالـمـكـيـ مـاـ نـزـلـ بـمـكـةـ الـمـكـرـمـةـ وـضـوـاحـيـهـ كـمـنـ وـعـرـفـاتـ وـالـحـدـيـيـةـ. وـالـمـدـنـيـ مـاـ نـزـلـ بـالـمـدـنـيـةـ الـمـنـورـةـ وـضـوـاحـيـهـ كـبـدـرـ وـأـحـدـ.<sup>(6)</sup>

(1) يـنظـرـ، خـليلـ أـحـمـدـ عـمـاـيـرـةـ، فـيـ نـحوـ الـلـغـةـ وـتـرـاكـيـهـ، صـ58.

(2) Le structuralisme, presses universitaire de France, Paris, 1974, P81, 82.

(3) يـنظـرـ، حـلـيمـ خـليلـ، الـعـرـبـيـةـ وـعـلـمـ الـلـغـةـ الـبـنـويـ، صـ7.

(4) يـنظـرـ، المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ8.

(5) الـزـركـشـيـ، الـبـرهـانـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ، تـحـقـيقـ مـحمدـ أـبـوـ الفـضـلـ إـبرـاهـيمـ، دـارـ الـفـكـرـ، 1980، 1، 264/1.

(6) يـنظـرـ، الـمـصـدرـ السـابـقـ، 187/1، وـالـسـيـوطـيـ، الـإـتـقـانـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ، مـراجـعـةـ وـتـدـقـيقـ سـعـيدـ الـمـنـدـوـةـ، مـؤـسـسـةـ الـكـتبـ الـنـقـافـيـةـ، بـرـوـتـ، طـ1، 1996، 1/35، وـفـهـدـ بـنـ عـبـدـ الـرـهـنـ الـرـوـمـيـ، درـاسـاتـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـمـ، مـكـيـةـ الـتـوـبـةـ بـالـرـيـاضـ، طـ1، 1413ـهـ، صـ142ـ، وـأـحـمـدـ دـاـوـدـ، عـلـمـ الـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ، دـارـ الـبـشـرـىـ، عـمـانـ، (دـ.ـتـ.)ـ، صـ50ـ. وـمـحـمـدـ عـبـدـ السـلـامـ كـفـافـيـ، وـعـبـدـ اللهـ الشـرـيفـ، فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ، دـارـ الـهـضـةـ الـعـرـبـيـةـ، بـرـوـتـ، (دـ.ـتـ.)ـ، صـ50ـ.

ويلاحظ في هذا الاصطلاح أنه غير ضابط، حيث يخرج منه ما أنزل في غير مكة أو المدينة؛ فهناك آيات أنزلت على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في غير مكة أو المدينة، فقد نزل عليه الوحي في تبوك، وفي بيت المقدس، وفي الطائف، كما يترب على هذا الاصطلاح كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يعد مكياً.

**2-اعتبار المخاطب:** فالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدي ما وقع خطاباً لأهل المدينة.<sup>(1)</sup> ويحاول بعض الدارسين أن يضعوا له الضوابط فيقولون: إن ما كان فيه النداء بلفظ "يا أيها الناس"، أو "يا بني آدم" فهو مكي، لأن الكفر كان غالباً على أهل مكة، فخاطبهم الله بهذا النداء.

وهذا الصابط لا يطرد في كل سور القرآن الكريم، فسورة البقرة -مثلاً- مدنية، وقد اشتملت على النداء بـ"يا أيها الناس" ، وسورة النساء -كذلك- مدنية وأولها خطاب بـ"يا أيها الناس" ، كما أن كثيراً من سور القرآن ليس فيها النداء بمذين الخطابين .

**3-اعتبار زمن النزول :** فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان في غير مكة، والمدي ما نزل بعد الهجرة، وإن كان في غير المدينة.<sup>(2)</sup> وهذا هو الرأي المشهور، وأرجح الآراء وأصوتها، لأنه أخذ في الاعتبار تاريخ التزول .

وأريد أن أشير إلى التفسير الذي أخذت به في الدراسة، وهو أن المكي ما كان سابقاً على الهجرة، والمدي ما نزل بعد الهجرة، واستثنى في الدراسة من السور المدنية ما بها من آيات نزلت قبل الهجرة؛ فهذه مكية، وهذا بالرجوع إلى الآيات المستثناء من السور المدنية والتي أشار إليها العلماء القدامى والمعاصرون.<sup>(3)</sup>

والسور المدنية مرتبة حسب التزول، وهي كالتالي:

البقرة، الأنفال، آل عمران، الأحزاب، المتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المحادلة، الحجرات، التحرير، الصف، الجمعة، التغابن، الفتح، المائدة ، التوبة.<sup>(4)</sup>

أما ضوابط وخصائص السور المدنية -فيما يخص الجملة الطلبية- فذلك ما سيكشف عنها البحث في الفصول التطبيقية.

وإنني أقوم في الفصول التطبيقية بدراسة الجملة الطلبية في السور المدنية بوصفها ظاهرة مميزة، وذلك بتحليل الأمانات والصور المختلفة التي تضمها هذه الجملة معتمداً على التقسيم المذكور آنفاً، و هو التقسيم الشائع لدى اللغويين والباحثين.

(1) ينظر، السيوطي، الإنقان، 1/53، وفهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص143، وأحمد داود، علوم القرآن والحديث، ص29، 30، محمد عبد السلام كفافي، وفهد بن عبد الرحمن، في علوم القرآن، ص50.

(2) ينظر، الزركشي، البرهان، 187/1، والسيوطى، الإنقان، 1/35.

(3) ينظر، السيوطي، الإنقان، 1/47، وما بعدها، وفهد بن عبد الرحمن، دراسات في القرآن الكريم، ص140، محمد عبد السلام كفافي، وزميله، في علوم القرآن، ص59، 60.

(4) ينظر، أحمد داود، علوم القرآن والحديث، ص28، 29، وفهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، ص140.

# الفصل الأول: جملة الأمر

الأمر في الأصل طلب الفعل على جهة الاستدعاء أو الإلزام، و هو نقىض النهي، و يدل على المستقبل، لأنه يطلب به الفعل فيما لم يقع، يقول سيبويه: "و أما بناء ما لم يقع فإنه قوله آمراً: اذهب و اقتل و اضرب"<sup>(1)</sup>، و إنما جاء "الأمر من الفعل المستقبل، لأنك إنما تأمره بما لم يقع"<sup>(2)</sup>.  
و الأمر في واقع اللغة العربية ينصرف ز منه إلى الاستقبال، لأن الأمر يقوم على عمليتين أساسيتين: عملية التلفظ والنطق بالأمر، و عملية استجابة و امتناع المأمور للقيام بالفعل المأمور به، ففي حين يكون ز من التلفظ هو الحال، فإن ز من تحقيق الفعل المأمور هو الاستقبال. و هذا ما جعل القدامى يقولون: إن "الأمر مستقبل أبداً، لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل"<sup>(3)</sup>. ففعل الأمر عند القدامى المستقبل إلا أنه عند بعض المحدثين الحال أو الاستقبال.<sup>(4)</sup>

ويدل فعل الأمر في حقيقته على طلب القيام بفعل أو تركه عقب التلفظ به مباشرة أو بعد زمن قريب أو بعيد. و الدالة هي التي توضح فيما إذا كان القيام بالفعل أو تركه.

وقد يخرج الأمر عن حقيقته، فيدل على معانٍ مجازية تفهم من سياق الجملة، ومنها الإباحة و الالتماس والتهديد والتهكم والإرشاد، و ما إلى ذلك من المعانٍ التي يدل عليها السياق.

وللأمر أربع صيغ توب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال. وهذه الصيغ هي: الأمر بصيغة "افعل"، والمضارع بلام الطلب، والمصدر النائب عن فعل الأمر، واسم فعل الأمر. وسندرس كلاً من هذه الصيغ في نظر.

وردت جملة الأمر في السور المدنية في اثنين وعشرين وستمائة (622) جملة، وقد اعتبرناها مستقلة في بنيتها النحوية عن غيرها من الجمل. والاستقلال البنويي مبدأ من المبادئ التي اعتمدناها في هذا البحث، ولذلك لم نأخذ في إحصائنا بالجمل الواقعية جواباً للنداء، أما الجمل الأمريكية الواقعية جواباً للشرط فأدججت ضمن جملة الأمر، لأن جواب الشرط هو المحدد لطبيعة الجملة أو خبريتها، أما الشرط فقيد له. ومن أجل هذا كان المعمول عليه عند علماء المعاني من البلاغيين في الجملة الشرطية هو الجواب في الحكم على أسلوبها أخير هو أم إنشاء؟<sup>(5)</sup>

(1) الكتاب، 1/12.

(2) المرد، المقتصب، 1/83.

(3) السيوطي، همع الهوامش، 1/30.

(4) ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 250، وإبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ص 170.

(5) ينظر، درويش الجندي، علم المعاني، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، (د.ت)، ص 119، وجمال الدين مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 281، وعبد السلام هارون، الأساليب الإنسانية، ص 24.

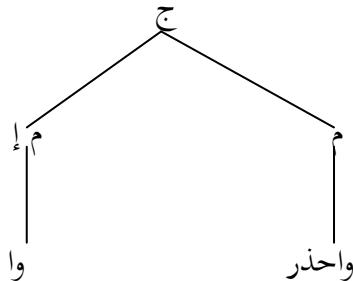
وتوزع هذه الجملة حسب الأنماط الآتية:

### النمط الأول: جملة الأمر بصيغة "افعل".

ورد هذا النمط في سبع وسبعين وخمسين (577) جملة، يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: مسند + مسند إليه.

من هذه الصورة قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا».<sup>(1)</sup>



تتألف بنية هذه الجملة من مسند فعل أمر جاء بصيغة "افعل"، و مسند إليه، اتصل بينيته و هو واو الجماعة، و هو المأمور، أما الأمر فلم يظهر في البنية السطحية للجملة، و يدل عليه الموقف اللغوي، إذ هو المتكلم، و هو الله عَزَّلَ.

الفعل في قوله: (و احذروا) متعد إلى مفعول به باعتبار وضعه اللغوي، كقوله تعالى: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحذرُ هُمْ».<sup>(2)</sup>

و حذف في هذا الموضع لينزل الفعل منزلة اللازم، لأن المراد التلبس بالحذر في أمور الدين، أي الحذر من الوقوع فيما يرفضه الله و رسوله، وذلك أبلغ من أن يقال: وأحذروهم، لأن الفعل اللازم يقرب معناه من معنى أفعال السجايا، و لذلك يأتي اسم الفاعل منه "حذر" على زنة " فعل" كفرح.<sup>(3)</sup>

و الأمر يدل على وجوب الحذر، قال البيضاوي معناه: "و احذروا ما نهيا عنه أو مخالفتهما"<sup>(4)</sup>، أي: احذروا عصيان الله و رسوله، أو ما يصيّبكم إذا خالفتم أمرهما من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، فقد قال تعالى: «فَإِذْ حَذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».<sup>(5)</sup> فقد حذرهم الله من مغبة المعصية و آثارها السيئة، لأن الحذر مدعوة إلى عمل الحسنات، أو اتقاء السيئات.

(1) المائدة، 92.

(2) المافقون، 4.

(3) ينظر، الرعيلاوي، مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط 1984، 1، ص 208.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجليل، بيروت، (د.ت)، 7، 161.

(5) التور، 63.

و من هذه الصورة — أيضاً — قوله: **﴿خُذُوا مَا أَنْتُمْ بِقُوَّةٍ وَكُلُّمَا كُنْتُمْ مُّسْمِعُوا﴾**.<sup>(1)</sup>  
 الخطاب لليهود، كما يدل عليه سياق هذه الآية و سابقاتها. والأمر مراد به الامتثال، فهو كناية كما تقول: فلان لا يسمع كلامي، أي : لا يتمثل أمري، إذ ليس المقصود هنا بالسماع الإصغاء إلى التوراة، فإن قوله: **﴿خُذُوا مَا أَنْتُمْ بِقُوَّةٍ﴾** يتضمنه ابتداء، لأن المقصود من الأخذ بالقوة امتثال الأمر والاهتمام به، وأول الاهتمام بالكلام هو سمعه<sup>(2)</sup>، والأمر بالسمع أمر بالامتثال على سماع الأحكام الشرعية بالفهم والعمل، فيكون المراد: "أطِيعُوا" وليس معناه الأمر بإدراك القول فقط<sup>(3)</sup> لأن فائدة السمع الطاعة، ووجهه أن السمع يسمع به، ثم يفكر، ثم يتدارب ويفهم، ثم يعمل به.  
 وتكررت جملة "وَاسْمَعُوا" في الآية الرابعة بعد المائة من سورة البقرة، والثامنة بعد المائة من سورة المائدة، والسادسة عشرة من سورة التغابن.

والخطاب في تلك المواقع للمسلمين، وذلك بأن يطيعوا أوامر الله تعالى والرسول ﷺ.  
 ومحذف المسند إليه "الفاعل" من البنية السطحية للجملة إذا كان المخاطب مفرداً، كقوله تعالى:  
**﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾**.<sup>(4)</sup>

الخطاب لإبراهيم التكليلا إذ قال له ربه: "اسلم". قال الطبرى معناه: "أخلص لي العبادة، واحضن لي بالطاعة"<sup>(5)</sup>. أو أن المعنى استقم على دين الإسلام، وأثبتت عليه، لأنه أسلم لله، فقال ولم يتلکأ ولم يرتب، واستجواب فور تلقي الأمر.<sup>(6)</sup> فقال في هذه الآية: **﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**. قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب.<sup>(7)</sup> وقال ابن عطية: "والإسلام هنا على أتم وجهه".<sup>(8)</sup> وهو في كلام العرب بمعنى الخضوع والانقياد للمستسلم.<sup>(9)</sup> وليس كل إسلام إيماناً، وكل إيمان إسلاماً، لأن من آمن بالله فقد استسلم وانقاد لله، وليس كل من أسلم آمن بالله، لأن إسلامه قد يكون ظاهرياً.

ويتبع هذه الصورة ما ورد في الآية: (282) من سورة البقرة، والآيات: (52، 64، 81، 111، 137)<sup>(1)</sup> من سورة آل عمران، والآية: (46) من سورة النساء، والآيات: (6، 8، 13، 41، 92، 108) من سورة المائدة، والآية: (45) من سورة الأنفال، والآية: (16) من سورة التغابن.

(1) البقرة، 93.

(2) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتفسير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 1/609.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، حقيقه وعلق عليه الرحالى الفاروق، آخرون، الدوحة، ط1، 1977، 1/396.

(4) البقرة، 131.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، 1/610.

(6) ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط17، 1992، 1/116.

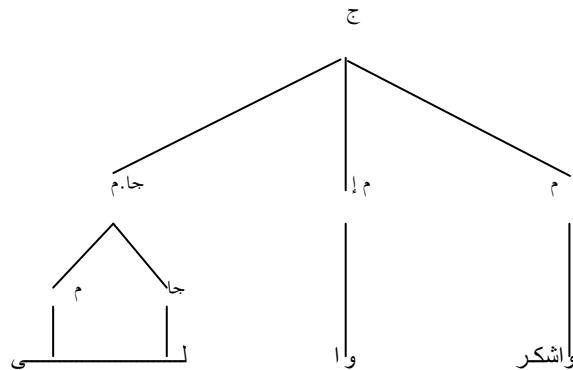
(7) ينظر، تنویر المقیاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص23.

(8) المحرر الوجيز، 1/494.

(9) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 1/602-610.

## الصورة الثانية: مسند + مسند إليه + جار و مجرور.

من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾.<sup>(1)</sup>



الفعل "شكراً" من الأفعال التي تتعدى تارة بحرف الجر، و تارة تتعدى بنفسها<sup>(2)</sup>، كقوله تعالى : ﴿أَنِ اشْكُرُ لِي وَلِوَالدَّيْكَ﴾<sup>(3)</sup> وكقول عمر بن جاؤ التميمي :

هم جمعوا بُؤسي و نعمي عليكم فهلاً شكرت القوم إذ لم تُقابلِ.<sup>(4)</sup>

قال ابن عطية: واشكروا لي، واشكروني بمعنى واحد، والتعددية باللام أصح.<sup>(5)</sup> وتسمى هذه اللام لام التبيين ولام التبليغ<sup>(6)</sup>، كما قالت العرب: نصحت زيداً ونصحت له، والأكثر تعددته باللام.<sup>(7)</sup> وقال أبو حيان: "إذا قلت شكرت لزيد، فالتقدير: شكرت لزيد صنعة، فجعلوه مما يتعدى لواحد بحرف جر و الآخر بنفسه"<sup>(8)</sup>، ولذلك فسر الزمخشري هذه الجملة بقوله: "و اشكروا لي ما أنعمت به عليكم"<sup>(9)</sup>. الخطاب - في الجملة- لبني إسرائيل، فقد أنعم الله عليهم بنعم كثيرة، و لم يشكروه. و في معنى الأمر تحذير للأمة الإسلامية حتى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، إذ كفرت بأنعم الله ولم تشكره، فلم تستخدم العقل و الحواس فيما خلقت من أجله، فسلبها ما أعطاها.

(1) البقرة، 152.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه زكريا عبد المجيد النوتى، وأحمد التجولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، 1993، 620/1.

(3) لقمان، 14.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 1/620.

(5) ينظر، المحرر الوجيز، 2/92.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 2/51.

(7) ينظر، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، دار إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، 1980، 1/300.

(8) البحر المحيط، 1/620.

(9) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال، دار الفكر، بيروت، ط١، 1977، 1/323.

ويلحظ أن الأمر— في هذه الصورة— بُرِزَ في صورة ضمير مجرور "لي"، يدل على المتكلّم، وهو الله تعالى. وقد يظهر في صورة اسم الجلالة، كقوله تعالى: ﴿وَاسْكُرُوا لِلَّهِ﴾<sup>(1)</sup>. وقد يدل الجار والمحرر على التعليل كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾<sup>(2)</sup>، أي: قدموا الخير وصالح الأعمال لأجل أنفسكم.

و مثله في الآيتين (244، 195) من سورة البقرة، و الآية (84) من سورة النساء، و يماثل هذه الصورة قوله: ﴿وَقَرَنَ فِي بِيُوتِكُنَّ﴾<sup>(3)</sup>، و الخطاب موجه إلى أمهات المؤمنين، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداء— في الآية السابقة— في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾.

و اختلف في قراءة الأمر في قوله: "وقرَنْ" ، فقرأ عاصم<sup>(4)</sup> و نافع<sup>(5)</sup> بفتح القاف، و قرأ الباقيون بالكسر.<sup>(6)</sup> و حجة من كسر أنه جعله من الوقار، من وقر، يقر، فهو مثل: و عَدَ، يَعْدُ، و منه عِدْنَ، لأنه محنوف الفاء، و أصله واو<sup>(7)</sup> وهو أمر لهن بملازمة الوقار و السكينة. و حجة من قرأ بالفتح أنه جعله من الاستقرار، و ذلك بوجوب إلزامهن بيوتكن، فلا يخرجن إلا للضرورة. و هذه القراءة بلغة أهل الحجاز، من قولهم: قَرَنَ في المكان، فيجيء مضارعه بفتح الراء، فأصل: قَرَنْ: إِقْرَنْ، حذفت الراء الأولى للتخفيف من التضعيف، و أقيمت حركتها على القاف<sup>(8)</sup>.

و تعلق الجار و المحرر في قوله: "في بيوتكن" بالفعل أو بحال محنوفة من نون المخاطبات، بتقدير: وامكشن كائنات في بيوتكن. فهو أمر خُصّصَ به، وهو وجوب ملائمتهن بيوتكن توقيراً لهن و تقويةً في حرمتهن ومكانتهن؛ فقرارهن في بيوتكن عبادة.

(1) البقرة، 172.

(2) البقرة، 223.

(3) الأحزاب، 33.

(4) هو عاصم بن أبي النجود الأسدسي، قرأ القرآن على السلمي والأسطي، و روى عنه عطاء، و قرأ عليه خلق كثير. توفي 127هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه بشار عواف معروف و آخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، 1984، 88/1، 1984.

(5) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، إمام دار الهجرة، يكنى أبو رويم، أصله من أصبهان، كان فضيحاً عالماً بالقراءات و جوهها، قرأ على سبعين من التابعين، منهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، توفي 169هـ. ينظر، بن الجزي، الشتر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضياع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 99/1 و ما بعدها.

(6) ينظر القراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الجزار، و أحمد يوسف نجاتي، دار السرور، (د.ت)، 2، 342، و القيسى، الكشف عن وجود القراءات السبع، تحقيق محى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، 1997، 197/2، و ابن الجزي، الشتر، 2/348.

(7) ينظر القراء، معاني القرآن، 2/342، و ابن عطية، المحرر الوجيز، 12/59.

(8) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، 1997، ص577، و القيسى، الكشف، 2/197.

و نلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله: **﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**.<sup>(1)</sup> تدعى فعل الأمر بواسطة أداة الجر "الباء" الدالة على الإلصاق، فيكون الجار والمحور "بحرب" مفعولا به غير صريح، كما أطلق عليه النحاة مفعولا حكميا.

و قد يذكر مفعول هذا الفعل كقوله تعالى: **﴿فَقُلْ أَذْتَكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾**.<sup>(2)</sup>

و يلحظ أن كلمة "حرب" وردت نكرة لتعظيم شأنها، ولهذا المقصود عدل الله تعالى عن إضافتها إلى نفسه، و جاء بـ"من" لنسبتها إليه، لأنها بإذنه عن طريق الإسناد الجازي، و إلى "رسوله" — المعطوف — لأنه مبلغ الرسالة، و حرب الله غضبه و انتقامته من يتعاملون بالربا، و حرب رسوله مقاومته و جهاده لهم في زمانه. والمأمورون هم بنو عمرو بن عمير من ثقيف، كانت لهم على بني المغيرة المخزوميين ديون أساسها الربا، و لما نزل الأمر بترك الربا كفوا عن أخذه.<sup>(3)</sup>

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، والكسائي: "فَأَذْنُوا" — بإسكان المهمزة وفتح الذال — أمرا من "آذن" الثلاثي. وقرأ عاصم، وحمزة، وأبو بكر: "فَأَذْنُوا"<sup>(4)</sup> — مدودة مكسورة الذال — أمرا من "آذن" الثلاثي المزد، بمعنى: أعلم. قال سيبويه: "آذنث: أعلمث، وأذنث: النساء والتوصيت بإعلان".<sup>(5)</sup> و قال ابن عطية: "وهذا عندي من الإذن، وإذا آذن المرء في شيء فقد قرره وبنى مع نفسه عليه، فكانه قال لهم: فقرروا، الحرب بينكم وبين الله ورسوله".<sup>(6)</sup> وقال ابن عباس معناه: "فاستعدوا للعذاب من الله في الآخرة بالنار والعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف".<sup>(7)</sup>

ويرى الطبرى أن قراءة القصر — قراءة الجمهور — أرجح، لأنها تختص بضم، وإن أمروا على قراءة المد بإعلام غيرهم. وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة، لأن في إعلامهم علمهم.<sup>(8)</sup>

أما ابن عطية فيرى أن القراءة بالمد أرجح، لأنها أبلغ، و يكون المعنى: آذنوا أنفسكم وبعضكم ببعض. وكأن هذه القراءة تقتضي فسحا لهم في التثبت، فينظروا في الأفضل لهم؛ فإذا ترك الربا أو إعلان الحرب

(1) البقرة، 279.

(2) الأنبياء، 109.

(3) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/107، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/489، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/353.

(4) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 148، والداني، التيسير في القراءات السبع، صحيحه أو توبيتل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996، ص 71، والرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990، 7/87، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/352.

(5) الكتاب، 4/62.

(6) المحرر الوجيز، 2/492.

(7) توبير المقابس، ص 52.

(8) ينظر، جامع البيان، 3/10.

عليهم.<sup>(1)</sup> وفي معنى الأمر تحديد لهم - إن لم يذروا الربا - بحسب من الله و رسوله.

و قد يتعدد المحرر كما في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ﴾.<sup>(2)</sup>

الخطاب لبني إسرائيل بدلاًلة العطف على مضمون النداء في الآية(40)، وذلك بالإشارة إلى ما يعندهم على التحليل بالأخلاق الكريمة و الابتعاد عن الرذائل.

ومن المفسرين من زعم أن الخطاب للمؤمنين على وجه الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر.<sup>(3)</sup>

يقول الرازى: "واختلفوا في المخاطبين بقوله ﷺ: " واستعينوا ... ". فقال قوم: هم المؤمنون بالرسول، قال لأن من ينكر الصلاة أصلاً والصبر على دين محمد ﷺ لا يكاد يقال له استعن بالصبر والصلاحة، فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق بمحمد ﷺ، ولا يمتنع أن يكون الخطاب أولاً من بني إسرائيل ثم يقع بعد ذلك خطاباً للمؤمنين بمحمد ﷺ، والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل، لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم"<sup>(4)</sup>، أي: أن الأهم في نظره الاحتفاظ بقوة نظم الآية بدل تفكيكه.

ويتبين أن الرازى في إرجاعه الضمير إلى بني إسرائيل، اعتمد على موقع الآية من الآيات السابقة، باعتبار أن الخطاب فيها موجه إلى بني إسرائيل دون غيرهم، أما الذي أرجعه إلى المؤمنين فقد اعتمد ظاهر الجملة، ذلك أن الأحق بهذا الخطاب هم المؤمنون بدين محمد ﷺ، أما اليهود فلا يعقل أن يخاطبوا بالصبر والصلاحة وهم كافرون،<sup>(5)</sup> وهذا وهم، لأن الجملة معطوفة على مضمون النداء - كما ذكرنا آنفاً - والذي غرهم بهذا التفسير توهם أنه لا يؤمر بالاستعانة بالصلاحة والصبر إلا من آمن بمحمد ﷺ وأي عجب في هذا الخطاب؟ وقريب منه آنفاً قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوا الزَّكَوةَ وَامْكِنُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾،<sup>(6)</sup> وهو خطاب لبني إسرائيل بدلاًلة السياق.

وتكررت هذه الجملة في الآية (153) من سورة البقرة. و الخطاب فيها لل المسلمين على سبيل الإرشاد.

(1) ينظر، المحرر الوجيز، 492/2، 493.

(2) البقرة، 45.

(3) ينظر، الواحدى، أسباب النزول، تعليق وتحريف مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، 1988، ص 21، والوسط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، 1994، 131/1، والطبرسي، مجمع البيان، وضع هوامشه وخرج آياته وشهادته، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، 1997، 144/1.

(4) مفاتيح الغيب، 46/3.

(5) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، 1991، ص 176.

(6) البقرة، 43.

والأمر بالاستعانت بالصبر و الصلاة على أمر الدنيا و الآخرة، و المراد بالصبر فيه الصبر عن المعاصي، وبه قال بعض المفسرين القدامى<sup>(1)</sup>، و اعتمد البیضاوى وغيره من بعض المؤخرين.<sup>(2)</sup> وقيل: هو الصبر على الطاعات.<sup>(3)</sup>

والظاهر أن الصير عام في كل عمل نفسي أو بدني كما يدل عليه حذف متعلقه، أي: استعينوا على إقامة دينكم والدفاع عنه وعن سائر ما يصعب عليكم من نوائب الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمال الشدائـد والأهوـال.

أما الأمر بالاستعana بالصلوة، فلأن الصلاة تقوi الثقة بالله، أو لما فيها من تمحيص الذنوب وإزالة المهموم، ومنه الحديث الشريف: "كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلٰى".<sup>(4)</sup> وإذا استعان المؤمن بالصبر والصلوة هانت عليه كل الخطوب، وتحمل كل عناء ومشتبقة. وإنما خص الصبر، لأنه أشق عمل باطني على النفس، وخصت الصلاة، لأنها أشد عمل ظاهري على المرء، ولأنها أم العبادات، إذ فيها انقطاع عن الدنيا، وصلة بالله تعالى.

ويظهر من السياق أنه تعالى قدم الاستعانة بالصبر على الاستعانة بالصلوة، لأنه ذكر قبل هذا تكاليف عظيمة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فكانت البداية بالصبر لذلك؛ فهو الأساس النفسي المعتمد عليه في القيام بالفرائض وغيرها.

<sup>1</sup> ينظر، السمرقدي، بحر العلوم، حققه وعلق عليه علي محمد مغوض، وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، 1993، 117/1، أبو حيان، البحر المحيط، 340/1.

(2) ينظر، أنوار التزييل، 9/1، والشوكاني، فتح القدير، راجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط.3، 1997، 101/1.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/276، وأبو حيان، البحر المحظى، 1/340.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/276، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/340.

(4) رواه ابن حنبل في مسنده، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 388/5، وأبو داود في سننه، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996/1، 421، (كتاب الصلاة).

.2 المائدة، (5)

(٦) ينظر، ابن فارس، *مجمل اللغة تحقيق زهير عبد المحسن سلطان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ١١١/١، (ب٢)، وابن منظور، *لسان العرب*، ٥١/٤، (ب٢).

(7) ينظر، الطري، جامع البيان، 406/6، والنسفي، مدارك التنزيل، ضبط وتحريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، 305/1، والشوکانی، فتح القدير، 11/2، و جامع البيان، 393/6.

.393/6، 11/2، فتح القدير، و جامع البيان،

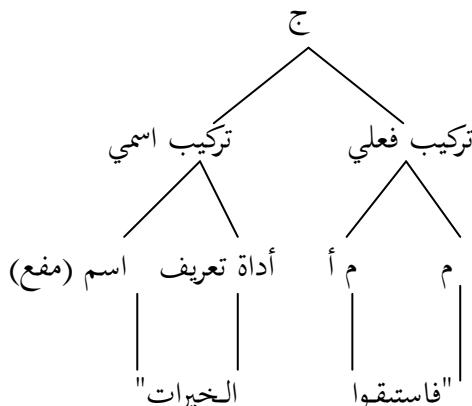
(8) جامع البيان، 393/6

وفائدة التعاون المأمور به لتسهيل شؤون المسلمين، وتسهيل مصالحهم، وإظهار التضامن والتناصر فيما بينهم حتى يصبح ذلك خلقاً تميّز به الأمة الإسلامية.

ونلحظ بهذه الصورة ما ورد في الآيتين: (54، 238) من سورة البقرة، والآيات: (133، 159، 167) من سورة آل عمران، والآية: (6) من سورة النساء، والآية: (19) من سورة محمد، والآية: (21) من سورة الحديد.

### **الصورة الثالثة: مسند + مسند إليه + مفعول به.**

من هذه الصورة قوله: **«فَاسْتِبِقُوا الْخَيْرَاتِ»**.<sup>(1)</sup>



استوفت جملة الأمر عناصرها النحوية من مسند ومسند إليه ومفعول به، حيث تقييد المسند "ال فعل " بالفعل به، وحققه التعديية بـ "إلى"<sup>(2)</sup>، إلا أنه توسع فيه فتعدى بنفسه، كقوله تعالى: **«وَكَسْتَبَقَ الْبَابَ»**.<sup>(3)</sup>

أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا، وهو من الاستباق، والمراد منه المعنى المجازي، وهو الحرص الشديد على عمل الخير والإكثار منه. والمعنى: ابتدروا كل نوع من أنواع الخير بالعمل، وليرحص كل منكم أن يكون سباقاً إليه، وهو أمر يدل على الوجوب، لأن صيغة "افعل" إذا تجردت عن القرائن اقتضت الوجوب. والمأمور هو الفاعل "واو الجماعة"، والأمر غير بارز في البنية السطحية للجملة، ويدل عليه المقام اللغوي إذ هو المتكلم، وهو الله يَعْلَمُ، وهذا الأمر عام موجه إلى أمة الدعوة، ولم يكن خاصاً بال المسلمين المستحبسين لله والرسول.

وقد يحذف الأمر من البنية السطحية -أيضاً- كما في قوله: **«فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ»**.<sup>(4)</sup> و قوله:

**«فَلَا تَخْشُوهُمْ وَأَخْشُونَ»**.<sup>(5)</sup>

(1) البقرة، 148، والمائدة، 48.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 612/1.

(3) يوسف، 25.

(4) آل عمران، 175.

(5) المائدة، 3.

و **﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَأَخْشُونَ﴾**.<sup>(1)</sup> فقد حذفت ياء المتكلم التي تؤدي وظيفة المفعول به- هنا- لأجل الفاصلة. والأمر بخشية الله وخوفه في كل ما أمر به، أي: فلا تعصوني بمخالفة ما جاءكم به رسولي عني، وإلي لقديركم على جزائكم، وفي هذا المعنى تحذير للمتلقيين. وقد يظهر الأمر في صورة ضمير المتكلم مؤدياً وظيفة المفعول به كما في قوله: **﴿وَأَخْشَوْنِي﴾**,<sup>(2)</sup> أو في صورة اسم ظاهر كما في قوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**,<sup>(3)</sup> أي: احذروا أن تعتدوا بما لم يرخص لكم فيه، لأن شأن المتقعم أن يكون غاضباً؛ فهو في مظنة الإفراط في الاعتداء. أو كقوله: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾**.<sup>(4)</sup> فالخطاب هنا للمؤمنين، وقد أمروا بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك. وأريد منهم دوام العبادة والاستزادة منها. وقد يحذف المسند إليه "الفاعل"- في هذه الصورة- وجوباً، كقوله: **﴿وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.<sup>(5)</sup>

الأمر- هنا- للرسول ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال. وقد حذف المتعلق "على القتال" من البنية السطحية للجملة اختصاراً، ويتبين معناه من خلال سياق الآية. و يظهر هذا المتعلق في البنية السطحية في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾**.<sup>(6)</sup> ويحذف- كذلك- كما في قوله: **﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾**.<sup>(7)</sup>

الأمر باستغفار الله جرى على أسلوب توجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ. وقد يكون المراد بالأمر غيره، والمعنى: أرشدهم إلى ما هو أدنى لهم، وهو استغفار الله مما اقترفوه من إثم، أو يكون المقصود: واستغفر الله للمؤمنين من أمتك والمتخاصمين بالباطل ليلهفهم إلى التوبة بربركة استغفارك لهم، فذلك أدنى من دفاع المدافعين عنهم.

وقد تتكرر هذه الصورة عن طريق العطف كقوله: **﴿فَعَظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرُوهُنَّ﴾**.<sup>(8)</sup>

الخطاب للأزواج. وهذه الجمل الأمريكية المتعاطفة يراد منها الترتيب كما يتقتضيه ترتيب ورودها مع أنه لا يراد الجمع بين الثلاثة. والترتيب هو الأصل. و المبادر في العطف بالواو في هذا المقام، لأن الواو قد يأتي للجمع والترتيب<sup>(9)</sup>، إن دلت عليه قرينة كما هو الحال هنا، وهو باعتبار أقسام النشوذ، وذلك بأن ترشد الزوجة أولاً، فإن لم تتراجع هجرت في المضاجع بأن يولي منها الزوج ظهره في الفراش، وأن لا يكلمها بلطف،

(1) المائدة، 44.

(2) البقرة، 150.

(3) البقرة، 194، والمائدة، 108، 112.

(4) النساء، 36.

(5) النساء، 84.

(6) الأنفال، 65.

(7) النساء، 106.

(8) النساء، 34.

(9) ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 577، وعياس حسن، النحو الوفي، دار المعارف بمصر، ط 7، 1986، 3، 559.

فإن أبْتَ تضرب ضرباً غير مبرح، قال ابن عطية: "وهذه العضة والمحجر والضرب مراتب، إن وقعت الطاعة عند إحداهمَا لم يتعد إلى سائرها".<sup>(1)</sup> وقال الزخنري: "أمر بوعظهن أولاً ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينفع فيهن الوعظ والمحجران".<sup>(2)</sup>

والحاصل أنه لا يجمع بين هذه الثلاثة، فأي شيء من هذه رجعت به عن نشوتها على ما رتبه القرآن، ولم يجز للزوج أن ينتقل إلى غيره.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ﴾.<sup>(3)</sup>

تحتفل هذه الجملة عن سابقاتها من هذه الصورة في أن المفعول به "ذات" مضاد، وأضيف إلى الظرف "بَيْنَ" المضاف إلى الضمير "كُمْ". والفعل في قوله: "أَصْلِحُوا" من الإصلاح وهو جعل الشيء صالحاً، وهو يومئ بأنه كان غير صالح؛ فالأمر بإصلاح ذات البين دل على فساد ذات بينهم بسبب تنازع المسلمين في استحقاق الأطفال، كما يدل عليه سياق هذه الآية. و"ذات" يجوز أن تكون مؤنث "ذو" الذي هو بمعنى "صاحب"، وهو من الأسماء الستة، فتكون ألفها مبدلة من الواو. وجاءت في القرآن مضافة إلى الجهات، كقوله: ﴿وَقُلْلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَاءِ﴾.<sup>(4)</sup> ويجوز أن تكون "ذات" أصلية الألف، كما يقال: "أنا أعرف ذات محمد، فالمعنى ماهية الشيء وحقيقة، كذا فسرها الزخنري".<sup>(5)</sup> و"ذات اليمين": الصلة التي تربط بين شيئين، أي الصلة التي تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالتعاون والوفاق والإيثار، وكل عوامل الاتحاد. المعنى: وأصلحوا حقيقة ما بينكم باللودة وترك النزاع حتى تتأكد الرابطة الإسلامية بينكم.

وبقية هذه الصورة وردت فيما يأتي: البقرة، الآيات: (43، 54، 83، 196، 110، 199، 203، 223، 231، 232، 235، 282). آل عمران، الآيات: (31، 50، 173). النساء، الآيات: (77، 102). المائدة، الآيات: (11، 92). التوبية الآية: (112)، الحج الآية: (78)، النور، الآية: (56)، الأحزاب، الآيات: (33، 37، 55)، الحجرات، الآيات: (1، 12)، الحشر، الآيات: (7، 18)، المنافقون، الآية: (4)، التغابن، الآية: (12).

**الصورة الرابعة:** مستند + مستند إليه+ (ضمير متصل)+ مفعول به+ جار و مجرور+ مضاد إليه.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.<sup>(6)</sup>

(1) المحجر الوجيز، 46/4، 47.

(2) الكشاف، 1/524.

(3) الأنفال، 1.

(4) الكهف، 18.

(5) ينظر، الكشاف، 2/141.

(6) البقرة، 189.

فعل الأمر متعد بنفسه، وقد تقييد بالمفعول به "البيوت"، وهو معرف بـ "ال" يعني بيوت المأمورين. وورد لفظ "البيوت" جمع تكسير مكسور الباء في قراءة الجمهور على خلاف صيغة جمع " فعل" على "فعول" ، فهي مكسورة لمناسبة وقوع الباء بعد حركة الضمة للتحقيق. وقرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو، وحفص، بضم الباء<sup>(1)</sup>، على أصل صيغة الجمع مع عدم الاكتثار ببعض الثقل، لأنه لم يبلغ الثقل الذي يستوجب تبديل الحركة.

وفي جملة الأمر إرشاد إلى إتيان البيوت من أبوابها، مما يجعل المتلقى يتوهם أن هذا بدائي لا يحتاج إلى أمر!! ولكن بالعودة إلى أسباب النزول نعلم أن من العرب من كان يمتنع عن الدخول من باب بيته إذ أحمر للحج معتقداً أن ذلك من أعمال البر، فأئمَّا الله بإتيان البيوت من أبوابها رداً على من جعل إتيان البيوت من ظهورها براً<sup>(2)</sup>، وكأنه قيل لهم: ليس هذا المعتقد ببر، ولا يعد قربة إلى الله تعالى؛ فذلك خطأ، وإنما البر الحقيقي هو تقوى الله باتباع أوامره، واحتساب نواهيه، والتخلص بالفضائل، والتخلصي عن المعاصي والرذائل. ويحمل مضمون جملة الأمر إرشاد إلى طريق البر، ونحي عن المعتقدات الفاسدة .

ونظير هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُو النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.<sup>(3)</sup>

فعل الأمر في قوله: "اعزلوا" من الاعتزال، وهو التباعد بمعزل، وهو هنا كناية عن ترك مجامعة النساء في المحيض.

المفعول به "النساء" قد يطلق على الأزواج، ويأتي معرفاً بالإضافة، دون إضافة مع القرينة كما هو هنا، والمقصود: اعزلوا نساءكم، أي: اعزلوا ما هو أخص من الأحوال بهن وهو الجماعة. والاسم المجرور "في المحيض" يقدر بزمن مخدوف، والتقدير: فاعزلوا النساء في زمن المحيض، والمحيض: اسم للدم الذي يسيل من رحم المرأة في أوقات منتظمة، وهو اسم على زنة "مفعلن" منقول من أسماء المصادر، يقال: حاضت حيضاً ومحاضاً ومحضاً، والمصدر -في هذا الباب- بابه "مفعلن" -بفتح العين- لكن قد يأتي على صيغة "مفعلن" -بكسر العين- وهو جيد، ووجه جودته مشابهته مضارعه، لأن المضارع بكسر العين، كقولنا: جاء مجيئاً، وبات مبيتاً.<sup>(4)</sup> وأكثر المفسرين قالوا: إن المراد به المصدر، وكأنه قيل: عن المحيض.<sup>(5)</sup>

(1) ينظر، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.5، 1995، ص 93، وأبو رزعة حجة القراءات، ص 127، وابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، 2/226.

(2) ينظر الواحدي، أسباب النزول، ص 44، 45، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/71.

(3) البقرة، 222.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 7/142، (حيض).

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 2/177.

وبه فسره الزخشري<sup>(1)</sup>. وبه بدأ ابن عطية، قال: المحيض مصدر كالحيض، ومثله المعيش من عاش، يعيش.

(2) كقول رؤبة:

إِنَّكَ أَشْكُو شِدَّةَ الْمَعِيشِ وَمِرَّ أَعْوَامٍ نَّتَفَنَ رِيشِيٍّ.<sup>(3)</sup>

وقد أثار قوله: "في المحيض" جدلاً بين العلماء، فهو موضع الدم، أم الحيض؟ وهذه الصيغة "مفعل" تصلح من حيث اللغة للمصدر والزمان والمكان.<sup>(4)</sup> والظاهر أنه لما صار المحيض اسماً للدم السائل من المرأة عدل به عن قياس أصله من المصدر إلى صيغة اسم المكان، وجيء به على صيغة المكان للدلالة على أنه صار اسم، فخالفوا به أوزان الأحداث إشعاراً بالنقل للتفرق بين المنقول منه والمنقول إليه، ويكون بذلك ما يجب اعتزاله من الحائض الفرج وحده.

والتقدير: فاعتزلوا وطء النساء في زمان الحيض. ولم يتعرض النص القرآني لأقل مدة أو أكثرها، بل على وجوب اعتزال مجامعة النساء في المحيض، لأنه أذى للطرفين.

ومن هذه الصورة-أيضاً- قوله: «فَاجْتَبَوَا الرِّجْسَ مِنَ الْأُوْثَانِ».<sup>(5)</sup>

حرف الجر "من" لبيان الجنس<sup>(6)</sup>، وليس للتبعيض، وقد قال ابن عطية: "ومن قال: إن من للتبعيض قلب معنى الآية وأفسده".<sup>(7)</sup> لأن المعنى: فاجتبوا الرجس الذي هو الأوثان، وليس المعنى: فاجتبوا من الأوثان الرجس، فالرجس هاهنا ليس ببعض من الأوثان، وإنما أريد به نفس الأوثان، فكان مطابقاً في قصد المتكلم. والرجس وإن كان يصح أن يطلق على أعم من الأوثان، فيصح إطلاقه على الأوثان".<sup>(8)</sup> والرجس حقيقته: الخبر والقذارة.<sup>(9)</sup> ووصف الأوثان بالرجس، وهو رجس معنوي، ليكون اعتقاد عبادتها في النفوس بمنزلة الخبر الذي يتعلق بالأجساد. والأمر باجتناب الأوثان للمؤمنين مستخدم في طلب الدوام.

ويماثل هذه الصورة- كذلك- قوله: «وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَا نَقْسِكُمْ».<sup>(10)</sup>

(1) ينظر، الكشاف، 361.

(2) ينظر، المحرر الوجيز، 251/2.

(3) استشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز، 251/2.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 177/2.

(5) الحج، 30.

(6) ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، 117/7.

(7) المحرر الوجيز، 273/10.

(8) ابن الحاجب، الأمالي التحوية، تحقيق عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، الدوحة، ط/1، 1986، ص 231، 232.

(9) ينظر، الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982، 52/6، (رجس)، وابن منظور، لسان العرب، 94/6، 95، (رجس).

(10) التغابن، 16.

انتصب "خيرا" عند سبيوبيه على أنه مفعول به لفعل مضمر دل عليه "أنفقوا"<sup>(1)</sup>، والتقدير: ائتوا خيرا لأنفسكم. وعند الفراء يكون منصوبا على أنه صفة مصدر مذوف دل عليه الفعل المذكور،<sup>(2)</sup> والتقدير: أنفقوا أنفاسكم، وفي هذا التقدير تكلف وبعد تأويل.

ويشمل الأمر واجب الإنفاق والمندوب، ففيه الحث على الإنفاق بمرتبته، وهذا من العناية بالتنزه عن فتنة المال التي حذر منها الله تعالى - في الآية السابقة - في قوله: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**. والمعنى: أنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا تبخلو بها، فإن الإنفاق في مصالح الأمة والإسلام خير لأنفسكم من الأموال والأولاد، وهو خير وسعادة لكم في الدارين.

وقد يحذف المفعول به اختصارا، كقوله: **وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**.<sup>(3)</sup> والتقدير: أنفقوا خيرا أو أنفقوا أموالكم. والأمر بالإنفاق لجميع المسلمين لا خصوص المقاتلين. والمراد بهذا الأمر تنبيه المسلمين إلى ما يواجههم من عدوهم، فإنهم قد يغفلون عن الإنفاق أو قد يقتصرن فيه على منتهى الاستعداد للعدو. وقوله: **فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**.<sup>(4)</sup> الفعل متعدد إلى مفعول واحد، والتقدير: قاتل المشركين. والمخاطب به رسول الله ﷺ وقد أوجب عليه القتال، وأوجب عليه تبليغ المؤمنين الأمر بالجهاد وتحthem عليه. وقد يظهر مفعول هذا الفعل كقوله: **وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَكُمْ**.<sup>(5)</sup> وكقوله: **فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**.<sup>(6)</sup> فالقتال واجب على المسلمين لدفع هجوم العدو، وإعلاء كلمة الله تعالى.

و ما يمثل هذه الصورة - أيضا - قوله: **فَإِنَّكُمْ حُوَّهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ**.<sup>(7)</sup> الأمر بالنكاح أمر إباحة، أي: إذا أحببتم نكاح الإمام و رغبتم فيه، فأنکحوهن بإذن موالهن. والمراد بالنكاح - هنا - العقد، ولذلك ذكر إيتاء الأجر بعده في قوله تعالى: **وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**. والمقصود المهر، وسمى ملاك الإمام أهلا لهن، لأنهم كالأهل، إذ ترجع الأمة إلى سيدها في كثير من الأمور، وهي تسمية تطلق على سادة العبيد في التعبير القرآني تلطفا بالعبد. وبحسب هذا المعنى يجوز أن يكون في الجملة حذف مضاف، أي: فأنکحوهن بإذن أهل ولايتهم، وأهل ولاية نكاحهن هم الملائكة.

(1) ينظر، الكتاب، 282/1، 283.

(2) ينظر، معاني القرآن، 1/295.

(3) البقرة، 195.

(4) النساء، 84.

(5) البقرة، 190.

(6) البقرة، 191.

(7) النساء، 25.

وفي مضمون الجملة دليل على ولادة السيد لأمته، وأن الأدب شرط في صحة النكاح، فلو تزوجت الأمة بغیر إذن سيدها، فالنكاح مفسوخ، ولم يجز بإجازة السيد، ولو حوز نكاح العبد حاز، لأن الأنوثة في الأمة تمنع من انعقاد النكاح البة.<sup>(1)</sup> ويجوز نكاحها بإذن أهلها من لهم عليها ولادة التزویج، وإن لم يباشر السيد العقد.<sup>(2)</sup> ومعلوم أن النكاح الشرعي بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين.

وقد يحدد الجار و المحرر في - هذه الصورة- انتهاء الغایة الزمنية، كقوله: «ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ».<sup>(3)</sup> وقد يحدد الغایة من الأمر كما في قوله: «وَأَتَئُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ لِلَّهِ».<sup>(4)</sup> فمضمون الجملة لا يدل على وجوب الحج ابتداء، وإنما يدل على وجوب إتمامه بعد الشروع فيه.

أو يدل على الظرفية الزمنية، كقوله: «وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ»،<sup>(5)</sup> فالامر بذكر الله محدد بأيام مععددة، وهي أيام التشريق.<sup>(6)</sup> فالله تعالى جعل الأيام المعدودات أيام ذكره، وقد قال رسول الله ﷺ "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله"<sup>(7)</sup>، ومن جملة الذكر التكبير في إثر كل صلاة.

أو يدل على الظرفية الحقيقة المكانية، كقوله: «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ»،<sup>(8)</sup> الأمر للأزواج بمحر الزوجات اللاتي يخافون نشوزهن، و ذلك بأن يتکروا كلامهن و يولوهن ظهورهم في الغراش قصد تقويم سلوكهن.

أو يدل على الظرفية المجازية، كقوله: «وَشَاقِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ»،<sup>(9)</sup> الخطاب لرسول الله ﷺ وقد أمر بمشاورة المؤمنين في كل أمر يتعلق بالدولة الإسلامية.

وبقية هذه الصورة وردت فيما يأتي: البقرة، الآيات: (73، 231، 282). آل عمران، الآية: (103) النساء، الآية: (59)، و المائدة، الآيات: (7، 11، 20، 110)، الأحزاب، الآيات: (9، 53).

### **الصورة الخامسة: مسند + مسند إليه + جار و مجرور + مفعول به.**

من هذه الصورة قوله تعالى: «ا ضرب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ».<sup>(10)</sup>

المسند فعل الأمر "اضرب"، والمسند إليه مضمر في البنية السطحية، مقدر في البنية العميقـة، إذ هو الضمير "أنت"، المخاطب به موسى عليه السلام بدلالة القرينة الفظـية في الآية. وقدم الجار والمحرر "عصاك"

(1) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، 400/1.

(2) ينظر، المصدر السابق، 400/1.

(3) البقرة، 187.

(4) البقرة، 196.

(5) البقرة، 203.

(6) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 1/122، وابن عطيـة، المحرر الوجـيز، 2/181.

(7) رواه مسلم في صحيحـه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمـية، بيروت، (د.ت)، 800/2، (كتاب الصيام).

(8) النساء، 34.

(9) آل عمران، 159.

(10) البقرة، 60.

المضاف إلى كاف الخطاب - للاهتمام، و "العصا" اسم مقصور مؤنث، وألفه منقلبة عن واو، وعاصاً موسى هي التي ألقاها في مجلس فرعون فتلقت ثعبان السحرة، وهي التي أمره الله بأن يضرب بها البحر، بقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَالَ الْبَحْرِ﴾<sup>(1)</sup>. وهي التي كانت بيده حين كلمه الله في أرض سينا ليضرب بها الحجر. والمفعول به "الحجر" معرف بـ"الجنسية" أي: ضرب أي حجر شئت من حجارة تلك الصحراء<sup>(2)</sup>، أو هي للعهد مشيراً إلى حجر عينه معروف لدى موسى عن طريق الوحي. والمفعول به "الحجر" أساس في الجملة الفعلية التحويلية، ويرتبط ببؤرة الجملة (بالفعل) ارتباط، الفاعل بها<sup>(3)</sup>، يقول الجرجاني: "إن حال الفعل مع المفعول به الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، وكما أنك قلت: ضرب زيد، فأسننت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلاً له، لا أن تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الإطلاق. كذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول، فقلت: ضرب زيدٌ عمرًا، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بما"<sup>(4)</sup> فالفعل "اضرب" هو البؤرة أو المركز، ويرتبط به الفاعل بعلاقة الفاعلية، ويرتبط به المفعول به "الحجر" بعلاقة المفعولية.

ويعاشر هذه الصورة قوله: ﴿فَاتَّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّهُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

الأمر للمسلمين بأن يتموا العهد الذي عاهدوا به المشركين إلى مدعهم. وجيء بـ"إلى" لدلالة الغائية الزمنية، وذلك لإتمام المدة التي تم عليها الاتفاق بين الطرفين، وإضافة المدة (الأجل) إلى ضمير المعاهدين، لأنها منعقدة معهم، فإضافتها إليهم كإضافتها إلى المسلمين، ولكن أضيفت هنا - إليهم، لأن اتفاقهم بالأجل أصبح أكثر من انتفاع المسلمين به، إذ أصبح المسلمون يومئذ أقوى منهم.

وكان ذلك قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾<sup>(6)</sup>.

الخطاب للمسلمين بدلالة السياق. وانتصب "كلّ" إما على المفعول به بتضمين "اقعدوا" معنى "الزموا" وإنما على التشبيه بالظرف<sup>(7)</sup>، لأنه من حق الفعل "قعد" أن يتعدى بـ"في" الظرفية، فشبه بالظرف، وحذفت "في" للتوضيح، كقوله تعالى: ﴿لَا قَعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمُ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) الشعرا، 63.

(2) ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1993، 1/326.

(3) ينظر، أحمد خليل عميرة، في نحو اللغة وتراثها، ص 144.

(4) دلائل الإعجاز، ص 118.

(5) التوبة، 4.

(6) التوبة، 5.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 2/175.

(8) الأعراف، 16.

والمفعول في قوله: "وَاقْعُدُوا لَهُمْ..." مجاز في الثبات في المكان و الملازمة له، لأن القعود ثبوت طويل. و المعنى المرابطة في الشغور لئلا يباغت العدو المسلمين ليدخل أراضيهم. و المفعول به "كل" مضارف إلى "مرصد". و المرصد: مكان الرصد، و المراد هنا: مراقبة حركات العدو. وقال الزمخشري معناه: "كل مر و مختار ترصدوهم منه"<sup>(1)</sup>، وأضاف "كل" إلى "مرصد" بقصد تعليم المراصد المشكوك مرور العدو بها، وذلك لتحذير المسلمين من إضعافهم الحراسة في المراصد فيباغتهم العدو منها.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: **﴿وَاضْرِبُوهُمْ كُلَّ بَنَان﴾**<sup>(2)</sup> الأمر-حسب دلالة السياق- للملائكة بأن يضرموا من المشركين كل بنان. والبنان: اسم جمع بنانة، وهي الأصبع، وقيل: طرف الأصبع<sup>(3)</sup>. وإضافة المفعول به "كل" إليه لاستغراق أصحابها، وإنما خص البنان، لأنها أداة التصرف في الضرب وغيره. وضرها يبطل صلاحية المضروب للقتال، لأن تناول السلاح إنما يكون بالأصابع، وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة فتقطع الأصابع بواسطة فعل الملائكة على كيفية خارقة للعادة، ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين. ويكون عندئذ إسناد الضرب إلى الملائكة عن طريق المجاز العقلي، لأنهم سببه. أمّا أن يكون الأمر بالضرب للMuslimين بعيد الاحتمال، لأن الخطاب-في هذه الآية- للملائكة بصريح قوله تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**. والجملة الأممية "واضرموا منهم كل بنان". معطوفة على جملة "فثبتوا الذين آمنوا".

ووردت بقية هذه الصورة في الآيتين: (15، 16) من سورة النساء، و الآية: (36) من سورة المائدة.

**الصورة السادسة: مسند + مسند إليه + مفعول به (اسم موصول)+صلة الموصول (جملة فعلية ماضوية)+جار و مجرور.**

من هذه الصورة قوله تعالى: **﴿خُذُوا مَا أَنْتُمْ بِهِ قُوَّةٌ﴾**.<sup>(4)</sup>

الخطاب لليهود بدلالة السياق. وتدل جملة الأمر على إضمار القول<sup>(5)</sup>. والتقدير: وقلنا لكم خذوا ما أتيناكم بقوة. والأخذ مجاز عن التلقي و التفهم، كقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْكُفَّارُ إِذْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ فَلَا يُنَزِّلُنَّكُمْ بِهِ قُوَّةً﴾**.<sup>(6)</sup>

(1) الكشاف، 175/2.

(2) الأنفال، 12.

(3) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سرکین، مكتبة الحانجي بالقاهرة، (د.ت)، 242/2، وابن منظور، لسان العرب، 13/59.

(بن).

(4) البقرة، 63، 92.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/286، والعكري، البيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط.2، 1987، 1/71.

(6) مريم، 12.

والمفعول به "ما" في قوله: "خذوا ما آتيناكم" اسم موصول بمعنى الذي، والعائد عليه مذوق، أي: ما أتيناكموه. المراد به كتاب التوراة، ويدل على ذلك ما جاء في الجملة بعده-في هذه الآية- في قوله: **﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾**، أي: ما تضمنه من الثواب والعقاب.

وقرئ : "ما أتيتكم" <sup>(1)</sup>، وهو التفات، لأنه خرج من ضمير المعلم نفسه إلى المتكلم. والباء في قوله: "بقوة" تدل على الاستعانة، وفي المراد بالقومة أقوال: أحدهما الجد ومواطبة النفس، قاله ابن عباس <sup>(2)</sup>، أو بصدق وحق، قاله ابن زيد، أو بجد، قاله الطبرى، <sup>(3)</sup> وتأويل الجملة عنده: "خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان" <sup>(4)</sup> وهذه الأقوال جمياً متقاربة المعنى.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في قوله: **﴿فَأَفْعَلُوا مَا تَوْمَرُونَ﴾**. <sup>(5)</sup>

الأمر لليهود كما يتضح من خلال سياق الآية، وهو أمر لهم بذبح البقرة التي وصفت لهم. والمفعول به "ما" اسم موصول، والعائد مذوق تقديره: ما تؤمرونه <sup>(6)</sup>، وحذف المسند إليه (الفاعل) لتناسب الفاصلة في آخر الآية، وللعلم به، إذ تقدم ذكره-في الآية السابقة-في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ كُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾**، والمعنى: افعلا ما تؤمرون، ولا تكرروا السؤال تعنتاً وتشدداً. ويحتمل أن تكون هذه الجملة من قول الله تعالى، ويحتمل أن تكون من قول موسى عليه السلام وهو الظاهر من بنية الجملة، فقد حثهم على امثال ما أمروا به إشفاقاً منه حتى لا يحل لهم عقاب الله.

وهذا التكليف **مساقٌ** التأديب على سؤالهم الذي سألوه بشأن البقرة المأمور بذبحها؛ لأنه قد يكون سؤالهم مماطلة، فيكون الأمر لهم للتآديب على سوء الخلق والتذرع للتمرد، وقد يكون سؤالهم ناشئاً عن سوء فهم، حيث تشابه عليهم البقر، فيكون المراد منه التأديب على سوء فهم في إلقاء السؤال، كما يؤدب طالب العلم إذا سأله سؤالاً لا يليق بدرجته العلمية.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في الآية: (2) من سورة الأحزاب، والآية: (10) من سورة المتحنة.

**الصورة السابعة: مفعول به (ضمير منفصل)+أداة عطف+جملة أمر (مسند+مسند إليه+مفعول به مذوق-).**

(1) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/286، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/406.

(2) ينظر، تنوير المقاييس، ص 17.

(3) ينظر، جامع البيان، 1/368.

(4) المصدر السابق، 1/368.

(5) البقرة، 68.

(6) ينظر، العكري، البيان في إعراب القرآن، 1/75.

ورد من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَيْأَيِّ فَارْهَبُونِ﴾<sup>(1)</sup> وقوله: ﴿وَلَيْأَيِّ فَاتَّقُونِ﴾.<sup>(2)</sup> الضمير "إيابي" -في الجملتين- منفصل يدل على المتكلم -الله- وهو مفعول به محذوف يفسره المذكور في رأي النحاة<sup>(3)</sup>، وتقديره: ارعبوا في الجملة الأولى، و "اتقوا" في الجملة الثانية. وجاءت رتبة الفعل بعد المفعول به، لأن الضمير المنفصل يصل فيه ما بعده، ولو كان الفعل مقدما على مفعوله لكان الضمير متصلا. وعلى هذا الأساس تكون البنية العميقية للجملتين: وإيابي ارعبوا، ارعبوني، وإيابي اتقوا، اتقوني.

فتقديس المفعول به- هنا -معين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي. واختير من طرق القصر طريق التقاديم دون "ما" ، و "إلا" ، ليكون الحاصل بالمنطق هو الأمر بربة الله تعالى ، والأمر باتفاقه ، ويكون بالمقابل النهي عن رهبة واتقاء غيره حاصلاً بالمعنى<sup>(4)</sup>، وتقديس المفعول به "إيابي" -في الجملتين- مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفاده الحصر من تقاديم المفعول على الفعل غير المشغل بضميره، كما أشار الزمخشري<sup>(5)</sup>، فقوله: "إيابي فارعبون" ، و "إيابي فاتقون" ، أكد من نحو: إيابي ارعبوا، وإيابي اتقوا.

وقدمت جملة: "و إيابي فارعبون" على جملة: "و إيابي فاتقون" ، لأن التقوى رهبة تعتبر فيها العمل بالمؤمرات و اجتناب المنهيات بخلاف الرهبة فإنها اعتقاد دون عمل، وأن الجملة الأولى تأمربني إسرائيل بالوفاء بالعهد، فناسبها أن يخوفو من نكثه، والجملة الثانية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعوا منه، فناسبها الأمر بأن لا يتقووا إلا الله.<sup>(6)</sup> والمعنى ارعبوا- يا بني إسرائيل- إن لم تذكروا نعمتي ولم توفوا بعهدي واتقوني إن لم تؤمنوا بما أنزلت. وفي هذا المعنى تحديد.

وتحذفت ياء المتكلم "المفعول به" في قوله: "فارعبون" ، و "فاتقون" ، وتدل عليها كسرة نون الوقاية، ووجه ذلك أنها وقعت فاصلة، فاعتبرت كملوقف عليها. قال سيبويه: "وجميع مالا يحذف في الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواعل والقوافي"<sup>(7)</sup>، فهي تحذف في الوقف عند جمهور العرب، و يطرد حذفها تحفيقاً عند "هذيل" ، أما أهل الحجاز فيثبتونها في الوقف والوصل<sup>(8)</sup>، وقد قرأ ابن أبي إسحاق: "فارعبوني" بالياء، وكذا "فاتقوني" على الأصل،<sup>(9)</sup> وهو وجه في العربية جرى على لغة أهل الحجاز.

(1) البقرة، 40.

(2) البقرة، 41.

(3) ينظر، سيبويه، الكتاب، 81/1، وابن هشام، شرح شدور الذهب، ص 546.

(4) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 454/1.

(5) ينظر، الكشاف، 276/1.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 469/1.

(7) الكتاب، 184/4، 185.

(8) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 475/1.

(9) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، 1/333، وأبو حيان، البحر المحيط، 331/1.

وبنية هذه الجملة شبيهة بالجملة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ مَرْفَعًا﴾.<sup>(1)</sup> وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَّافًا﴾.<sup>(2)</sup>

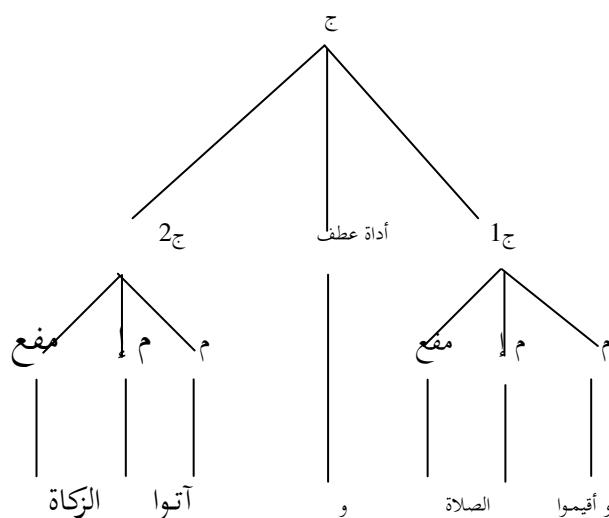
وهي جملة فعلية بسيطة، إذ قدم فيها الاسم منصوباً للدلالة على المفعولية، ويمكن في مثل هذه الجمل أن يعرب الاسم المقدم المنصوب مفعولاً به للفعل المذكور والضمير المتصل بنية الفعل مجرد أثر صوتي يعود على ذلك المفعول. ولنا أن نقابل هذا الاستعمال بالاستعمال الفرنسي الذي تكلم عنه "أندري مارتينيه" André martinet -إذ يقول: "كثيراً ما يحتل مدخل الجملة الفعلية عنصر لساني لا يحمل وظيفة الفاعلية".

وتميل اللغة إلى مثل هذا الاستخدام، وذلك حينما تهدف إلى التركيز على هذا العنصر، نحو: الرجل أعرفه، أي: L'homme je le connais وهذا ما يدل على اهتمام اللغة بمكانة الصدارة في كل الأنظمة اللسانية، إذ أنها تؤدي من الناحية الصورية على الأقل دوراً محدداً، قد نطلق عليه صاحب الأسبقية. ويدركنا في مستوى لساني آخر بالتركيز على مقطع معين من مقاطع الكلمة في الجملة".<sup>(3)</sup>

ويستنتج مما سبق أن علامة النصب الوظيفية التي يتصرف بها الاسم المشغول عنه قرينة على أن الجملة فعلية.

**الصورة الثامنة:** جملة أمر (مسند إليه + مفعول به) + أدلة عطف + جملة أمر (مسند إليه + مفعول به).

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ﴾.<sup>(4)</sup>



.(1) الرحمن، 7.

.(2) الرحمن، 10.

(3) Syntaxe générale, Armand.Colin, Paris, 1985, P50.

.(4) البقرة، 43.

تتألف بنية هذا التركيب من جملتين ذكر فيها المسند والمسند إليه والمفعول به. وربطت بينهما "الواو" ربطاً متوازناً يحقق تماثلاً بنوياً، وتفيد مجرد الجمع بين الصلاة والزكاة، لأنهما ركناً أساسيان من أركان الإسلام الخمسة. ويختلف مدلول الصلاة عن مدلول الزكاة، فلكل منها أركان وشروط.

والخطاب لبني إسرائيل بقرينة المقام اللغوي، فقد أمروا في عهد الإسلام بإقامة الصلاة مع المسلمين لظهور نفوسهم، كما طلب إليهم إيتاء الزكاة التي هي مظهر شكر الله على نعمه، والعلاقة العظيمة بين الناس، لما فيها من بذل المال لمواساة الفقراء والمساكين، ولما بين الناس من التكافل الاجتماعي. ودلالة الأمر الوجوب. ويذكر الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على سبيل الوجوب في عدة مواضع: فهو في الآية الثالثة والثمانين(83) من سورة البقرة خطاب لبني إسرائيل، بدلالة العطف، لأن الجملتين معطوفتان على ما سبق؛ فهما تابعتان لبيان ميثاق بني إسرائيل، وهو عهد موسى عليه السلام. فالصلاحة هي التي أمروا بها في التوراة، والزكاة مراد بها الصدقة مطلقاً.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الزكاة التي أمروا بها طاعة الله والإخلاص له<sup>1</sup>. ولذلك فلا يكون المراد بالصلاحة والزكاة ما هو في شريعة الإسلام. وهو خطاب للمؤمنين في الآية العاشرة بعد المائة(110) من سورة البقرة، والثامنة والسبعين(78) من سورة الحج، والسادسة والخمسين(56) من سورة النور، والثالثة عشرة(13) من سورة الجادلة. فقد أمروا بالمدامنة على ركني الإسلام: العبادة البدنية والعبادة المالية، إذ الصلاة فيها مناجاة الله تعالى، وتلذذ بالوقوف بين يديه. والزكاة فيها الإحسان إلى مستحقها بالإيشار على النفس. أما في الآية السابعة والسبعين(77) من سورة النساء فالخطاب موجه لفئة من المؤمنين، قال جمهور المفسرين: إن الآية نزلت في نفر من أصحاب رسول الله عليه السلام كانوا يلقون بمكة من المشركين أذى شديداً، واستأذنوا الرسول في قتالهم، فقال لهم: إني أمرت بالعفو، فكفوا أيديكم "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة" فلما هاجر النبي إلى المدينة، وفرض الجهاد جنباً فريق منهم من جملة الذين استأذنوه في القتال، وفيهم نزلت الآية<sup>2</sup>، أما في الآية: الثالثة والثلاثين(33) من سورة الأحزاب فورد بقوله: «وَأَقِمُنَ الصَّلَاةَ وَآتِيَنَ الزَّكَاةَ»، فهو خطاب موجه لأمهات المؤمنين. وأريد بالأمر الدوام، لأنهن متلبسات بمضمونه من قبل.

وخص الله سبحانه الصلاة والزكوة بالأمر، لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية أصل سائر الطاعات؛ فمن اعنى بهما حق العناية قادته إلى سائر أعمال الخير.

(1) ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفته عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، تحقيق راشد عبد المنعم رجال، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1994، ص 84، وأخرجه الطري في جامع البيان، 1/437.

(2) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص 141، والماوردي، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 1/507. والبغوي، معالم النزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993، 1/453.

ومن هذه الصورة —أيضاً— قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.<sup>(1)</sup>

يتبيّن من خلال سياق هذه الآية وسابقاتها أن الامر هو عيسى عليه السلام، والمأمورين هم بنو إسرائيل. و فعل الأمر في قوله: "اتقوا" مسند إلى واو الجماعة، وقد تقييد بالمفعول به "الله"، ثم حياء بأداة العطف "الواو" لربط الجملتين، وتكررت نفس العناصر النحوية، إلا أن المفعول به "ياء المتكلّم"—في الجملة المعطوفة— حذف اختصاراً في الخط، وبقيت الكسرة دالة عليه، وهذا بحسب قراءة الجمهور في الوصل والوقف. أما يعقوب فقرأه بإثبات الياء فيهما.<sup>(2)</sup> ومعنى التركيب: فاتقوا الله في المخالفة، وأطعوني فيما أدعوكم إليه، وهو توحيد الله، أو كما قال الطبرى وغيره: اتقوا الله فيما أمركم به ونحناكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى، وأطعوني فيما دعوتكم إليه من تصدق فيما أرسلني به إليكم.<sup>(3)</sup>

وعطف طاعة الرسول على تقوى الله، لأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله، فبين أنه إذا لزمكم أن تتقوا الله لزムكم أن تطعوني في ما آمركم به عن ربي.

وتكرر هذا التركيب في عدة مواضع، من ذلك قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.<sup>(4)</sup> هذا أمر بطاعة الله تعالى، وطاعة الرسول محمد في امثال ما أمر به، واجتناب ما نهي عنه، وفي الأخذ بإرشاده وتوجيهه.

وقد يحذف العامل من الجملة المعطوفة اختصاراً، ويبقى المعمول كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾<sup>(5)</sup> وهذا جائز، لأن واو العطف تختص بهذا الحكم عن بقية أدوات العطف الأخرى<sup>(6)</sup>، والتقدير: أطعوا الله وأطعوا الرسول في جميع الأوامر والنواهي. وحذف المتعلق مشعر بهذا التعميم.

وروى عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾ في الآية السابقة—قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمر بأن تحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم، فنزل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، أي: أطعوا الله في الفرائض، والرسول في السنن.<sup>(7)</sup>

ومن هذا الحذف—أيضاً— قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾،<sup>(8)</sup> أي: أطعوا الله و أطعوا رسوله.

(1) آل عمران، 50.

(2) ينظر، ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، 2/247.

(3) ينظر، جامع البيان، 3/281، والزمخشري، الكشاف، 1/432.

(4) المائدـة، 92، والغابـن، 12.

(5) آل عمران، 32.

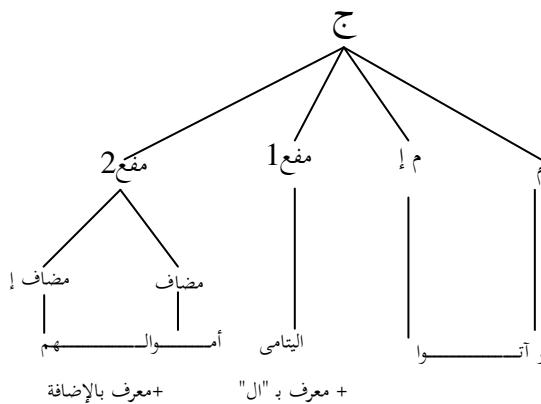
(6) ينظر، عباس حسن، النحو الوفي، 3/563.

(7) ينظر، تنوير المقياس، ص 46.

(8) الأنفال، 1/46، والمجادلة، 13.

**الصورة التاسعة: مسند + مسند إليه + مفعول به أول + مفعول به ثان.**

من هذه الصورة قوله تعالى: «وَاتُّوا الْيَتَامَىٰ أُمَوَالَهُمْ»<sup>(1)</sup>.



فعل الأمر في قوله: "آتوا" من الأفعال المتعددة إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ويفهم من سياق الآية أن الأمر للأولياء والأوصياء.

ومعنى الإيتاء: الإعطاء، واليتمى: جمع يتيم وجمع يتيمة، وقيل هو في اللغة من فقد أبوه<sup>(2)</sup>، وأريد باليتمى - هنا - ما يشمل الذكور والإناث، وغلب في ضمير التذكير في قوله: "أموالهم".

وقد خص الشرع اليتيم من لم يبلغ الحلم<sup>(3)</sup>، وأطلق اسم اليتيم عليهم عند إعطائهم أموالهم، مع أنه لا يعطونها إلا بعد ارتفاع اسم اليتيم بالبلوغ بمحاجزاً باعتبار ما كانوا عليه، ويجوز أن يراد باليتيم المعنى الحقيقي، وبالإيتاء ما يدفعه الأولياء والأوصياء إليهم من النفقة.

وقال الزمخشري: يراد بإيتائهم أموالهم أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته، ويكتفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتمى إذا بلغوا سالمة غير منقوصة<sup>(4)</sup> وهذا الحكم مقيد بما جاء في قوله تعالى: «فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشِدًا فَادْفُعُوا إِلَيْهِمْ أُمَوَالَهُمْ»<sup>(5)</sup>، وعلى هذا فالمراد بالأمر حفظ حقوق اليتمى من الإضاعة، لا تسليم المال إليهم، ويكون التعبير عنهم باليتمى إشارة إلى وجوب دفع أموالهم إلية فور رشدتهم. ولمعنى: اعطوا اليتمى أموالهم إذا آنستم منهم رشداً.

(1) النساء، 2.

(2) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 941/4، (بيم)، وابن منظور، لسان العرب، 645/12، (بيم).

(3) ينظر، الشافعي، أحكام القرآن، جمعه أبو بكر البهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، 1/138.

(4) ينظر، الكشاف، 494/1.

(5) النساء، 6.

ونظير هذه الجملة قوله: **﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانَكُمْ فَأَتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾**.<sup>(1)</sup>

جملة الأمر: **“فَأَتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ”** خبر عن قوله: "والذين عقدت أيمانكم"، وأدخلت "الفاء" في الخبر لتضمن الموصول "الذين" معنى الشرط، والضمير "المفعول به" في "فأتوهم" عائد على "الذين" الدال على "الموالي" -في الآية- والتقدير: وجعلنا الذين عقدت وراثاً لكل ميت فآتوهم نصيبهم.<sup>(2)</sup>

وأورد الواحدي أن ابن المسيب قال: إن الآية نزلت في الذين كانوا يتبنون الأبناء ويورثونهم، فرد الله الميراث إلى ذوي الأرحام والعصبة، وجعل لهم نصيباً في الوصية.<sup>(3)</sup> وقد أحکم ذلك ابن عباس في الصحيح بياناً بما رواه عن رسول الله ﷺ، قال البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "ولكل جعلنا موالي"، قال: ورثة: "وَالَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانَكُمْ" ، كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأننصاري دون ذي رحمه للأخوة التي آخى بها النبي ﷺ فلما نزلت: "وَلَكُلِّ جعلنا موالي" نسخت، ثم قال: "وَالَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانَكُمْ" من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له".<sup>(4)</sup> ومعنى الجملة: آتوا نصيب الذين عقدت أيمانكم من النصر والمعونة، أو فآتوهم نصيبهم بالوصية، وقد ذهب الميراث.

ونظير هذه الصورة قوله: **﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَا لَكُمْ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾**.<sup>(5)</sup>

جواب الجملة الشرطية جملة أمرية: "فآتوهن أجورهن". وللمعنى: فإن أرضعن لكم وهن طوالق قد بنـ بانقضاء عدـهنـ، فـلهـنـ أـجرـ المـثلـ.

وفي الجملة تبيان ما يجب للنساء المطلقات بعد الوضع، فإنهنـ بالوضع يـصرـنـ بـائـنـاتـ فـتـنـقـطـعـ أحـکـامـ الزوجـيـةـ، ويـكونـ حقـ الإـرـضـاعـ عـلـىـ الأـبـ، لأنـهـ كـالـإـنـفـاقـ؛ فإـنـهـ لـماـ انـقـطـعـ إـنـفـاقـ الرـزـوجـ عـلـيـهـاـ بـالـبـيـنـوـنـةـ تـمـخـضـتـ إـقـامـةـ غـذـاءـ اـبـنـهـ عـلـيـهـ، فإـنـ أـرـادـتـ إـرـضـاعـهـ فـهـيـ أـحـقـ بـذـلـكـ، وـلـهـ أـجـرـ الإـرـضـاعـ<sup>(6)</sup>، ويـتمـ ذـلـكـ بـتـبـادـلـ الرـأـيـ إـلـىـ الـاتـفـاقـ عـلـىـ أـجـرـ مـعـيـنةـ.

وقد يتعدى الفعل لأحدـهـماـ مـباـشـرـةـ وـإـلـىـ الشـانـيـ بـحـرـفـ الـجـرـ، كـقولـهـ: **﴿وَأَرْمَرْ قُوْهُمْ فـيـهـاـ وـأـكـسـوـهـمـ﴾**.<sup>(7)</sup>

التركيب يحتوي على جملتين متعاظفتين ربطت بينهما الواو، والفعل فيهما متعدد إلى مفعولين ليس أصلـهـماـ المـبـدـأـ وـالـحـبـرـ. وـالـمـفـعـولـ بـهـ "ـهـمـ"ـ فيـ الجـمـلـتـيـنــ يـعودـ عـلـىـ "ـالـسـفـهـاءـ"ــ فيـ هـذـهـ الآـيـةـــ فيـ قولـهـ:

(1) النساء، 33.

(2) ينظر، العكري، البيان في إعراب القرآن، 1/352.

(3) ينظر، أسباب النزول، ص 127.

(4) رواه البخاري في صحيحه، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 5/214، 215.

(5) الطلاق، 6.

(6) ينظر، الشافعي، أحكام القرآن، 1/264، 265، ابن العربي، أحكام القرآن، 4/1840.

(7) النساء، 5.

﴿وَلَا يُؤْتُوا السُّفَهَاءِ أَمْوَالَكُمُّ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا وَأَرْزَقُوهُمْ فِيهَا...﴾. أما المفعول به الثاني فتعدى له

بحرف الجر، في قوله: "منها"، أي: في أموالكم، والتقدير: ارزقا السفهاء من أموالكم وآكسوهم منها.

والخطاب إما لأولياء اليتامى، وإما بجموع الأمة، وذلك بأن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم وكسوthem بأن يتجرروا فيها، فتكون النفقه من ربحها. واتضح هذا المعنى من جعل الأموال نفسها ظرفًا للرزق والكسوة، فقال: "فيها"، ولم يقل: منها، فيه إشارة إلى أن الأموال تتحذى مكان للرزق بالتجارة فيها، فتكون النفقات من الأرباح لا من رأس المال حتى لا يأكلها الإنفاق.

وفي هذا المعنى نبيه عليه ما قاله ﷺ: "ابتغوا في أموال اليتامى، لا تستهلكها الصدقة" <sup>(1)</sup> و المقصود هنا-النهي عن إيتاء المال لمن لا رشد له من النساء والصغار والمحسون والمحجور عليه للتبذير، ويجوز هبة ذلك لهم، فيكون لهم ملكا و لكن لا يجعل في أيديهم، <sup>(2)</sup> وقال ابن عباس معناه: لا تعطوا الجهال بموضع الحق من النساء والأولاد أموالكم، واطعموهم فيها وآكسوهم، وكونوا أنتم القوامون على ذلك، فإنكم أعلم منهم في النفقة والصدقة بموضع الحق. <sup>(3)</sup>

فالواجب على الأولياء الذين عهد إليهم حفظ أموال السفهاء أن ينفقوا عليهم، فيقدموا لهم كفاياتهم من المأكل والملبس وغير ذلك.

ومن ذلك -أيضا- قوله: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. <sup>(4)</sup>

فعل الأمر من الأفعال المتعدية إلى مفعولين ليس أصلها المبتدأ و الخبر. وقد يتعدى مباشرة إلى مفعولين، كقولنا: سأله حاجة، وسأل معناه: طلب الشيء، أو طلب تحقيق السؤال، وقضاء الحاجة، <sup>(5)</sup> وقد يحذف المفعول به الثاني كما هو في هذه الآية؛ فالمفعول الأول لفظ الحالة "الله"، والثاني محنوف، والتقدير: اسألوا الله ما شئتم من الإحسان والإنعم.

وهذه الجملة الأمرية معطوفة على النهي-في هذه الآية-في قوله : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوا مَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ عَلَى بَعْضٍ﴾، فيكون المعنى: لا تتمنوا ما في يد الغير، وسائلوا الله من فضله ما تريدون، فإن فضل الله واسع؛ يسع الكل. وهذا الأمر يدل على وجوب سؤال الله سبحانه من فضله.

(1) أخرجه المتقي بن حسام الدين الهندي في كنز العمال، ضبطه بكري حياني، وصححه ووضع فهارسه صفوه السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، 15، 177/15، كتاب الكفالة.

(2) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1/318.

(3) ينظر، تنوير المقاييس، ص 65.

(4) النساء، 32.

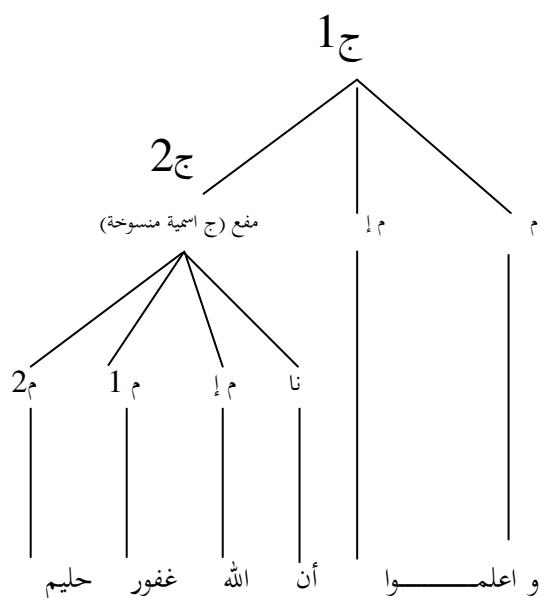
(5) ينظر، الرعبلاوي، مسالك القول في النقد اللغوي، ص 208.

ويدل على الوجوب أيضاً - مما يماثل هذه الصورة - في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾<sup>(1)</sup>. الخطاب للمؤمنين، وقد أمروا إذا سألا زوج رسول الله ونساء المؤمنين متاعاً فليسألوهن من وراء حجاب ستر.

ويلاحظ أن الجملة اشتملت على مفعول واحد، وهو ضمير الغائب "هن"، بينما المفعول الثاني حذف، وقد دل عليه ما قبله، أي: فاسألوهن المتاع.

#### الصورة العاشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به (جملة).

وردت في تسع وعشرين جملة، منها قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.



ت تكون بنية الجملة من فعل أمر، ومسند ورد ضميراً للجماعة متصل ببنية الفعل، ومفعول به جملة مصدرية، تتالف من (أداة مصدرية و نصب+ جملة اسمية منسوبة). وهذه الجملة المصدرية سدت مسد مفعولي "اعلموا".

ويلاحظ أن عناصر الموقف اللغوي لجملة الأمر قد اكتملت؛ فالأمر تضمنه الفعل (المسند)، والمؤمر هو الفاعل (المسند إليه) في قوله: "واعلموا"، والأمر اسم الحالـة "الله" في جملة المفعول به. وهذه الجملة تذيل بجملتي الأمر السابقتين -في الآية - أي: فكمـا يؤاخذكم على ما تخـفون من العـصيان والمخـالفة يغـفر لكم ما وعد بالـغفـرة عـنه؛ فإـنه حـليم بـكم.

ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِم﴾<sup>(3)</sup>.

.53 (1) الأحزاب،

.235 (2) البقرة،

.244 (3) البقرة،

هذه الجملة- كذلك- تذيل بجملة الأمر- في هذه الآية- في قوله تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. فجاءت في سياق الحث على القتال والتحذير من تركه بتذكير المؤمنين بعلم الله الواسع. وقدم لفظ "سميع"، وهو أخص من "عليم" اهتماما به- هنا- لأن أغلب مظاهر القتال مما يسمعه المقاتلون مثل صهيل الخيل وقعقة السيف، ثم ذكر لفظ "عليم"، لأنه يشمل العلم بكل الأشياء ما ظهر منها وما بطن.

ونظير هذه الصورة ورد في الآيات: (209، 260، 267) من سورة البقرة، والآية: (34) من سورة المائدة.

ومن هذه الصورة- أيضا- قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.<sup>(1)</sup>

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية، لأن هذه الجملة معطوفة -في هذه الآية- على جملة: ﴿وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَاتِلُونَ كُلُّ كَافَّةٍ﴾. وابتدائت الجملة بـ"اعلموا" للعناية والاهتمام بهضمونها، بحيث يجب أن يعلم المؤمنون الموجه إليهم الخطاب أن الله ناصرهم على المشركين، أي: اعلموا أن الله مؤيدكم لتقواكم. وفي هذا المعنى تأيد وضمان بالنصر للمؤمنين عند قتالهم للمشركين.

وكذلك قوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ قِتْنَةٌ﴾.<sup>(2)</sup>

ابتداء الجملة بـ"اعلموا" للاهتمام- كما تقدم آنفا- وفي مضمون الأمر تنبيه على الحذر من الفتنة التي يحمل حب المال المرء عليها. وهي فتنة الغلو وغيرها. فالله تعالى يعلم أن الحرص على الأموال والأولاد من أعمق مواطن ضعف النفس البشرية. ومن هنا يتبه إلىحقيقة هذه الأموال والأولاد. لقد وهبها الله للناس ليختبرهم بها، فيرى صنيع عبده، أيشكره على نعمته؟ أم ينشغل بها فيغفل عن أداء الحق؟

وحيء بجملة القصر للإحبار عن كون الأموال والأولاد فتنة للمبالغة في إثبات ذلك وتأكيده. وتقليل الأموال عن الأولاد، لأنها أقوى دواعي الفتنة؛ فإن هدف أغلب الناس في جمع الأموال أن يتزكوها لأولادهم من بعدهم.

وقد تحمل الجملة وعيها كقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.<sup>(3)</sup> وفي هذا الوعيد حث على وجود الاستقامة خوفا من عقاب الله.

وتأتي بقية هذه الصورة في الآتي: البقرة، الآيات: (194، 203، 223، 231، 233، 235)، والمائدة، الآيات: (49، 92، 98)، والأنفال، الآيات: (24، 40، 41)، والتوبة، الآيات: (3، 2)، ومحمد، الآية: (19)، والحجرات، الآية: (7)، والحديد، الآيات: (17، 20).

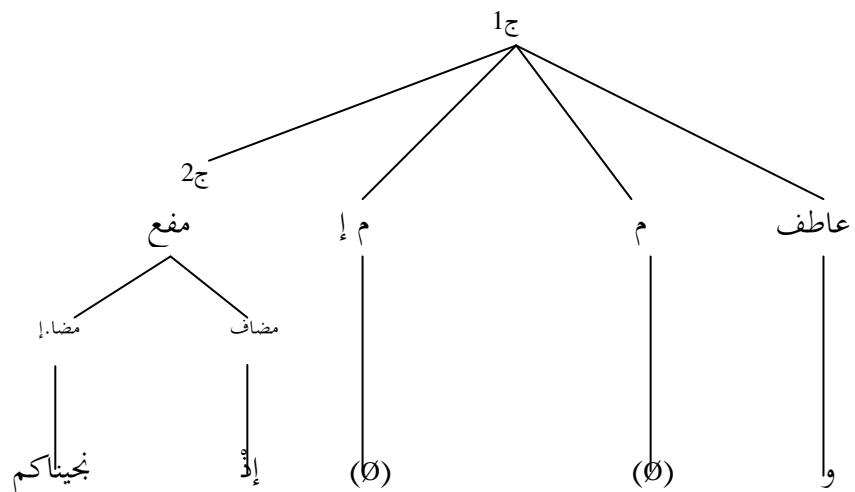
**الصورة الحادية عشرة: أداة عطف (الواو)+ (...)+ مفعول به(إذ)- مضاف-+ جملة فعلية (مضاف إليه).**

(1) التوبه، 36.

(2) الأنفال، 28.

(3) البقرة، 196، والأنفال، 25.

وردت هذه الصورة في اثنين وسبعين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ  
يَسُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَحِّلُنَا أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَهِيْنَ نَسَاءَكُمْ﴾.<sup>(1)</sup>



ظرف الزمان "إذ" مفعول به معطوف على قوله: "نعمتي" في الآية (47)، والعامل في الظرف "إذ" كما ذهب بعض النحاة هو الفعل "اذكر" المذوق،<sup>(2)</sup> أي: إن الفعل والفاعل مذوقان في البنية السطحية للجملة، ويدل عليهما الكلام السابق، والتقدير: "ادكروا".

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أنه قد يكون ترك الذكر والصمت عن الإفادحة أزيد للإفادحة وأبلغ في الدلالة على المعنى من الذكر<sup>(3)</sup>، حيث يتضاعف إحساس المتلقى بالفكرة، وكثيراً ما نجد هذا الحذف تدل عليه القراءن كما هو في هذا المقام، فيوحى بدلالات تخصب المعنى وتشريعه، ولا سيما عندما تسمح لتيار الوعي بالتدفق والاستيعاب، وقد أضيف "إذ" - هنا - إلى جملة فعلية ما ضوئية، وقال النحاة: قد تضاف إلى الفعلية والاسمية.<sup>(4)</sup> وعدى الفعل في قوله: "نجينا" إلى ضمير المخاطبين، وهو بنو إسرائيل، لأن إيجاء سلفهم إيجاء لهم، فلو ترك سلفهم للحق بهم سوء العذاب وتذريح الأبناء واستحياء النساء. وهذه نعمة من الله يعنها عليهم.

(1) البقرة، 49.

(2) ينظر، القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الصامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 2، 1984، 85/1، والمشربي، الكشاف / 1/ 271.

(3) دلائل الإعجاز، ص 120.

(4) ينظر، سيبويه، الكتاب، 60/3، 229/4، والمبرد، المقتصب، 3/177، والاستربادي، شرح الكافية لابن الحاجب، 103/2، وابن هشام، أوضح المسالك، 377/1.

وجملة "يسومونكم سوء العذاب" حال من "آل فرعون" يحصل بها بيان ما وقع الإنجاء منه، وهو العذاب الذي كان الإسرائييليون ينالونه من معاملة آل فرعون، ومعنى "يسومونكم": يعاملونكم معاملة سيئة، فيها ذل واحتقار.

و"يسومونكم" من الفعل "سام"، وهو في معنى: أنان وأعطي، ولذلك يعود إلى مفعولين ليس أحدهما المبتدأ والخبر. وحقيقة "سام" عرض السوم، أي: عرض السلعة على البيع،<sup>(1)</sup> ومفعوله الأول اتصل ببنيته، وهو "كم"، و الثاني "سوء المضاف إلى العذاب"، وسوء العذاب أشد، وهو تسلط العذاب المهين بتذبيح الأبناء وسي النساء، ولمعنى: يذبحون أبناء آبائكم ويستحيون نساء قومكم الأولين، والاستحياء على زنة "استفعال" يدل على الطلب للحياة، أي يبقى آل فرعون النساء أحياء، والقصد من ذكر الاستحياء في معرض التذكير بما حدث لبني إسرائيل من مكاره على يد الأقباط أن الاستحياء للنساء كان الغرض منه الاعتداء على عرضهن، أي يقوهن بلا رجال فيصرن مفترشات لهم.

وجملة "يذبحون أبناءكم" بيانية لجملة "يسومونكم"، ولذلك ترك العاطف<sup>(2)</sup>، وفي هذه الحالة يكون الفعلان (يذبحون ويستحيون) فعلين مبينين لفعل سابق هو (يسومونكم)، لأن هذا الفعل الأخير يفتقر إلى ما يبينه، فجاء الفعلان محددين لنوع العذاب<sup>(3)</sup>، ويكون المراد من "سوء العذاب" خصوص التذبيح. ويجوز أن تكون الجملة في موضع بدل البعض تخصيصاً بالذكر لأنشأ أحوال سوء العذاب، وهو الذي يطابق ما جاء في سورة الأعراف، الآية: (141) فالقضية في السورتين واحدة، ومعنى ذلك أن العذاب غير التذبيح، فكأنه قال: يعذبونكم بالذبح وغير الذبح<sup>(4)</sup>، وقدم الذبح على الاستحياء، لأنه أصعب الأمور وأشقها، وهو أن يذبح الأبناء أمام مرأى الوالدين.

وفي مضمون الجملة اعتبار، وذلك بتذكير بني إسرائيل بما حدث لأسلافهم في القرون الخواли. و يتبع هذه الصورة في العطف ما جاء في الآيات: (50، 51، 53، 54، 55، 58، 60، 61، 63، 67، 72، 83، 84، 93) من هذه السورة (البقرة).

وكل هذه الجمل تخص بني إسرائيل، وأوتى بها لسرد أخبارهم الماضية التي تشير إلى نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليهم لعلهم يرشدون.

ويماثل هذه الصورة -أيضاً- قوله: «وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَهُنَّ». <sup>(5)</sup>

المفعول به "إذ" ، وهو معطوف على "نعمتي" في قوله: "اذكروا نعمتي" في الآية: 122 ، والعامل فيه محذوف ، والتقدير: اذكر إذ ابتلى إبراهيم ربـهـ .

(1) ينظر، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طـ1، 1983، 19/1.

(2) ينظر، الرمحشرى، الكشاف، 279/1.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص187.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 2/69. والقرطبي الجامع، 385/1.

(5) البقرة، 124.

وتقديم المفعول به "إبراهيم" على الفاعل وجوباً، لأن في الفاعل ضمير يعود على المفعول به، والضمير يعود على متقدم. والتقديم في حقيقته يكون دائماً لغرض يتعلق بالمعنى، وليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية، فالتقديم دليل على أنه المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر، وأن الكلام إنما سبق لأجله.<sup>(1)</sup> فلفظ "إبراهيم"—هنا—هو المقصود بالذكر، وحيث قدم قصد به التشيريف، فأضيف اسم "رب" إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز، فلذلك لم يقل: وادَّرْ إِذْ ابْتَلَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ.

وجيء بالفاء العاطفة المفيدة للترتيب والتعليق (الدلالة السببية) في قوله: "فَأَتَهُنَّ" للدلالة على سرعة إبراهيم في امتناع أمر الله، وذلك بإنجاز الفعل المراد إتمامه. والمعنى: وادَّرْ يا محمد لقومك المشركين وغيرهم حين اختبر الله إبراهيم ببعض الكلمات من أوامر ونواه، فأتي بها على وجه الكمال، بأن عمل بمن كلهن<sup>(2)</sup>، فكان أهلاً للإقامة.

ويتبع هذه الصورة في العطف ما جاء في الآيات: (125، 126، 127، 131) من هذه السورة (البقرة). وهذه الجمل خص الله بها العرب مذكراً إياهم بنعム الله الكثيرة والتي منها: جعل البيت الحرام والكعبة مرجعاً للناس يقصدونه وما يثوبون إليه للعبادة في وقت الحج و غيره، ومنها دعاء إبراهيم أن يجعل الله هذا البلد (مكة) في أمن و طمأنينة، ودعاؤه أن يرزق أهله من أصناف الشمار وأطبيها.

ويخلص الوصف إلى ما يأتي:

-الظرف "إِذْ" اسم مبني على السكون، مشبه بالحرف، يعد في أصل استعماله ظرفاً دالاً على الزمن الماضي. ومع هذه الدلالة الأساسية لـ "إِذْ" على الزمن الماضي، إلا أنها تستخدم أحياناً في سياق الدلالة على ما يستقبل من الزمن، وأحياناً على الزمن الحاضر، ولكنه استخدام مؤول لا يخرجها عن أصل دلالتها على الزمن الماضي. وينصب هذا الظرف حسب موقعه في الجمل، وقد خرج عن الظرفية –في هذه الصورة– لأن الفعل لم يقع فيه، وإنما وقع عليه.

-تميز جمل هذه الصورة بالاختصار، حيث تم حذف المسند (الفعل)، والمسند إليه (الفاعل)، ودللت عليهما القراءان المقامية، لأن الكلام في السرد القصصي، والتقدير: اذكروا، أو اذكر...

-تنوع الجمل التي أضيفت إليها "إِذْ" بين فعلية و اسمية، كما أشار النحاة، وهي بصيغة الماضي بعدها في اثنين و ستين موضعًا، وبصيغة المضارع في عشر مواضع، وذلك لاستحضار صورة الماضي، وكأن الأحداث تقع

(1) ينظر، خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتركيبها، ص 90، 91، وسعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص 135، 136.

(2) ينظر، ابن قبيطة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص 63.

في الحال. وهذا معنى قول النحاة أن "إذ" تخلص المضارع إلى الماضي،<sup>(1)</sup> و"إذ" قرينة هذا التنزيل، لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي. وقد أشرت إلى بعض مواضع إضافتها إلى جملة ماضوية، وادرك مواضع إضافتها إلى جملة مضارعية: البقرة الآية: (127)، والأنفال، الآيات: (30، 11، 09، 43، 44، 49)، والأحزاب، الآيات: (37، 12).

-اتصاف تلك الجمل المتعاطفة بترابط الأجزاء وتناسبها تناسباً قوياً مما جعلها تشكل قصة متحدة للأجزاء متعانقة الأحداث. ويتبين من خلال جزئيات القصة جودة سبك القرآن وأحكام سرده، ومنعى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله مبلغاً لا يقاريه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وأفكاره، وتلوينه في الموضوع الواحد. وكان أغلب جمل هذه الصورة تتحدث عن قصص بني إسرائيل في أسلوب قصصي قصد التذكير والاعتبار. ويکاد يكون هذا النمط من سمات القرآن المدني، لأن أغلبه ورد في السور المدنية.

### **الصورة الثانية عشرة: مسند + مسند إليه+ مفعول به + ظرف مكان+ مضاف إليه.**

من هذه الصورة قوله تعالى: «فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».<sup>(2)</sup>

فعل الأمر مسند إلى المخاطب وجوباً "أنت" -المخاطب به الله تعالى- والمفعول به "نا" دال على المخاطبين، وهم الحواريون، وظرف المكان "مع" حرف إضافة يجر ما بعده كحرف الجر.<sup>(3)</sup> وهو يدل على المصاحبة والاجتماع، وقد تعلق بـ"اكتبنا". وفي هذه الجملة حذف، والتقدير: "فاكتبنا مع الشاهدين لك بالوحدةانية".<sup>(4)</sup>

والأمر دلالته دعاء، والدعاء صادر من الحواريين، دعوا الله بأن يجعلهم مع الشاهدين، أي: مع الذين شهدوا لرسول الله بالتبليغ وبالصدق. ودعاؤهم - هنا - يدل على أنهم تلقنوا من نبيهم عيسى فضائل وتعاليم تجعلهم يشهدون للرسول بالصدق. وتلك الفضيلة تعد مبادرة بتصديق الرسل عند بعثتهم حين يكذبهم الناس بادئ الأمر. أو أنهم أرادوا بدعائهم أن يكتبهم الله مع الشاهدين على بعثة الرسول الذي أخبرهم نبيهم عنه بأنه يأتي بعده، فيكونوا شهادة على مجده وشهادته بصدق نبيهم، لأن كلمة "الشاهدين" تشير إلى ما في بشارة عيسى عليه السلام.

وتكرر دعاؤهم فيما يماثل هذه الصورة في قوله: «وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ».<sup>(5)</sup>

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 3/60، ابن هشام، أوضح المسالك، 1/379، والكتفوبي، الكليات، أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993، ص69.

(2) آل عمران، 53، والمائدة، 83.

(3) ينظر، عبد الجبار توامة، القرآن المعنوية في النحو العربي، بحث مقدم لليلى شهادة الدكتوراه في النحو العربي، مكتوب بالحاسوب، جامعة باتنة، 1994، 1995، ص479.

(4) ينظر، العكري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1979، 1، 136.

(5) آل عمران، 193.

فقد سألوا الله الوفاة مع الأبرار، أي أن يموتونا على حالة البر، وذلك بأن يلزمهم البر إلى الممات، وأن لا يرتدوا عن دينهم. فإذا ماتوا وهم كذلك ماتوا بصحبة الأبرار. والظرفية المكانية "مع" دلت على المصاحبة أو المعية، وتعني المشاركة والاجتماع في الحالة الكاملة للأبرار. والمعية في قوله: "مع الأبرار" أبلغ في الاتصال بالدلالة، لأنه بر يرجى استمراره لكون الداعين ضمن جموع متديño الرسول يمدحهم بالأيات فيزيدهم إقبالاً على البر وعمل الخير. المعنى: توفنا أبراً معدودين في جملة الأبرار.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: **﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾**.<sup>(1)</sup>

الخطاب للملائكة، لأن الضمير المتصل بالفعل (المسنن إليه) عائد إليهم في الآية. والفعل متعدد، والمفعول به مخدوف، والتقدير: اضرروا أعلى عناق المشركين، وهو بين من السياق، وقال أبو عبيدة: "مجاز" على الأعنق، يقال: ضربته فوق الرأس، و ضربته على الرأس".<sup>(2)</sup> وقال الزخيري: "يعني ضرب الham".<sup>(3)</sup> وعلى هذا المعنى يكون الظرف "فوق" متعلقاً بصفة مخدوفة، والتقدير: الرؤوس الكائنة فوق الأعناق. وإنما خصت الأعناق، لأن الضرب في الأعلى يسرع بhem إلى الموت، وفيه إتلاف لأجسادهم، وقال ابن عطية: "ويمتحمل عندي أن يريد بقوله: "فوق الأعنق" وصف أبلغ ضربات العنق وأحكامها وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق دون عظم الرأس في المفصل"،<sup>(4)</sup> وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة بقطع الأعنق بواسطة فعل على كيفية حارقة للعادة، ويكون إسناد الضرب عندئذ حقيقة، ويجوز أن يكون بتسليد ضربات المسلمين، ويكون حينئذ إسناد الضرب إلى الملائكة مجازاً، لأنهم المتسبيرون فيه.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: **﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الْرَاكِعِينَ﴾**.<sup>(5)</sup>

الأمر لليهود بالركوع مع الراكعين، والمراد بالراكعين المسلمون. وفي هذه الجملة تأكيد لمعنى الصلاة، لأن لليهود صلاة لا رکوع فيها، ولکيلا يقولوا إننا نقيم صلاتنا على الوجه الأكمل دفع الله هذا التوهم، فأمرهم بالركوع مع المسلمين منها إياهم على أن ذلك مطلوب في صلاة المسلمين .

وفي هذا الأمر إشارة إلى وجوب أداء الصلاة بكامل أركانها وشروطها، وفيه إيماء كذلك إلى وجوب ماثلة المسلمين في تطبيق أحكام الشريعة.

وكذلك قوله: **﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْفَاغِدِينَ﴾**.<sup>(6)</sup> الخطاب- بدلالـة السياق- للمنافقين الذين أبو اللحاق بالمسلمين إلى ساحة القتال، المعنى: أقيموا وليس أمراً بالقعود الذي هو نظير الجلوس، وإنما المراد منعهم من

(1) الأنفال، 12.

(2) مجاز القرآن، 242/1.

(3) الكشاف، 2/148.

(4) المحرر الوجيز، 6/239.

(5) البقرة، 43.

(6) التوبة، 46.

الخروج للقتال في صف المسلمين. وقد أخبر القرآن أن الرسول ﷺ قال لهم ذلك بعبارة تدل على الذم، لأن القاعدين عن القتال في حقيقة الأمر هم الضعفاء من صبيان ونساء وذوي عاهة.

وتكرر خطابهم عقب ذلك تأكيداً للكلام السابق في قوله: **﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾**.<sup>(1)</sup> والخالفون هم "جميع من تخلف من نساء وصبيان وأهل عذر".<sup>(2)</sup> ويدل عن ابن عباس أن المراد بالخالفين: "الرجال الذين تخلفوا عن النفور"<sup>(3)</sup>، فبه القرآن على ذمهم وإلحاقيهم بالخالفين، والخوالف: هم النساء والصبيان والعجزة، لأن شأنهم المكتوب في البيت.

ويعاشر هذه الصورة قوله تعالى: **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾**.<sup>(4)</sup>

قرأ الجمهور: "بين أخويكم"<sup>(5)</sup> بلحظة ثنائية الأخ، فردوه على اللفظ دون المعنى، أي: بين الطائفة والأخرى مراعاة لسياق الكلام على اقتتال الطائفتين، لأن جملة الأمر هذه تفرع من جملة: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾**. في الآية السابقة-ومعنى الأخرين-هنا- كل مقتليين من المؤمنين.

وقرأ يعقوب: "بين إخوتكم"<sup>(6)</sup> على أنه جمع أخ باعتبار أن كل فرد من الطائفتين المذكورتين كالأخ. والاحتياط صيغة الثنائية في "أخويكم" مراعاة لكون الكلام جار على طائفتين من المؤمنين، فجعلت كل طائفة كالأخ للأخر، وفي هذا دليل على جواز إطلاق لفظ الإخوة بين المؤمنين من جهة الدين، وفي مضمون الأمر دليل على أن من رحى صلاح ما بين متعدديين من المؤمنين أن عليه الإصلاح بينهما،<sup>(8)</sup> ويدل الأمر على وجوب مبادرة المسلمين إلى إصلاح ذات البين كلما حصل خلل أو فساد فيها.

ويلحق بهذه الصورة - أيضاً - قوله: **﴿فَسِيِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَمْرَأَةً أَشْهُرٍ﴾**.<sup>(9)</sup>

تتألف بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، وجار و مجرور "في الأرض" متعلق بحال ، معنى: فسروا آمنين، وظرف زمان "أربعة" مضاد إلى "أشهر".

(1) التوبة، 83.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 6/587.

(3) ابن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 269.

(4) الحجرات، 10.

(5) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 26/389، وأبو رزعة، حجة القراءات، ص 676، وابن الجزري، النشر، 2/376.

(6) يعقوب: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة، برع في الإقراء، انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 158/157.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/564، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/111، وابن الجزري، النشر، 2/376.

(8) ينظر، الجصاص، أحكام القرآن، ضبط وتخرجيف، عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1994، 3/536، 3/537.

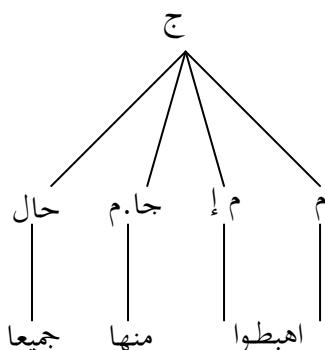
(9) التوبة، 2.

والخطاب للمشركين الذين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ؛ فضمير الخطاب المتصل بفعل الأمر يدل على أن الأمر موجه إليهم ، وذلك التفات ، لأن التقدير : فليسيحوا في الأرض ، أو قل لهم يا محمد : سيحوا في الأرض ، وغاية هذا الالتفات إيصال الإنذار إليهم مباشرة ، وفي هذا الأمر إيدان بوجوب القتال في غير الأشهر الحرم ، وبأن مادون تلك الأشهر قتال بين المسلمين والمشركين.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في البقرة ، الآيات : (43) والتوبة ، الآيات : (83)، والتحريم ، الآية : (10)، والإنسان ، الآيات : (25، 26).

### الصورة الثالثة عشرة : مسند + مسند إليه + جار و مجرور + حال.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿قُنَّا هَبَطْوَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.<sup>(1)</sup>



الأمر بالهبوط موجه إلى آدم و حواء . والمقصود هما وذرتهما ، لأنهما لما كانا أصل الإنسان جعلا كأنهما الإنس كلهم<sup>(2)</sup> ، وقيل: إيليس معهما كذلك<sup>(3)</sup> ، والهبوط حقيقة النزول من علو إلى أسفل ، وهو - هنا - من الجنة إلى الأرض .

وقرأ أبو حبيبة: "اهبطوا" بضم الباء<sup>(4)</sup> ، ومضارعه يهبط ، ويهبط ، بكسر الباء وضمها<sup>(5)</sup> ، ويدعم القراءة بالضم أن صيغة "ي فعل" تأتي كثيرا في غير المتعدي<sup>(6)</sup> .

(1) البقرة، 38.

(2) (ينظر، الفرار، معاني القرآن، 31، 1/278، و وهبة الرحيلي، جامع البيان، 1/278، و هبة الرحيلي، التفسير المنبر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1991، 137/1).

(3) (ينظر، ابن القيم، التفسير القيم، حققه محمد حامد الفقى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 135، والكلبي، التسهيل، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط 1، 1995، 1/63، وأحمد مصطفى الم Waghi، التفسير، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 92/1).

(4) (ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/257، والقرطبي، الجامع، 1/319).

(5) (ينظر، أبو حيان، البحر المعحيط، 1/311).

(6) (ينظر، القرطبي، الجامع، 1/319).

والامر- هنا- تعلق به الجار والمحرر "منها". وجئ بالحال "جيمعاً" ، للتأكد وهو الحال من الضمير المتصل بالسند. وقد تكرر الأمر بالمبוט للتأكيد، إذ سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَقُنْتَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقِرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب- هنا- لآدم وحواء أو لآدم وإبليس، ولم يذكر الزوجة، لأنها تبع له<sup>(2)</sup>. ويرى ابن عاشور أن هذه الجملة كررت لأجل ربط النظم من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذي خطبه آدم، فيكون هذا التكرير مجرد اتصال ما تعلق بمدلول "قُنْتَ اهْبِطُوا" ، وذلك قوله: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ" ، وقوله: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيَ هُدًى" إذ قد فصل بين هذين المتعلقين ما اعترض بينهما من قوله: "قُتْلَقَ أَدْمُ مِنْ مَرْبِيهِ" . فإنه لو عقب ذلك بقوله: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيَ هُدًى" لم يرتبط كمال الارتباط، ولتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين على عادة القرآن في التفنن، فلدفع ذلك أعيد، قوله: "قُنْتَ اهْبِطُوا" ، فهو قول واحد كرر مرتين لربط الكلام، ولذلك لم يعطف "قُنْتَ" ، لأن بينهما شبه كمال الاتصال.<sup>(3)</sup> في تحليل ابن عاشور لهذا تتضح وظيفة الربط، إلا أنه حكمته- التكرير- مقتضيات تداولية عبر عنها هذا العالم "بتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين" ، إضافة إلى مقتضى خطابي صرف متعلق بتماسك الخطاب، وهو ما اعترض بين القولين، وقد استخدم هذا التكرير لوصل ما انقطع بين الجملتين.<sup>(4)</sup>

ويلحظ أن مضمون جملة الأمر قد خصص بثلاث جمل حالية، أي: اهبطوا متعددين ومستقرين في الأرض ومتمعنين إلى حين.

ومن هذه الصورة- أيضا- قوله: ﴿ وَقُومُوا لِللهِ قَاتِنِينَ ﴾<sup>(5)</sup>.

فعل الأمر مسند إلى واو الجماعة، ووجه الخطاب به لل المسلمين القائمين للصلوة، وقد تعلق به الجار والمحرر "للله" ، والحال "قانتين" حددت كيفية حدوث الفعل المأمور به.

واختلف في معنى "قانتين" ، فقال بعض العلماء معناه: مطيعين<sup>(6)</sup> ، وقال الزمخشري: ذاكرين الله في القيام<sup>(7)</sup> ، والأظهر حمله على السكوت، إذ صح أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزل قوله:

1) البقرة، 36.

2) ينظر، بن القيم، الفسر القيم، ص 135.

3) ينظر، التحرير والتنوير، 1/440.

4) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 180.

5) البقرة، 238.

6) ينظر، ابن عباس، تنویر المقیاس، ص 43، والطبری، جامع البیان، 2/584، والشوکانی، فتح القدیر، 1/327.

7) ينظر، الكشاف، 1/376.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَاتِلِينَ﴾، فأمروا بالسکوت<sup>(1)</sup>، والمعنى: قوموا في الصلاة لله ساكتين؛ لا تتكلمون بغير آي القرآن والمناجاة والدعاء بحسب تنظيم الإسلام أحوال الصلاة.

وكذلك قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.<sup>(2)</sup>

ال فعل "اعتصم" يتعدى بالباء، وقد تطرح الباء، تقول العرب: اعتصمت بك واعتصمتك<sup>(3)</sup>. وقد أمر الله المسلمين بالاعتصام بحبله. والحبل في حقيقته ما يشد به للارتفاع. المراد به هنا -كتاب الله (القرآن). وروي عنه أنه قال: "القرآن حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تریغ به الأهواء".<sup>(4)</sup>

ويحتمل أن يكون الكلام من باب التمثيل لهيئة التفافهم واجتماعهم على كتاب الله. ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة؛ استعارة الحبل للعهد والاعتصام للوثوق بالعهد<sup>(5)</sup>. والأول أرجح، لأن إضافة "حبل" إلى "الله" قرينة على هذا التمثيل. والحال في قوله "جيمعاً" ترجع إرادة التمثيل، إذ ليس المراد الأمر باعتصام كل مسلم بكتاب الله في حال انفراده، بل المراد باعتصام الأمة الإسلامية كلها. ويحصل ضمنياً اعتصام كل فرد من أفراد الأمة بالقرآن. فالأمر لهم أن يكونوا على تلك الهيئة، فإذا كانوا عليها أمنوا من السقوط، وكأن الآخذين بحبل الله قوم أو أمة على نشر من الأرض، يخشى عليهم السقوط منه، فأخذوا بحبل موثق جمعوا به قوتهم فامتنعوا من السقوط<sup>(6)</sup>. فالمسلمون إن اعتصموا بالقرآن وتمسكون به كانوا آخذين بالإسلام وصاروا قوة عظيمة تحابها الأمم الكافرة.

وبلغت بهذه الصورة قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾.<sup>(7)</sup>

الظاهر من البنية السطحية للجملة أن الأمر لبني إسرائيل، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداء (جملة الأمر)-في الآية السابقة-وقيل: الأمر لکعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم<sup>(8)</sup>. والظاهر اتحاد المأمور، ويندرج فيه کعب ومن معه<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 2/485، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/333، ونظم الدين اليسابوري، غرائب القرآن، ضبط وتحريف زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، 656/2.

(2) آل عمران، 103.

(3) ينظر ، الفراء، معاني القرآن، 1/228.

(4) أخرجه الترمذى في الجامع الصحيح، 5/159، (كتاب فضائل القرآن).

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/21.

(6) ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 4/20.

(7) البقرة، 41.

(8) ينظر، البغوى، معالم التنزيل، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1987، 1/67، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/332.

(9) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 1/332.

وفي تعليق الأمر باسم الموصول "ما" في قوله: "بما أنزلت"، أي الذي أنزلت. والعائد محنوف تقديره: أنزلته، أي أنزلته دون غيره نحو القرآن، أو هذا الكتاب. وفيه إشارة إلى تعليل الأمر بالإيمان به، وهو أنه منزّل من الله. وبنوا إسرائيل قد أوصوا بالإيمان بكل كتاب ثبت أنه منزّل من الله، لما فيه من التوحيد والنبوة، ولهذا جيء بالحال المؤكدة "مصدقاً" التي هي علة الصلة، إذ جعل كون القرآن مصدقاً ومؤيداً لما في التوراة عالمة على أنه من عند الله. وهذه العالمة الريانية لأهل العلم من أهل الكتاب؛ فكلما جعل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الإعجاز اللغوي عالمة على كون القرآن من عند الله لأرباب الفصاحة والبيان من العرب، كذلك جعل الإعجاز المعنوي، وهو اشتغاله على المدى الذي هو شأن الكتب السماوية عالمة مميزة على أنه من عنده لأهل الدين. والإيمان بالقرآن يتطلب الإيمان بالذي جاء به وبالذي أنزله. والمقصود بقوله: "لما معهم": التوراة وكتب الأنبياء السابقة، ومعلوم أن الله تعالى إنما ذكرهم بما معهم، ليكون حجّة عليهم في وجوب الإيمان بـبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وما جاء به.

ويلحق بهذه الصورة قوله: «اقرُوا خفافاً وثقالاً».<sup>(1)</sup>

تحتختلف هذه الجملة عن سابقتها —من هذه الصورة— في تعدد الحال بواسطة العطف، وفي حذف المتعلق "الحار والجرور"، والتقدير: انفروا للقتال خفافاً وثقالاً.

الخطاب للمؤمنين الذين سبق عتابهم بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ افْرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأْلَتْمَ إِلَى الْأَرْضِ». وقد أمروا بالتفير في سبيل الله.

و"انفروا" بمعنى: اخرجوا للحرب، ومصدره النفر - بإسكان الفاء - بخلاف نفر، ينفر - بضم العين - في المضارع، فمصدره النفور<sup>(2)</sup>. والمراد هنا - الحث على الجهاد والدعوة إليه، ومنه قول النبي ﷺ: "إذا استنفرتم فانفروا"<sup>(3)</sup>، فهو أمر لل المسلمين بالخروج جمعاً للاقتال العدو "خفافاً" و"ثقالاً"، والخفاف والثقال - هنا - مستعاران لما يشابههما من أحوال الجيش، فالخلفة تستuar للإسراع إلى القتال، وكانوا يتمادحون بذلك لدلائلها على الشجاعة، والثقل الذي يناسب هذا هو الثبات أمام العدو، وقد تستuar الخفة لمن يمكنه السفر بيسراً<sup>(4)</sup>. وقد تستuar لقلة عدد الجيش، كما تستuar للنشاط، والثقل لغيره.

وكل هذه المعاني تصلح للمراد من الجملة، ولما وقع "خفافاً" و"ثقالاً" حالاً من المسند إليه في "انفروا" كان احتمال أن تكون الحال مقدرة، والواو العاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى للتنويع أو التقسيم؛ فهي بمعنى "أو" المفيدة للتخيير. والمراد الأمر بالتفير في جميع الأحوال، فهو أمر بالتفير العام مع رسول الله عام غزوة تبوك لقتال

(1) التوبة، 41.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 5/224، (نفر).

(3) رواه البخاري في صحيحه، 3/285، (باب وجوب التفير).

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المعجط، 5/46.

أعداء الله من الروم والكفرة من أهل الكتاب. وقد نزلت في الذين اعتذروا بالضياعة والشغل، فأبى الله أن يقبل عذرهم دون أن ينفروا على ما كان من حاهم<sup>(1)</sup>، ولذلك ينصرف الأمر إلى الوجوب.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿أَنْفَقُوا طُهْرًا أَوْ كَرَّهَا﴾<sup>(2)</sup>.

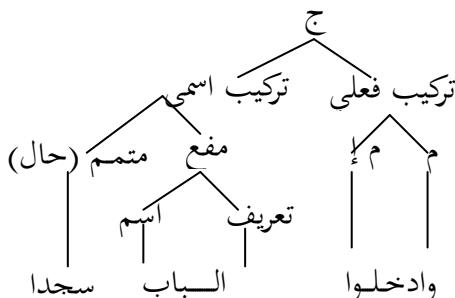
الخطاب للمنافقين بدلالة سياق الآية، والمعنى: أنفقوا أموالكم في سبيل الله—أيها المنافقون—طائعين أو مكرهين. وفي معنى الأمر توبیخ وتحذید.

وقد يتکرر العامل في الحال كما في قوله: ﴿فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾<sup>(3)</sup>.

تکرر المسند و المسند إليه "أو الجماعة" في "انفروا"، وهذا لتأكيد الخطاب، لأنّه يصح أن يستغنى عن هذا التکرار، فيقال: انفروا ثبات أو جميعاً، وانتصب "ثبات" على الحال. ويدکر عن ابن عباس أنه قال: إنّ معنى "انفروا ثبات": سرايا متفرقين<sup>(4)</sup>، وعطف عليه "جميعاً"، بمعنى: جيشاً واحداً. والإیتیان بـ"أو" العاطفة لإفاده التخيیر، أي: اخرجوا مع رسولکم إلى الجهاد جماعة جماعة، وسرية سرية، أو کتبية واحدة مجتمعة.

**الصورة الرابعة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به + حال.**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾<sup>(5)</sup>.



الأمر لبني إسرائيل بقرينة المقام والسياق. وجملة الأمر هذه معطوفة على جملة: "ادخلوا هذه القرية" — في هذه الآية — والمراد بالقرية المشار إليها بيت المقدس<sup>(6)</sup>.

والمفعول به "الباب" مراد به باب القرية التي أمروا بدخولها، لأن "ال" متعينة للعوضية عن المضاف إليه الدال عليه اللفظ المتقدم في الجملة المعطوف عليها. و"سجداً" حال من الضمير (المسند إليه) في "ادخلوا". والظاهر أن المقصود من السجود مطلق الانحناء لإظهار الضعف لكي لا يتتبه لهم أهل القرية. وهذا من أساليب

(1) ينظر، الواحدی، أسباب النزول، ص 207.

(2) التوبیة، 53.

(3) النساء، 71.

(4) ينظر، تویر المقابس، ص 74.

(5) البقرة، 58.

(6) ينظر، ابن عطیة، المحرر الوجيز، 1/306، والماوردي، 1/125.

الجوسسة. ويبعد احتمال أن يكون السجود المأمور به شكرًا لله، لأنهم دخلوا متجلسين لا فاتحين.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا حبة في شعرة"<sup>(1)</sup>. وكان قصدهم من قوله هذا خلاف ما أمرهم به نبيهم موسى عليه السلام فهم قد بدلوا وصيته<sup>(2)</sup>، ودخلوا زاحفين على ركبهم عناها.

وبديل القول بغيره أقل على المخالف والعصيان، فكأنه قيل: إنهم خالفوا الأمر خلافاً لا يقبل التأويل، وكانوا بذلك من القوم الفاسقين.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: «فَإِنْ طِينَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِئًا مَرِيًّا»<sup>(3)</sup>.

الخطاب في هذه الجملة فيه خلاف، فهو للأزواج أم للأولياء؟ قال الفراء: إن الأمر مخاطبة للأولياء<sup>(4)</sup>. وقال البغوي وأخرون: مخاطب به الأزواج، ويدل بعمومه على أن هبة المرأة صداقها جائز، وبه قال جمهور الفقهاء<sup>(5)</sup>. وقيل: إن سبب نزول الآية أن قوماً تحرجوا أن يرجع إليهم شيء مما دفعوا إلى الزوجات<sup>(6)</sup>.

هذه الجملة شرطية جوابها "فكلوه هنيئاً مريئاً"، ولذلك ارتبط الجواب بالفاء. وـ"هنيئاً" وـ"مريئاً" حالان من الضمير المنصوب في "كلوه" ، أي: فكلوه وهو هنيء ومريء، أي: لا تنفيص فيه. وتعدد الحال يدل على المبالغة في الإباحة. وقال سيبويه: هما صفتان نصبوهما نصب المصادر المدعى بالفعل غير المستعمل إظهاره المختزل للدلالة التي في الكلام عليه، كأنهم قالوا: ثبت ذلك هنيئاً مريئاً<sup>(7)</sup>.

والضمير في "منه" عائد على الصداق – في الآية – فيكون متناولاً بعضاً، لأن "من" تدل على البعضية. ولو وقع الضمير موقع "صدقاتهن" لكان جائزًا، قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد، فيكون متناولاً بعضاً، ولو أنت لتناول ظاهره هبة الصداق كلها، لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعداً"<sup>(8)</sup> . وقال أبو حيان: "حسن تذكير الضمير، لأن معنى "فإن طبن" ، فإن طابت كل واحدة، فلذلك قال: "منه" ، أي: من صداقها"<sup>(9)</sup>.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، 480/4، (كتاب أحاديث الأنبياء)، ومسلم، 2312/4، (كتاب التفسير).

(2) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 38/1، والقرطبي، الجامع، 411/1.

(3) النساء، 4.

(4) ينظر، معاني القرآن، 1/256.

(5) ينظر، معالم التنزيل، 1/392، وابن الجوزي، زاد المسير، 2/10، والقرطبي، الجامع، 5/24.

(6) ينظر، الطبراني، جامع البيان، 4/585.

(7) ينظر، الكتاب، 1/316.

(8) الكشاف، 1/499.

(9) البحر المحيط، 3/174، 175/3.

ومعنى الجملة: فإن طابت أنفسهن لكم بشيء من الصداق فانتفعوا به حلالا، والأمر على سبيل الإباحة. ويلحق بهذه الصورة قوله: **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾**<sup>(1)</sup>.

انتصب "صواف" على الحال من الضمير المجرور في "عليها". ولعل فائدة هذه الحال ذكر محسن من مشاهدة البدن، وهي الإبل العظيمة البدن. فإن إيقاف الناس بدنهم للنحر وهي منتظمة مما يزيد هيئتها روعة وجلالا.

و"صواف": قراءة الجمهور—فتح الفاء وشدها—من صَفَّ، يصُفُّ، وواحدة صواف، جمع صافة<sup>(2)</sup>، يقال: صف إذا كان مع غيره صفا بأنه اتصل به<sup>(3)</sup>. ولعل المسلمين كانوا يصفون الإبل في المنحر يوم النحر بيئيًّا؛ لأنَّه كان بيئيًّا موضع أعد للنحر، وهو المنحر، أو أنها كانت تقلع منها قائمة واحدة، وتُصفَّ على ثلات فتنحر وهي كذلك<sup>(4)</sup>، وقرأ الحسن: "صوافي" جمع صافية<sup>(5)</sup>، أي: حوالص لوجه الله<sup>(6)</sup>، وقرأ الحسن أيضًا: "صوافٍ" على قول من قال: فكسوت عارٍ لحمه، يريد عاريا، ونحو مثل العرب: "اعط القوس باريها"<sup>(7)</sup>. وعن عمرو بن عبيد: "صوافناً" بالتنوين عوضاً عن حرف الإطلاق عن الوقف<sup>(8)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، والأعمش: "صَوَافِنَ" بفتح النون<sup>(9)</sup>، جمع صافنة، والصوافن من صفون الفرس، وهو القائم على ثلات قوائم<sup>(10)</sup>.

والأمر بذكر اسم الله: أن يقال عند النحر أو الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك<sup>(11)</sup>. وهو أمر ظاهره الوجوب، وقد أخذ بظاهره بعض الأئمة والعلماء، فأوجبوا التسمية على الذبيحة<sup>(12)</sup>. والأصح أنها مندوبة، والأمر مؤول على الندب أو الاستحباب<sup>(13)</sup>.

(1) الحج، 36.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 10/281.

(3) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 9/194، (صف).

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 17/153.

(5) ينظر، القراء، معانى القرآن، 2/226، والقرطبي، الجامع، 12/61.

(6) ينظر، المصدر السابق، 2/226، والطبرى، جامع البيان، 17/154.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 6/342.

(8) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/15، والرازي، مفاتيح الغيب، 23/32.

(9) ينظر، القراء، معانى القرآن، 2/226، والقرطبي، الجامع، 12/62.

(10) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 2/535، (صف).

(11) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 17/153، والمجشري، الكشاف، 3/14.

(12) ينظر، ابن قدامى، المغنى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983/11، 33، 32، وابن حزم، المحلى بالأثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البندارى، (د.ت)،

(13) وجابر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط. 2، 1996/3، 477/6.

(14) ينظر، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، 17/220.

ومعنى الجملة: اذكروا اسم الله على البدن حين نحركم إياها قائمات قد صفدن أيديهن وأرجلهن.

## **الصورة الخامسة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به أول + مفعول به ثان +**

حال.

من هذه الصورة قوله تعالى: **«وَأَتَوْا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً»<sup>(1)</sup>.**

فعل الأمر تعدد إلى مفعولين ليس أصلها المبتدأ والخبر، وهما: "النساء" و "صدقتهن" المضاف إلى الضمير "هن"، أما "نحله" فحال من "صدقتهن"، وإنما صح بجيء الحال المفردة وصاحبها جمع، لأن المراد بهذا المفرد الجنس الصالح للأفراد كلها<sup>(2)</sup>.

ويجوز أن يكون "نحله" منصوب على المصدرية لـ "آتوا"، لبيان النوع من الإيتاء، لأن النحله والإيتاء معنى الإعطاء، فكأنه قيل: **وأنخلوا النساء صدقتهن نحله**<sup>(3)</sup>.

ومعنى "نحله" -بكسر النون- لغة: عطية، ونحل المرأة مهرها، تقول أعطيتها نحله، إذ لم ترد منها عوضا<sup>(4)</sup>. وسميت الصدقات "نحله" إبعادا للصدقات عن أنواع الأعضاء، إذ ليس الصداق عوضا عن التمتع بالمرأة؛ فهو عقد بينها وبين الرجل. والقصد منه المعاشرة، وإيجاد أواصر الحبة وتبادل الحقوق.

والمحاطب بالأمر في امثال هذا الإيتاء هو كل من له دور في العمل بذلك؛ فهو خطاب لكل من يد من الأزواج والأولياء وولاة الأمور الذين لهم سطوة في الضرب على أيدي ظلمة الحقوق أصحابها. والمقصود بالخطاب أولا هم الأزواج<sup>(5)</sup>، لكيلا يحتاجوا أو يتذரعوا بحياة أزواجهن وضعفهن، فيأخذوا مهورهن أو يجعلوا حاجتهن للتزوج قصد إيجاد ذريعة لإسقاط المهر. وقال بعض العلماء: الخطاب لأولياء النساء، لأن عادة بعض العرب أن يأكل ولி المرأة مهرها، فرفع الله ذلك بالإسلام<sup>(6)</sup>. وأوجب عليهم إيتاءهن ما فرض لهن، وأحل للأزواج كل ما طاب نسائهم عنه نفسا<sup>(7)</sup>.

وفي الأمر دلالة على وجوب الصداق للمرأة، وعدم الأخذ منه إلا عن طيب نفس، والمعنى: اعطوا النساء مهورهن فريضة، لأن المهر نحله من الله تعالى للنساء، حيث لم يوجب عليهن وأوجب لهن تكرما.

ومن هذه الصورة -أيضا- قوله: **«فَإِنْ تُهْنَّ أَجُورُهُنَّ فِرِيضَةٌ»<sup>(8)</sup>.**

(1) النساء، 4.

(2) ينظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 325.

(3) ينظر، العكري، البيان في إعراب القرآن، 1/329.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 11/650.

(5) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 1/332، والواحدى، الوسيط، 9/2، والقرطبي، الجامع، 5/23.

(6) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 1/256، والسامقندى، بحر العلوم، 1/332.

(7) ينظر، الشافعى، أحكام القرآن، 1/140.

(8) النساء، 24.

الأمر للرجال، وذلك بأن يعطوا النساء أجورهن فريضة. قوله "فريضة" حال من المفعول به "أجورهن"، بمعنى: مفروضة، أو مصدر (مفعول مطلق)، أي: فرض ذلك فريضة.

وهذه الجملة جملة جواب الشرط، وجملة الشرط – في هذه الآية – في قوله: **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُ﴾**. ولذلك قرن الجواب بالفاء، والاستمتاع: الانتفاع أو التلذذ، والمراد: التلذذ بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، والأجور: المهر، ويسمى المهر أجرًا، لأنّه أجر الاستمتاع، وذلك دليل على أنه في مقابلة البضع، لأنّ ما يقابل المنفعة يسمى أجرًا. المعنى: مما استمتعتم بشيء منهن أجورهن؛ فلا يجوز استمتاع بمن دون مهر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: **﴿وَاتُّوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَكَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾**<sup>(1)</sup>.

الخطاب بدلالة سياق الآية لولاة الإماء (السادة)، ليعطوا مهور ما ملكت أيديهم بغير مطل وضرار. ويدل الأمر على وجوب المهر في النكاح، وأنه للإماء بحكم النص، ويؤكد هذا إضافة الأجور إليهن، فهو دليل على أن الأمة أحق من مهرها من سيدها.

والحال في قوله: "محصنات" حال من ضمير الإماء، والإحسان التزوج الصحيح، فهي حال مقدرة، أي: آتوهن أجورهن في حال تزويجهن ليصرن محصنات، لا في حال سفاح، ولا اتخاذ خدن<sup>(2)</sup>.

فقد استثنى القرآن المسافحات في قوله: "غير مسافحات"، فـ"غير" صفة للحال، وكذلك ولا "متخذات أخدان". فأراد التشريع بما كانت تفعله الإماء في الجاهلية بإذن مواليهن لاكتساب المال بالبغاء؛ فقد كان منها المسافحات، أي: الزواني في العلانية، والمتخذات أخدان، الائتى لهن أصدقاء على الفاحشة.

ويلحق بهذه الصورة كذلك قوله: **﴿أَمَّنَ اللَّهُ جَهَرَة﴾**<sup>(3)</sup>.

الذين" قالوا أرنا الله جهرة" هم اليهود بدلالة السياق، وقد سألوا نبيهم موسى ذلك من قبل. وقد أخرج ابن حجر الطبرى عن ابن حرب، قال: إن اليهود والنصارى قالوا: **محمد ﷺ** "لن نباعنك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان إنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله"<sup>(4)</sup>، وهكذا ذكروا أسماء معينة من أحبائهم، ومقصدهم من وراء ذلك إلا التمعن لا طلب الحجة لأجل الإقناع، وأخبر الله رسوله محمدًا بأن اليهود "سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة"- الآية-.

25) النساء، 1).

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/232.

(3) النساء، 153).

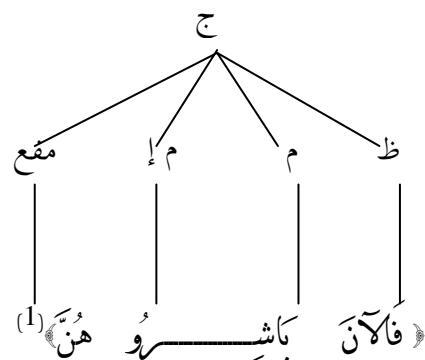
(4) جامع البيان، 6/346.

وقدر العلماء قبل هذه الجملة كلاما مخدوفا، فجعله الزمخشري شرطا لهذا جوابه، وتقديره: "إن استكبرت ما سأله منك، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك"<sup>(1)</sup>، وقدره ابن عطية: "فلا تبالي يا محمد عن سؤالهم وتشطط لهم، فإنها عادتهم، فقد سألوا موسى"<sup>(2)</sup>، وأسند السؤال إليهم، وإن كان إنما وقع من نقبائهم السبعين، لأنهم راضون ومكتنعون بفعل آبائهم ومضاهين لهم في التعتن والتجرير<sup>(3)</sup>، فهم لما سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ما أرادوا التنعم بالمشاهدة، ولكنهم أرادوا عجبا يشاهدونه، فلذلك قالوا تلك المقوله، ولم يقولوا: يا ليتنا نرى ربنا.

ودل الحال "جهرة" على أنهم سألوا موسى أن يريهم الله علينا، فهو حال من المسند إليه (الفاعل) في "أرنا"، أي حال كونك مجاها لنا في رؤيتك.

**الصورة السادسة عشرة: ظرف زمان + مسند + مسند إليه + (واو الجماعة) + مفعول به.**

تبرز هذه الصورة في الجملة الآتية:



تقدّم ظرف الزمان "الآن" عن المسند والمسند إليه، والأصل: باشروهن الآن، وظرف الزمان "الآن" لا يقيس زمنا مستقلا بنفسه، بل ينص على زمن حدوث الفعل عن طريق الاحتواء<sup>(5)</sup>، ولا يراد به الوقت الحاضر بالحقيقة، بل يشير إلى زمن نزول الحكم الشرعي وما بعده<sup>(6)</sup>،

(1) الكشاف، 577/1.

(2) المحرر الوجيز، 277، 278/4.

(3) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 577/1.

(4) المقرة، 187.

(5) ينظر، توامة عبد الجبار، القرائن المعنية في الحو العربي، ص 136.

(6) ينظر، الزركشي، البرهان، 247/4.

وقد جوز ابن مالك بقاء فعل الأمر المقرن بـ "الآن" مستقبلا<sup>(1)</sup>، وليس كما ذهب بعضهم من أن صيغة الأمر – هنا – مفرغة من الزمن، أو أنها خلو من الدلالة على الزمن البنته<sup>(2)</sup>، فظرف zaman "الآن" لا يشير إلى تشريع المباشرة حينئذ كما يفهم من دلالته الزمنية، بل معناه: فالآن اتضح الحكم الشرعي فباشروهن.

ففي الجملة ترخيص في مباشرة النساء في شهر رمضان ليلاً، وال المباشرة كنайنة عن الجماع، وسميت الجماعة مباشرة ملاصقة بشارة كل من الزوجين بشرة صاحبه، وتتدخل فيه المعانقة واللامسة<sup>(3)</sup>.

وذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية كلاماً مضطرباً، أشهده ما ورد في كتاب التفسير من صحيح البخاري عن حديث البراء بن عازب، قال: "لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلهم، وكان الرجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَفْسَحُكُمْ﴾".<sup>(4)</sup> . ومعنى الجملة: جامعوا نساءكم حلالاً لكم في ليالي رمضان، والأمر يفيد الإباحة.

**الصورة السابعة عشرة: مسند + مسند إليه + جار و مجرور + نائب مفعول مطلق + ظرف مكان + مضاد إليه (جملة فعلية).**

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

فعل الأمر: "كُلًا" الذي اتصلت به ألف الاثنين (المسند إليه) المخاطب به آدم وحواء دليل على أن الخطاب لهما بعد وجود حواء، والجار والمجرور "منها" متعلق بالفعل، والضمير "ها" عائد إلى "الجنة" – في الآية – قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، والتقدير: وكلاً من ثمارها.

والصفة "رغداً" تنوب عن المفعول المطلق، أي: كلاً منها أكل رغداً، فحذف الموصوف "أكلاً"، وأقيمت الصفة مقامه<sup>(6)</sup>، وقيل: "رغداً" مصدر وضع موضع الحال<sup>(7)</sup>، وذلك من قوله: "أكلاً" ، والتقدير: وكلاً حالة كون الأكل رغداً، والمراد المنيء الذي لا عناء فيه، و"حيث" ظرف مكان على حقيقته، والعامل فيه الفعل، وهو مبهم يحتاج إلى جملة تضاف إليه، وتمثلت في قوله: "شئتما".

والمعنى: كلاً الأكل الرغيد من أي موضع من الجنة أردقاً الأكل منه، والأمر على سبيل الإباحة؛ فلم يحظر عليهما مأكلولاً إلا ما وقع النهي عنه.

(1) ينظر، شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، 1990، 21/1.

(2) ينظر، مالك يوسف المظلي، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 123.

(3) ينظر، الوادي، الوسيط، 286/1، والبغوي، معالم التنزيل، 157/1، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 124/2.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح، 186/5، (كتاب تفسير القرآن).

(5) البقرة، 35.

(6) ينظر، العكري، البيان في إعراب القرآن، 1/52.

(7) ينظر، المصدر السابق، 1/52، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/309.

وعاشر هذه الجملة قوله: **﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا﴾**<sup>(1)</sup>.

الخطاب لبني إسرائيل بدلالة السياق. والضمير المحرر في قوله: "منها" عائد إلى القرية المشار إليها في هذه الآية - في قوله: **﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا...﴾**.

ونظير هذه الجملة قوله: **﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾**<sup>(2)</sup>.

تحتختلف هذه الجملة عن سابقتها في شيئين:

أحدهما: إن العطف في السابقة تم بالواو، وهنا تم بالفاء، وقد عرض الرازي لهذا النوع من العطف عند تفسيره للآية (35)، فيقول: "وعطف كُلاً على قوله: "اسْكُنْ" في سورة البقرة بالواو وفي سورة الأعراف بالفاء"<sup>(3)</sup>، والذي دفعه إلى هذا الفرق هو وضع قاعدة في العطف السببي<sup>(4)</sup>، حيث يقول: "كل فعل عطف عليه شيء، وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزاء عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو،

كقوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا..."، فعطف كلو على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها، فكانه قال: إن أدخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق بوجوده، [في حين أن] الأكل لا يختص بوجوده، [أي السكن]... فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء<sup>(5)</sup>. ويرى محمد خطابي أن ما يستفاد من هذا أن الرازي يفرق بين العطف السببي الذي يتم بالفاء (وهو السببي حقاً)، وبين العطف بالواو دون أن يكون سببياً، فرغم أن الواقعية في السورتين معاً هي هي إلا أنها في البقرة معطوفة بالواو، وفي الأعراف بالفاء، والذي رشح الثاني للسببية هو ورود الفعل الثاني معطوفاً بالفاء<sup>(6)</sup>.

ثانيهما: قدم نائب المفعول المطلق "رغداً" هناك على الطرف، وهنا قدم الظرف عليه، والمعنى فيهما واحد. وأما تقدير الرغد هناك فظاهر، لأنه من صفات الأكل، فناسب أن يكون قريباً من عامله، ولا يؤخر عنه، ويفصل بينهما بظرف، وإن لم يكن فاصلاً مؤثراً لمنع اجتماعهما في المعمولية لعامل واحد. وأما هنا فإنه آخر لمناسبة الفاصلة<sup>(7)</sup>. والأمر بالأكل على سبيل الإباحة، وفي معنى الأمر إشارة إلى الشمار الكثيرة هناك.

(1) البقرة، 58.

(2) الأعراف، 19.

(3) مفاتيح الغيب، 5/3.

(4) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 172.

(5) مفاتيح الغيب، 5/3.

(6) لسانيات النص، ص 172.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المعجط، 1/383.

## الصورة الثامنة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية (حتى + جملة مضارعية).

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: **﴿وَقَاتُلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾**<sup>(1)</sup>.

جملة: "حتى لا تكون فتنة" تعليلية بـ: "حتى"، وترى المدرسة البصرية أن الناصب للمضارع بعد "حتى" هو "أن" إلا أنها لا تظهر، ودليلهم أن "حتى" غير ناصبة، وأن "أن" هي الأصل في العمل، وهذا رأي أكثر نحاتها<sup>(2)</sup>، أما الفراهيدية والковفيون فيرون أن الفعل المضارع منصوب بـ: "حتى" دون تقدير "أن"، فهي الناصبة بنفسها<sup>(3)</sup>.

وإذا احتممنا إلى الواقع اللغوي الوارد في النصوص القرآنية لوجدنا أن البنية السطحية تتكون من (حتى + فعل مضارع منصوب)، فالمضارع وقع بعد "حتى" منصوبا، فلم القول بإضمار "أن" وإلغاء عمل "حتى"؟ وإذا كان أغلب أعلام البصرة يرون ما ذهبوا إليه بمسألة اختصاص الأدوات العاملة، فإن الواقع اللغوي لا يعرف وجهاً لهذا الاختصاص، ولا يقبل هذا الالتزام؛ فرأيهم في حقيقة الأمر لا يقبله الواقع اللغوي، بل يثبت خلافه؛ فما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج.

ومن هنا نرى أن المذهب الكوفي أكثر واقعية، وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب الرد على النحوة<sup>(4)</sup>. والأداة "حتى"- هنا- تدل على الغاية والتعليق، فهي يعني "إلى"<sup>(5)</sup>، كما ترافق "كي" التعليلية<sup>(6)</sup>، والمضارع بعدها دال على ترتيب الغاية في المستقبل<sup>(7)</sup>، فيكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها<sup>(8)</sup>، وإذا انتهت الفتنة، فتلوك غاية القتال، والفتنة إلغاء الخوف، واضطراب أمر الناس، والمقصود- هنا- لا تكون فتنة من المشركين، لأن الله جعل انتفاء الفتنة غاية لقتالهم.

(1) البقرة، 193، والأనفال، 39.

(2) ينظر، سبيويه، الكتاب، 3/6، والمbrid، المقتصب، 2/38، والأبا زي، الإنفاق في مسائل الخلاف، وضع هوماشه حسن حمد، باشراف، إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ص 543.

(3) ينظر، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1985، ص 48، والأبا زي، الإنفاق، 2/121، 122.

(4) ينظر، ابن مضاء، الرد على النحوة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 2، 1982، ص 123.

(5) ينظر، الرجاجي، الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1996، ص 191.

(6) ينظر، المصدر السابق، ص 191.

(7) ينظر، الاستريادي، الكافية لابن الحاجب، 2/242.

(8) ينظر، المصدر السابق، 2/242.

ودلالة الجملة على ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة من أن قتال المشركين واجب حتى يدخلوا في الإسلام<sup>(1)</sup>، لأن الأمر بالقتال إنما هو دفاع لأذى المشركين، وتضييق عليهم لمنع الفتنة. والمعنى: قاتلواهم حتى تظهروا عليهم، فلا يفتونكم عن دينكم، فتكونن غاية القتال إزالة الكفر، لأن الواجب في قتال الكفار أن يكون القصد زوال الكفر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَانُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَانُوا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَكَانُوا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوُا الْجِزِيرَةَ عَنْ يَدِهِمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

ظاهر التركيب أن الذين أمر الله بقتالهم ثبت لهم دلالات الأفعال المضارعية الثلاثة المتعاطفة في صلة الموصول، وأن البيان الواقع بعد الصلة بقوله: "من الذين أتوا الكتاب" عائد إلى الموصول لكونه صاحب تلك الصلات، فيقتضي أن المأمور بقتالهم هم أهل الكتاب الذين انتفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر، وتحريم ما حرم الله، والتدين بدین الحق، ولو أنهم يؤمّنون بالله واليوم الآخر، ويحرمون بعض ما حرم الله، ولكنهم لا يدينون بدین الحق، وهو الإسلام، وفي معنى هذه الجملة المتعاطفة تشنيع عليهم بأنهم أتوا الكتاب، ولم يديّنوا بدین الحق الذي جاء به كتابهم، وإنما دانوا بما حرفوه منه، لأن كتابهم الذي أتوا وأصاهم باتباع النبي الآتي من بعد.

والجملة الغائية "حتى يعطوا الجزية" تحدد نهاية القتال، أي: يستمر قتالكم إياهم إلى أن يعطوا الجزية. فقتال أهل الكتاب واجب حتى يدخلوا في حكم الإسلام.

والمسند إليه "واو الجماعة" المتصل بالمسند "يعطوا" عائد إلى "الذين أتوا الكتاب". وقد ارتبط بالمفعول به "الجزية"، والجزية: الخراج المعلوم الذي يدفعونه جزاء ما منحوا من الأمان<sup>(3)</sup>، والجار والمحرور" عن يد" يتعلق بحال، أي: يدفعونها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها.

والجملة الاسمية "وهم صاغرون" حال من ضمير "يعطوا" أي: يعطونها أذلاء غير ممتنعين. وهذه حال لازمة لإعطاء الجزية عن يد، والمقصود تعظيم أمر الحكم الإسلامي، وتحقيق شأن أهل الكفر، ليكون ذلك ردعا لهم في الانخلال عن دينهم الباطل، واتباع دين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

ويلاحظ أن هذه الجملة تميزت بالطول بسبب تعدد العطف، وقد استخدم لتوضيح المعنى. وطول الجملة في السور المدنية سمة غالبة، وذلك لأنها تشتمل على أحكام تشريعية، وكان من البلاغة الإطالة، لأن الإطناب في مقام الإطناب لازم.

(1) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 110-111، الرازي، مفاتيح الغيب، 5/113، وابن عاشور، التحرير والتبوير، 2/347.

(2) التوبة، 29.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 6/460، وأبو بكر جابر الجزائري، أيسر النفاسير، 2/358.

ويلحق بهذه الصورة - كذلك - قوله: «...فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>. جملة الأمر جواب الشرط في قوله: «إِنْ بَغَتْ إِحْدَا هُمَا عَلَى الْأَخْرَى...»، ولذلك ارتبطت بالفاء وجوباً لتغاير الجملتين، والأمر للوجوب، وذلك بقتال الطائفة التي وصفت بالباغية، لأن هذا حكم بين الخصميين المقاتلين، والقضاء بالحق واجب لوقف الاقتتال، لأن ترك الفئة الباغية يجر إلى استمرارها في البغي وإضاعة حقوق المبغى عليها في الأنفس والأغراض والأحوال، وهذا الأمر واجب وجوب كفاية، ويتبعه بتعيين الإمام جيشاً يوجهه لقتال الطائفة الباغية، إذ لا يجوز أن يلي قتال البغاء الأئمة أو الخلفاء ولا لهم<sup>(2)</sup>. وقد يلتبس أمر الباغية بين الطائفتين المتناحرتين، لأن أسباب القتال قد لا يهتم بها في أول الأمر، فلا تعرف الباغية منهما، فعندئذ يكون الإصلاح مزيحاً للغموض واللبس، بحيث لو امتنعت إحداهم نسب البغي لها، وقولت حتى تفيء إلى أمر الله.

وجعلت جملة الأمر مذيلة بجملة غائية مفيدة للتعليق، والتقدير: قاتلوا الطائفة الباغية كي تفيء إلى أمر الله. وأمر الله هو ما في شرعه من العدل والكف عن الظلم والاعتداء. والمعنى: قاتلوا -أيها المؤمنون- الطائفة التي تعندي وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى تعود إليه وتتخضع مستحجة طائعة له. وبقية الصورة في التوبة، (24)، والطلاق، (6).

**الصورة التاسعة عشرة: مسند + مسند إليه + مفعول به + ظرف مكان+ مضاف إليه (جملة فعلية).**

وردت في قوله تعالى: «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ شَفِقْتُمُوهُمْ»<sup>(3)</sup>.

ضمير المفعول به "هم" عائد إلى "الذين يقاتلونكم"- في الآية السابقة من سورة البقرة- وهم المشركون. وهذا أمر بقتلهم، وفي إضافة الظرف "حيث" إلى المضاف إليه "شققتموهם" دلالة على إباحة قتلهم في كل موقع. فيكون المسلمون مأذونين بذلك، فكل مكان يحل فيه العدو فهو موضع قتال، وقد يدل على الوجوب إذا ظهرت مصلحة عظيمة استدعت ضرورته كنكثهم للإيمان من بعد عهدهم وطعنهم للدين، والمعنى: واقتلوهم حيث لقيتموهם إن قاتلوكم، وفي هذا الأمر تحديد للمشركين.

ويعاشر هذه الصورة - أيضاً - قوله: «فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّتُمُوهُمْ»<sup>(4)</sup>.

(1) الحجرات، 9.

(2) ينظر، القرطي، الجامع، 317/16، 318، 319.

(3) البقرة، 191، والنمساء، 91.

(4) التوبة، 5.

هذه الجملة شرطية، وجوابها أمر، والأمر بالقتال-هنا-للإذن والإباحة، بشرط ألا يكون لقتال حلال الأشهر الحرم، وقد بقيت حرمة الأشهر الحرم ما بقي من المشركين لمصلحة الفريقين<sup>(1)</sup>، فلما آمن كل العرب يومئذ بطل حكم تحريم القتال فيها، وقد يأتي الظرف "حيث" مجرورا كما في قوله: «وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ»<sup>(2)</sup>.

ضمير المفعول به "هم" عائد على المأمورين بالقتل والإخراج-في الآية السابقة-في قوله: «وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَكُمْ»، والراد بهم المشركون، وفي المتعلق "من حيث أخرجوكم" إشارة إلى إخراجهم من مكة التي أخرج منها المسلمون عنوةً. وهو أمر بالإخراج أمر تمكن من الله لل المسلمين<sup>(3)</sup>، المعنى: اخرجوا المشركين من مكة كما أخرجوكم منها، وقد امتنع الرسول ﷺ أمر ربه، فأخرج من مكة من لم يسلم عند الفتح<sup>(4)</sup>.

وجملة الأمر هذه معطوفة على الجملة السابقة-من هذه الآية-في قوله: «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ شَقَقْتُمُوهُمْ». والراد: افعلوا كل ما تيسر لكم من أمر القتل والإخراج في حق المشركين. وفي الأمر تحديد للمشركين ووعيد بفتح مكة، ويأتي الظرف "حيث" مجرورا - كذلك - كما في قوله: «ثُمَّ أَفْيِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ»<sup>(5)</sup>.

المقصود من الأمر هو متعلق "أفيضوا"، أي: قوله: «من حيث أفاض الناس»، و"من" لا يتداء الغاية، و"حيث" على أصلها من كونها ظرف مكان، وقد أضيفت إلى جملة مصدرة بماضٍ دلالة على أن الإفاضة قد وقعت، وفي هذا المتعلق إشارة إلى عرفات، فيكون متضمنا الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها إبطالا لعمل بعض قريش الذين كانوا يفاضون يوم الحج الأكبر من المزدلفة، وكان سائر المسلمين يقفون بعرفات<sup>(6)</sup>. فيكون المراد بالناس كل المسلمين عدا قريشا، وبهذا شمل الخطاب بالأمر قريشا وجميع المسلمين.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في البقرة، (149، 150، 222)، والنمساء، (89)، والطلاق، (6).

**الصورة العشرون: جملة أمر (مسند + مسند إليه) + أدلة عطف + جملة أمر (مسند + مسند إليه) + جملة غائية (حتى + جملة مضارعية).**

وردت في موضوعين، وذلك في قوله تعالى: «فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 245/10.

(2) البقرة، 191.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 74/2.

(4) ينظر، السنفي، مدارك التنزيل، 108/1، والشوكتاني، فتح القدير، 242/1.

(5) البقرة، 199.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 176/2، والواحدي، الوسيط، 304/1.

(7) البقرة، 109.

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية، وهو أمر لهم بالعفو والصفح عن أهل الكتاب، وهذا الأمر قد يخالف ما تميل إليه نفوسهم من حب الانتقام، ولكن أمروا به ليحملوا على مكارم الأخلاق.

ويشتمل التركيب على جملتين أمريكيتين، تتألف كل منهما من مسند ومسند إليه، وترتبط بينهما أداة العطف "الواو" ربطاً يبرز المماثلة البنوية، وتتسنم الجملتان بالاختصار لوضوح المعنى، والتقدير: فاعفوا واصفحوا عنهم، يعني أهل الكتاب، وبين العفو والصفح تقارب في المعنى، فالعفو: ترك مؤاخذة المذنب<sup>(1)</sup>. والصفح: ترك عقوبة المستحق<sup>(2)</sup>، يقال: صفت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه<sup>(3)</sup>، وأوليته صفحة أخرى جميلة<sup>(4)</sup>. والصفح أبلغ من العفو، لأن الإنسان قد يعفو ولا يصفح<sup>(5)</sup>. ولذلك عطف الأمر به على الأمر بالعفو. ولعل الفرق بينهما يمكن في أن العفو ألا يكون في القلب من ذنب المذنب أثره، والصفح أأن يبقى له أثر ما، ولكن لا تقع به المؤاخذة<sup>(6)</sup>.

وجيء بجملة غائية "حتى يأتي الله بأمره" تتصدرها "حتى"، وهي - هنا - يعني "إلى" يتلوها فعل مضارع منصوب بـ "أن" مضمرة وجوباً<sup>(7)</sup>. أو منصوب بـ "حتى" على الرأي الكوفي - كما أشرنا آنفاً - . قد أفادت هذه الجملة الغائية زمناً مستمراً؛ فالأمر يمتد من الحاضر إلى المستقبل، وينتهي عندما يأتي الله بأمره، أي: يجيء إليكم الأمر من الله سبحانه في شأنهم، وقيل: هو أمر بقتل بي قريظة وإحلاء بني النظير وإذلهم بالجرية، وغير ذلك مما ورد من أحكام الشرع فيه<sup>(8)</sup>.

ويتبين من بنية الجملة أنه غاية مهمتها للعفو والصفح تأنيساً وطمئننا لخواطر المؤمنين المأمورين حتى لا يأسوا من ذهاب أذى أهل الكتاب هدراً. وفي أمره تعالى بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلة عددهم هم أصحاب القدرة والهيمنة، لأن الصفح لا يكون إلا من القادر، فكانه يقول لهم: لا تغرنكم كثرة أهل الكتاب مع طغيانهم، فأنتم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق، وأهل الحق مؤيدون بعون الله ورعايته، ولهم النصر ما ثبتوه عليه.

ووردت هذه الصورة - كذلك - في قوله: **﴿وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا حَسَنَى يَبْيَنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنُ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنُ الْفَجْرِ﴾**<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، القرطيسي، الجامع، 71/2.

(2) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، 4/80.

(3) ينظر، القرطيسي، الجامع، 71/2، والفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 3/421.

(4) ينظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 3/421.

(5) ينظر، المصدر السابق، 3/421.

(6) ينظر، الرجاج، إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1982، 1/94.

(7) ينظر، ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988، 2/151.

(8) ينظر، القرطيسي، الجامع، 73/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/518، والشوکانی، فتح القدیر، 1/164.

(9) البقرة، 187.

تتميز الجملتان الأمريكيةان بالإيجاز، فقد تم حذف مفعولي الفعلين المتعددين: "كلوا"، و"اشربوا" لوضوحهما وسهولة تقاديرهما، إذ لا يجوز لل المسلم أن يأكل أو يشرب إلا الحلال من الطعام والشراب. والأمر بالأكل والشرب لل المسلمين، وهو أمر إباحة، وذلك في شهر رمضان.

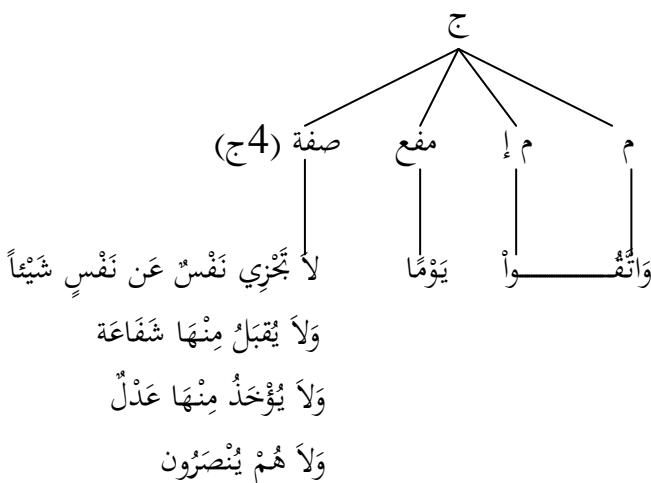
وقد جيء في الجملة الغائية بـ"حتى" وبالعارض "يتبين" للدلالة على أن الإمساك يكون عند اتضاح الفجر للناظر، وهو الفجر الصادق. والجملة الغائية "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ..." تحديد لنهاية وقت الأكل والشرب بدليل زمن الغاية الذي يمتد من زمن الفطور إلى غاية زمن الإمساك، وهذا الزمن هو انتهاء زمن الصيام، إذ ليس في زمان رمضان إلا صوم وفطر، وانتهاء أحدهما مبدأ الآخر.

وحرف الجر في قوله: "من الفجر" بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأن بيان أحدهما بيان للأخر. ويجوز أن تكون "من" مفيدة للتبعيض، لأنه بعض الفجر وأوله، أو ابتدائية بمعنى الشعاع الناشئ عن الفجر<sup>(1)</sup>. فتكون الجملة قد حددت زمن إباحة الأكل والشرب، وهو يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وحددت زمن وجوب الصيام، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

### الصورة الحادية والعشرون: مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به + صفة

(جملة مكررة).

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَكَايُؤُكَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.



انتصب "يوما" على المفعول به اتساعا، وليس على الظرف، ولذلك جاء منونا، أو على حذف مضاف، والتقدير: واتقوا عذاب يوم. فحذف المضاف (المفعول به)، وأقيم المضاف إليه "يوما" مقامه، فأخذ حكمه الإعرابي. وقد خصص المفعول به تخصيصا وصفيا بأربع جمل خبرية منافية. والرابط بين الموصوف والصفة مخدوف،

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 339/1

(2) البقرة، 48

وهو ضمير مجرور، تقديره: "فيه"، لأن الفعل "تجزي" لا يتعدي إلا بـ"جار، أي: لا تجزي فيه نفس. وإنما جاز حذفه، لأن المخدوف "فيه" متعين من الكلام، فكان من الأحسن حذفه<sup>(1)</sup>. وتنكير "نفس" في الموضوعين- وهو في حيز النفي - يفيد عموم النفوس، أي لا يعني أحد كان من كان؛ فلا يعني عن الكفار آهتمهم ولا وجهاؤهم على اختلاف مللهم ونحلهم.

ودلالة الأمر تحذير، وهو لبني إسرائيل، فقد توهموا أن نسيتهم إلى الأنبياء وكراهة أحدادهم عند الله مما يجعلهم في أمن من عقابه على التمرد والعصيان. ونظير هذه الصورة ورد في الآية: (123) من سورة البقرة.

ومن هذه الصورة قوله: **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾**<sup>(2)</sup>.

لقد خصص المفعول به "يوماً" تخصيصاً وصفياً بجملة فعلية مضارعية "ترجعون". والرابط بين الموصوف والصفة هو الضمير المجرور " منه".

وقرأ الجمهور: "تُرْجَعُونَ" بضم التاء وفتح الجيم على أن الفعل مبني للمجهول، وقرأ أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم على أنه مبني للمعلوم<sup>(3)</sup>. وقرأ الحسن: "يُرْجَعُونَ" بياء مضمومة<sup>(4)</sup>، وقال ابن جني: إنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة على سبيل الالتفات، وكأنه قال: واتقوا يوماً يرجع فيه البشر إلى الله، فأضمر على ذلك، فقال: يُرْجَعُونَ إلى الله. وقد عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة رفقاً منه سبحانه بعباده المؤمنين على أن لا يواجههم ذكر الرجعة، إذ هي مما يتفتر له القلوب<sup>(5)</sup>، وهذا اليوم المذعر منه هو يوم القيمة والحساب، فإنما يجازى فيه بحسب الأعمال.

ويعاشر هذه الصورة- أيضاً- قوله: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**<sup>(6)</sup>.

جملة "لا تصيبن" خبرية مؤكدة منافية بـ"لا"، وهي في محل صفة للمفعول به "فتنة".

والخطاب للمؤمنين بدلالة السياق، والمعنى: احذروا الوقوع في الفتنة، وهي الاختبار والمحنة التي يعم فيها البلاء المحرم وغيره. وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء واحتلال النظام، وحلول الخوف في نفوس الناس، وقد تكون الفتنة عقاباً من الله في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم،

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 1/386.

(2) البقرة، 2/281.

(3) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 149، والقىسي، الكشف، 1/319، والداني، التيسير، ص 71، والقرطبي، الجامع، 4/376. وأبو حيان، البحر المحيط، 2/356.

(4) ينظر، ابن جني، المحتسب، 1/145، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/499، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/356.

(5) ينظر، المحتسب، 1/145.

(6) الأنفال، 25.

فإن سنتها لا تختص بالظالم بل تعم الصالح والطالع<sup>(1)</sup>، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَلُهُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ"<sup>(2)</sup>، وفي الأمر تحذير للمؤمنين من الفتنة بوصف عام.

### الصورة الثانية والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية (عل + جملة منسوبة).

وردت في سبعة مواضع، منها قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»<sup>(3)</sup>.

تكميل عناصر الموقف اللغوي لتركيب الأمر؛ فيظهر في بنية الجملة الأمريكية "واتقوا الله" ، أي: اجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية، وذلك بامتثال أوامره، واحتساب نواهيه. ويوضح الأمر بجملة تعليلية "لعلكم تفلحون" ، فعلق التقوى برحاء الفلاح، وهو درك البغية<sup>(4)</sup>، لأن تقوى الله تفضي إلى فلاح العبد ونجاته في الدارين. أي: اتقوا الله رحاء أن تفلحوا في أعمالكم وتصلوا إلى غاية مطالبكم.

وتكررت هذه الصورة -أيضاً- في قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ»<sup>(5)</sup>.

يلحظ أن جملة الأمر اعتراض بين جملة "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ" في هذه الآية والفاء المتصلة ببنية الأمر للتفریع، وهي تقع في الجملة المعتبرة على الأصح<sup>(6)</sup>. فإنه تعالى لما ذكر المؤمنين بانتصارهم يوم بدر، ذكرهم بأنه سبب للشکر، فأمرهم بشکر نعمته بخلافة التقوى. ومن الشکر على ذلك أن يثبتوا أمام العدو، وأن لا يتخدوا بطانة من أعدائهم، ليكونوا بذلك شاكرين آلاء الله عليهم، فيزيدهم من نعمة.

وبقية هذه الصورة وردت في المائدة، (90)، والحج، (77)، والحجرات، (10). ويلحق بهذه الصورة ما جاء في البقرة، (63)، وآل عمران، (132)، والأنفال، (45)، والنور، (56)، والجمعة، (10).

### الصورة الثالثة والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + جملة تعليلية (إن + جملة اسمية).

وردت هذه الصورة في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 4/477.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، 525/2، (كتاب الملاحم)، والترمذمي في الجامع الصحيح، 406/4.

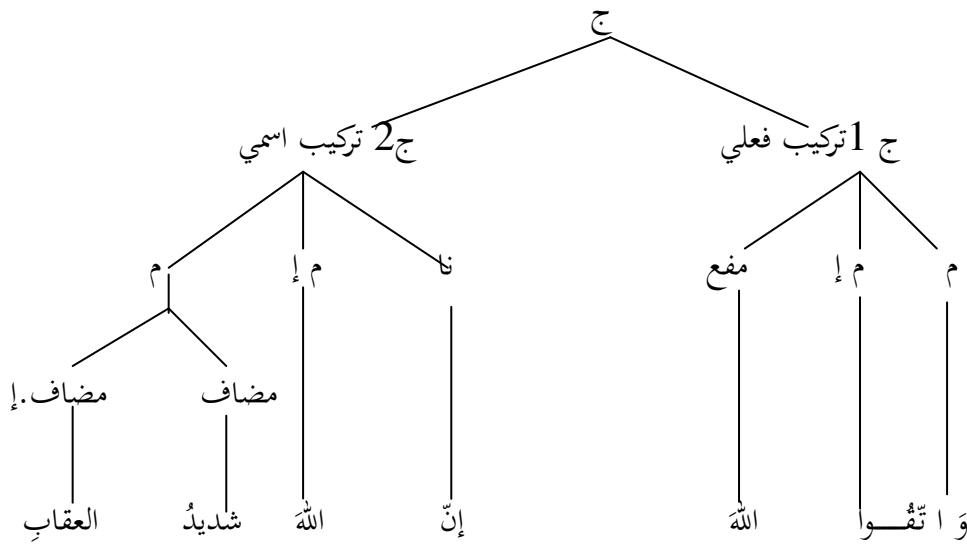
(3) البقرة، 189، وآل عمران، 200.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 2/72.

(5) آل عمران، 123.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 4/72.

(7) المائدة، 2.



تحتلت بنية الجملة التعليلية في هذا التركيب - عن التركيب السابق في الصورة السابقة؛ فقد كانت أدلة التعليل في السابقة "علّ"، أما في هذه فإن الأداة مخدوفة، وهي اللام، ويطرد حذفها مع "إن"<sup>(١)</sup>، والتقدير: ... لأن الله شديد العقاب.

والارتباط بين جملة الأمر وجملة التعليل ارتباط دلالي؛ فالجملة التعليلية جيء بها للتبرير والتهديد، لأن تقوى الله ما يطلبه المؤمن لينجو من عقابه، وإظهار اسم الحالـة "الله" في موضع الإضمار لإدخال الروعة وتربيـة المهابة في نفوس المـتلقـين، والمـعنى: اتقـوا الله بالـسـير عـلـى سـنـنـه الـتي بـيـنـهـا لـكـم فـي سـنـنـهـا حتـى لا يـصـبـيكـم عـقـابـهـ بـالـعـارـضـ عـنـ هـدـايـتـهـ، فـهـوـ شـدـيدـ العـقـابـ لـمـ يـتـقـهـ بـاتـبـاعـ شـرـعـهـ وـمـرـاعـةـ سـنـنـهـ، وـهـذـاـ عـقـابـ يـشـمـلـ عـقـابـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ.

ونظير هذه الجملة ورد في المائدة، (٧،٨)، والأనفال، (٦٩)، والحجرات، (١٢،١)، والبقرة، (١٨،٧).

وللحق بهذه الصورة قوله: **«وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»**<sup>(٢)</sup>.

جملة "وَأَحْسِنُوا" تتصف بالاختصار؛ فقد حذف المفعول به، والتقدير: وأحسنوا أعمالكم، وذيلت بجملة اسمية تعليلية، وقد جيء بها للترغيب في الإحسان، لأن محبة الله عبده ما يطلبه الناس، إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير في الدنيا والآخرة.

(١) ينظر، سيبويه، الكتاب، 154/1.

(٢) البقرة، 195.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

الأمر لل المسلمين الوسطاء في الحكم بين الطائفتين المتقابلتين، لأن هذه الجملة معطوفة – في هذه الآية –

على قوله: ﴿فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا﴾، أي: اعدلوا في كل ما تأتون به. وهو أمر بالعدل والإنصاف في كل الأمور، على سبيل الوجوب.

وذيلت جملة الأمر بجملة تعليمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ الْمُقْسِطِينَ﴾ للتغريب في الإقسام، أي: لأن الله يحب العادلين في كل أعمالهم، ويجازى لهم أحسن الجزاء.

وكذلك قوله: ﴿وَتَرَوَدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(2)</sup>.

الخطاب للMuslimين الذين يقصدون البقاء المقدسة للحج بدلالة واو العطف في "وتزودوا"، فالجملة معطوفة "على جملة "ومَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ" – في هذه الآية – باعتبار ما فيها من الكناية عن الترغيب في فعل الخير، والمعنى: وأكثروا من فعل الخير<sup>(3)</sup>. والم Kensid إلـيـه (واو الجماعة) المتصل بـيـنـيـة المسند (ال فعل) يعود على الحـيـجـ بـدـلـاـلـةـ سـيـاقـ الآـيـةـ. وـالـفـاءـ المتـصـلـ بـ"إـنـ"ـ النـاسـخـةـ فـيـ الجـمـلـةـ الـاسـمـيـةـ،ـ"ـإـنـ خـيـرـ الزـادـ التـقـوـىـ"ـ تـفـيدـ التـعلـيلـ. وـفـيـ تـأـكـيدـ هـذـهـ الجـمـلـةـ بـ"ـإـنـ"ـ إـشـارـةـ إـلـىـ تـأـكـيدـ الـأـمـرـ بـالتـزوـدـ تـبـيـهـاـ عـلـىـ أـنـهـ مـنـ التـقـوـىـ.ـ وـالتـزوـدـ فـيـ حـقـيقـتـهـ إـعـدـادـ الزـادـ،ـ وـهـوـ الطـعـامـ الـذـيـ يـحـمـلـهـ الـمـسـافـرـ.ـ وـقـدـ يـخـرـجـ عـنـ معـنـاهـ الـحـقـيقـيـ إـلـىـ الـمـعـنـىـ الـجـازـيـ،ـ وـهـوـ الـاسـتـكـثـارـ مـنـ فـعـلـ الـخـيـرـ اـسـتـعـداـداـ لـيـوـمـ الـحـسـابـ.

وقال بعض المفسرين: هو أمر بالتزود للمسافر، وزاده الطعام والشراب والمأكل والمركب، وبالتزود للأخرة، وزاده تقوى الله<sup>(4)</sup>. وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول بدلالة أفعل التفضيل في المسند إلـيـه "خـيـرـ".  
أي: إن التقوى أفضل من التزود للسفر، فكونوا عليها أشد حرصا. وتلخص من هذا ثلاثة أقوال<sup>(5)</sup>:  
أحدـهاـ:ـ أـنـهـ أـمـرـ بـالتـزوـدـ فـيـ أـسـفـارـ الدـنـيـاـ،ـ فـيـكـونـ مـفـعـولـ "ـتـزوـدـواـ"ـ تـقـدـيرـهـ:ـ مـاـ تـنـتـفـعـونـ بـهـ،ـ إـنـ خـيـرـ الزـادـ  
ما تكعون به وجوهكم عن السؤال لحصول التقوى الدنيوية بصون العرض أو ماء الوجه.

والثاني: أنه أمر لسفر الآخرة، وهو الذي اختاره، لأن هذه الجملة معطوفة على قوله: "ومَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ" باعتبار ما فيها من تحضير على فعل الخير، أي: تزودوا بتقوى الله، فإنها خير التقوى.

والثالث: أنه أمر بالتزود في السفرتين، ويكون التقدير: وتنزودوا ما تنتفعون به لعاجل سفركم وآجله، أي:  
لـدـنـيـاـكـمـ وـآخـرـتـكـمـ.

(1) الحجرات، 9.

(2) المقروء، 197.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 2/235.

(4) يـنـظـرـ،ـ الطـريـ،ـ جـامـعـ الـبـيـانـ،ـ 2/292ـ،ـ وـالـبـغـويـ،ـ مـعـالـمـ الشـزـيلـ،ـ 1/173ـ،ـ وـابـنـ كـثـيرـ،ـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ،ـ 1/424ـ.

(5) يـنـظـرـ،ـ أـبـوـ حـيـانـ،ـ الـبـحـرـ الـمـجـيـطـ،ـ 2/102ـ.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الآتي: البقرة، (199)، آل عمران، (35، 59)، النساء، (106)، المائدة، (4، 7، 8، 13، 42)، الأنفال، (46، 69)، التوبه، (4، 7، 12، 52، 95، 103)، النور، (62)، الأحزاب، (2)، الحجرات، (1، 12)، الحشر، (18، 7)، المتحنة، (12)، النصر، (3).

### **الصورة الرابعة والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + حال + مفعول مطلق + مضاف إليه (جملة مصدرية).**

وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَاتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُوكُمْ كَافَة﴾<sup>(1)</sup>.

يدل لفظ "كافة" على العموم، وهو بمنزلة "كل" و"جميعاً"، ولا يختلف لفظه باختلاف المؤكّد من إفراد وثنية وجمع، ولا من تذكير وتأنّيث، ولا يدخله "الـ" التعريف، وموقعه النصب على الحال من المؤكّدة بها؛ فهي في الأول تأكيد للمفعول به "المشركين"، وفي الثاني تأكيد لضمير المخاطبين، (واو الجماعة)<sup>(2)</sup>. والمقصود من تعميم ذوات المقاتلين تعميم الأحوال، أي: قتال كل فريق من المشركين وجد في حالة ما، وقد بدأ بقتال المسلمين. فالمسلمون مأموروون بقتاله.

والكاف في "كما" صفة مصدر محوّف تؤدي وظيفة المفعول المطلق ، و"ما" مصدرية<sup>(3)</sup>، وهذه الكاف كاف تشبّيه استعيرت للتعليل بتشبّيه الشيء المعلول بعلته؛ فالتشبّيه التعليلي يومئي بأن قتال المشركين يستوجب إذا بدأوا هم بالقتال.

ويلحظ بهذه الصورة قوله: ﴿وَذَكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم﴾<sup>(4)</sup>.

الكاف في "كما" تشبّيه للذكر بالهدى، و"ما" مصدرية، ومعنى التشبّيه في مثل هذه المشابهة في المقابلة بين حدثين أو في التساوي، أي: اذكروا الله ذكرا متساوياً لهدايته إليّكم، أو اذكروه ذكرا حسناً كما هداكم هداية حسنة. وهو أمر بتعديدي النعمة وأمر بشكرها.

ويلحظ بهذه الصورة ما جاء في الآيتين: (13، 200) من سورة البقرة.

### **الصورة الخامسة والعشرون: مسند + مسند إليه + مفعول به + صفة + جملة فعلية مضارعة (مسند+مسند إليه+جار و مجرور+أداة عطف+معطوف).**

من هذه الصورة قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَمْرُ حَام﴾<sup>(5)</sup>.

تميزت جملة "اتقوا الله" بالاختصار، حيث حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه لفظ الحالـة "الله" مقاـمه،

(1) التوبه، 36.

(2) بيتـر، أبو حـيـان، الـبـحـرـ الـمـحيـطـ، 41/5.

(3) بيـنـطـرـ، العـكـريـ، التـبـيـانـ فـيـ إـعـرـابـ الـقـرـآنـ، 1/163.

(4) البـقـرةـ، 198.

(5) النساءـ، 1.

والتقدير: واتقوا عذاب الله، فحذف المضاف لوجود ما يدل عليه، وذلك عن طريق المعنى السياقي؛ فاتقاء الله يكون عن طريق ابقاء عذابه. وقد ذكر ابن جني أن حذف المضاف كثير وواسع<sup>(1)</sup>. ونقل عنه الزركشي أن في القرآن منه زهاء ألف موضع<sup>(2)</sup>. واشترط المبرد لجواز حذفه وجود دليل على المذوف، فلا يصح أن يقال: جاء زيد، والمراد: جاء غلام زيد، لأن الجيء يكون له، ودليل على المذوف<sup>(3)</sup>.

وتنوعت القراءات في قوله: "والأرحام"، فقرأ حمزة: "والأرحام"<sup>(4)</sup>، وذلك بالكسر على العطف على الماء في "به". وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال، بعيد في القياس لمخالفته للقاعدة لديهم في أنه "لا يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المحفوض إلا بعد إعادة الخاض" <sup>(5)</sup>، لأن الضمير المحفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، ويصبح في أحدهما ما يصبح في الآخر، فكما لا يجوز: واتقوا الله الذي تسألون بالأرحام، فكذلك لا يحسن: تسألون به والأرحام، فإن أعيد حرف الجر حسن<sup>(6)</sup>.

وجوز ابن مالك العطف على المحرر دون إعادة الجار<sup>(7)</sup>، والحق قبول هذه القراءة وتصحيح القاعدة. وهذه القراءة على معنى: واتقوا الله الذي تسألون به وبالأرحام، وهو قول الرجل: أسألك بالله وبالرحم، وهذا قول الحسن وعطاء وإبراهيم ومجاحد<sup>(8)</sup>.

وقرأ أبو عبد الرحمن عبد الله ابن يزيد: "والأرحام" بالرفع<sup>(9)</sup>، والرفع وجه على أنه مبتدأ، والخبر مذوف، قدره ابن جني: "والأرحام مما يجب أن تتقوه أن تhattatوا لأنفسكم فيه"<sup>(10)</sup>، وقدره ابن عطية: "والأرحام أهل أن توصل"<sup>(11)</sup>، وقدره الزخشرى: "والأرحام مما يتقوى"<sup>(12)</sup>، فابن جني وابن عطية قدران من حيث المعنى، والزخشرى مما يدل عليه في ظاهر الجملة.

(1) ينظر، *الخصائص*، 2/362.

(2) البرهان، 3/146.

(3) ينظر، *المقتضب*، 4/30.

(4) ينظر، ابن خالويه، *إعراب القراءات السبع وعللها*، 1/127، والقسيسي، *الكشف*، 1/375، والداني، *التسير*، ص 78، وأبو حيان، *تذكرة الحجة*، ص 151.

(5) ينظر، الأباري، *الإنصاف*، 2/463، وابن هشام، *شرح شذور الذهب*، ص 583.

(6) ينظر، القسيسي، *الكشف*، 1/375-376، وأبو حيان، *تذكرة النحاة*، ص 151.

(7) ينظر، ابن الناظم، *شرح ألفية ابن مالك*، 1/544، وابن هشام، *أوضح المسالك*، 1/484.

(8) ينظر، الطبرى، *جامع البيان*، 4/568.

(9) ينظر، ابن جني، *المحتسب*، 1/179، وابن عطية، *المحرر الوجيز*، 3/483، والبقاعي، *نظم الدرر*، 2/207.

(10) *المحتسب*، 1/179.

(11) *المحرر الوجيز*، 3/483.

(12) *الكاف الشاف*، 1/493.

وقرأ الجمهر: "الأرحام" بالنصب على العطف على لفظ الحلاله "الله" على معنى: واتقوا الله والأرحام  
أن تقطعوها<sup>(1)</sup>.

وفي عطف "الأرحام" على اسم الحلاله دلالة على تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها<sup>(2)</sup>.  
فالله تعالى يأمر الناس بتقواه، كما يأمرهم بأن يحافظوا على الأرحام فلا يقطعوها. ومنه قوله تعالى:  
**﴿فَهُلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَكَّلْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**<sup>(3)</sup>.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني  
وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"<sup>(4)</sup>.

يتبين من خلال ما تقدم أن صلة ذوي الأرحام واجبة، وأن قطعها حرمـة.  
ويلحق بهذه الصورة قوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**<sup>(5)</sup>.

استعمل الوصف باسم الموصول "الذي"، وفي الصلة تنبـيه وتذكـير للمتلقـين بأن المصـير إلى الله، فيـعدـوا  
ما استطـاعـوا من الطـاعـة لـذلكـ اللـقاءـ، وـهوـ يـومـ الحـسابـ، إـذـ فـيـهـ يـعـرـفـ منـ أـطـاعـ وـمـنـ عـصـىـ.

وكـذلكـ قوله: **﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعِدَّتِ لِلْكَافِرِينَ﴾**<sup>(6)</sup>. والـمعـنىـ: اـبـتـعدـواـ عنـ اـتـبعـ المـرـابـينـ وـتـعـاطـيـ  
ما يـتعـاطـونـ منـ أـكـلـ الـرـبـاـ الـذـيـ يـفـضـيـ إـلـىـ دـخـولـ النـارـ الـتـيـ أـعـدـهـ اللهـ لـلـكـافـرـينـ. وـإـعـادـهـاـ لـلـكـافـرـينـ عـدـلـ  
منـ اللهـ تـعـالـىـ. وـالـمـسـلـمـونـ لـاـ يـرـضـونـ لـأـنـفـسـهـمـ مـصـيرـ الـكـافـرـينـ، لـأـنـ الإـسـلـامـ يـوـجـبـ كـراـهـيـةـ مـاـ يـنـشـأـ عـنـ الـكـفـرـ.  
ويـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ التـعـرـيفـ فـيـ "الـنـارـ بـالـجـنـسـيـةـ"ـ، فـتـكـونـ النـارـ الـتـيـ وـعـدـهـ أـكـلـ الـرـبـاـ أـخـفـ  
مـنـ نـارـ الـكـافـرـينـ، أـيـ: أـعـدـ جـنـسـهـ لـلـكـافـرـينـ، وـيـحـوزـ أـنـ تـكـونـ "الـلـاـ"ـ لـلـعـهـدـ، فـيـكـونـ أـكـلـ الـرـبـاـ قدـ توـعـدـهـ اللهـ بـالـنـارـ  
الـتـيـ يـعـذـبـ بـهـ الـكـفـرـ<sup>(7)</sup>ـ، وـقـالـ أـكـثـرـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـتـفـسـيرـ: هـذـاـ الـوـعـيـدـ لـمـنـ اـسـتـحـلـ الـرـبـاـ، وـمـنـ اـسـتـحـلـ الـرـبـاـ، فـإـنـهـ  
كـافـرـ وـمـصـيـرـهـ النـارـ<sup>(8)</sup>ـ، وـفـيـ هـذـاـ الـوـعـيـدـ تـخـوـيـفـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ الـذـيـنـ خـوـطـبـوـ بـاتـقـاءـ الـمـعـاصـيـ، لـأـنـهـمـ مـتـىـ فـارـقـواـ التـقـوىـ  
ادـخـلـوـ هـذـهـ النـارـ.

ويـحـلـ بـهـذـهـ الصـورـةـ مـاـ وـرـدـ فـيـ الـبـقـرةـ، الـآـيـةـ (24)، الـمـائـدـةـ، (88)، وـالـمـتـحـنـةـ، (11).

(1) يـبـنـيـطـ، الطـبـريـ، جـامـعـ الـبـيـانـ، 4/569، وـابـنـ خـالـوـيـهـ، إـعـرـابـ الـقـرـاءـاتـ السـبـعـ وـعـلـلـهـ، 1/127.

(2) يـبـنـيـطـ، الـمـصـدـرـ السـابـقـ، 4/569.

(3) محمدـ، 22.

(4) روـاهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ، 4/1981، (كتـابـ الـبـرـ وـالـصـلـةـ وـالـآـدـابـ).

(5) المـائـدـةـ، 96، وـالـمـجـادـلـةـ، 9.

(6) آلـ عـمـرانـ، 131.

(7) يـبـنـيـطـ، ابنـ عـطـيةـ، الـمـحـرـ الـوـجـيـزـ، 3/318، وأـبـوـ حـيـانـ، الـبـحـرـ الـمـجـيـطـ، 3/58.

(8) يـبـنـيـطـ، السـمـرـقـنـدـيـ، بـحـرـ الـعـلـمـ، 1/298، الـوـاحـدـيـ، الـوـسـيـطـ، 1/491، وـالـقـرـطـيـ، الـجـامـعـ، 4/202.

**الصورة السادسة والعشرون:** مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به + مضاف إليه + جار و مجرور + مفعول مطلق + مضاف إليه.

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: **﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مَائَةً جَلْدَةً﴾**<sup>(1)</sup>.

تتألف الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، ومفعول به "كل" مضاف، ومضاف إليه "واحد"، وجار و مجرور "منهما" ، ومفعول مطلق "مائة" ، ومضاف إليه "جلدة" ، وهو في الأصل تمييز غير حقيقي لوقوعه بعد لفظ "مائة".

و القراءة: "الزانية والزاني" بنصبهما على الاشتغال، وذلك بخلاف قراءة الجمهور التي وردت بالرفع<sup>(2)</sup>، والنصب وجه عند سيبويه، لأنه عنده كقولك: زيدا أضربيه<sup>(3)</sup>، ووجه الرفع عنده أنه مبتدأ، والخبر محذوف على معنى: فيما فرض عليكم الزانية والزاني<sup>(4)</sup>؛ أي فاجلدوهما، وأما الفراء<sup>(5)</sup>، والمبرد<sup>(6)</sup>، فإن الرفع عندهما هو الأوجه، والخبر في جملة الأمر "فاجلدوهما" ، لأن المعنى: إن الزانية والزاني مجلودان بحكم الله تعالى. والأمر للإمام ونوابه بإقامة حد الجلد، لأن غير الإمام لا يتولى هذا الأمر، والذي أمر بأن يجلد هو كل من الزانية والزاني غير المحسنين، ومعنى الجملة "فاجلدوا"-أيها الحكام- كلا من الزانية والزاني مائة جلد. وهو أمر يقتضي الوجوب. ولم يحدد في هذه الآية-بين المحذودين من الأحرار والعيبيد.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: **﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾**<sup>(7)</sup>.

ت تكون بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، ومفعول به "هم" ، ومفعول مطلق "ثمانين" ناب عن المصدر، منصوب بالياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وتمييز "جلدة" ، والضمير-المفعول به- "هم" عائد إلى "الذين يرمون الحصنات" -في الجملة السابقة من هذه الآية- ودللت القراءن على أن المراد الرمي بالزنا، تقدم الكلام عليه- في الآية السابقة- ولأن وصف النساء بالحصنات، وهي العفائف عن الزنا، ولا شرط إثبات التهمة بأربعة شهود، ولا يطلب هذا إلا في الزنا، فهذه القراءن جميعاً يجعل المقصود هو الرمي بالزنا. وقد خص الله قذف النساء- هنا- من حيث هو أهون، ورميهن بالفاحشة أشنع. وقد فرط الرجال داخل في الحكم بالمعنى.

والخطاب لأولي الأمر من الحكام، وذلك منوط بالإمام، وإقامة مراسيم الدين واجبة على المسلمين، والإمام ينوب عنهم فيها.

.(1)النور، 2.

(2)ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 416/10، والزمخشري، الكشاف، 3/47، والرازي، مفاتيح الغيب، 23/114.

(3)ينظر، الكتاب، 1/144.

(4)ينظر، المصدر السابق، 1/143.

(5)ينظر، معاني القرآن، 2/244.

(6)ينظر، المقتنب، 3/225.

.(7)النور، 4.

ومعنى الجملة: فاجلدو -أيها الحكام- الذين يرمون الحصنات بالزنا ثمانين جلدة. وذلك على سبيل الوجوب.  
**الصورة السابعة والعشرون: مسند +مسند إليه(واو الجماعة)+ جار ومحرر+ مفعول مطلق+صفة.**

تبين هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(1)</sup>.

تتألف بنية الجملة من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، وجار ومحرر "هم" متعلق بـ"قولوا"، ومصدر مفعول مطلق -"قولا" سد مسد المفعول، وصفة "معروفا".

والخطاب لأولياء اليتامى بدلالة السياق. ومعنى الجملة: تلطفوا لهم في القول، ولا تقسو عليهم، وقولوا لهم ما يدلكم على طريق الرشد والصلاح، حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة، وذلك بأن يقول كل ولي للمولى عليه كلاماً طيباً به نفسه، ويعده وعداً حسناً، كأن يقول له: المال مالك، وما أنا إلا وكيل أمين عليه، وإن رشدت دفعت إليك مالك. وإن كان سفيهاً بصره ونصحه، ورغبه في ترك الإسراف والتبذير.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً﴾<sup>(2)</sup>.

أمر الله رسوله ليقول للمنافقين -حسب دلالة السياق- قولًا بلاغاً رجاء صلاح حالم. والقول البلاغ صبغة "فعيل" بمعنى: بالغ بلوغًا شديداً، أي: بالغاً إلى نفوسهم مؤثراً فيها بالترغيب تارة، وبتخويفهم بـ"القتل إن استمروا على النفاق تارة أخرى".

والجار ومحرر "في أنفسهم" يجوز أن يتعلق بالفعل "قل"، وتقديره عند أي حيان يكون على أحد معنيين: "أي": قل لهم خالياً بـ"هم"، لا يكون معهم أحد من غيرهم مساراً، لأن النصح إذا كان في السر كان أنجح، وكان بـ"صدق" أن يقبل سريعاً... أو قل لهم في معنى أنفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولًا بلاغاً يبلغ منهم ما يزجرهم عند العودة إلى ما فعلوا"<sup>(3)</sup>.

ويجوز أن يتعلق بـ"بلاغاً"، وقدره الزمخشري بقوله: "قل لهم قولًا بلاغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يعتمون به اغتناماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعيد بالقتل والاستصال إن نجم منهم النفاق"<sup>(4)</sup>، ولا يجوز هذا التعلق عند البصريين، لأن معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف عندهم، ويحوز عند الكوفيين. والزمخشري أخذ في ذلك بمذهب الكوفيين<sup>(5)</sup>.

وبحسب هذه الوجهة يكون تقليم الجار ومحرر للعناية بإصلاح أنفسهم مع الاهتمام بالفاصلة، لأن أصل نظام الجملة يكون: قل لهم قولًا بلاغاً في أنفسهم.

(1) النساء، 5، 8.

(2) النساء، 63.

(3) البحر المحيط، 3/293، والنهر الماد، 1/475.

(4) الكشاف، 1/537.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/293. وينظر له، النهر الماد، 1/474، 475.

ويلحق بهذه الصورة - كذلك - قوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب لأمهات المؤمنين بدلالة السياق، والأمر لهنّ بأن يتلطفن في الكلام؛ فلا يسمع منهن إلا القول الحسن.

ونظير هذه الجملة قوله: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(2)</sup>.

الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء - في هذه الآية - في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْأَيْمَانَ أَتَقُولُوا اللَّهُ أَكْبَرُ﴾.

والجار والمحرور "هم" مذدوف، وهو معلوم من السياق، والأمر للمؤمنين بأن يقولوا قولًا سديداً، والقول السديد: الذي يوافق السداد، والسداد: الصواب والحق<sup>(3)</sup>، ويشمل القول السديد الأقوال الواجبة، والأقوال الصالحة النافعة مثل ابتداء السلام، وقراءة القرآن على الناس وتدريسه، وتحفيظ أحاديث الرسول ﷺ واستنباط الأحكام الشرعية منها، ونشر أقوال الصحابة.

ويتبع هذه الصورة ما ورد في الآية(83) من سورة البقرة.

**الصورة الثامنة والعشرون:** مسند + مسند إليه(مضمر) + جار و مجرور + مفعول به (مقول القول).

من هذه الصورة قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾<sup>(4)</sup>.

تتألف بنية التركيب من مسند "قل"، ومسند إليه مضمر في البنية السطحية وجوباً، وهو المأمور، ويفهم من السياق، إذ هو المفرد المخاطب "أنت" والمراد به الرسول ﷺ، وجار ومحرور "للمؤمنين" متعلق بـ "قل"، ومفعول "قل" أي: مقول القول مذدوف يفسره ما بعده بتقدير: قل غضوا، أي: كفوا.

ورأى النحاة أن الجمل بعد فعل القول في محل نصب مفعول به، يقول الزجاجي في باب القول: "والجملة في موضع نصب بوقوع الفعل عليها"<sup>(5)</sup>. وذكر ابن هشام أن ابن الحاجب اختار أن تكون الجملة بعد القول مفعولاً مطلقاً، وذكر أن الصواب أن تكون مفعولاً به، وهو قول جمهور النحاة<sup>(6)</sup>.

و"من" عند الأخفش زائدة لتأكيد اللفظ وتقوية المعنى<sup>(7)</sup>، أي يغضوا أبصارهم عن عورات النساء، وعند غيره للتبسيط<sup>(8)</sup>.

(1) الأحزاب، 32.

(2) الأحزاب، 70.

(3) [ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 3/210، (سد)].

(4) التور، 30.

(5) الجمل في النحو، ص326، [ينظر، ابن هشام، شرح جمل الزجاجي، تحقيق، علي محسن عيسى، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985، ص388].

(6) [ينظر، مغني الليسب، 2/58].

(7) [ينظر، معاني القرآن، 1/272].

(8) [ينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/60، والطبرسي، مجمع البيان، 7/191].

وتحذف مفعول "يغضوا" لدلالة "من" التبعيضية عليه، أي: يغضوا من أبصارهم عما حرم الله لا عن كل شيء. والأظهر أن "من" تبعيضية؛ لأن الغض التام لا يتحقق، فجيء بما إيماء إلى ذلك، إذ من المفهوم أن المأمور بالغض فيه هو ما لا يليق تحديق النظر إليه، من مفاتن المرأة، وذلك لتنبيه المؤمن من استحضار أحكام الحلال والحرام في هذا الشأن.

وسبب التفرقة بين غض البصر بذكر "من" وبين حفظ الفروج دون ذكر "من"، إن غض البصر فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع، إذ يجوز النظر إلى الحارم فيما عدا ما بين السرة والركبة، وإلى وجه المرأة الأجنبية وكفيها، وأما أمر الفروج فمضيق، كما ذكر بعض العلماء<sup>(1)</sup>.

والغض: صرف المرأة بصره عن التحديق، وتدقيق النظر، يقال: غض طرفه، أي: كفه. ومادة الغض تدل على معنى الخفض والنقص<sup>(2)</sup>. ويكون من الحياة كما قال عنترة:

وأغضُّ طرفي ما بدتْ لي جاري  
حتَّى يُواري جاري مأواها<sup>(3)</sup>

ويكون من المذلة كما قال جرير:  
فغضُّ الطرفَ إِنَّكَ مِنْ نُمِيرٍ  
فلا كعباً بلغتَ ولا كلاماً<sup>(4)</sup>

والامر بالغض – في الآية – على سبيل الوجوب، وهو أدب شرعي حكيم في إبعاد النفس الأمارة بالسوء عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها فيما حرم الله تعالى؛ فإن النظر بريد الزنى، فإن وقع البصر على حرام من غير قصد، وجب إغضاء الطرف وصرف النظر عنه.

ومعنى التركيب: قل يا محمد لعبادنا المؤمنين: كفوا أبصاركم عما حرم الله عليكم، فلا تنظروا إلا إلى ما أباح لكم النظر إليه.

وتكررت هذه الصورة – عقب الآية السابقة – في قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾<sup>(5)</sup>.

والامر- هنا- للمؤمنات، وقد أمرن بمثل ما أمر به المؤمنون من غض البصر وحفظ الفرج. وخلافا لما عليه غالب الخطابات التشريعية من دخول النساء في الحكم بخطاب الرجال تغليبا، أمر تعالى المؤمنات كذلك تأكيدا للمأمور به، حتى لا يظن أنه خاص بالرجال.

والمعنى: قل يا أيها الرسول – أيضا – للنساء المؤمنات: اغضضن أبصاركن عما حرم الله عليكن من النظر إلى غير أزواجكن، واحفظن فروجكن عن الزنى ونحوه كالسحاق. فلا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة أو بغير شهوة.

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/60، وأبو حيان، البحر المحيط، 6/412.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 7/197-198، (غضض).

(3) الديوان: دار بيروت للطباعة والنشر، 1984 ص76.

(4) الديوان، درا بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص63.

(5) النور، 32.

وما يماثل هذه الصورة قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلِبُونَ وَتُخْسَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾<sup>(1)</sup>.

تنالف الجملة من فعل أمر "قل"، ومسند إليه مضمر "أنت"، مراد به الرسول، وجار ومحور "للذين"، وهو اسم موصول، وجملة ماضوية "كفروا" صلة الموصول، ومفعول به — مقول القول — جملة مضارعية "ستغلبون"، وجملة معطوفة بحرف العطف (الواو) "وتخسرون".

ويحتمل أن يكون المراد باسم الموصول في قوله: "الذين كفروا" المذكورين — في الآية السابقة — في قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْءًا﴾ وعدل سبحانه عن الضمير "هم" إلى الاسم الظاهر لاستقلاله. والظاهر أن المراد بهم المشركون خاصة، ولذلك أعيد الاسم الظاهر بدل الضمير. وقيل أريد "بالذين كفروا" خصوص اليهود، وذكروا لذلك سببا رواه الواحدي: إنّ يهود يشرب كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ إلى مدة، فلما أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم من النكبة، نقضوا العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أبي سفيان بمكة، وقالوا لهم: لتكونن كلمتنا واحدة، فلما رجعوا إلى المدينة أنزلت هذه الآية<sup>(2)</sup>.

ومعنى التركيب: قل — يا محمد — للكافرين ومنهم اليهود ستغلبون في الدنيا وتخسرون يوم القيمة إلى جهنم. وفي معنى الجملة تحديد ووعيد.

وما يماثل هذه الصورة أيضاً — قوله: ﴿قُل لِّلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ سُلِّمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب لرسول الله ﷺ ليطمئن المخالفين من الأعراب بأنهم سينالون مغامم في غزوات لاحقة، ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش رسول الله ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، ولكنه لحكمة شرعية؛ فهو حرمان خاص بغزوة معينة، وأنهم سيذعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين أشداء، فذكر سبحانه هذا الأمر في هذا المقام لإدخال الفرحة عليهم بعد الحزن بغية إزالة الانكسار عن أرواحهم من جراء الحرمان الذي نالهم. وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركون ما جنوه من التخلف عن صلح الحديثة، وكل ذلك دل على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان، ولو لم يكن شأنهم كذلك ما كانوا أهلاً لذلك الأمر<sup>(4)</sup>.

والمقصود من "الأعراب" — هنا — الذين نزل فيهم قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾<sup>(5)</sup>. وليس المراد بالمخالفين كل من يقع منه التخلف.

(1) آل عمران، 12.

(2) ينظر، أسباب النزول، ص 82، 81.

(3) لفظ، 16.

(4) ينظر، القرطي، الجامع، 16/272، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/94.

(5) الفتح، 11.

وأُسند الفعل "تدعون" إلى المجهول، لأن الغرض من الأمر امتناع الداعي رسول الله ولـي أمر المسلمين أو الخلفاء من بعده، وعدي هذا الفعل بـ"إلى" لإفادة أنها مضمنة معنى الذهاب أو السير، وهذا فرق بين تعديته بـ"إلى" وبين تعديته بـ"اللام".

وجملة "تقاتلوهم أو يسلمون" حال من ضمير "يدعون"، وأو" حرف عطف يفيد التخيير، أي أحد الأمرين؛ أما المقاتلة أو الإسلام، لا ثالث لهما، ولذلك كان"أو يسلمون" حالاً معطوفاً على الجملة "تقاتلوهم".

وقد يحذف الجار وال مجرور بعد فعل القول "قل" أو "قولوا" ، وذلك كقوله: **«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ»**

**فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ<sup>(١)</sup>**

الخطاب لرسول الله ﷺ، والحار والمحرر مذوف، وهو معلوم بقرينة المقام، أي: قل لهم يا محمد... وجملة مقول القول شرطية مصدرة بـ"إن"، وقد جعل سبحانه محبته فعلاً للشرط في مقام متعلق بالأمر باتباع الرسول؛ فالتعليق عليه تعليق شرط محقق، ثم رتب على الجزاء "فاتبعوني" مشروط آخر، وهو قوله: "يحببكم الله"، وهو جواب الشرط بتعبير النهاة، أما إطلاق الحب في قوله: "يحببكم الله" فهو مجاز قصد به لازم الحب، وهو الرضى، وتعليق محبة الله إياهم على "فاتبعوني" المعلق على قوله: "إن كنتم تحبون الله" يتربّ منه قياس شرطي اقتاري، ويبدل على الحب المزعوم إذا لم يكن معه اتباع الرسول؛ فهو كاذب، لأنّ الحبَّ مطيع لمن يحب.

واختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في قوم قالوا على عهد رسول الله ﷺ: "إنا نحب ربينا"، فأمر الله -جلت قدرته- نبيه أن يقول لهم: إن كنتم صادقين فيما تقولون، فاتبعوني، فإن ذلك علامه صدقكم<sup>(2)</sup>. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في وفد نحران إذ زعموا أن ما ادعوا في عيسى حب الله وبغضه<sup>(3)</sup>.

وقال ابن عباس: إن اليهود لما قالوا: "نحن أبناء الله وأحباؤه" أنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ علم اليهود فأبوا أن يقللواها<sup>(4)</sup>.

وعلى كل فالخطاب في الآية عام، ويشمل كل من ادعى حبّ الله، أي طاعته واتباع أمره، ولم يتبع رسول الله ﷺ، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاکمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحمدية، فإنه كاذب في دعوه في نفس الأمر حتّى يتعّش الشّرع الحمدي، والذين التّنوي في جمیع أقواله وأفعاله"<sup>(5)</sup>.

والمعنى: قل يا محمد لهم: إن كنتم تطيعون الله وترغبون في ثوابه، فامثلوا ما أنزل الله عליٰ من الوحي، يرض عنكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، وتحصل لكم محبته. ومحبة الله والرسول تجلّى في اتباع الإسلام وإطاعة رسول الله والعمل بشرعه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

.31 آل عمران، (1)

(2) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/231.

(3) ينظر ، المصدر ، السابقة ، 231/3.

٦٠ ص ، المقياس ، تنمية (٤)

٢٩/٢ تفسير القرآن العظيم، ٥

ومن ذلك -أيضاً- قوله: ﴿قُلْ مَتَّعِ الدُّنْيَا فَقَلِيلٌ﴾<sup>(1)</sup>.

يلحظ -كذلك- حذف الجار والمحرور "لهم"، وجملة مقول القول -هنا- اسمية، وهذا القول جواب من الله تعالى عن قول فريق من المنافقين، كما يدل عليه قولهم -في هذه الآية- ﴿وَقَالُوا مِنْا لَمْ كَثُبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، وهذا القول يحتمل أن يكون عيناً باليستهم، ليوقعوا الضعف والوهن في نفوس المستعددين للقتال. وسواء قولهم كان لسانياً، وهو الظاهر، أم كان نفسياً ليعلموا أن الله مطلع على ما تضمره نفوسهم، أي إن طلب التأخير لا يعني؛ فالتعلق به للاستبقاء على الحياة لا يوازي ما أعده الله في الآخرة. وكذلك قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَّا كُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

جملة مقول القول -هنا- جملة فعلية أمرية "اعملوا...", والمأمور هو رسول الله -حسب السياق- ليقول للمؤمنين: "اعملوا...", وحذف مفعول هذا الفعل، لأنه معلوم بالقرينة، أي: اعملوا الخير، وذلك لأن الأمر من الله تعالى لا يكون إلا بالعمل الصالح؛ فهو المطلوب، ليترتقي المؤمن إلى مرتب الكمال. وفي مضمون الجملة ترغيب في عمل الخير، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواءً أكان خيراً أو شراً، رغب إلى أعمال البر، وبخسأ أعمال الشر، وفيه أيضاً تحذير من التقصير، أو من ارتكاب المعاصي والذنوب، لأن عملهم لا يخفى على الله تعالى.

ويلاحظ أن جملة "مقول القول" تتوزع بين الجملة الفعلية والاسمية، ولعل أهم ما يميزها في الترتيب، ومنه في السور المدنية ما يأتي:

- 1- تصدرها بفعل أو بآداة ناسخة، أو آداة شرط أو استفهام، أو نداء.
- 2- كونها جملة اسمية مؤكدة وغير مؤكدة.
- 3- كونها جملة فعلية مثبتة ومنفية.
- 4- كونها معطوفة على جملة محكية.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها في الموضع الآتي:

البقرة: (58، 80، 83، 91، 93، 94، 97، 111، 120، 135، 139، 140، 142)، والآيات (215، 217، 219) مكرر.  
آل عمران: (15، 20) مكرر، (222، 220)، والآيات (26، 32، 61، 64، 73) مكرر، (78، 127، 176)، والآيات (4، 17، 18، 59، 60، 68، 76، 77)، والأمثال: (100، 119، 154)، والأنفال: (1)، والأنفال: (38)، والنساء: (16)، والآيات (183، 168، 165)، والنور: (43)، والرعد: (54)، والنور: (53)، والتوبه: (24)، والآيات (52، 51)، والآيات (61، 64، 65، 81، 83، 94)، والآيات (36، 33، 30، 27).

.77(1) النساء،

.105(2) التوبه،

والأخزاب: (16، 17)، والنفتح: (11، 15)، والحرجات: (14)(مكرر)، (16، 17)، وال الجمعة: (6، 11، 8)، والتغابن: (7).

### **النمط الثاني: المضارع المقوون بلام الطلب (أداة طلب (لام)+ فعل مضارع).**

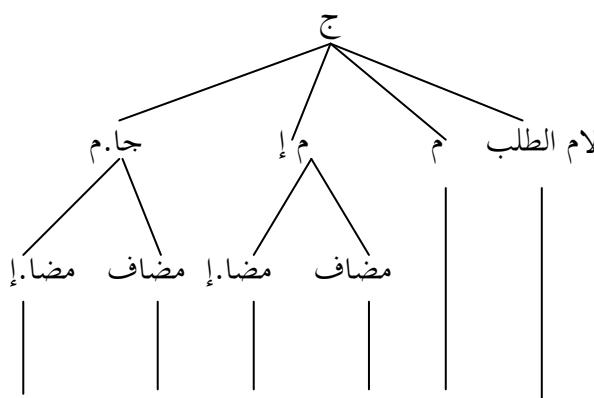
يتم الأمر في هذا النمط باللام، وهي التي تسمى بـ"لام الأمر" أو بـ"لام الطلب"<sup>(1)</sup>، وذلك في صيغة "ليفعل"، لأن هذه اللام إنما تدخل للمأمور الغائب<sup>(2)</sup>، ولكل من كان غير مخاطب، ولو كانت للمخاطب لكنه جيداً على الأصل<sup>(3)</sup>.

ولام الطلب تدل على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء. قد يخرج الأمر إلى دلالات أخرى تفهم من خلال السياق كالدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد، ولهذا يحسن أن يطلق عليها مصطلح "لام الطلب"؛ فهو أدق وأنساب وأنشئ من تسميتها بـ"لام الأمر" لقصور هذه التسمية عن الشمولية<sup>(4)</sup>.

وقد ورد هذا النمط في تسع وثلاثين جملة، يوزع على الصور الآتية:

### **الصورة الأولى: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ جار و مجرور.**

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: **لِيُنْتَفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ**<sup>(5)</sup>.



<b>لِيُنْتَفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ</b>	
+أداة	+مضارع
+مركب إضافي	+الأسماء الستة
+مفعون بالواو	+مجزوم
+مركب إضافي	+مكسورة + سكون
+نيابة عن الضمة	+جازمة

(1) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص318، والاستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 2/251، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص334.

(2) ينظر، أبو الحسن الهروي، الألفاظ، تحقيق وتعليق، يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1980، 1، ص120.

(3) ينظر، المبرد، المقتصب، 44، 45/2.

(4) ينظر، أبو السعود حسنين، العناصر الأساسية للمركب الفعلاني وأنماطها من خلال القرآن الكريم، ص95.

(5) الطلاق، 7.

اللام لام الطلب، وهي حازمة، وكسرت - هنا - لأنها وقعت في أول الجملة<sup>(1)</sup>، وقد دخلت على مضارع "ينفق" بصيغة الغائب فجزمته، وأشار النحاة إلى أن هذه اللام تدخل على كل من الغائب والمخاطب والمتكلم<sup>(2)</sup>. والأمر موجه إلى المسند إليه "ذو" المضاف إلى "سعة"، وهو أمر لأهل التوسعة، أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم، وهذا ما يدل عليه سياق الآيات السابقة المتصلة بجملة الأمر هذه، وقال الزمخشري: الأمر لكل من الموسر والمعسر بالإنفاق على المطلقات والمرضعات<sup>(3)</sup>، فينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا يضيع حق الزوجة، بل يكون الإنفاق معتملاً. وفي هذا المعنى دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس<sup>(4)</sup>، فهي ليست مقدرة شرعاً، وإنما تقدر عادة بحسب الحالة من المنفق والحالة من المنفق عليه، فتقدر بالاجتهاد على مجرى العادة، ويتحلى المعنى أكثر من الجملة المعطوفة - في هذه الآية - في قوله: **﴿فَلَيُنْفِقُ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ﴾**، أي: لينفق على المولود والده أو ولد بحسب قدرته، ومن كان فقيراً أو مضيقاً عليه في الرزق، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق بقدر سعته.

ويلاحظ إسكان لام الطلب في هذه الجملة المعطوفة، وقد أشار النحاة إلى أنها تسكن في اللغة الجيدة إذا دخلت عليها الفاء أو الواو لئلا تتواتي الحركات<sup>(5)</sup>، وفهم الطلب بقرينة "اللام"؛ فزمن المعنى في الفعل هو المستقبل، وهو أمر بالإنفاق على سبيل الوجوب.

**الصورة الثانية: لام الطلب + مسند + مسند إليه + جار و مجرور + مضاف إليه (مكر).**

وردت في قوله تعالى: **﴿وَلِيَضْرِبُنَّ بَخْمَرَهُنَّ عَلَى جِيُوبِهِنَّ﴾**<sup>(6)</sup>.

قرأ الجمهور: "وليضربن" بسكون لام الطلب، وقرأ أبو عمرو بكسر اللام على الأصل<sup>(7)</sup>، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم: "جيوبهن" بضم الجيم، وبباقي السبعة بكسر الجيم لأجل الياء<sup>(8)</sup>. والمعنى واحد

(1) ينظر، المبرد، المقضب، 133/2، والعكيري، الليباب، تحقيق عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط 1، 1995، 49/2.

(2) ينظر، المبرد، المقضب، 44/2، وابن السراج، الأصول في النحو، 2/157.

(3) ينظر، الكشاف، 123/4، 122/4.

(4) ينظر، الوادي، الوسيط، 315/4، والبغوي، معلم التزييل، 4/360، وابن الجوزي، زاد المسير، 8/297، والكتبي، التسهيل، 2/459.

(5) ينظر، المبرد، المقضب، 133/2، والعكيري، الليباب، 2/49.

(6) الور، 31.

(7) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 10/489، والقرطبي، الجامع، 12/230، وأبو حيان، البحر المحيط، 6/413.

(8) ينظر، الداني، التيسير، ص 131، وابن الجوزي، زاد المسير، 6/32، والقرطبي، الجامع، 12/230.

في القراءتين، وضمن قوله: "وليضرن" معنى ولি�ضعن، ولذلك عدي الفعل بـ"على"، كما تقول: ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه<sup>(1)</sup>.

والباء في قوله: "بخمرهن" تفيد الإلصاق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب والخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجذوب: جمع جيب، وهو جيب القميص<sup>(2)</sup>، وهو هنا فتحة في أعلى الشوب يليو منها بعض النحر.

ومعنى الجملة: ولنضرن خمورهن على جذوب الأقمة، بحيث لا يبقى بين منتهى الخمار ومبدأ الجيب ما يظهر منه الجيد.

وسبب هذا الأمر أن النساء في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخرمة سدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأمرن أن يضرن خمورهن على الجذوب<sup>(3)</sup>، وروي عن عائشة رضي الله عنها - أنها قالت: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله - هذه الآية - شفقتن مروطهن فاختمن به"<sup>(4)</sup>، وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت الحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا"<sup>(5)</sup>، وأشار إلى وجهه وكفيه، وفي معنى الأمر إشارة إلى أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها، فقد منع من إبراز محسن حلقهن، فأوجب سترها بالخمار اتقاء الفتنة.

### **الصورة الثالثة: جار و مجرور + أدلة عطف + لام الطلب + مسند + مسند إليه.**

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(6)</sup>.

تقدّم الجار والمجرور "على الله" على المسند والمسند إليه، وتأخر المسند إليه "المؤمنون" لرعاية الفاصلة، وللاهتمام بتقدّيم لفظ الحاللة "الله". وقد يقال سبيوبيه وغيره: والعرب قد يداها إذا أرادت العناية بشيء قدّمته<sup>(7)</sup>، وذلك لأنّ أصل الجملة: فليتوكّل المؤمنون على الله. ومن واجب المتوكّل على الله أن يقوم بما أوجبه عليه من أحكام، وبهتدى بسننه الكونية من الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية كإعداد العدة الكاملة، والابتعاد عن التنازع الذي يفرق الكلمة ويولد الوهن والفشل.

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 413/6.

(2) ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 497/1، (جيب).

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 489/10، والرازي، مفاتيح الغيب، 23/179، والقرطبي، الجامع، 12/230.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، 310/6، (كتاب التفسير).

(5) أخرجه أبو داود في سننه، 2/460، (كتاب الملائكة).

(6) آل عمران، 122، والمائد، 11، والغوبية، 51، والمجادلة، 10، والغافر، 13.

(7) ينظر، الكتاب، 34/1 - 56.

**الصورة الرابعة:** لام الطلب+ مسند+ مسند إليه (اسم موصول)+ جملة موصولة  
(اسمية).

تبين هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾<sup>(1)</sup>.

الفعل المضارع "يملل" مضاعف، وقد فك إدغامه في هذه الجملة، وجاء مدغماً في هذه الآية-في قوله:  
﴿أَوَ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمْلِلَ﴾، ويرد هذا الفعل إلى لغتين: أمل، وأملٍ. فالأولى لغة أهل الحجاز وبني أسد،  
والثانية لغة تميم<sup>(2)</sup>. وورد الفعل في هذه الجملة على اللغة الأولى، وجاء على اللغة الثانية في قوله تعالى:  
﴿فَهِيَ تُمَلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(3)</sup>، والأصل: أملل، ثم أبدلت اللام ياء، لأنها أخف<sup>(4)</sup>، ومعنى اللغتين كما  
ورد عند صاحب اللسان أن يلقى صاحب الحق كلاما على سامعه ليكتبه عنه<sup>(5)</sup>، والأمر للذي عليه الدين  
بإملاء، لأن الشهادة إنما تكون بحسب إقراره بثبوت الدين في ذاته<sup>(6)</sup>، ومعنى التركيب: وليلق الكاتب  
ما يكتبه من عليه الحق من المتعاملين، ليكون إملاؤه حجة عليه، تبينه الكتابة وتحفظه، والغرض من هذه الكتابة  
حفظ الديوان.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلَيُؤَدِّ الَّذِي أَوْتَنَا إِمَانَتَهُ﴾<sup>(7)</sup>.

جملة الأمر جواب الشرط-في هذه الآية-في قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...﴾.

المختلف في هذه الجملة عن سابقتها أن صلة الموصول وردت جملة فعلية ماضوية، والفعل المضارع "يؤد"

محزوم بلام الطلب، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ومعنى الأداء: الدفع ورد الشيء، يقال: أدى فلان دينه  
أي قضاه<sup>(8)</sup>، ومنه أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(9)</sup>.

والمفعول به في قوله: "أمانته" مصدر سمي به الشيء الذي في الذمة، وأضيف إلى الذي عليه الدين من  
حيث النسبة إليه. وهذا الضمير (الهاء) يعود إلى "الذي أؤمن".

ودلالة الأمر الوجوب بقرينة لفظ "أمانته"؛ فالأمانة واجبة الأداء، واستخدم لفظ أمانة، لأن له مهابة  
في النفوس المؤمنة، وذلك لتحذير المتقلين من عدم الوفاء بالأمانات، وسمى أمانة؛ لأن عدم أدائها ينعكس على  
خيانته.

(1) البقرة، 282.

(2) [بنظر، القرطي، الجامع، 385/3، ابن منظور، لسان العرب، 631/11، ملل].

(3) الفرقان، 5.

(4) [بنظر، القرطي، الجامع، 385/3].

(5) [بنظر، ابن منظور، لسان العرب، 631/11، ملل].

(6) [بنظر، القراء، معاني القرآن، 1/183].

(7) البقرة، 283.

(8) [بنظر، ابن منظور، لسان العرب، 14/26، أدا].

(9) النساء، 58.

## الصورة الخامسة: لام الطلب + مسند + مسند إليه + مفعول به.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: **(ثُمَّ يَقْضِيُونَهُمْ)**<sup>(1)</sup>.

اختلت القراءة في سكون لام الطلب وتحريكها، فقرأً ورش عن نافع، وقبل عن ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو بكسر لام "ليقضوا"، وقرأ الباقيون بسكون اللام<sup>(2)</sup>، وهو لغتان في لام الطلب (الأمر) إذا وقعت بعده "ثم"<sup>(3)</sup>، والأحسن مع "ثم" كسر اللام، لأنه حرف يقوم بنفسه، ويمكن الوقوف عليه، والابداء به<sup>(4)</sup>.

والفعل تقييد بالمفعول به "تفت" المضاف إلى الضمير "هم"، والمراد بهم قوم إبراهيم اللعنة بدلالة السياق.

وترد المفسرون في المراد من كلمة "التفت"، فقال الفراء: "وأما التفت فحر البدن وغيرها من البقر والغنم وحلق الرأس، وتقليم الأظافر وأشباهه"<sup>(5)</sup>، وعند ابن عطية: "ما يفعله الحرم عند حلّه من تقصير شعره وحلقه وإزالة شعر ونحوه"<sup>(6)</sup>، ويوافقه البغوي وبعض المفسرين فيما ذهب إليه<sup>(7)</sup>.

والظاهر من خلال السياق أن "التفت" ليس بتقليم ظفر، ولا بإزالة وسخ ولا شعر، وإنما هو عمل من أعمال الحج، وذلك بدلالة فعل "ليقضوا"، ويفيد هذا المعنى ما روى عن ابن عباس وابن عمر في أن المراد ليتموا مناسك الحج من حلق الرأس ورمي الجamar وغير ذلك<sup>(8)</sup>.

وإنّ موضع "ثم" في عطف جملة الأمر على ما قبلها يدل على معنى التراخي الريجي لا الزمني، فيقتضي أن المعطوف بـ"ثم" أهـمـ ما ذكر قبلها، فإنـّـ أعمالـ الحـجـ هيـ المـهـمـ فيـ الـقـدـومـ إـلـىـ مـكـةـ، وـمـنـ ثـمـ فـلاـ حـرـمـ أنـ يـكـونـ المرـادـ منـ "الـتـفـتـ"ـ منـاسـكـ الحـجـ، وـفـيـ الـأـمـرـ دـلـيلـ عـلـىـ وجـوبـ الـقـيـامـ بـتـلـكـ المـنـاسـكـ.

وتتكرر هذه الصورة في الجملة المعطوفة —في هذه الآية— في قوله: **(وَلَيُوفُوا نُذُورَهُمْ)**.

الأمر بالوفاء بالنذور من أعمال الحج، أي: إن كانوا قد نذروا أعمالاً زائدة على ما تقتضيه فريضة الحج مثل نحر البدن والاعتكاف في المسجد الحرام أو إطعام بائس أو نحو ذلك، والأمر يدل على وجوب الوفاء بالنذور الشرعية، أما النذور للأولياء فهي شرك، ولا يجوز الوفاء بها.

.29(1) الحج، 29.

(2) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 2/224، والداني، التيسير، ص 127، وابن الجوزي، النشر، 2/326.

(3) ينظر، المبرد، المقتصب، 2/133، والاستراباذي، شرح الكافية، 2/251، والعكري، الباب، 2/49.

(4) ينظر، الهروي، اللامات، ص 120.

(5) معاني القرآن، 2/224. وينظر، السوطني، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1985، ص 182.

(6) المحرر الوجيز، 10/269.

(7) ينظر، معالم التنزيل، 3/284، وابن الجوزي، زاد المسير، 5/427، والنسفى، مدارك التنزيل، 2/113.

(8) ينظر، ابن عباس، تجوير المقياس، ص 352، والطبرى، جامع البيان، 17/141.

### الصورة السادسة: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه(مضمر)+ مفعول به+ بدل.

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: **«وَلَيَقُولَّ اللَّهُ رَبِّهِ»**<sup>(1)</sup>.

المسند إليه (المأمور) غير بارز في البنية السطحية للجملة، ويقدر بضمير الغائب (هو)، ولفظ الحالة "الله" المؤدي وظيفة المفعولية، هو الأمر. والأمر تضمنه المسند (المضارع) الذي حذف آخره (حرف العلة)، لأنه مجروم بلام الطلب.

ويلاحظ أن ضمير المأمور يعود على "الذي عليه الحق" في الآية (282)، ويعود على "الذي أؤمن أمانته" في الآية (283)، وقد أمر بأن يتقي عذاب الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. وفي معنى الأمر تحذير، وزيد في التحذير بذكر اسم الحالة "الله" مع إمكان الاستغناء بقوله: "وليتق ربه"، والمراد إدخال الفزع في نفس المتلقى، وتربيته على مهابة الله تعالى، فيطبق أحکامه.

### الصورة السابعة: لام الطلب+ مسند+ مسند إليه+ جار و مجرور+ صفة.

وردت في قوله تعالى: **«وَلَيَطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ»**<sup>(2)</sup>.

الأمر خطاب لإبراهيم الكَلِيلُ بدلالة السياق، وقد أمر هو وأتباعه بالطواف بالبيت العتيق، فيفيد الأمر فريضة الإفاضة، وقيل: إن المراد به طواف الوداع، واستدل بالأية على أن الطواف لا يجوز داخل البيت إلا في شيء من هواه<sup>(3)</sup>، وهو يؤذن بأنهم كانوا يجعلون آخر أعمال الحج الطواف بالبيت، وهو المسمى في الإسلام طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج، ولا يصح إلا بعد الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة. ووصف البيت بـ"العتيق" تشريفا له، والمراد بـ"العتيق" القلب، لأنه أقدم موقع للعبد، وقد يكون موصوفا بهذا الوصف، لأنه أُعتقد من الجبابرة؛ فهو حجر غير ملوك للناس، وهذا البيت المكرم معهود عند نزول القرآن، فلذلك عُرف بلام العهد.

### الصورة الثامنة: لام الطلب+ مسند+ ظرف+ مسند إليه+ جار و مجرور.

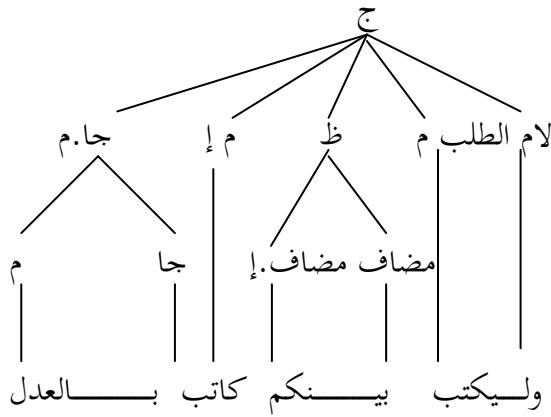
تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: **«وَلَيَكُتُبَ بَيْنَ كُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ»**<sup>(4)</sup>.

.282,283(1) البقرة:

.29(2) الحج:

.182(3) ينظر، السيوطي، الإكليل، ص:

.282(4) البقرة:



قرأ الجمهور: "وليكتب" بإسكان اللام، لأنه مسبوق بالواو، وقرأ الحسن بالكسر على الأصل<sup>(1)</sup>.

وأُسند أمر الكتابة إلى "كاتب" مبالغة في أمر المتدainين بالاستكتاب، فالعرب تعمد إلى المراد فتنزله منزلة الوسيلة مبالغة في حصوله، كقولهم في الأمر: ليكن ابنك مؤدبا.

ومتعلق فعل الطلب هو ظرف "يُنَكِّم" أي: بين صاحب الدين والمستدين، والجار والمجرور "بالعدل" بمعنى الحق والإنصاف، بحيث لا يكون للكاتب ميل إلى أحدهما دون الآخر.

واختلف فيما تعلق به الجار والمجرور "بالعدل"، فقال ابن عطية: متعلق بـ"ليكتب" وليس بـ"كاتب" لأنه كان لازما عليه ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه<sup>(2)</sup>، وقال الزمخشري: متعلق بـ"كاتب" وهو صفة له، أي: كاتب مأمون على ما يكتب؛ يكتب بالسوية، والاحتياط، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بشروط الكتابة، وهو أمر للمتدainين بتحrir الكاتب بأن لا يستكتبا إلا فقيها ذا خلق فاضل<sup>(3)</sup>.

واختلف في دلالة الأمر، فقيل: فرض كفاية، وقيل: فرض عين على الكاتب متى طلب منه، وكان في حال فراغه، وقيل: إنه ندب<sup>(4)</sup>. والصواب أنه أمر إرشاد، فيجوز للكاتب أن يتخلص عن أمر الكتابة حتى يأخذ أجره، إذ لو كانت الكتابة واجبة على الكاتب وحوبا عينيا ما صح الاستئجار بها، لأن الإجارة على فعل الفرض باطلة.

(1) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 360/2.

(2) ينظر، المحرر الوجيز، 2/502.

(3) ينظر، الكشاف، 1/402.

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/119، وابن عطية، المحرر المجيز، 2/502، والغوى، معالم التنزيل، 1/267، 268.

**الصورة التاسعة: نائب مفعول مطلق+مسند+مفعول به+مسند إليه+لام الطلب+Aداة عطف (الفاء)+مسند إليه (مضمر).**

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ فَلَيَكْتُبَ﴾**<sup>(1)</sup>.

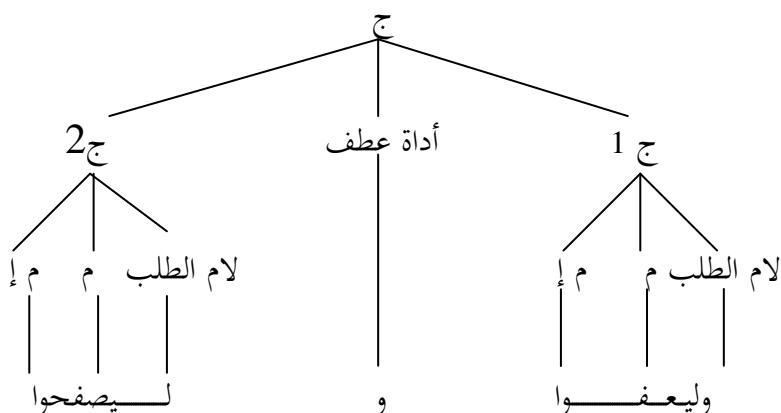
الكاف في "كما" للتшибية، وهي في موضع المفعول المطلق، لأنها صفة مصدر مذوف، والتقدير: أن يكتب الكاتب كتابة مثل ما علمه الله الكتابة، أو فليكتب كتابة مثل ما علمه الله. والمعنى: فليكتب الكتابة تشابه الذي علّمه الله دون تبديل ولا تغيير، وفي ذلك حث على بذل جهده في إتقان فن الكتابة، والعمل وفق الحكم الشرعي، والظاهر تعلق "الكاف" بقوله: "أن يكتب" -في الآية- إلا أن الكلام توقف عند قوله: "أن يكتب"، ولهذا يكون متعلقا بالأمر في قوله: "فليكتب"، ويكون ترتيب عناصر الجملة: فليكتب كما علّمه الله.

والفرق الدلالي بين التعلق في الموصعين أنه إذا تعلق بـ"أن يكتب" كان تابعا لجملة النهي، فهو نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة، وإذا كان متعلقا بقوله: "فليكتب" كان ذلك خريا عن الامتناع من الكتابة على الإطلاق، ثم أمر بها مقيدة<sup>(2)</sup>.

ويستفاد من مضمون الجملة أن تعليم الله الكاتب ليس خاصا بصناعة الكتابة، بل هو يعم كل ما وكل إليه من أحکام شرعية، فالكتاب لا تكون كتابة موثوقة إلا إذا كان الكاتب عالما بالأحكام الشرعية، وتتوفر فيه شروط المؤثر.

**الصورة العاشرة: لام الطلب+جملة فعلية مضارعية(مسند +مسند إليه)+أداة عطف+جملة فعلية مضارعية (مسند +مسند إليه).**

وردت في قوله تعالى: **﴿وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفُحُوا﴾**<sup>(3)</sup>.



(1) البقرة، 282.

(2) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/ 402، 403، 404، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/ 360.

(3) النور، 22.

تميزت الجملتان المتعاطفتان بالاختصار، والتقدير: وليعفوا عنهم ولি�صفحوا. بمعنى وإن كانت بينهم شحنة لختامية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح.

الخطاب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بقرينة المقام، وقد استخدمت صيغة الجمع للتعظيم، فقد ذُكر في أسباب النزول أنّ أباً بكر الصديق أقسم ألا ينفق على مسطح بعد أن قال ما قاله في عائشة رضي الله عنها.

وما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿... أَلَا تَحْبُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُم﴾ قال: والله إني أحب أن يغفر الله لي، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: "والله لا أنزعها منه أبداً"<sup>(1)</sup>.

وأختلف في قراءة الفعلين المضارعين، فقرأ الجمهور بباء الغائب، وقرأ عبد الله بن مسعود، والحسن وسفيان بن الحسين بباء الخطاب، وهو أمر للحاضرين<sup>(2)</sup>، أي: لتفعوا عن المساء، وتصفحوا عن خطأ المذنب، فلا تعاقبوه ولا تحرموه من العطاء، ولتعودوا إلى صلتكم الأولى، فإن أخطأ مرة فلا يشدد في العقاب عليه. وقد عقب مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش جزاء حوضهم في إثم الإفك، وتابوا فغفر الله لهم. وذكر هؤلاء الذين أقيمت عليهم الحد أبو داود عن عائشة رضي الله عنها<sup>(3)</sup>. وفي الأمر ترغيب في العفو والصفح، وهو وعد من ربّ رحيم كريم بمغفرة ذنوب التائبين.

**الصورة الحادية عشرة: لام الطلب+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه(مضمر)+جار ومجرور (مكرر)+أداة عطف (ثم)+جملة معطوفة (مسند+مسند إليه (مضمر).**

وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَيْمَدُ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾<sup>(4)</sup>.

جملة الأمر "فليمد بسبب إلى السماء" جواب شرط حازم مقتنن بالفاء، والمضارع "يمدد" محزوم بلام الطلب، وجاء بصيغة الغائب، والضمير المستتر (المسند إليه) عائد على "من كان يظن أنَّ لن ينصره الله" في هذه الآية. وقد يكون هؤلاء الذين يظنون أن الله لن ينصرهم جماعة من المنافقين أسلموا واستبطأوا نصر الله فيئسوا منه، أو أنهم ظنوا أن الله لا ينصرهم في الدنيا ولا في الآخرة إن بقوا على الإسلام<sup>(5)</sup>.

والجار والمجرور "بسبب" متعلق بـ"يمدد"، ويجوز أن تكون الباء زائدة، و"بسبب" اسم مجرورا لفظا منصوبا محلا على المفعولية، والتقدير: فليمد سببا.

(1) البخاري، الصحيح، 3/216، (كتاب الشهادات)، ومسلم، 4/2129، (كتاب التوبية)، والواحدي، أسباب النزول، ص 270.

(2) ينظر، ابن حني، المحتسب، 2/106، وابن عطية، المحرر الوجيز، 10/470، وأبو حيان، البحر المحيط، 404/6.

(3) ينظر، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة، كمال يوسف الحوت، دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1988، 2/568.

(4) الحج: 15.

(5) ينظر، السمر قدي، بحر العلوم، 2/388، والرازي، مفاتيح الغيب، 23/15.

والجار وال مجرور "إلى السماء" متعلق بصفة محدوفة من "بسبب"، يعني : بجمل إلى سقف، وفي هذا المعنى تعجيز؛ فهم لا يستطيعون القيام بهذا الفعل.

وحييء بجملة معطوفة "ثم ليقطع" لدلالة التراخي الربعي، ومفعول "يقطع" محدوف لدلالة المقام عليه، والتقدير: ثم ليقطعه، أي: ليقطع السبب.

وفي قراءة عبد الله: "ثم ليقطعه" بذكر المفعول به، يعني السبب وهو الجبل،<sup>(1)</sup> والقطع يدل على الاختناق، لأنه يقطع الأنفاس، وذلك تحكم بهم في أنهم لا يجدون مناصا في شيء من أفعالهم.

**الصورة الثانية عشرة:** لام الطلب+مسند+مسند إليه(اسم موصول)+جملة مضارعية (مسند +مسند إليه+ جار و مجرور+ مضاف إليه + مفعول لأجله-جملة مصدرية-).

وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الذِّينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَيْمَنٌ﴾.<sup>(2)</sup> الفعل المضارع "يحذر" مجزوم بـ"لام الطلب" ، وكسر لانتقاء الساكدين، والفاعل اسم الموصول "الذين" ، والفعل "يخالفون" يتعدى إلى المفعول به مباشرة، ولكنه تعدى إليه-في هذه الجملة- بواسطة "عن" للتضمينه معنى الصدود والإعراض، أو يعني يتجاوزون عن أمره، فهي ليست زائدة.<sup>(3)</sup> والضمير في "أمره" عائد إلى الله سبحانه وتعالى، أو على رسوله الكريم في هذه الآية . وجملة "أن تصيبهم فتنة" بتأويل مصدر في محل نصب مفعول لأجله، بتقدير: كراهةً أن تصيبهم نائب في الدنيا، ثم عطف على الجملة المصدرية بـ"أو" المفيدة للتخيير، يعني: أو يصيبهم عذاب عظيم في الآخرة.

والخطاب للمنافقين بقرينة السياق والمقام، فقد ثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة الرسول ﷺ فكانوا يلوذون بعض أصحابه فيخرجون من المسجد خفية معرضين عن أمره أو مخالفين بعد أمره<sup>(4)</sup>.

وقال ابن عطية: "معناه يقع خلافهم بعد أمره".<sup>(5)</sup>

والامر بالحذر للوجوب، وهو قول جمهور المفسرين،<sup>(6)</sup> فهو تحذير من عذاب الله ونقمة إذا خالفوا عن أمره.

(1) ينظر، القراء، معاني القرآن، 218/2، والقرطي، الجامع، 12/22.

(2) البور: 63.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 437/6، والسمين الحلببي، الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون، حققه علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العالمية، بيروت، ط. 1، 1994، 239/5.

(4) ينظر، البغوي، معلم التنزيل، 359/3، والقرطي، الجامع، 12/322 ، والخازن، لباب التأويل، 3/307.

(5) المحرر الوجيز، 10/556.

(6) ينظر، السمر قندي، بحر العلوم، 2/451، والقرطي، الجامع، 12/322، وأبو حيان، البحر المحيط، 6/437، والسيوطى، الإكيليل، ص 196.

**الصورة الثالثة عشرة:** لام الطلب+مسند إليه+جار و مجرور+أداة عطف  
**(الواو)+جملة معطوفة** (مسند+مسند إليه+جار و مجرور)+جملة تعليلية (ناسخ  
**(العل)+مسند إليه+مسند).**

تبين هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَتْجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(1)</sup>

جملة "فليستجبوا لي" تساوي في بنيتها جملة "ليؤمنوا بي"، وت تكون كل منهما من (لام الطلب)، و فعل مضارع مسند إلى ضمير الجماعة (الواو)، وجار و مجرور.

ومعنى "فليستجبوا لي": فليطلبوا إحابتي لهم إذا دعوني، فتكون صيغة (استفعل) قد دلت على الطلب، "وليؤمنوا بي" معطوف على "فليستجبوا لي"، ومعناه الأمر بالإيمان بالله، وذلك بالمداومة على الفعل، لأن الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق الآية.

والتركيب تخصصه جملة "لعلهم يرشدون" تخصيصاً تعليلياً، والمعنى: أئم إذا استجابوا الله وأمنوا به كانوا على رجاء من حصول الرشد لهم، وهو الاهتداء لصالح دينهم ودنياهם.

وذيل التركيب برجاء الرشد، لأنه تعالى لما أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به نبه على أن هذا التكليف ليس المراد منه إلا الوصول بامتثاله إلى الرشد، والرشد ضد الغي والفساد، وذلك من أحسن ما يطلب العبد من ربها.

**الصورة الرابعة عشرة:** لام الطلب+جملة منسوخة ( فعل الكينونة +جار و مجرور+مسند إليه +مسند (جملة مضارعية)+أداة عطف+جملة مضارعية معطوفة (مكررة)).

وردت في قوله تعالى: ﴿وَكَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(2)</sup>.

قرأ الجمهور: "ولتكن" بسكون اللام، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر، وأبو حيوه بكسرها على الأصل.<sup>(3)</sup> والقراءاتان فصيحتان، لأنها يجوز تسكين اللام وكسرها بعد الواو والفاء، لأنهما يتصلان بالكلمة كائنهما منها، ولا يمكن الوقوف على واحد منها.<sup>(4)</sup>

والمحاطب بضمير "منكم" هم أصحاب رسول الله ﷺ بقرينة المقام، ويجوز أن تكون "من" بيانية<sup>(5)</sup>، يكون متعلق الأمر جميع الأمة، أي ولتكونوا كلكم أمة يدعون إلى الخير. ويجوز - أيضاً - أن يكون الخطاب لأصحاب

(1) البقرة، 186.

(2) آل عمران، 104.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/254، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/23.

(4) ينظر، الهراوي، الlamات، ص 120.

(5) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/452.

رسول الله، وأن تكون "من" للتبعيض، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة<sup>(1)</sup>، وهو الذين تتوفر فيهم شروط الدعوة. وتدل صيغة "ولتكن" على الوجوب، لأن الأمر يدل دوماً على الوجوب إذا لم تكن هناك قرينة مانعة من ذلك. فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معلوم بين المؤمنين من قبل نزول هذه الآية، فالامر لتشريع الوجوب، وإذا كان ذلك حصل بينهم من قبل كما يدل عليه قوله تعالى: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ إِخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**<sup>(2)</sup>، فالأمر لتأكيد ما كانوا يقومون به والدعوة إلى وجوبه على الدوام. وفيه إضافة الأمر بالدعوة إلى الخير. وينطبق هذا الحكم على الأجيال المتعاقبة بطريق القياس حتى لا تعطل الدعوة، فتضعف شوكة المسلمين، وليس الكل مأمورين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يكون الواجب على الكفاية، وذلك من توفرت فيهم شروط الكفاءة للقيام بهذا الغرض، وإلى هذا ذهب حل العلماء<sup>(3)</sup>، فهذا الواجب تقوم به جماعة متخصصة بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي حذف مفاعيل "يدعون" و "يأمرون" و "ينهون" دلالة على أن المراد بها التعميم لا التخصيص، أي: يدعون كل أحد كان، أو كل أمة من سائر الأمم، وذلك للحفاظ على الجامعة وسياج الأمة الإسلامية.

**الصورة الخامسة عشرة: لام الطلب+جملة مضارعية (مسند+مسند إليه+صفة+أداة عطف+جملة مضارعية (لام الطلب+مسند+مسند إليه+صفة+حال+جار+ مجرور+جملة اسمية منسوبة(صلة الموصول).**

وردت في قوله تعالى: **فَلَيَضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكِّرُوا كَثِيرًا جَرَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**<sup>(4)</sup>.

المأمورون هم **"الْمُخْلَفُونَ بِمَقْدُدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ"** في الآية السابقة. والأمر بالضحك- هنا- كناية عن الفرح أو قصد ضحكتهم فرحا لاعتقادهم، والبكاء كناية عن حزنهم في الآخرة، فالامر بالضحك وبالبكاء مستخدم في الإخبار بحدوثهما فعلا، إذ هما من أمر الله تعالى.

واتسم التركيب بالاختصار، حيث حذف المفعول المطلق في الجملتين المتعاطفتين، وقامت الصفة مقامه، والتقدير: **فَلَيَضْحِكُوا ضَحْكًا قَلِيلًا، وَلَيُبَكِّرُوا بَكَاءً كَثِيرًا...**

(1) ينظر، المصدر السابق، 1/452، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/23.

(2) آل عمران، 110.

(3) ينظر، السمر قدي، بحر العلوم، 1/289، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 3/255، وابن العربي، أحكام القرآن، 1/292.

(4) التوبية، 82.

والحال في قوله: **﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** حال من ضمير الجماعة، أي: جزاء لهم بما فعلوا، وجزاؤهم هو البكاء الكبير المعاقب للضحك القليل. وفي ذكر فعل الكينونة الماضي دلالة على نمك الخطأ منهم منذ زمن مضى. وجيء بالمسند (خبر كان) بصيغة المضارع في قوله: "يكسبون" للدلالة على التحديد والتكرار. وفي مضمون جملة الأمر وعيد لهم بأنهم صائرؤن إلى العذاب المهين في الآخرة.

**الصورة السادسة عشرة:** لام الطلب+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+جار مجرور+أداة عطف+معطوف(مجرور)+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به)+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به+مفعول فيه)+أداة عطف+معطوف(مفعول فيه).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: **﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِيزُوهُ وَتُوقِرُوهُ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾**.<sup>(1)</sup> جملة "لتؤمنوا بالله ورسوله" استثنائية، واللام فيها لام الطلب، وليس لام التعليل.

وأختلف القراء في قراءة أفعال هذه الآية، فقرأ الجمهور الأفعال الأربع: "لتؤمنوا"، "وتعزروه"، "وتوقروه"، "وتسبحوه" بتاء الخطاب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة فيها،<sup>(2)</sup> واختلفوا كذلك في قراءة قوله: "تعزروه"، فقرأ عامة القراء العشرة هكذا، وقرأه علي وابن عباس وابن السميف: "وتعزروه" بزاءين .<sup>(3)</sup>

ومعنى القراءة بـ"تعزروه"، أي: تنصروه وتعظموه وتكتبوا، والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه. قال النحاس: وأصله (يعني التعزيز) في اللغة من التجليل والتطهير، ومنه التعزيز الذي هو دون الحد، لأنه مانع.<sup>(4)</sup> قال القطامي:

**أَلَا بَكَرْتُ مَيْ بِغَيْرِ سَفَاهَةٍ      ثُعَابٌ وَالْمُؤْدُودُ يَنْفَعُهُ الْعَزْرُ**<sup>(5)</sup>

ومعنى القراءة بـ"تعزروه" يقال: عززه، أي: جعله عزيزاً وقوياً، ومنه قوله تعالى **﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾**.<sup>(6)</sup>

(1) الفتح، 9

(2) ينظر، الداني، التيسير، ص 163، والقرطبي، الجامع، 266، وابن الجزي، الشر، 2/375، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/92.

(3) ينظر، ابن حني ، المحسوب، 2/275، والزمخشري، الكشاف، 3/543، وابن عطية، المحرر الوجيز، 13/440، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/92.

(4) ينظر، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، السعودية ، ط 1، 1410 هـ، 500.

(5) الديوان، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1960، ص 124.

(6) بيس، الآية 14.

وللمفسرين رأيان في مرجع الضمائر في الآية: أحدهما أن الضمائر كلها مرجعها إلى لفظ الجلالة. وثانيهما أن الضمائر بعضها لرسول الله عليه الصلاة والسلام وبعضها لله تعالى، فـ "تعزروه وتوقروه" للرسول، "وتسبحوه" لله تعالى، قال ابن عطية: "وقال بعض المتأولين: الضمائر في قوله تعالى: تعزروه وتوقروه وتسبحوه" هي الله تعالى. وقال الجمهور: "تعزروه وتوقروه" هما للنبي ﷺ و "تسبحوه" هي الله تعالى<sup>(1)</sup>. وقال الرازى: "الكنایات المذکورة في قوله تعالى: ﴿وَتَعْزِيزُوهُ وَتَوْقِيرُوهُ وَتَسْبِحُوهُ﴾ راجعة إلى الله تعالى أو الرسول عليه الصلاة والسلام؟ والأصح لأول" ،<sup>(2)</sup> وقال الزمخشري: الضمائر لله تعالى، ومن فرق الضمائر فقد أبعد.<sup>(3)</sup> وتبعد السيوطي الذي يرى أن الضمائر عائدة إلى الله تعالى، لأن "الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتيت".<sup>(4)</sup> يتضح من القراءتين أن القراءة المتواترة طابت النصرة والتعظيم، والقراءة الأخرى بينت أن المقصود هو جعله عزيزاً قوياً.

### **النطء الثالث: المصدر النائب عن فعل الأمر.**

المصدر: هو الاسم الذي يحدّثه الفاعل،<sup>(5)</sup> ويدل على زمن مطلق، ويتضمن مادة أحد حرف فعله لفظاً، وتحدد دلالته الزمنية بقرينة لفظية أو معنوية حين دخوله في علاقات سياقية، والمصدر النائب عن فعل الأمر يأتي منصوباً، ويؤدي وظيفته الأمر.<sup>(6)</sup>

وقد ورد الأمر بهذا النطء -في السور المدنية- في ثلاث جمل. يوزع كالتالي:  
**الصورة الأولى: جار و مجرور + مصدر (نائب عن فعل الأمر).**

وردت في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.<sup>(7)</sup>

(1) المحرر الوجيز، 440/13

(2) مفاتيح الغيب، 75/28

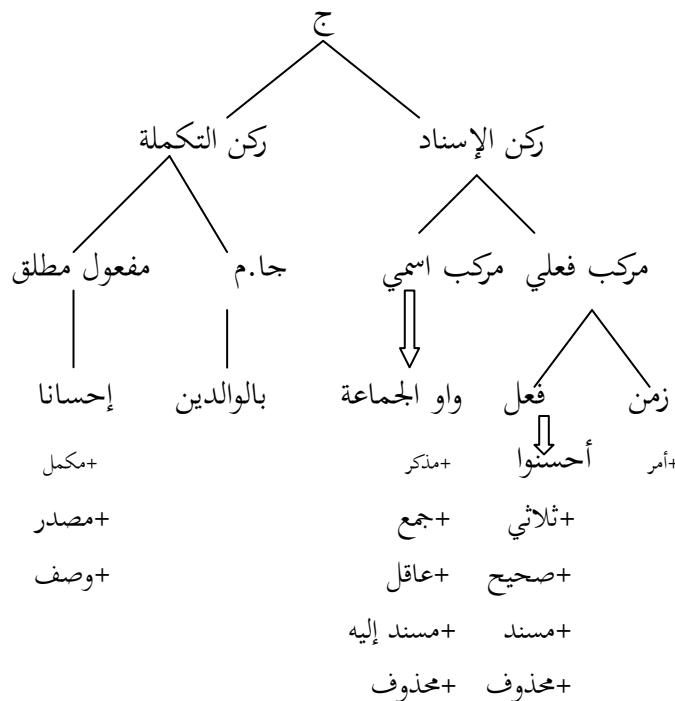
(3) بینظر، الكشاف، 542/3

(4) الإتقان، 245/1

(5) بینظر، عبد السلام هارون، الأساليب الإنسانية، ص 74.

(6) بینظر، سیویه، الكتاب، 275/1 ، والمبرد، المقضب ، 216/3 ، عبد السلام هارون، الأساليب الإنسانية، ص 76، 77.

(7) البقرة، 83 ، والنمساء ، 36



تم إحلال ركن التكملة المؤلف من المركب الاسمي "إحساناً" الذي جاء في موقع المفعول المطلق النحوي. وتقدم الجار والمجرور "بالوالدين" المتعلق بالمصدر "إحساناً" الذي ناب عن فعل الأمر، أو بفعل مخدوف يدل عليه المصدر المذكور الذي هو من لفظه. وتأخر مركب التكملة بعد حذف ركن الإسناد حذفاً إجبارياً، حيث تقلص المركبات الفعلية والاسمية الممثلان لركن الإسناد إلى مركب واحد فقط، وهو ركن التكملة. وتصير الجملة مختصرة، تحدّدها البنية العميقية، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً. فهذا الفعل أو المصدر منه يتعدى بحرف الجر.

والخطاب بقوله: " وبالوالدين إحساناً" في سورة البقرة لبني إسرائيل - بدلاله السياق - في عهد موسى

العليل<sup>1</sup>، وتكون الجملة معطوفة - في هذه الآية - على قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فهي طلبية بصيغة الخبر، ولذلك يجوز أن يقدّر المخدوف في الجملة المعطوفة بصيغة المضارع: ويحسنون بالوالدين إحساناً،<sup>(1)</sup> والجملة تفيد الطلب مهما كانت الصيغة، وإخراج الأمر في صورة الخبر إشعار بأهميته و تأكيده، فيخبر عنه كأنه تحقق.

وقد تكون الجملة معطوفة على طلب حسب قراءة أبي وابن مسعود: "لا تعبدوا" على النهي.<sup>(2)</sup> وهذا وصل الكلام بالأمر، أما الخطاب - في سورة النساء - فهو لل المسلمين بدلاله السياق، والجملة معطوفة على جملة أمر - في هذه الآية - في قوله: "واعبدوا الله"، وجاءت هذه الجملة عقب عبادة الله للاهتمام بشأن الوالدين لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني - وهو التربية - من جهة الوالدين، والمراد بالإحسان إلى الوالدين معاشرهما بالمعروف، وامتثال أمراهما، والتواضع لهما، والدعاء بالغفرة بعد ماتهما، والأمر بالإحسان إلى الوالدين

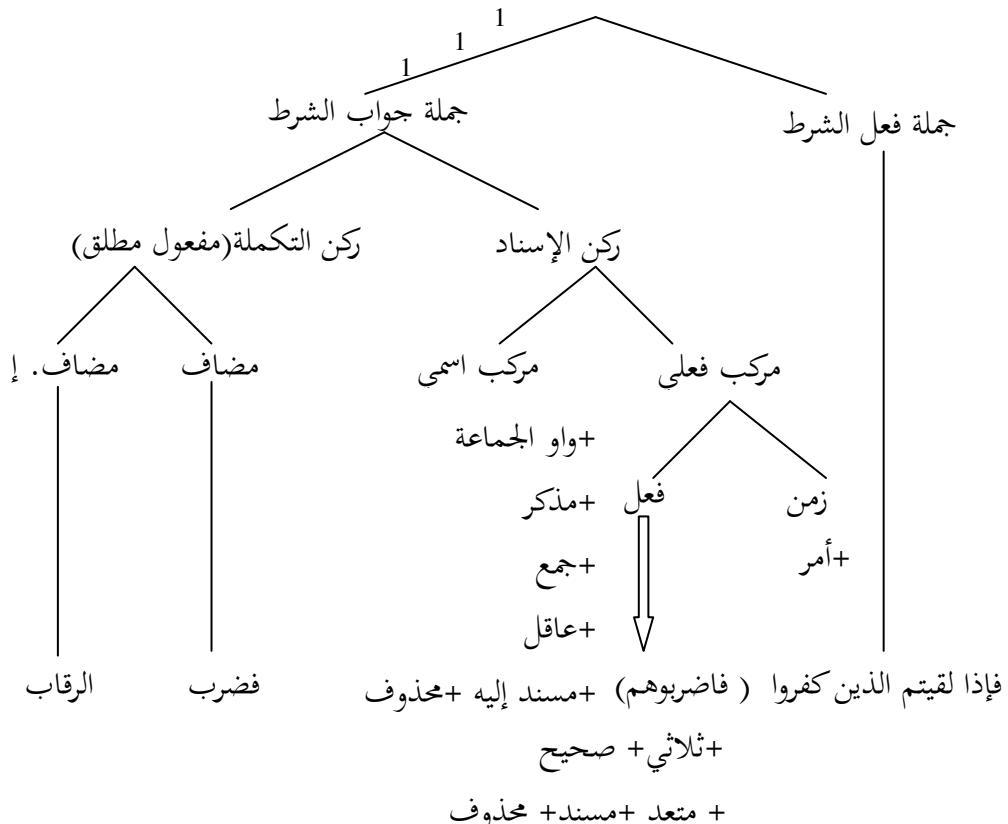
(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/293.

(2) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 1/53، الزمخشري، الكشاف، 1/293، والرازي، مفاتيح الغيب، 3/150، والقرطبي، الجامع، 2/13.

أمر خالد من الناحية الزمنية، ويعد سرا من أسرار الإعجاز القرآني،<sup>(1)</sup> وهذا الأمر على سبيل الوجوب، على أن الله أمر بالإحسان الفعلي إذا كان في مقدور المأمور، وأمر بالإحسان القولي إذا تعذر الفعلي.

**الصورة الثانية: جملة شرطية: جملة فعل الشرط+جملة جواب الشرط(مصدر نائب عن فعل الأمر+ مضاف إليه).**

وردت في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبُوْرَاقَابَ﴾**.<sup>(2)</sup>



(1) ينظر ، فتحي عبد الفتاح الدجني، الإعجاز الحاوي في القرآن الكريم ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط.1، 1984، ص 145. يرى الدجني: أن الأمر الخالد يعم الأفعال التي تتضمن توحيد الله وكذا الأحكام الشرعية بخاصة. ينظر، المرجع السابق، ص 142، وما بعدها.

(2) محمد، 4.

جملة "فضرب الرقاب" جواب شرط اقترن بالفاء وجوباً لتغيير الجملتين.<sup>(1)</sup>  
وقد اتضح للنحاة قديماً وحديثاً أن كل ما لا يصلح للشرط من الجواب يجب اقترانه بالفاء، وعدم الصلاحية يتحقق في الجملة الاسمية والإنسانية.<sup>(2)</sup>

وانتصب المصدر "ضرب" على المفعولية المطلقة على أنه ناب عن فعل الأمر الذي أخذ منه، ثم أضيف إلى مفعوله "الرقاب" ، والتقدير: فاضربوهم ضرب الرقاب، أو فاضربوا الرقاب ضرباً، وما حذف فعل الأمر اختصاراً قدم المفعول المطلق على المفعول به، وناب مناب الفعل في العمل في ذلك المفعول، وأضيف إلى المفعول إضافة الأسماء إلى الأسماء . وتعريف "الرقاب" يجوز أن يكون للعهد الذهني؛ فالقرآن عين من أنواع القتل أعرفه ذكره، ويجوز أن يكون عوضاً عن المضاف إليه، أي: فضرب رقابهم، وغير بضرب الرقاب مجازاً عن القتل، لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة، وفي هذا تصوير للقتل بأشنع صوره، يقول الزمخشري: "في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه".<sup>(3)</sup>

ومصدر في قوله: "فضرب" منصوب بالأمر المحذوف،<sup>(4)</sup> والحججة لمن نسب أنه مصدر، والاختيار في المصادر النصب إذا هي وقعت موقع الأمر،<sup>(5)</sup> وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تحسدها تمشيا مع قواعد القتال.

الخطاب-في الآية- للمؤمنين بدلالة السياق، ومعنى الجملة: اقتلوهم بأي وجه أمكن، سواء كان القتل بضرب السيف أم بغيره، لأن الغاية من ذلك هو القتل، وهو أمر بقتل الكفار قتلاً لا شفقة فيه ولا هوادة.  
**النمط الرابع: جملة الأمر بصيغة "اسم الفعل".**

قد يطلب الفعل بصيغة (اسم فعل) بدلاً من صيغة الأمر (افعل)، وذلك في نحو: صه، ومه، ودونك، وراءك، ومكانك، وإيه، وما شابه ذلك.<sup>(6)</sup>

واسم الفعل لا يتتأثر بالعوامل، ولا يقبل علامات الفعل، كما أنه لا يضاف ولا يتأنّر عن معهوله، ولا ينصلب في جوابه"<sup>(7)</sup> ومن اسم الفعل ما يدل على الماضي، ومنه ما يدل على المضارع،

(1) ينظر، مالك يوسف المطليبي، في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، ص 249.

(2) عبد السلام هارون، الأساليب الإنسانية، ص 188، وينظر، المرادي ، الجنى الداني، ص 67، والاسترابادي، الكافية في النحو لابن الحاجب، 2/262، وهادي نهر، التركيب اللغوية في العربية ، مطبعة الإرشاد، بغداد ، 1987 ، ص 207.

(3) الكشاف، 3/530.

(4) ينظر، البع vadidi، المحتوى "وجوه التنصب" ، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط 1، 1987 ، ص 32.

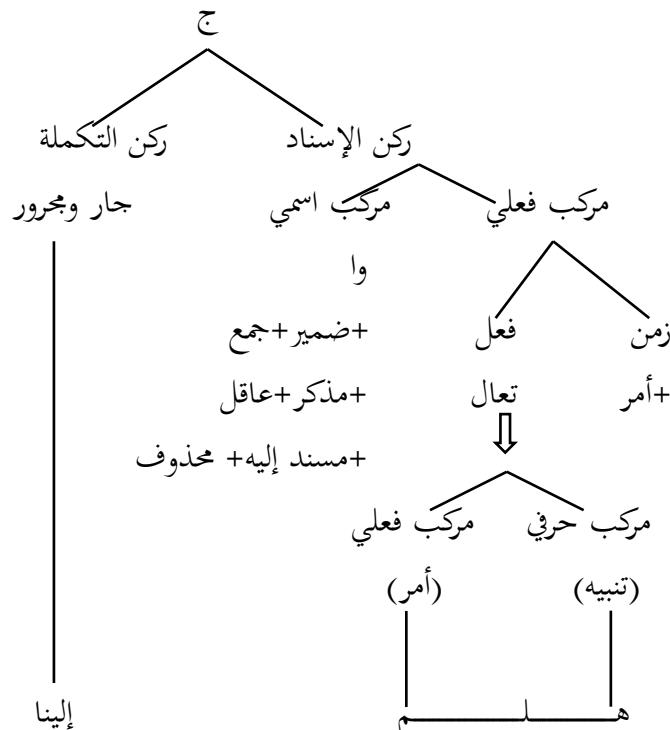
(5) ينظر، عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات التحويية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1996 ، ص 202.

(6) ينظر، المبرد، المقتصب، 3/202، وابن جني، الخصائص، 3/35.

(7) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 512.

ومنه ما يدل على الأمر، وهو الغالب،<sup>(1)</sup> ويقوم بعمله النحوى من إسناد إلى الفاعل واحتياجاً إلى مفعول إن كان متعدياً.<sup>(2)</sup>

وورد من أسماء فعل الأمر - في السور المدنية - "هلم" و "عليكم" ، وقد جاء اسم فعل الأمر "هلم" في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: **«هَلْمَ إِلَيْنَا»**.<sup>(3)</sup>



تم تحويل تركيب الأمر من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق الحذف الإجباري، ثم حذف كل من المركب الفعلى (تعال) والمركب الاسمي (واو الجماعة) حذفاً إجبارياً حيث حل المركب "هلم" المؤلف من: "ها" التنبيه وفعل أمر "لم" ، ف "هلم" الحجازية مركبة عند بعض النجاة، وقال البصريون: مركبة من "ها" للتنبيه، ومن "لم" أي: لم بناء، ثم كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفاً، وهي في الأصل فعل أمر من قولهم: لم الله شعثه، أي: جمعه، كأنه قيل: اجمع نفسك إلينا،<sup>(4)</sup> و "هلم" في لغة أهل الحجاز التي جاء بها التنزيل تلزم صورة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من أسننت إليه، يقولون: هلم للواحد، والمتعدد المذكر والمؤنث، وهي

<sup>(1)</sup> ينظر، المصدر السابق، ص 512.

<sup>(2)</sup> ينظر، سيبويه، الكتاب، 249/1، والعكبري، اللياب ، 456/1.

<sup>(3)</sup> الأحزاب، 18.

<sup>(4)</sup> ينظر، ابن جني، الخصائص، 35، والسيوطى، همع الهوامع، 86/3.

فعل عند بني تميم، فلذلك يلحقونها العلامات، يقولون: هلم، وهلمي، وهلما، وهلموا، وهلْمُمْنَ.<sup>(1)</sup>  
وجملة "هلم إلينا"-جملة مقول القول-في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل (القائلين)-في هذه الآية-في قوله: **«قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ»**، ويجوز أن يكون القائلون لإخوانهم "هلم إلينا" المعوقين أنفسهم، أي: المبطين عن القتال، ويجوز أن يكونوا طائفة أخرى، وإخوانهم المواقفون لهم في النفاق، فالمراد: الإخوة في الرأي والدين، وذلك أن عبد الله بن أبي ومحتب بن قشير، ومن معهما من الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك فلا تخرج، وكانوا يرسلون إلى من بقي من المنافقين في جيش المسلمين، يقولون لهم: "هلم إلينا"، أي: أرجعوا إلينا،<sup>(2)</sup> وقال قتادة: هؤلاء أناس من المنافقين، يقولون لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، أي نفر قليل يأكلون رأس بعيد، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان ومن معه،<sup>(3)</sup> وللهذه الآية المعنى: تعالوا إلينا إلى المدينة، واتركوا محمدا وأصحابه يموتون وحدهم، فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور.

وورد اسم فعل الأمر "عليكم" في موضعين، وذلك في المائدة (105)، والنساء (24).  
وأتناول بالدراسة- هنا- ما ورد في النساء، أما ما ورد في المائدة، فسأعرض له في الجملة الندائىة، ذلك لأن جملة الأمر جاءت مضمونة للنداء.

يقول الله تعالى: **«كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»**.<sup>(4)</sup>

اسم الفعل "عليكم" نائب مناب فعل الأمر "ازموا"، أي: ألزموا كتاب الله، وهو محول عن الجار والمحرر، وذلك كثير في الظروف والمحررات المنزلة منزلة أسماء الأفعال بالقرينة، كقولهم: إليك، ودونك، وعليك،<sup>(5)</sup> و"كتاب" مفعول به لاسم الفعل، وهو مقدم عند الكوفيين<sup>(6)</sup>، وذلك للعنابة والاهتمام، وأصل الجملة: عليكم كتاب الله، واستدل الكوفيون على جواز تقسم مفعول اسم الفعل بما ورد هنا-في هذه الآية- واستدلوا أيضا بقول الراجز:  
**يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَكُمَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا**<sup>(7)</sup>

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 3/529، وابن حني، الخصائص، 3/36، والسيوطى، همع الهوامع، 3/86.

(2) ينظر، ابن الجوزى، زاد المسير، 6/364.

(3) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 21/274.

(4) النساء، 24.

(5) ينظر، الأنبارى، الإنصال، 1/210، وابن هشام، أوضح المسالك، 2/40، 41.

(6) ينظر، الأنبارى، أسرار العربية، ص 165، وينظر له الإنصال، 1/210، وابن هشام، أوضح المسالك، 2/41.

(7) الرجز لجارية من بني مازن في الإنصال، 1/210، وأسرار العربية، ص 165، وأوضح المسالك، 2/41، وحاشية الصبان، 3/305.

والتقدير: دونك دلوى، فـ"دلوى" في موضع نصب بـ"دونك"، فدل على جواز تقديم معمولها عليها. وخالفهم البصريون، وعندهم أن "كتاب" مصدر مذوف العامل، وـ"عليكم" جار و مجرور متعلق به، أو بالعامل المقدر، وتقديره: كتب الله ذلك كتابا عليكم.<sup>(1)</sup>

ويبدو أن الرأي الكوفي أقرب إلى الصواب، لأن الجملة تحمل معنى الأمر بالالتزام بكتاب الله، والمراد بـ"كتاب الله": فرضه، واستعير للفرض لفظ الكتاب لثبوته وتقريره، فدل بالأمر المحسوس على المعنى المعقول.<sup>(2)</sup>

وفي مضمون الجملة حث وتحريض على وجوب الوقوف عند كتاب الله، وهذه الجملة تذليل للجملة السابقة —من هذه الآية—في قوله: **«وَالْمُحْسِنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»**.

والمعنى: الزموا ما قصه الله عليكم من تحريم الرواج بالمتزوجات من النساء رعاية لحق الأزواج ما دامت الزوجية قائمة فعلا، وفي هذا المعنى إشارة إلى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت العرب تفعله.

---

<sup>(1)</sup> ينظر، الأنباري، الإنصاف، 1/210.

<sup>(2)</sup> ينظر، أبو حيان، البحر المحيط ، 3/238.

## خصائص جملة الأمر

يمكن على ضوء الدراسة التحليلية لجملة الأمر أن نستنتج ما يأتي:

1- تحتل جملة الأمر المرتبة الأولى عدداً في قائمة الجملة الطلبية في السور المدنية.

2- يعتمد تركيب الأمر في تأدية الوظيفة على صيغة (فعل) وفروعها، فيكون المأمور هو المخاطب أو الضمير المتصل ببنية الفعل الذي يدل على المسند إليه (الفاعل) عدداً و نوعاً.

3- تنوع الأمر فيعتمد اسم فعل الأمر، والمصدر في تأدية وظيفة الأمر، كما يعتمد على (لام الطلب) المقتنة بالمضارع في صيغة (ليفعل) وفروعها، حيث تنوع المأمور (المسند إليه)، فورد اسماً ظاهراً وضميراً متصلة وضميراً مستترأ. وخلص الوصف إلى أن المضارع ورد بعد لام الطلب للغائب والمخاطب، وورد للغائب أكثر، لأن فعل الأمر هو المتخصص الأصلي في الخطاب، ولم يدخل فيما درسناه –في السور المدنية– على المضارع المبدوء بحرف المتكلّم، وإن كان قد ورد في القرآن المكي في قوله تعالى: ﴿وَكُنْحُمِلُ حَطَّا يَا كُمُ﴾<sup>(1)</sup>، ولكنه وإن كان قليلاً فيمكن أن يقاس عليه لوروده في القرآن الكريم، ويلاحظ من حيث حركة اللام أن تحريكها بالكسر هو الغالب، إلا إذا سبقتها أدوات العطف "الواو" أو "الفاء" أو "ثم" فالأكثر تسكينها.

وتوضح كمية استخدام صيغة الأمر في الجدول الآتي:

نوع الصيغة	عدد الاستخدام
جملة الأمر بصيغة الفعل	577
المضارع المقوون بلام الطلب	39
اسم فعل الأمر	03
المصدر النائب عن فعل الأمر	03
<b>المجموع</b>	<b>622</b>

4- تميزت جملة الأمر بتنوع صيغتها وتراكيبها؛ فأرسد الفعل إلى واو الجماعة، والمفرد المخاطب، والمعنى، وأغلب إسناده إلى واو الجماعة، والمفرد المخاطب، لأن الله يَعْلَمُ يخاطب على الحصوص رسوله

.12) العنكبوت،

أو المؤمنين، وهو في خطابه يأمر إلى امتحان أوا مرء، ويشير إلى أن المتكلّم – في جملة الأمر- أمر، والمتلقى مأموم، والفعل وما يتعلّق به مأموم به، فالامر لا يظهر إلا قليلاً، وتدل عليه القراءن، وقد يظهر ما يشير إليه في صورة

الجحور بالحرف، كقوله: **«وَاشْكُرُوا لِي»**<sup>(1)</sup>، أو بالإضافة كقوله: **«فَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**<sup>(2)</sup> أو في صورة المفعول به، كقوله: **«وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ»**<sup>(3)</sup>.

والمامور (المسنّد إليه) لا يظهر – هو الآخر – في البنية السطحية للجملة إذا كان مفرداً مذكراً، وتغني عنه قرينة الخطاب كما في قوله: **«فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ»**<sup>(4)</sup>، أو تغني عنه صيغة الفعل المضارع، كقوله: **«لِيُنْقِذُونَهُمْ مِنْ سَعَتِهِ»**<sup>(5)</sup>، ويظهر المأمور متصلًا ببنية الفعل إذا كان مثنى، كقوله: **«اَدْخُلُ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ»**<sup>(6)</sup>، أو ضميراً للمخاطبة، كقوله: **«وَامْرُكُمْ مَعَ الْرَّاكِعِينَ»**<sup>(7)</sup>، أو ضميراً للجماعة، كقوله: **«وَامْرُرُ قُوَّهُمْ فِيهَا وَاسْكُنُوهُمْ»**<sup>(8)</sup>.

والمامور يلازم بنية الجملة، فيكون الفعل وحده، كقوله: **«اَعْدُلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»**<sup>(9)</sup>، وقد يكون الفعل مقيداً بمعنى قوله: **«وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوا الزَّكَاءَ»**<sup>(10)</sup>، فليس المراد من الأمر الإقامة والإيتان، وإنما المراد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

5- يحذف المسنّد ( فعل الأمر) من الجملة إذا كان في سياق السرد القصصي، كقوله: **«إِذْ جَعَلَ فِي كُمْ أَبْيَاءَ وَجَعَلَ كُمْ مُلُوكًا»**<sup>(11)</sup>، فظروف الزمان "إذ"- هنا- وقع عليه فعل الأمر، وقد حذف المسنّد والمسنّد إليه (الفعل والفاعل) معاً من البنية السطحية للجملة ويدل عليهما السياق، والتقدير: واذكروا إذ... ويستخدم هذا الأسلوب بقصد تذكير المتلقى بأحداث مضت على سبيل الاعتبار والنصائح. ويحذف المسنّد - كذلك - كقوله:

**«وَإِنَّمَا يَأْكُلُ فَانَّقُونَ»**<sup>(12)</sup>

.152(البقرة، 1).

.84(النساء، 2).

.106(النساء، 3).

.159(آل عمران، 4).

.7(الطلاق، 5).

.10(التحريم، 6).

.43(آل عمران، 7).

.5(النساء، 8).

.8(المائدة، 9).

.56(النور، 10).

.20(المائدة، 11).

.41(البقرة، 12).

فالضمير المنفصل "إيابي" في موقع النصب، وهو مفعول به لفعل محذوف مع فاعله، يفسره الفعل المذكور بعده، ولا يكون مفعولاً للمذكور—كما قال النحاة—لأنه منشغل بضميره (ياء المتكلم)، وهذا الأظاهر، لأن تقديم المفعول به - هنا - للاختصاص، وذلك على سبيل التأكيد، وكأن الجملة تكررت، وإذا صرفاً النظر عن هذا الرأي اتضح لنا أن الأصل في المسألة هو المفعول المقدم وأن ضميره شغل موقعه الأصلي قبل تقدمه حتى لا يكون أجنبياً عن الجملة، ومن هنا ينبغي أن يعاد النظر في باب الاشتغال.

6- احتواها على التعليل لإقناع المتلقى بأدلة التوكيد الناسخة "إن" كقوله: **﴿وَاقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ﴾**<sup>(1)</sup>، وبالأدلة "لعل" كقوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**<sup>(2)</sup>، أو بالأدلة "حتى"، كقوله: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونُ قَتْنَةٌ وَّيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لَهُ﴾**<sup>(3)</sup>.

7- والأمر في أغلبه في السور المدنية يدل على الوجوب، وهو أمر خالد من الناحية الزمنية، ويعد سراً من أسرار الإعجاز القرآني، ويرتبط بالأحكام الشرعية التي يأمر الله بها عباده المؤمنين على سبيل الإلزام، كقوله: **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوا الزَّكَةَ﴾**<sup>(4)</sup>، و **﴿فَإِنَّكُمْ حُوَّهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَاتُّوهُنَّ أَجُورُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾**<sup>(5)</sup>، و **﴿وَبِالْمَالِ الدِّينِ إِحْسَانًا﴾**<sup>(6)</sup>، و يخرج إلى دلالات أخرى، تفهم من السياق، ومنها:

1- الإرشاد، كقوله: **﴿وَأَشْهِدُوا ذُوَّيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾**<sup>(7)</sup>

2- الإباحة، كقوله: **﴿وَإِذَا حَلَّتُمُ فَاصْطَادُوا﴾**<sup>(8)</sup>.

3- الندب: وهي الأفعال التي يحث عليها الإسلام بأن تؤتي قصد ثواب الآخرة، كقوله:

**﴿فَكَاتُبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾**<sup>(9)</sup>.

.(1) الحجرات، 9.

.(2) آل عمران، 123.

.(3) الأنفال، 39.

.(4) الحج، 78، والمجادلة، 13.

.(5) النساء، 25.

.(6) البقرة، 83، والنساء، 36.

.(7) الطلاق، 2.

.(8) المائدـة، 2.

.(9) النور، 33.

4-الحث، نحو: **﴿وَكُيَّعُوا وَلَيَصْفُحُوا﴾**.<sup>(1)</sup>

5-الدعاء، نحو: **﴿وَأَرْزَقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**.<sup>(2)</sup>

6-التعجيز: وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهاراً لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبل التحدي، نحو: **﴿فَأَتَبِعْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾**،<sup>(3)</sup> إذ ليس المراد طلب ذلك من المخاطب بل إظهار عجزه.

7-الامتنان، نحو: **﴿وَكَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾**.<sup>(4)</sup>

8-التحذير والوعيد، نحو: **﴿وَأَتَوْا النَّاسَ الَّتِي أَعْدَتْ لِلنَّاسِ﴾**.<sup>(5)</sup>

9-التذليل والتسخير، نحو: **﴿فَقْلَنَا لَهُمْ كَوْنُوا قَرْدَةً خَاسِئِينَ﴾**.<sup>(6)</sup>

10-التكذيب، نحو: **﴿قُلْ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتَلُوهَا﴾**.<sup>(7)</sup>

11-الاعتبار، نحو: **﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**.<sup>(8)</sup>

12-التهديد والتوبیخ، نحو: **﴿قُلْ انْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾**.<sup>(9)</sup>

13-الترغيب، نحو: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾**.<sup>(10)</sup>

(1) النور، 22.  
 (2) المائدۃ، 114.  
 (3) البقرة، 258.  
 (4) المائدۃ، 88.  
 (5) آل عمران، 131.  
 (6) البقرة، 65.  
 (7) آل عمران، 93.  
 (8) آل عمران، 137.  
 (9) العویة، 53.  
 (10) آل عمران، 133.

# جملة النهي

للنهي صيغة واحدة، وهي اقتران الفعل المضارع بـ: "لا" النافية. وهذه الأداة تختص بالدخول على المضارع فتقتضي حزمه واستقباله، سواء كان المطلوب مخاطباً أو غائباً أو متكلماً<sup>(1)</sup>، فهي إذن تتفق مع لام الأمر في الطلب، ولكنها تزيد عنه في معنى الترك<sup>(2)</sup>.

ويتحقق النهي إذا كان الطلب موجهاً إلى من هو أدنى درجة، ويكون للدعاة إذا كان من الأدنى إلى الله تعالى، ولللامس إذا كان من مساوٍ إلى نظيره، وهذا يرى أحد الباحثين أن "إطلاق مصطلح (لا الطلبية) على (لا) أدق وأنساب وأمثل من تسميتها لا النافية؛ لأن التسمية الأخيرة لا تشتمل هذه المعاني"<sup>(3)</sup>. وقد يستفاد من جملة (لا) النافية دلالات أخرى بمعونة السياق والمقام.

وقد اقترن النهي في السور المدنية بالغائب في صيغ "لا يفعل"، و"لا يفعلوا"، و"لا يفعلا" ، وبالمخاطب في صيغ "لا تفعل"، و"لا تفعلا" ، و"لا تفعلا". وكانت هذه الصيغة الأخيرة أكثر وروداً.

وقد ورد من جملة النهي -في السور المدنية-اثنتان وأربعون ومائتان(142) جملة. وقد اعتبرناها مستقلة في بنيتها النحوية عن غيرها من الجمل<sup>(\*)</sup>، ويمكن توزيعها على الصور الآتية:

**الصورة الأولى: أداة نهي+مسند+مسند إليه (واو الجماعة).**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا﴾<sup>(4)</sup>.

جملة النهي في قوله: "ولا تفرقوا" معطوفة على جملة الأمر في: "واعتصموا بحبل الله جميعاً". وهذا النهي لتأكيد الأمر بناء على أن المعنى: ولا تتفرقوا عن الحق الذي أمرتم بالاعتصام به، أو لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم ببعض.

وقد يكون النهي يشمل كل ما يجب تفرق المؤمنين ويزول معه اجتماعهم، وقد يكون تعالى نهاهم من التفرق في الدين، والاختلاف كما اختلف اليهود النصارى، قال ابن عطية: "يريد التفرق الذي لا يأتي معه الائتلاف على الجهاد وحماية الدين وكلمة الله تعالى، وهذا هو الافتراق بالفتنة والافتراق في العقائد، وأما الافتراق

(1) ينظر، المفرد، المقتصب، 134/2، وابن هشام، معنى الليب، 407/1.

(2) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، ص320، وأبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق ودراسة، عبد الحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص150، وسعيد حسين بحيري، ظواهر تركيبة في مقابسات أبو حيان التوحيدية، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، دار الفكر، القاهرة، 1995، ص113.

(3) أبو السعود حسين الشاذلي، العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم، ص98.

\* ينظر، هذا البحث، الفصل الأول، (جملة الأمر)، ص19.

(4) آل عمران، 103.

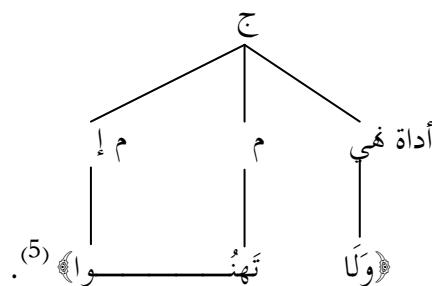
في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الآية... وقد اختلف الصحابة في الفروع أشد اختلاف، وهم يذكرون واحدة على كل كافر<sup>(1)</sup>.

فليس في الآية دليل على تحريم الاختلاف في الفروع والجزئيات، وإنما الخلاف المذموم والمحرم هو اتباع الأغراض والأهواء المختلفة المؤدية إلى التدابر والتقاطع، وقد روى الترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تفرق اليهود على إحدى وسبعين، أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرق أميّة على ثلثٍ وسبعين فرقة"<sup>(2)</sup>، وأخرجه أيضاً عن ابن عمر بزيادة: "كلّهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"<sup>(3)</sup>.

وجاء في معنى هذه الجملة قوله تعالى: «وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ يُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ قَفْرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»<sup>(4)</sup>.

فالقرآن نهى عن اتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه. ومن تلك السبل المفرقة بين أبناء الأمة إحداث الشيع والمذاهب في الدين، والعصبية الجنسية، وهي التي نزلت فيها هذه الآية وما قبلها لما كان من الأوس والخزرج من إثارة العصبية الجاهلية.

ويتضح نظير هذه الصورة في الجملة الآتية:



تتألف الجملة من واو الاستئناف، وأداة نهي "لا"، وفعل مضارع "نهوا" مسند إلى واو الجماعة. وأصل الفعل: توهنو، أي: من وهن، يهـنـ، يقال: وهـنـ الرجل، إذا ضعـفـ<sup>(6)</sup>، ومنه قوله تعالى: «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(7)</sup>.

(1) المحرر الوجيز، 3/249.

(2) الجامع الصحيح، 5/25، (كتاب الإيمان).

(3) المصدر السابق، 5/26.

(4) الأنعام، 153.

(5) آل عمران، 139.

(6) بنظر، ابن منظور، لسان العرب، 13/453، (وـهـنـ).

(7) آل عمران، 146.

وتتصف هذه الجملة بالاختصار، والتقدير مثلا: ولا هنوا أمام العدو، أو نحو ذلك. والخطاب للمؤمنين بدلاله السياق، المعنى: ولا تضعفوا وتذلوا للعدو. فالله تعالى ينهى المؤمنين أن يضعفوا عن قتال أعدائهم من الكافرين. وفي هذا المعنى دلالة على حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء ومهادنتهم مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم وظلمهم. وورد نظير هذا النهي في الآية الخامسة والثلاثين (35) من سورة محمد.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿وَلَا تَجْسِسُوا﴾<sup>(1)</sup>.

قرأ الجمهور: "ولا تجسسوا" بالجيم، وقرأ الحسن وأبو رجاء، وأبو سيرين بالحاء<sup>(2)</sup>.

وتتسم هذه الجملة بالإيجاز، أي: ولا تجسسوا عن المسلمين. والتجسس: هو البحث عن الأخبار، والاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون. ومن لفظ الجس اشتق اسم الجاسوس. أما التحسس: فهو تعرف ما يدركه الحس<sup>(3)</sup>، أو هو البحث عما هو مكتوم من عورات المسلمين وعيوبهم، والمعنيان متقاربان<sup>(4)</sup>. والمعنى: لا تبحثوا عن عيوب المسلمين وعوراتهم، وتنكشفوا ما خفوه ، و تستطعوا أسرارهم، ودلالة النهي التحرير.

وقد يحذف المسند إليه (الفاعل ) فسيضمر في البنية السطحية وجوبا، كقوله: ... إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ<sup>(5)</sup>. يلاحظ حذف المسند إليه، الضمير (أنت)، لأن النهي موجه للمفرد المخاطب.

واختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى: "فلا تكفر"، فقال الزمخشري معناه: "فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر"<sup>(6)</sup>. وحكى ابن عطية وغيره أن قول الملكين: "إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ" استهزاء، لأنهما إنما يقولانه لمن تحقق ضلاله<sup>(7)</sup>. وقال السمرقندى وغيره معناه: "فلا تتعلم السحر، لأنه لا يجوز للملكين أن يعلما الكفر... وهو بمثابة رجل قال لآخر: علمي ما الزنا، أو علمي ما السرقة؟ فيقول: إن الزنا كذا وكذا، وهو حرام فلا تفعل، وإن السرقة كذا وكذا، وهي حرام فلا تفعل، كذلك هنا الملكان يقولان: السحر كذا وكذا، وهو كفر فلا تكفر"<sup>(8)</sup>.

فالله تعالى امتحن الناس بالملكيـن في ذلك الوقت، وجعل الفتنة في الكفر والإيمان، فمن أطاعهما في ترك العمل بالسحر نجا، ومن عصاهما في ذلك هلك وخسر. والظاهر من السياق أن المراد بالكفر الفتنة. وقول الملكـين

(1) الحجرات، 12.

(2) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/506، وأبو حيان، البحر الخيط، 8/113.

(3) ينظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 2/382.

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/506، وأبو حيان، البحر الخيط، 8/113.

(5) البقرة، 102.

(6) الكشاف، 1/301.

(7) ينظر، المحرر الوجيز، 1/422، وأبو حيان البحر الخيط، 1/499.

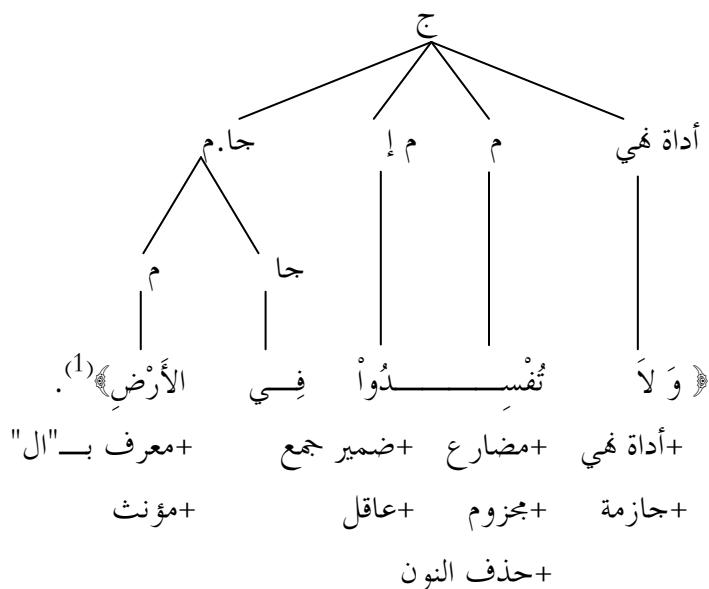
(8) بحر العلوم، 1/144.

-كما يتضح من الآية- لمن جاءهم ي يريد تعلم السحر: "فلا تكفر". معنى: فلا تفتتن. وذلك على سبيل النصيحة والإرشاد.

وبقية هذه الصورة في الآيتين (94، 66) من سورة التوبة.

**الصورة الثانية:** أداة نهي + مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + جار و مجرور.

تبرز هذه الصورة في الجملة الآتية



الظاهر من سياق هذه الآية وسابقتها أن الخطاب للمنافقين، وأن الذين قالوا لهم: "لا تفسدوا في الأرض" هم بعض من وقف على حالمهم من المؤمنين الذين كان لهم اطلاع على أمرهم لقربة أو صدقة، فيخلصون لهم النصح رجاء إيمانهم، ويسترون إفسادهم خوفا عليهم من أن ينالهم العقاب.

وذكر الموضع الذي أفسدوا ما يحتوي عليه، وهو الاسم المحرر "الأرض"، والمراد بالأرض: الكرة الأرضية دون تحديد المكان، كما يتضح من ظاهر الجملة.

والإفساد نقضيه الإصلاح<sup>(2)</sup>، وقال بعض المفسرين المعنى: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وموالاة الكفارة<sup>(3)</sup>، وقد يشمل الإفساد قتل الأبرية، وحرق الزرع والشجر، وإفساد الأنظمة والنظامين وغيرها.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَعْدُوا فِي السَّبَت﴾<sup>(4)</sup>.

.11(البقرة، 1)

(2) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/179، وابن منظور، لسان العرب، 335/3، (فسد).

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 167/1، والتعليق، الجواهر الحسان، 1/49.

النساء (4) .154

قرأ ورش<sup>(1)</sup>: "لَا تَعْدُوا" بفتح العين وتشديد الدال المضمومة، على أن الأصل: لا تعنوا، فألقيت حرفة التاء على العين، وأدغمت التاء في الدال<sup>(2)</sup>.

وقرأ قالون<sup>(3)</sup> بإخفاء حرفة العين وتشديد الدال، والتتص بالإسكان، وأصله أيضاً: لا تعنوا<sup>(4)</sup>، وقرأ الأعمش والحسن: "لَا تَعْنُوا" من الفعل اعتدى، يقال: اعتدى على فلان، أي تتجاوز حد الحق معه، وقرأ الباقون من السبعة: "لَا تَعْدُوا"<sup>(5)</sup> مضارع مجروم من عدا، يعود، وهو العداء والعدوان، كقوله: «إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ»<sup>(6)</sup>. وكان عدواً لهم باقتناص الحيتان يوم السبت، قال ذلك القرطبي وغيره<sup>(7)</sup>.

الخطاب في الآية - لبني إسرائيل بدلالة السياق. فقد أوصاهم الله تعالى بحفظ السبت والتزام ما حرم عليهم ما دام مشروعاً لهم، فقال: "لَا تَعْنُوا فِي السَّبْتِ" ، أي: لا تتجاوزوا حدود الله فيه بالعمل الدنيوي، فخالفوا واحتالوا بخيالهم المعهودة باصطياد الحيتان فيه.

وكذلك قوله: «لَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَابِ»<sup>(8)</sup>. فاللقب ما أشعر بخسارة أو شرف، سواءً كان ملقباً به صاحبه أم ابتدعه النابر له؟ والمراد بـ "الألقب" - في هذه الجملة - الألقاب المكرورة بقرينة "لَا تَنَابِرُوا" ، فهو نهي عن النابر، كقول الرجل للرجل يا كافر، يا فاسق، يا منافق، وغير ذلك من الألقاب المذمومة. وقد خصص النهي - هنا - بـ "الألقب" التي لم يتقادم عهدها حتى صارت كالأسماء لأصحابها، وتتوسي منها غرض الدم والتحقير. وجيء بالمضارع "تَنَابِرُوا" بصيغة "تفاعل" للدلالة على الاشتراك بين طرفين؛ لأن النابر كثير الوقع من الجانبين.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: «لَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ»<sup>(9)</sup>.

(1) ورش : هو أبو سعيد المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو أو أبو القاسم عثمان بن سعيد بن سابق القبطي، مولى آل الزبير العام. قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه. توفي سنة 197هـ، ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 153/1.

(2) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص218، وابن عطية، الخمر الوجيز، 4/282، والطرسي، مجمع البيان، 3/172، وأبو حيان، البحر الحيط، 3/403، وابن الجزرى، الشر، 2/253.

(3) قالون، هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقى، مولى بني زهرة، قارىٰ أهل المدينة وخواجهم. وقيل: أنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها: جيد. قرأ على نافع وعرض القرآن على عيسى بن وردان الخذاء. توفي سنة 220هـ، ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 156/1.

(4) ينظر، ابن عطية، الخمر الوجيز، 4/282، وأبو حيان ، البحر الحيط، 3/403.

(5) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص218، والطرسي، مجمع البيان، 3/172، وابن الجزرى، الشر، 2/253.

(6) الأعراف، 163.

(7) ينظر، الماجع، 6/7، ووهة الزحيلي، التفسير المنير، 6/20.

(8) الحجرات، 11.

(9) البقرة، 119.

ال فعل "تسأل" مسند إلى الضمير "أنت" المخوذ وجوباً، والخطاب للرسول ﷺ بدلالة سياق هذه الآية.

وقد عدِي الفعل - هنا - بـ "عن" وقد يتعدى بـ "الباء"، كقوله تعالى: **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بَعْذَابٍ وَاقِعٍ﴾**<sup>(1)</sup>.

أي: عن عذاب واقع. والفعل "سأل" في حقيقته يتعدى مباشرة إلى مفعولين، نقول: سأله حاجة. أو يتعدى إلى الأول مباشرة، وإلى الثاني بحرف جر، نقول: سأله عن حاجة<sup>(2)</sup>.

قرأ نافع ويعقوب: "وَلَا تَسْأَلُ" <sup>(3)</sup> - بفتح التاء وسكون اللام - على أن "لا" أداة هي جازمة للمضارع، وهو عطف على الجملة السابقة - من هذه الآية - في قوله: **«إِنَّا أَمْرُ سَلْكَنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِّرًا وَنَذِيرًا»**. وهو عطف إنشاء على خبر، فقد نهى الله رسوله عن المسائلة عن أحوال الكافرين والمشركين.

والسؤال كنایة عن فظاعة أحوال الكافرين والمشركين، فهي أكبر من الوصف. وفي هذا المعنى تمويل وتعظيم لما لهم فيه من العذاب، أي: لا تسأل عنهم فقد بلغوا غاية العذاب.

وقرأ الجمهور: "لَا تُسَأَلُ" <sup>(4)</sup> - بضم التاء ورفع اللام - على أن "لا" نافية، وذلك على عطف الجملة الخبرية، والمعنى: لا يسأل الله عن أصحاب الجحيم. والسؤال كنایة عن عدم مؤاخذة الرسول ﷺ، وفي ذلك تسلية له - عليه السلام -، فكانه قيل: لا تؤاخذ ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الرسالة، وفي ذلك دليل على أن أحداً لا يسأل عن ذنب أحد؛ فكل يجازى بحسب عمله.

ويتحقق بهذه الصورة - كذلك - قوله: **«وَلَا تُسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ»**<sup>(5)</sup>.

قرأ الجمهور: "لَا تُسِكُوا" من أمساك، يمسك، وهو فعل متعد، فقد يتعدى مباشرة، أو يتعدى بحرف الجر، فيقال: أمسكه، وأمسك به. وقرأ أبو عمرو: "تمسِكوا" بالتشديد من قوله: مسَك، يمسَك<sup>(6)</sup>.

فقد نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن إبقاء النساء الكافر في عصمتهم، وهن النساء اللائي لم يخرجن للهجرة مع أزواجهن لكرههن. فلما نزلت هذه الآية طلق المسلمون من كان من أزواج مكة؛ فطلاق عمر - رضي الله عنه - امرأتين بقيتا بمكة مشركتين، وهما قريبة بنت أبي أمية، وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية<sup>(7)</sup>.

(1) المعارض، 1.

(2) ينظر، الرعبلاوي، مسالك القول، ص 208.

(3) ينظر، معان القرآن، 1/75، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 111، والقيسي، الكشف، 1/262، وابن الجوزي، التشر، 2/221.

(4) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 111، والقيسي، الكشف، 1/262، والداني، التيسير، ص 65، وابن الجوزي، التشر، 2/221.

(5) المحدثنة، 10.

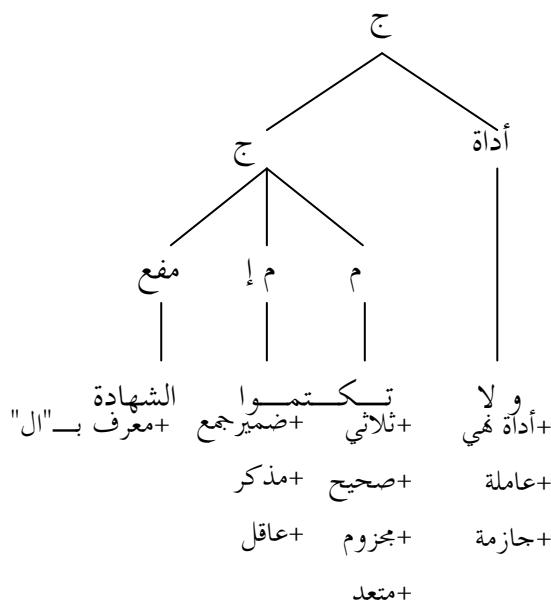
(6) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 344، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 707.

(7) ينظر، البغوي، معلم التزيل، 4/333، والطبرسي، مجمع البيان، 9/349.

والمراد بـ"الكوافر": المشرّكات، وهن موضع هذا التشريع، وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة، ولا تشمل الجملة النهي عنبقاء المسلمة في عصمة زوج مشرك، وإنما يؤخذ حكم ذلك بالقياس. ووردت بقية هذه الصورة في الآية (8) من سورة الرحمن.

**الصورة الثالثة: أداة نهي + جملة فعلية مضارعية (مسند + مسند إليه (وأو الجماعة) + مفعول به).**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهادَة﴾<sup>(1)</sup>.



تصدر أداة النهي "لا" الجملة، يتلوها فعل مضارع (مسند) مجزوم بالنفي، ولذلك حذفت منه النون، والفاعل (المسند إليه) ضمير متصل، يدل على جماعة المخاطبين (وهو المنهي)، ومفعول به "الشهادة"، أما الناهي فإنه لم يظهر في البنية السطحية للجملة، ويدل عليه المقام، إذ هو الله ﷺ.

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي: "ولا يكتموا" -بالياء- جعله للغائب<sup>(2)</sup>، فالله تعالى نهى فيما حازما الشهود عن كتمان شهادتهم؛ فهو نهي يدل على الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد في الجملة الشرطية -عقبه- في قوله:

(1) البقرة، 283.

(2) ينظر، القرطي، الجامع لأحكام القرآن، 3/415، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/373.

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَشَمُّ قُلُوبُهُ﴾، وذلك لأن كتمان الشهادة من أكبر الكبائر<sup>(١)</sup>.

وموقع النهي هو حيث يخشى الشاهد ضياع الحق، فلذلك كان حقا على من تحمل شهادة بحق إلا يكتمه عند عروض إعلانه، بأن يبلغه إلى من يقضى به، أو يتتفع به، أو قبل ذلك إذا حاف الشاهد ضياع ما في علمه بغية أو تعرض للموت، والمعنى: لا تخفوا الشهادة بالامتناع عن أدائها إذا دعيمتم إليها، وهو خطاب للشهدود المؤمنين. ويكاثل هذه الصورة قوله: «**الْيَوْمَ يُسَّاسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تُخْسِهُمْ وَكَاخِشُونَ**»<sup>(2)</sup>.

النهي في قوله: "فلا تخشوهم" تفريغ عن خشية المشركين، وذلك للإخبار عن يأسهم من أذى الدين، لأن يأس العدو من نيل عدوه يزيل بأسه ويقعده عن طلب عدوه، فلما اخبر الله سبحانه المؤمنين عن يأس الكافرين، طمأنهم من بأس عدوهم. والمعنى: فلا تخافوا -أيها المؤمنون- الذين كفروا في مخالفتكم إياهم، وذلك على سبيل الإرشاد.

وقد يظهر في الجملة ما يدل على الناهي، كما في قوله: ﴿... وَلَا تَكْفُرُونَ﴾<sup>(3)</sup>. فال فعل "كفر" يتعدى بالباء في أصل وضعه اللغوي، والتقدير: ولا تكفرون بي، وتعدى هنا مباشرة، ومفعوله مذوف، وهو ياء المتكلم، وكسرة نون الوقاية دليل عليه، وحذفت "الباء"، لأجل الفاصلة، والنـهي -هنا- عن الكفران للنعمة، وللكران مراتب أعلىها جحد النعمة وإنكارها.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُم﴾<sup>(4)</sup>. قرأ الجمهور: "ولا تلمزوا" بكسر الميم، وقرأ الحسن والأعرج بضمها. وقال أبو عمرو بن العلاء: هي عربية<sup>(5)</sup>. الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء — في هذه الآية — في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُسْخِرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾، فقد نهاهم الله عن اللمز، وقال ابن عطية: اللمز "معناه: يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون "الlmz" بالقول وبالإشارة ونحو هذا مما يفعله الآخر"<sup>(6)</sup>، ومعنى الجملة: لا يعب بعضكم بعضاً — أيها المؤمنون — فإنكم كفرٌ واحد، فمن عاب أخيه المؤمن كأنما عاب نفسه، ويفهم من لفظ "أنفسكم" — الواقع مفعولاً به — أن للمؤمن أن يعيّب غير المؤمنين.

(1) ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 121.

.3 المائدة، (2)

الסעיף 152

الخطوات (4)

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الجيني، 13/502، وأبي حيان، البحر المحيط، 112/8.

(6) المصدر السابقة، 13/501

٩ (٧)

قرأ الجمهور: "ولا تُخسِروا" بضم التاء وكسر السين<sup>(1)</sup>، ويرى أبو حيان أن الفعل تعدد بالهمزة، يقال: أَخْسِر، أَيْ: أَفْسَدَ ونَقَصَ<sup>(2)</sup>، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالَّهُمْ أَوْرَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>. فقد نهى سبحانه عن الخسارة، وهو جعل الغير خاسراً. والخسارة النقص، "يقال: خسرت الميزان وأخسرته، إذا نقصته"،<sup>(4)</sup> أَيْ: لا تنقصوا الميزان بالجور بل سوّوه بالعدل والإنصاف.

وقرأ بلال بن أبي بردة وزيد بن علي: "ولا تُخسِروا" بفتح التاء وكسر السين<sup>(5)</sup>. يقال: خسر، يخسر، وأخسر، يخسر، وهو معنى واحد<sup>(6)</sup>، وحكي ابن جني عن بلال بفتح التاء والسين مضارع "خسر" بكسر "السين"<sup>(7)</sup>، وخرجها الزمخشري على أن يكون التقدير: ولا تخسروا في الميزان، فحذف الجار وأوصل الفعل<sup>(8)</sup>. إلا أن أبا حيان الأندلسي يرى أن هذا لا يحتاج إلى تخریج، لأن الفعل "خسر" يأتي متعديا<sup>(9)</sup>، كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّبِيَا وَالآخِرَة﴾<sup>(10)</sup>. و﴿خَسِرُوا أَفْسَهُم﴾<sup>(11)</sup>، أمّا ابن عاشور فيرى أن قوله: "ولا تخسروا الميزان" يأتي على اعتبارين: فإن حمل الميزان فيه على معنى العدل كان المعنى النهي عن التهاون بالعدل لغفلة أو تسامح، ويكون لفظ "الميزان" منصوباً على نزع الخافض، وقد ذكر في مقام ضميره تبيها إلى تحری العدالة. وإن حمل فيه على آلة الوزن، يكون الإخسار معنى النقص، ويكون المعنى النهي عن غبن الناس في الوزن لهم، أَيْ: لا يجعلوا الميزان ناقصاً<sup>(12)</sup>، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْقِصُوا الْمِكِيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(13)</sup>، فالله سبحانه وتعالى جعل آلة الميزان لإقامة العدل في المعاملات ومنع المنازعات بين الناس وإبقاء ظاهرة الصفاء والود والوئام بينهم.

وقد يأتي المسند إليه (الفاعل) اسمًا ظاهراً في هذه الصورة - كقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾<sup>(14)</sup>.

(1) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 44/4، وأبو حيان، البحر الحيط، 8/118.

(2) ينظر، البحر الحيط، 8/118.

(3) المطففين، 3.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/182، (خسر)، وينظر له، مجمل اللغة، 2/289.

(5) ينظر، ابن جني، المختسب، 2/303، والزمخشري، الكشاف، 44/4، وأبو حيان، البحر الحيط، 8/188، والألوسي، روح المعاني، 27/102.

(6) ينظر، أبو حيان، البحر الحيط، 8/118.

(7) ينظر، المختسب، 2/303.

(8) ينظر، الكشاف، 4/44.

(9) ينظر، البحر الحيط، 8/118.

(10) الحج، 11.

(11) الهرم، 15.

(12) ينظر، التحرير والتنوير، 27/240.

(13) هود، 84.

(14) الحجرات، 12.

الخطاب للمؤمنين بدلالة العطف على مضمون النداء في الآية، والفعل المضارع "يغتب" مجرّوم بـ"لا"، وأصله: يغتاب، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. ويقال: غابه واغتابه، والغيبة من الاغتياب، وهي ذكر الشخص بما يكره، مما هو فيه<sup>(1)</sup>. وفي الحديث سُئل رسول الله ﷺ ما الغيبة؟ فقال: "ذكرك أخاك بما يكره". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه، فقد بكته"<sup>(2)</sup>. وهذا دليل على تحريم الغيبة وعلى قبحها شرعاً. والمعنى: لا يذكر بعضكم بعضاً في غيبته بما يكره، سواء أكان الذكر إشارة أم صراحة، لما فيه من إلحاق الأذى بالمتّاب. وهو يتناول كل ما يكره، سواء في دنياه أم في دينه، في خلقه أم في خلقه، أو نحو ذلك.

ويحذف المسند إليه (الفاعل) فيضمر في البنية السطحية وجوباً، كقوله: ﴿وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

يلحظ حذف المسند إليه، الضمير "أنت"، لأنّ النهي مخاطب به المفرد المذكور، وهو - هنا - لرسول الله ﷺ بدلالة سياق الآية. وقد نهى عن اتباع أهواء اليهود حين حکموه طامعين أن يحكم عليهم بما تقرر من عوائدهم. والمراد منه النهي عن الحكم بغير حکم الله إذا تحاکموا إليه، إذ لا يجوز الحكم بغيره، ولو كان شريعة سابقة، لأن نزول القرآن مهمّينا أبطل ما خالفه، وأيد ما وافقه وزكى ما لم يخالفه.

هذا الخطاب إما مقصود به أن يتقرر ذلك في علم الناس حتى يأس الطامعون أن يحكم لهم بما يشتهون. وإما إظهار الله لرسوله وجه ترجيح أحد الدليلين عند تعارض الأدلة بأن لا يكون أهواء الخصوم طرفاً للترجح.

ووردت بقية هذه الصورة وملحقاتها فيما يأتي:

البقرة، (282، 229، 187، 150)، وآل عمران، (175)، والنساء، (29، 36، 135)، والمائدة، (44)، والتوبّة، (49)، والحج، (26)، والأحزاب، (48)، ومحمد، (33).

**الصورة الرابعة: أدلة نهي + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به (جملة مصدرية).**

تبّرّز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكُتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾<sup>(4)</sup>.

ال فعل المضارع في قوله: "ولا تسأموا" أُسند إلى واو الجماعة، والخطاب للمتداينين أصلّة، ويتبع ذلك خطاب الكاتب - في الآية - في قوله: ﴿وَلَيَكُتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، لأن المتداينين إذا دعواه للكتابة وجب عليه أن يكتب.

(1) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 656/1، (غيب).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، 4/2001، (كتاب الترا).

(3) المائدة، 49.

(4) البقرة، 282.

قرأ السلمي: "ولا يساموا"-بياء الغيبة- وكذا "أن يكتبوه"<sup>(1)</sup>، والظاهر في هذه القراءة أن يكون ضمير الفاعل عائدا على الشهداء في الجملة السابقة من هذه الآية- في قوله: "ولا يأب الشهداء".

وال فعل "تسأم" من السأم، يقال: سئمت، أسم ساما وسامة، وساما: أمل، والسامة الملل والضجر<sup>(2)</sup>. ومعنى "لا تسأموا"-هنا- أي: لا تكسروا، وعبر بالسأم عن الكسل، وهو تعبير مجازي؛ لأن الكسل صفة

المنافق كما جاء في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَاتُوا إِلَى الْمُصَلَّةِ قَامُوا كَسَالَى﴾<sup>(3)</sup>.

و"أن تكتبوه" في موضع نصب على المفعول به، لأن الفعل "سُئمَ" متعدٍ بنفسه<sup>(4)</sup>، كما قال زهير بن أبي سلمي:

سَئَمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ عَامًا لَا أَبَالَكَ يَسَّأَمِ<sup>(5)</sup>

وقد يُعدى هذا الفعل بحرف الجر، فيكون الاسم المخمور في موضع نصب على إسقاط الحرف<sup>(6)</sup>.

وما يدل على أن "سُئمَ" يتعدى بحرف الجر قول الشاعر:

وَلَقَدْ سَيَمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَيَدُ?<sup>(7)</sup>

ضمير النصب في "أن تكتبوه" عائد على الدين لسبقه في الآية-في قوله: ﴿إِذَا تَدَأْيَتُمْ بِدِيْنَ﴾. أو على الحق لقربه، في قوله: ﴿وَكَيْمَلُ الذِّي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، والدين هو الحق من حيث المعنى.

وانتصب "صغرياً" على الحال من الضمير المنصوب بـ"تكتبوه" وعطف عليه "كبيراً"، أو منصوب على حذف كان مع اسمها كما قدر الخليل في هذه المسألة<sup>(8)</sup>، وقدم لفظ "صغرياً" على "كبيراً" اهتماماً وانتقاداً من الشيء القليل إلى الكثير.

وهذا النهي عن السامة، إنما جاء لتكرر المداينة عندهم، فخيف عليهم أن يملوا الكتابة، فأكده تعالى بالتحضيض في القليل والكثير.

والحار والمخمور في قوله: "إلى أجله" لا يتعلّقان بـ"تكتبوه"، فهو فاسد المعنى لاقتضاءه استمرار الكتابة إلى أجل الدين، وإنما هو حال، من الضمير المنصوب بـ"تكتبوه"، ولم يتبنّيه العكيري إلى هذا فذكر في تحليله للجملة أن "إلى" متعلقة بـ"تكتبوه" مع جواز أن تكون حالاً من الماء أيضاً<sup>(9)</sup>. وتفطن محلي الدين درويش

(1) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/367، والألوسي، روح المعاني، 59/3.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 12/280، (سام).

(3) النساء، 141.

(4) ينظر، العكيري، البيان، 1/230.

(5) الديوان، 86.

(6) ينظر، الخليل، الجمل في السحو، ص 93، وسيبوه، الكتاب، 1/38.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/367.

(8) ينظر، الجمل في السحو، ص 111.

(9) ينظر، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، 1/120.

إلى فساد المعنى منطقياً عند تعلق "إلى" بالفعل في "تكتبوه" فذكر أن الجار والجرور متعلقان بمحذوف حال، أي مستقر في الذمة إلى حلوله، وإنه لا يجوز تعليقه بـ"تكتبوه" لعدم استمرار الكتابة إلى أجله<sup>(1)</sup>. ونص على الأجل للدلالة على وجوب ذكره؛ لأنّ الأجل وهو الوقت الذي اتفق المتساينان على تسميتها، فيجب أن يكتب كما يكتب أصل الدين.

ومعنى التركيب: لا تملوا أو لا تكسروا من كثرة مدايناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق صغيراً كان أو كبيراً إلى وقت حلوله الذي أقرّ به المديون، وفي هذا المعنى حث على الكتابة، لأنّه متى ضبط الدين بالكتابة، قل أن يحصل فيه إنكار أو منازعة. وأصبح توثيق العقود في العصر الحديث قاعدة من قواعد القانون والاقتصاد، فكل المعاوضات والمعاملات المالية لها سجلات خاصة تذكر فيها آجالها، والمحاكم تعود إليها عند الحاجة، وتحلّ بها أدلة في الإثبات.

### الصورة الخامسة: أداة نهي + مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به + جار و مجرور.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْدِلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيْبِ﴾<sup>(2)</sup>. قرأ الجمهور: "ولا تبدلوا"، وقرأ ابن محيصن: "ولا ٰتبدلو" بإدغام التاء الأولى في الثانية<sup>(3)</sup>. والفعل "تبديل" مزيد، وظاهر كلام الزمخشري أن استبدل هو أصلها وأكثرها، وأن "تبديل" محمول عليه لقوله: "والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز، ومنه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأنّر بمعنى الاستئخار"<sup>(4)</sup>، وجميع أفعال مادة البدل تدل على جعل الشيء مكان شيء من الذوات أو الصفات أو عن تعويض شيء بشيء آخر من الذوات أو الصفات<sup>(5)</sup>.

ولما كان هذا معنى الحدث المصوغ منه الفعل اقتضت الأفعال المشتقة من هذه المادة أن تتعذر إلى متعلقين، إما على وجه المفعولية فيهما معاً، مثل تعلق فعل الجعل، وإما على وجه المفعولية في أحدهما والآخر، فإذا تعذر إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ﴾<sup>(6)</sup>، كان المفعول الأول هو المحذوف، والثاني هو الذي يخلفه، وإذا تعذر إلى مفعول واحد مباشرة، وتتعذر إلى الثاني بالباء، وهو الأكثر – كما هو في هذه الجملة التي أتناولها بالدراسة – فالمقصوب هو المأْخوذ، والجرور هو المبذول، وذلك يتعين أن يكون الخبيث هو المأْخوذ، والطَّيْبُ هو المترؤك.

(1) ينظر، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، حصن، ط1، 1980، 1، 438/1.

(2) النساء، 2.

(3) ينظر، ابن عطية، الخرر الوجيز، 3/486، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/168.

(4) الكشاف، 1/494.

(5) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 11/48، (بدل).

(6) الفرقان، 70.

والخبيث والطيب أريد بهما الوصف المعنوي؛ فالخبيث هو المذموم أو الحرام، والطيب ضده، وهو الحلال. ونظير هذه الصورة قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أُموَالَهُمْ إِلَى أُموَالِكُم﴾<sup>(1)</sup>.

فليما كانوا عن استبدال الخبيث من أموالهم بالطيب من أموال اليتامي، ارتقى الأسلوب القرآني إلى ما هو أشعّ من الاستبدال، وهو أكل أموال اليتامي، فنهوا عنه.

وقال بعض المفسرين: إن "إلى" معنى "مع"<sup>(2)</sup> في قوله: "إلى أموالكم"، وقيل "إلى" في موضع الحال، والتقدير: ولا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم<sup>(3)</sup>، وقيل: الجار والمجرور متعلقان بفعل "تأكلوا" على معنى التضمين؛ أي: ولا تضموا أموالهم في الأكل إلى أموالكم<sup>(4)</sup>، وهذا الظاهر من السياق.

وفي الجملة نهي عن قصد مال اليتيم بالأكل أو التمول على جميع الوجوه.

وذكر الطبراني وغيره عن مجاهد: إن الآية نافية عن الخلط في الإنفاق، فإن العرب تخلط نفقتها بنفقة أيتامها، فنهوا عن ذلك، ثم نسخ منه النهي<sup>(5)</sup>، بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ تُحَلِّطُهُمْ فَإِنَّهُنَّ كُفَّارٌ﴾<sup>(6)</sup>.

وقال الحسن قريباً من هذا المعنى، فقال: تأول الناس من هذه الآية النهي عن الخلط، فاجتنبوا من لدن أنفسكم، فخفف عنهم في آية البقرة<sup>(7)</sup>-المذكورة آنفاً - وحسن هذا القول الزمخشري بقوله: "وحققتها ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالغة بما لا يجل لكم وتسوية بينه وبين الحال. فإذا قلت: قد حرم عليكم أكل مال اليتامي وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامي مما رزقهم الله من مال حلال، وهم على ذلك يطمعون فيها كان الطمع أبلغ والدم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون ذلك فنعي عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أجر لهم"<sup>(8)</sup>.

وخلاصة القول: إن قوله: "إلى أموالهم" ليس قيداً للاحتراز، وإنما حيء به للدم فعلهم؛ لأن النهي واقع على أكل أموالهم مطلقاً؛ سواء أكان للأكل مال يضم إليه مال يتيمه، أم لم يكن له؟

(1) النساء، 2.

(2) ينظر، البغوي، معلم النزيل، 1/390، والرازي، مفاتيح الغيب، 9/138.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 3/168.

(4) ينظر، ابن عطية، البحر الوجيز، 3/487، والرازي، مفاتيح الغيب، 9/138.

(5) ينظر، جامع البيان، 4/572، وابن عطية، البحر الوجيز، 3/486.

(6) البقرة، 220.

(7) ينظر، الطبراني، جامع البيان، 4/572، وابن عطية، البحر الوجيز، 3/486.

(8) الكشاف، 1/495، 496/8.

ويلاحظ أنه ورد نهيان في هذه الآية؛ فقد نهوا عن اكتساب الحرام، ثم نهوا عن الاستيلاء على أموال اليتامي أو بعضها.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تُلْقِوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾<sup>(1)</sup>.

تتألف بنية هذه الجملة من أدلة نهي، وفعل مضارع مستند إلى ضمير جماعة المخاطبين، وجار ومحرر مررتين.

والباء في قوله: "بأيديكم" زائدة للتاكيد، يقال: ألقى يده، وألقى بيده<sup>(2)</sup>، فهذا الفعل مما يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُنْزِي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ﴾<sup>(3)</sup>، أي: هزي إليك جذع النخلة. وعند المبرد ليست زائدة، بل هي متعلقة بالفعل، كمررت بزير<sup>(4)</sup>.

وهذه الجملة معطوفة على جملة الأمر في الجملة السابقة من هذه الآية: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فبعد أن أمر سبحانه المؤمنين بالإإنفاق، نهان عن الأعمال التي تكون لها نتائج ضارة حتى لا يدفعهم أو ظنهم بأن الله ناصرهم وهم مفرطون في أعمال البر من الإنفاق، وقهرا الأعداء، ويكون عندئذ النهي عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة جاماً لمعنى الأمر بالإإنفاق وغيره من تصارييف الواقع، وحفظ أرواح المسلمين. ولهذا المعنى تكون الجملة في معنى التعقيب والتذليل، وإنما عطف على جملة الأمر، ولم تفصل عنها باعتبارها غرض آخر من أغراض النص.

والمعنى عند السمرقندى: "لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا"<sup>(5)</sup>، وقال الزجاج: "التهلكة: معناه: الملائكة، يقال: هلك، يهلك، هلاكا، وتهلكة: معناه: إن لم تنفقوا عصيتكم الله فهلكتم"<sup>(6)</sup>، وقال ابن عباس: "لا تمنعوا أيديكم عن النفقة في سبيل الله فتهلكوا"<sup>(7)</sup>، وهذا ما يدل عليه سياق الآية.

ووقوع فعل "تلقوا" في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة، أي: كل تسبب في الملائكة عن عدم، فيكون منهيا عنه محظيا، ما لم يوجد مقتضٍ لإزالة ذلك التحرير.

ويتحقق هذه الصورة - كذلك - قوله: ﴿فَلَا يَنْأِيْنَ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) البقرة، 195.

(2) ينظر، العكري، التبيان في إعراب القرآن، 195/1.

(3) مرم، 25.

(4) ينظر، المتضب، 4/33-153.

(5) بحر العلوم، 190/1.

(6) معاني القرآن وإعرابه، 1/255.

(7) تجوير المقياس، ص 33.

(8) الحج، 67.

تختلف هذه الجملة عن سابقاتها من هذه الصورة في أنَّ المسند إليه (واو الجماعة) محنوف لالتقاء الواء الساكنة بنون التوكيد الثقيلة، والتقدير: لا ينازعونك، وهذه الواء تعود على معنى "أمة"—في الجملة السابقة من هذه الآية—في قوله: **﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾**، أي: قد عينا لكل أمة شريعة، ومن حملة الأمم الأمة الحمدية، وذلك موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول الله ﷺ ومستلزم لطاعتكم إياه في أمر الدين.

ومفعول به هو كاف الخطاب في قوله: "ينازعك"، وهو خطاب للرسول ﷺ بدلالة السياق.  
قرأ أبو مجلز: "فلا يترعنك"<sup>(1)</sup> من الاتزان، يقال: انتزع الرمح إذا اقتلعه ثم حمل، وانتزع الشيء: انقلع<sup>(2)</sup>، والمعنى: فلا يقلعنك ولا يغلبنك فيحملونك من دينك إلى أديائهم. وقراءة الجمهور: "فلا ينazuنك" من المنازع، وهي مجازية الحجاج فيما ينما ينما في الخصمان<sup>(3)</sup>، والمعنى: فلا ينazuنك المعارضون في شأن التوحيد بعدما أعطيتهم الحجاج الكفاية والبراهين القاطعة.

والنهي في القراءتين للمعارضين من الكفار، وهم المقصودون بالنهي، ولكن لما كان سبب نهيهم هو ما عند الرسول من البراهين وجه إليه النهي عن منازعتهم إياه.

وهذا النهي لهم عن المنازع من باب قول العرب: "لا يرئنك ههنا ولا أرىئنك ههنا"<sup>(4)</sup>، فجعل المستكلم النهي موجهاً إلى نفسه، والمقصود هي المتكلمي عن أسبابه، وهو نهي لآخرين بطريق المجاز.

وقيل: إنه نهي للرسول عن منازعتهم، أي: لا تنازعهم أنت، كما تقول: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وكما تقول: لا يضاربنك فلان، أي: لا تضاربه أنت، لأن صيغة المفاعلة تقتضي حصول الفعل من جانبي فاعله ومفعوله، فيصبح كل من الجانبين منهي عنه<sup>(5)</sup>، وإنما أسند الفعل هنا لضمير المشركين مبالغة في نهي الرسول عن منازعته إياهم، فيكون النهي عند منازعته إياهم كإثبات الشيء بدلالة وبرهانه، وحاصل معنى هذه الوجهة أنَّ الله تعالى أمر رسوله بالإعراض عن محاجة المشركين بعدما ين لهم الحق بالحجج القاطعة.

**الصورة السادسة: أداة نهي + مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به أول + مفعول به ثان.**

يمثل هذه الصورة قوله تعالى: **﴿وَلَا تَخِذُوا أَيَّاتِ اللَّهِ هُرُوفًا﴾**<sup>(6)</sup>.

عطف هذا النهي على النهي في هذه الآية—في قوله: **﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا تَعَدُوا﴾**، وذلك لزيادة التحذير من فعل المسلمين الذين يتطلون العدة بغية مضاراة الزوجات المطلقات، بأن في ذلك استهزاء

(1) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 21/3، والقرطبي، الجامع، 94/12، وأبو حيان، البحر الخيط، 6/358.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 349/8، (نزع).

(3) ينظر، المصدر السابق، 351/8، (نزع).

(4) سيبويه، الكتاب، 101/3.

(5) ينظر، القرطبي، الجامع، 94/12.

(6) البقرة، 231.

بأحكام الله تعالى التي شرع فيها حق المراجعة، لغرض رحمة الناس، فيجب الحذر من أن تجعل آيات الله هزؤا ولعبا. وآيات الله هنا هي ما في القرآن من أحكام مراجعة المطلقة.

وال فعل المجزوم في قوله: "تتخذوا عدي إلى مفعولين، هما: "آيات" و "هزؤا"، وقرأ حمزة: "هزوا" بإسكان الزاي، وإذا وقف سهل المهمزة على مذهبه في تسهيل المهمز<sup>(1)</sup>، وقرأ "هزوا" بضم الزاي، وإبدال المهمزة واواً، وذلك لأجل الضم<sup>(2)</sup>.

وقرأ الجمهور: "هزوا" بضم الزاي والهمز، وهو الأصل<sup>(3)</sup>، والمهمز بضم الزاي مصدر هزا، يقال: هزا به، واستهزأ، إذا سخر<sup>(4)</sup>، وهو هنا مصدر معنى اسم المفعول، أي: لا تتحذوها مستهزأ به.

ولما كان المخاطب بهذا المؤمنين بدلالة السياق، والمؤمنون فيحقيقة الأمر لم يكونوا بالذين يستهزئون بأيات الله، تبين أن المهمز مقصود به المجاز، وهو الاستخفاف، وعدم الاهتمام، لأن المستخف بالشيء الجلل يعتبر لاستخفافه به كالساخر واللاعب، وهو تحذير لهم من أن يتوصلا بأحكام ما أقر الله إلى ما يخالف مقاصد شرعيه. والمعنى: لا تأخذوا أحكام الله على أسلوب المهزء، فإنها جد كلها، فمن هزا فيها، فقد لزمته، قال القرطي: "ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلاً أن الطلاق يلزم"<sup>(5)</sup>.

وخرج الدارقطني من حديث إسماعيل بن أمية القرشي عن علي قال: سمع النبي ﷺ رجلاً طلق بيته، فغضب، وقال: "تتحذرون آيات الله هزوا، أو دين الله هزوا ولعبا، من طلق بيته أ Zimmerman ثلاثة، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره"<sup>(6)</sup>.

فالمخاطبون محذرون أن يجعلوا حكم الله في العدة هزؤاً، وقد أراد منه تذكر حسن العاشرة، لعل المطلق يندم فيمسك زوجه حرصاً على دوام الألفة والمودة.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْيَاءً مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(7)</sup>.

تتألف بنية الجملة من أدلة نفي وجزم للغائبين، و فعل مضارع "يتخذ" مجزوم حسب قراءة الجمهور، وقرأه الضبي<sup>(8)</sup> مرفوعاً على النفي، والمراد به النهي<sup>(9)</sup>،

(1) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/219.

(2) ينظر، المصدر السابق، 2/219.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط ، 219/2.

(4) ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، 6/52، (هزأ)، والمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص483، (هزأ).

(5) الجامع، 157/3.

(6) سنن الدارقطني، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، 20/4، (كتاب الطلاق).  
(7) آل عمران، 28.

(8) الضبي: هو سليمان بن نحيي الضبي، أبو أيوب البغدادي، من كبار المقرئين وعلمائهم. قرأ على الدوري، ورجاء بن عيسى، وروى عن خلف بن هشام، وروى عنه بن الأنباري، مات سنة 291 هـ، ينظر، النهي، معرفة القراء الكبار، 1/256، 257/1.

(9) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/441.

وعدي الفعل إلى مفعولين، هما: "الكافرين" و"أولياء"، وجيء بـ"من" لتأكيد الظرفية، والمعنى مباعدين المؤمنين، أي في الولاية، وقيل: "من" لا بدء الغاية، أي لا يجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين، لأن مكان المؤمنين الأعلى ومكان المؤمنين الأسفل<sup>(1)</sup>، وهو تقسيم للنهي، فيكون النهي عنه اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين، أي أنصارا وأعوانا يبادلوهم المناصرة على إخوانهم المؤمنين، لأن في اتخاذهم أولياء يعد ضعفا في الدين وتصويبا للكافرين المعتدين، كما قال تعالى في عدة مواضع، من ذلك: ﴿لَا تَتَّخِذُوا أَهْلَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلَيَاءَ﴾<sup>(2)</sup>، قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلَيَاءَ﴾<sup>(3)</sup>.

والموالاة تكون بالظاهر، وتكون بالظاهر والباطن معا، فإذا اتخذ المؤمن طائفة الكفر أولياء في باطن أمره ميلا إلى كفرهم، فهو في حالة كفر، ويعد منافقا، وإذا رکن إلى جماعة الكفر بغية قرابة ومحبة دون الميل إلى معتقدهم، فهذه حالة لا توجب كفر صاحبها، إلا أن ارتكابها إثم كبير؛ فإن صاحبها يكاد أن يواليهم على إلحاق الضرر بال المسلمين، وأما إذا اتخاذ المسلمين الكفار خدماً مستعينين بهم استعانا العزيز بالذليل فلا مانع فيه<sup>(4)</sup>.

ولعل تعليق النبي عن الاتخاذ بالكافرين بهذا المعنى، لأن المشركين هم الذين كان بينهم وبين المهاجرين صلات قرابة ونسب، ومخالطات مالية، فكانوا بمقدمة المواصلة مع بعضهم، ولذلك كله قيل: إن الآية نزلت في عبادة بن الصامت، كان له حلفاء من اليهود، فأراد أن يستظهرونهم على العدو<sup>(5)</sup>، وقيل: في عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتولون اليهود والمشركين، ويأتوهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من المؤمنين<sup>(6)</sup>، وقيل: في حاطب بن أبي بلترة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكتافر قريش فترتلت<sup>(7)</sup>.

والنهي -في هذه الجملة- عن الاتخاذ، إنما هو فيما يظهره المؤمن للكافر، فأما أن يتخذ بقلبه، فلا يفعله مؤمن<sup>(8)</sup>، لأن الله قد ذكر المؤمنين في مواضع عدّة، ومن ذلك قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، الطرسى، مجمع البيان، 2/211، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/441.

(2) الماندة، 51.

(3) المحتسبة، 1.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/441.

(5) ينظر، البغوى، معلم التغليل، 1/291، والرازي، مفاتيح الغيب، 10/7، وابن الجوزي، زاد المسير، 1/371.

(6) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 10/7، وابن الجوزي، زاد المسير، 1/371.

(7) ينظر، ابن عطية، الخمر الوجيز، 3/72.

(8) ينظر، المصدر السابق، 3/71، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/441.

(9) الجادلة، 22.

فالنهي - هنا- إنما هو عن اللطف بالكافر في المعاشرة والميل إليهم لقرابة أو لصداقة.

ويتحقق بهذه الصورة - كذلك - قوله: ﴿وَلَا تُحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا كَلَّ أَحْيَاءً﴾<sup>(1)</sup>.

تتألف بنية الجملة من أدلة هي "لا" ، و فعل مضارع "تحسين" ، مبني على الفتح لاتصاله ببنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، ومسند إليه (فاعل) مضمر وجوبا، تقديره "أنت" ، ومفعول أول "الذين" ، وجملة فعلية ماضوية (صلة الموصول)، ومفعول به ثان "أمواتا".

قرأ الجمهور: "ولا تحسين"<sup>(2)</sup>- بناء الخطاب- أي: لا تحسين - أيها السامع - أنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، لا يجازون على أعمالهم التي قدموها، بل هم أحياء في عالم آخر، مقربون عند ربهم.

والخطاب يجوز أن يكون للرسول ﷺ تعليما له، وليعلم المؤمنين، ويجوز أن يكون حاريا على أسلوب العرب في عدم إرادة مخاطب بعينه، وإنما لكل سامع، قال الرمخشري: "الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد"<sup>(3)</sup>.

وقرأ هشام وحميد بن قيس بباء الغيبة<sup>(4)</sup>، أي: لا يحسن أي حاسب، وقال ابن عطية: "وأرى هذه القراءة بضم الباء فالمعنى: لا يحسب الناس"<sup>(5)</sup>. وقرأ ابن عامر: "قتلوا" بتشديد التاء للمبالغة في التقتيل، لأن المقتولين كثر، وقرأ الباقون بالخفيف، لأن التخفيف يفيد التقليل والتکثير، فهو كالتشديد في أحد وجهيه<sup>(6)</sup>.

وقد نهى القرآن - هنا- عن الحسبان، وهو الظن؛ فهو نهي للمتلقيين عن أن يظنو أن المؤمنين الذين قتلوا في سبيل الله أموات، وبالآخر هو نهي لهم بالجزم بأنهم أموات، فالقرآن أثبت للشهداء الموت الظاهري بقوله: "قتلوا" ، ونفي عنهم الموت الحقيقي، ولذلك جاء بجملة "بل أحياء" ، فقد أضرب عن جملة النهي، وأثبت لهم الحياة الأبدية.

وقد اختلف في قراءة لفظ "أحياء" ، فقرأه الجمهور بالرفع، والتقدير: بل هم أحياء<sup>(7)</sup>. فحذف المسند إليه (المبدأ) لدلالة الكلام عليه. وقرأه ابن أبي عبلة بالنصب<sup>(8)</sup>، وخرجهما أبو البقاء العكبي على وجهين: أحدهما:

(1)آل عمران، 169.

(2)ينظر، القيسى، الكشف، 364/1، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/117.

(3)الكشف، 479/1.

(4)ينظر، القيسى، الكشف، 364/1

(5)البحر الوجيز، 3/417.

(6)ينظر، القيسى ، الكشف، 1/364، والداني، التيسير، ص76، و ابن عطية، البحر الوجيز، 3/417.

(7)ينظر، العكبي، إملاء ما من به الرجح من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، 1/157، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/118.

(8)ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 3/118، والسمين الحلبي، الدر المصنون، 2/256.

أن يكون عطفا على "أمواتاً"، قال: "كما تقول: ظنت زيدا قائما بل قاعدا"<sup>(1)</sup>، والثاني: وإليه ذهب الزمخشري -أيضاً- على أن يكون منصوبا بإضمار فعل تقديره: بل أحسبهم أحياء<sup>(2)</sup>، وهذا التقدير جائز، لأن "حسب" قد يدل على اليقين، وذلك كقول الشاعر:

حَسِبْتُ التَّقِيَ وَالْجَدَ وَالْجُودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رَبَاحًا إِذَا مَا مَرَءُ أَصْبَحَ ثَاقِلًا<sup>(3)</sup>

فـ"حسب" في البيت للبيتين ، لأن المعنى على ذلك. والأولى أن يقدر فعل الاعتقاد في الآية، أي: بل اعتقادهم أحياء<sup>(4)</sup>. وفي هذه الجملة بيان عاقبة المجاهدين في سبيل الله.

ويماثل هذه الجملة قوله: ﴿فَلَا تَحْسِبُهُمْ بِمَقْাْزَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾<sup>(5)</sup>.

قرأ الجمهور: "فلا تحسِبُهُم" بتاء الخطاب وفتح الباء<sup>(6)</sup>، فيكون الخطاب في هذه القراءة للرسول ﷺ، أي: لا تحسِبُهُم -أيها الرسول- بمفازة من العذاب، وفي هذا المعنى تسلية للرسول لما لحق به من أذى المشركين والمنافقين.

وقد عد الفعل - هنا - إلى مفعولين؛ الأول: الضمير "هم" المتصل ببنية الفعل، وهو عائد إلى "الذين يفرحون" -في الجملة السابقة من هذه الآية-، والثاني: الجار والمجرور " بمفازة" ، أي: "فائزين".

وقرئ: "فلا تحسِبُهُم" بتاء الخطاب، وضم الباء خطاباً للمؤمنين<sup>(7)</sup> ، أي: لا تحسِب -أيها المؤمنون- أولئك الكفار بمفازة من العذاب، وفي هذا المعنى تنبية وتحذير للمؤمنين من أن لا يقعوا فيما وقع فيه أولئك. وقرأ أبو عمرو وابن كثير: "فلا يحسِبُهُم" بباء الغيبة وبكسر السين وبرفع الباء<sup>(8)</sup> على أنه خطاب للكفار، وحيث قرئ الفعل بباء الغيبة وضم الباء، فقد جعلا فاعل "يحسِبُن" و مفعوله متحددين، والتقدير:

لا يحسِبون أنفسهم بمفازة. واتحاد الفاعل والمفعول للفعل الواحد من خصائص أفعال الظن، وفي معنى هذه القراءة توبيخ لأهل الكتاب والمنافقين الذين يفرحون بما آتاهم الله في الدنيا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

ويتحقق بهذه الصورة ما يأتي:

آل عمران، (180)، و النساء، (89)، والمائدة، (87)، والأنفال، (59)، والتوبية، (23)، والنور، (57).

(1) إملاء ما من به الرحمن، 157/1.

(2) ينظر، المصدر السابق، 157/1، والكشف، 479/1.

(3) ذكره السمين الحلبي في الدر المصور، 2/256.

(4) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 3/118.

(5) آل عمران، 188.

(6) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 116، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 187، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/457.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 3/144.

(8) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 187، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3/455، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/143.

## الصورة السابعة: أداة نهي + مسند + مسند إليه (اسم ظاهر) + أداة عطف + معطوف (مسند إليه).

من هذه الصورة الجملة الآتية: ﴿وَكَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.<sup>(1)</sup>

الفعل المضارع "يُضَارَّ" أصله: يضارر، فحذفت الراء الثانية، وشدّت الراء الأولى، والمضارع إذا كان مجزوماً كهذا، كانت حركته الفتحة لفتها، لأنّه متى أدغم لزم تحريكه، فلو فك الإدغام ظهر فيه الجزء، وفك الإدغام هي لغة أهل الحجاز، والإدغام لغة تميم<sup>(2)</sup>.

قرأ عكرمة: "وَلَا يُضَارِرْ" - بكسر الراء الأولى - على لغة الحجاز، ونصب لفظ "كتاباً" على المفعولية، و"شهيداً" على العطف، على معنٍ: لا يهدأهما صاحب الحق بضرر<sup>(3)</sup>.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن: "وَلَا يُضَارُ" - بفتح الراء المشددة - وهو نفي، معناه النهي، أو لفظ خبر على معنى النهي، وذلك أن النهي إنما يكون بما يمكن وقوعه، فإذا بَرَزَ في صورة النفي كان أبلغ، لأنّه صار مما لا يقع ولا ينبغي أن يقع<sup>(5)</sup>.

وفي قراءة المضارع "يُضَارَّ" بالجزء يكون صالحاً لأن يكون مبنياً للمعلوم "يُضَارِرْ" - بكسر الراء - كما يصلح أن يكون للمجهول "يُضَارِرْ" - بفتح الراء - ويؤدي الاسم الظاهر بعده "كاتب ولا شهيد" وظيفته تبعاً للاحتمالين؛ فإذا كان الفعل مبنياً للفاعل "وَلَا يُضَارِرْ" كقراءة ابن عباس رضي الله عنه<sup>(6)</sup>، فإن الاسم الظاهر فاعل، ويكون الكاتب والشهيد قد نهياً أن يضاراً أحداً بالتحريف أو الزيادة أو النقصان، وذلك بأن يزيد الكاتب في الكتابة أو يحرف، وبأن يكتم الشاهد الشهادة، أو يمتنع من أدائها، أو يغيرها<sup>(7)</sup>، وإن كان الفعل مبنياً للمفعول "وَلَا يُضَارِرْ" كقراءة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم -<sup>(8)</sup> فهو نائب فاعل. ومعنى ذلك: ولا يضار المستكتب والمستشهد الكاتب والشهيد، فنهى القرآن أن يضارهما أحد بـأن يشق عليهم في ترك أعمالهما، وهو المرجح، لأنه لو كان خطاباً للكاتب والشهيد لناسب العدد - عقبه في هذه الآية - فقيل: وإن تفعلا فإنه فسوق بكم، إلا أنه جاء بصيغة الجمع، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْكُلُوا إِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾. فناسب خطاب الجمع في جملة النهي.

(1) البقرة، 282.

(2) ينظر، ابن جني، الخنسب، 148/1، وابن عطيه، الخور الوجيز، 518/2، وأبو حيان، البحر الخيط، 370/2.

(3) ينظر، ابن عطيه، الخور الوجيز، 518/2.

(4) ينظر، المصدر السابق، 519/2، وأبو حيان، البحر الخيط، 370/2.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/370.

(6) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/405.

(7) ينظر، السفي، مدارك التزيل، 1/157، وأبو حيان، البحر الخيط، 370/2.

(8) ينظر، ابن عطيه، الخور الوجيز، 518/2، والقرطبي، الجامع، 4/406، وأبو حيان، البحر الخيط، 370/2.

والنهي في كل القراءات للغائب، وهو يدل على الوجوب، لأن الضرر إثم ومعصية يجب اجتنابه.

ويماثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿لَا تضارِرَ وَالدَّيْنُ بُوكَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بُوكَدِه﴾<sup>(1)</sup>.

قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: "لا تضار" بفتح الراء مشددة<sup>(2)</sup>، على أن "لا" أداة نهي، والمضارع "تضار" مجزوم بها، والفتحة للتخلص من التقاء الساكنين الذي نشأ عن تسكين الراء الأولى ليتأتى الإدغام، وتسكين الراء الثانية للحزم، وحرك بالفتحة، لأنها أخف الحركات.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع الراء<sup>(3)</sup>، على أن "لا" أداة نفي، والكلام خير في معنى النهي. وحجتهما قوله تعالى قبلها: ﴿لَا تُكَلِّفُ قُلُسٍ لَا وُسْعَهَا﴾، فاتبعوا الرفع الرفع نسقا عليه<sup>(4)</sup>.

وكلتا القراءتين يجوز أن تكون على نية بناء الفعل للفاعل، بتقدير: "لا تضار" - بكسر الراء الأولى - وبنائه للنائب بتقدير: "لا تضار" - بفتح الراء الأولى - كقراءة ابن عباس وابن مسعود<sup>(5)</sup>.

والمرجح في المعنى قراءة الفتح على النهي، أي: قراءة الجمهور، فإن كان الفعل مسندا إلى غير الفاعل، فهو نهي عن أن يلحق بالوالدة الضرر من الزوج، وعن أن يلحق الضرر بالوالد منها بسبب الولد. وإن كان الفعل مسندا إلى الفاعل، فهو نهي عن أن تلحق الوالدة الضرار بالزوج، بأن تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، أو بأن تقول له بعدما ألفها الصبي: اطلب له ظراها، أو ما أشبه ذلك<sup>(6)</sup>، فالنهي لهما عن أن يكلف أحدهما الآخر ما هو فوق قدرته، ويستغل ما يعلمه من شفقة الآخر على ولده، فيعمل على إحراجه وإلحاق الضرر به.

ويلاحظ أن هذه الجملة لم تعطف على التي قبلها إشارة منه تعالى إلى أنها مقصودة لذاتها؛ فإنها تشريع مستقبل.

**الصورة الثامنة: أداة نهي+مسند+مفوعول به +مسند إليه (اسم ظاهر مضاد)+ أداة عطف + معطوف (مسند إليه).** من هذه الصور قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُم﴾<sup>(7)</sup>.

تتكون الجملة من فاء الاستئناف، وأداة نهي، ومسند، مضارع مجزوم "تعجب"، ومفوعول به "كاف الخطاب"، تقدم وجوباً، لأنه اتصل بالفعل، ومسند إليه "أموال" مضاد إلى ضمير الغائبين "هم"، وهذا الضمير

(1) البقرة، 233.

(2) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/370، والقرطبي، الجامع، 3/167.

(3) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 136، والداني، التيسير، ص 69، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/225.

(4) ينظر، الأنباري، الإنفاق في مسائل الخلاف، 2/211، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/225.

(5) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات ، ص: 136، وأبو حيان ، البحر الخيط، 2 / 225.

(6) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/370، والنسفني، مدارك التزيل، 1/130، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/225.

(7) التوبية، 55.

عائد إلى الذين "كفروا بالله ورسوله"- في الآية السابقة- ثم عطف على المستند إليه "أموالهم" لفظ "أولادهم"، ولكون ذكر الأولاد كالتكميلة - هنا - لزيادة توضيح عدم انتفاعهم بكل ما هو مظنة أن ينفع به الناس، عطف "أولادهم" بإعادة الأداة "لا" بعد أداة العطف إشارة إلى أن ذكرهم كالتكميلة والاستطراد.

والخطاب لرسول الله ﷺ ، والمقصود المسلمين، والمعنى: فلا تعجبك - أيها الرسول وأيها المسلمون - أموالهم ولا أولادهم، ولا سائر نعم الله عليهم. فالقرآن يرشد المسلمين بأن لا يعجبوا بما فيه بعض المنافقين من ترف مادي، فما هم فيه يعد من أسباب الحزن والنوايب عليهم، وفي هذا المعنى تحذير لشأن المنافقين الذين يتباهون بوفرة أموالهم وكثرة أولادهم.

ويبدو من خلال سياق الآية أن المنافقين نالوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد، وخسروا الآخرة. وربما هذا ما جعل بعض المسلمين يقولون: كيف من الله عليهم بالأموال والأولاد، وهم أعداؤه؟ ولذلك أعلم الله المؤمنين بعد هذه الجملة - في هذه الآية - أن تلك الأموال والأولاد، وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نعمة وعداب، فإن الله عذبهم بها في الدنيا، بأن سلبيهم طمأنينة البال، فقال: "إنما يريد الله ليعدبهم بها في الحياة الدنيا...".

وتكررت هذه الجملة - في سورة التوبه - في قوله: **﴿وَكَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَكَا أُولَادُهُمْ﴾**<sup>(1)</sup>، وذلك لتأكيد الكلام؛ مما يظنون أنه من متاع الحياة الدنيا ومنافعها، هو في الحقيقة سبب لبلائهم وعذابهم. وورد هذا المعنى في أكثر من آية، ومنه قوله تعالى: **﴿يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُنَذِّهُمْ بِهِ مِنْ مَكَانٍ وَبَيْنَ نُسَامَّ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ كُلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾**<sup>(2)</sup>.

يتضح من مضمون الآيات السابقة أن النفاق حالي لجميع الآفات في الدنيا والآخرة، وبطل لجميع الخيرات فيها.

ويلحق بهذه الصورة قوله: **﴿وَلَا يَخْرُكَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَ يَضْرُو اللَّهُ شَيْئاً﴾**<sup>(3)</sup>. التركيب يتكون من جملة هي "لَا يَخْرُكَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ فِي الْكُفْرِ" معللة بجملة منسوبة: "إِنَّهُمْ لَن يَضْرُو اللَّهُ شَيْئاً". وقد حذفت أدلة التعليل اللام أو الفاء، والتقدير: لأنهم أو فإنهم ...

و الفعل المضارع "يحزن" مسند إلى اسم الموصول "الذين"، وقد اتصل ببنيته المفعول به "كاف الخطاب" ، المخاطب به رسول الله ﷺ حسب دلالة السياق. وقرأ الجمهور: "يحزن" بفتح الياء، وضم الزاي،

(1) التوبه، 85.

(2) المؤمنون، 55، 56.

(3) آل عمران، 176.

والماضي حزنه، وقرأ نافع وحده بضم الياء وكسر الزاي، والماضي أحزن<sup>(1)</sup>، وهذه لغة قليلة<sup>(2)</sup> وذلك كقولهم: محزون، ولا يقال: مُحزن، نقول: حزن، يحزن، حُزنا، وحزنا.<sup>(3)</sup> قال سيبويه: يقال: حَزَنَ الرَّجُلُ إِذَا أَصَابَهُ الْحَزْنُ، وَحَرَّقَتْهُ إِذَا جَعَلَهُ حَزِينًا، وَأَحْزَنَتْهُ إِذَا جَعَلَتْ فِيهِ حَزْنًا أَوْ عَرَضَتْهُ لِلْحَزْنِ.<sup>(4)</sup>

وقرأ الجمهور: "يسارعون" بزيادة الألف من "سارع". وقرأ الحر النحوي<sup>(5)</sup>: "يسرعون" من "أسرع".<sup>(6)</sup> وقال ابن عطية: "وقراءة الجماعة أبلغ؛ لأن من يساريغ غيره أشد احتهادا من الذي يسرع وحده"<sup>(7)</sup>، ومعنى "يسرعون في الكفر": يقعنون فيه سريعاً لشدة رغبتهم فيه، وغاية حرصهم عليه، ولتضمن معنى المسارعة معنى الوقوع تعدى الفعل بـ"في" دون "إلى" الدائع تعديته به، كما ورد في قوله: ﴿وَسَارُوا إِلَى مَغْرِبَةِ مِنْ مَرِيَّكُمْ﴾<sup>(8)</sup> وفضل ذلك للإشارة على استمرار ملابستهم للكفر في مبدأ المسارعة، كما في قوله: ﴿وَسَامِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾<sup>(9)</sup>. في شأن المؤمنين . والمراد بـ﴿الذِينَ يَسَّارُونَ فِي الْكَفْرِ﴾: المنافقون كما يتضح من حال معنى الجملة؛ فهم الذين ارتدوا بعد إسلامهم، وقد أسرعوا في الكفر، وقيل: المراد كفار قريش، وقيل: رؤساء اليهود<sup>(10)</sup>، والأولى حمله على العموم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَخْرُبَ الَّذِينَ يَسَّارُونَ فِي الْكَفْرِ﴾<sup>(11)</sup>.

والمعنى: لا تتوقع أية الرسول -حزناً ولا ضرراً منهم، ولذلك علل النبي بقوله: ﴿إِنَّمَا لَنْ يَضُرُّ وَاللَّهُ شَهِيدًا﴾، أي: لن يضر أولياء الله، وذلك على حذف مضارف.

و المبني - هنا - ضرر خاص، وهو إبطال دين الله، وهو الإسلام، وهذا لن يحدث أبداً بل سعيهم وكيدهم يض محل ويعلو أمر الله تعالى.

وفي تعليق نفي الضرر به تبجيلاً تشريف المؤمنين وإيدان بأن مضارتهم بعتله مضارته. وفي هذا تأنيس وتسليمة لرسول الله ﷺ، بأن وبال ذلك عائد على أولئك الكفار والمنافقين، فلا يضررون إلا أنفسهم، ووجه الحاجة إلى هذه التسلية أو التأنيس هو أن نفس النبي، وإن بلغت درجة الكمال، فلا تعود أن تعتريها في بعض

(1) ينظر، بن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، 1/122، والمادي، التيسير، ص 76، وأبو حيان ، البحر الخيط، 3/126، وابن الجوزي، الشر، 2/244.

(2) ينظر، العكري البيان، 1/312.

(3) ينظر، ابن خالويه، إعراب القراءات، 1/122.

(4) ينظر، الكتاب، 4/56.

(5) هو حر بن عبد الرحمن النحوي القارئ ، سمع أبا الأسود الدؤلي ، وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة. ينظر السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (د، ت)، 493/1.

(6) ينظر، ابن جني، المختسب، 177/1، وابن عطية، البحر الوجيز، 3/429.

(7) البحر الوجيز، 3/429.

(8) آل عمران، 133.

(9) آل عمران، 114.

(10) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 9/84، والقرطبي، الجامع، 4/284.

(11) المائدة، 41.

أحابين الشدة أحوال النفوس البشرية من تأثير مظاهر عوامل الحزن، فكان أن سلّى الله تعالى نبيه بما وجهه له في هذا الخطاب عن حال الكافرين والمنافقين إذ كلهم مسارع في الكفر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿لَا يَغُرِّنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾<sup>(1)</sup>.

أسند فعل الغرور إلى "تقلب"؛ لأن التقلب سببه، فهو مجاز عقلي، والمعنى: لا ينبغي أن يغرك حال الكفار في الأرض. والتقلب: تصرف الناس على حسب إرادتهم في التجارة والزراعة والأموال وغيرها.

وفسر اسم الموصول "الذين" بالمشركين من أهل مكة، فقد ذكر الواهدي "أئمّة كانوا في رحاء ولين من العيش، وكانوا يتّحررون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجموع والجهد، فترلت الآية"<sup>(2)</sup> وبعض فسره باليهود، فقيل: إنهم كانوا يضربون في الأرض ويصيّبون الأموال والمؤمنون في عناء فترلت، وإلى ذلك ذهب الفراء.<sup>(3)</sup>

واختلف في قراءة قوله: "لا يغرنك" فقرأ الجمهور -بتشديد الراء وتشدید النون- وهي نون التوكيد الثقيلة، وذلك للبالغة في النهي، وقرأ رؤيس<sup>(4)</sup> عن يعقوب -بنون ساكنه- وهي نون التوكيد الخفيفة.<sup>(5)</sup>

والفعل في قوله: "يغرنك" من الغرور، والغرور: الإطماع في أمر محظوظ على نية عدم وقوعه، وهو مشتق من الغرة -بكسر الغين- وهي الغفلة، يقال: رجل غر -بكسر الغين- إذا كان يخدع لمن خادعه<sup>(6)</sup>، والنهي لكل سامع، وذلك من يتوهّم أن يغره من حال الكفار في الحياة الدنيا.

والمعنى: لا تظن أن حال الكفار حسنة، فتنشغل بذلك، أي: لا تنظر إلى ما هم فيه من تقلّبهم في البلاد بالأسفار للتجارة التي يتّسعون بها في معاشهم.

والجملة مسوقة لتسلية المسلمين وتبيّن لهم ببيان قبح ما أوثق الكفارة من حظوظ الحياة الدنيا. وفي هذا المعنى -أيضاً- تنبّيه وتحذير لهم من الاغترار بما يكون عليه الكافرون من الترف وسعة الرزق، فإن ذلك لم يكن صادراً عن رضى الله تعالى عنهم، وإنما هو حظ زائل في الدنيا حصل لهم بحسب ما اقتضته سنة الله الكونية في العمل الذي يعود على صاحبه بالكسب بقدر جهده.

(1)آل عمران، 196.

(2)أسباب التزول، ص 119.

(3)يُنظر، معاني القرآن، 1/ 251.

(4)هو أبو عبد الله اللؤلؤي، رؤيس المقرئ، قرأ على يعقوب، وتصدر للإقراء، قرأ عليه محمد بن هارون الشمار، وأبو عبد الله الزبيري، توفي سنة 238هـ . ينظر، الذهي، معرفة القراء الكبار، 1/ 216.

(5)يُنظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/ 471، والطبرسي، مجمع البيان، 2/ 368، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/ 154، وابن الجوزي، التفسير، 2/ 246.

(6)يُنظر، ابن منظور، لسان العرب، 5/ 12، 13 (غرس).

**الصورة التاسعة: أداة نهي + مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به + ظرف مكان.**

تبين هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُم﴾<sup>(1)</sup>.

الفعل مسند إلى واو الجماعة، وقد تقييد بالمفعول به "الفضل" وانتصب الظرف "بين" على الظرفية المكانية. وفي هذا الظرف إشارة إلى أن هذا الفعل متعارف عليه من لدن المخاطبين، لأن ما يتعلّمهم يكون مشتهرًا بينهم.قرأ الجمهور: "ولا تنسوا الفضل" بضم الواو، وكسرها يحيى بن يعمر على أصل التقاء الساكنين<sup>(2)</sup>، وقرأ علي بن أبي طالب، وبمأذن، وأبو حبيبة، وأبي عبد الله عبّالله: "ولَا تَنْسَوْا"<sup>(3)</sup> قال ابن عطية: "وهي قراءة متمنكة المعنى، لأنّه موضع تناسى لا نسيان إلا على التشبيه"<sup>(4)</sup>، والنسيان هنا الترك، واستخدم للدلالة على الإهمال وقلة الاعتناء. والفضل: هو فعل ما ليس بواجب من عمل الخير؛ فهو مندوب، وهو من الزوج تكميل المهر، ومن الزوجة ترك جزء من المهر الذي لها<sup>(5)</sup>.

الخطاب - حسب السياق - للأزواج والزوجات جميعاً، أي: لا تتركوا الأخذ بالتفضل والإحسان بينكم. فقد نهوا عن نسيان التفضيل، لأن نسيانه تباعد بينهم، وفي هذا المعنى ترغيب في الأخذ بهذا الخلق لتقوية أو اصر المودة.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَلَا تَنْقِلُوهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾<sup>(6)</sup>.

تقييد الفعل المضارع "نقيل" بالمفعول به "شهادة"، وشهادة نكرة واقعة في حيز النهي، فتفيد العموم كالنكرة الواقعة في حيز النفي، ومقتضى النهي عدم قبول كل شهادة للمحدود حديثة كانت أم قديمة. وظرف الزمان "أبداً" يدل على الاستمرار والتأكيد للمستقبل<sup>(7)</sup>.

وجملة النهي هذه معطوفة على جملة الأمر - في هذه الآية - في قوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

أي: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد وعدم قبول الشهادة. فكما أن حكم القاذف الجلد كذلك حكمه رد شهادته. يقول الفراء: "القاذف لا تقبل له شهادة، توبته فيما بينه وبين ربّه، وشهادته ملقة، وكان بعضهم يرى شهادته جائزة إذا تاب، ويقول: يقبل الله توبته ولا نقبل نحن شهادته"<sup>(8)</sup>، وبهذا قال أغلب المفسرين<sup>(9)</sup>.

(1) البقرة، 237.

(2) ينظر، القرطي، الجامع، 3/208.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/327، والقرطي، الجامع، 3/208.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/327.

(5) المصدر السابق، 2/327.

(6) البور، 4.

(7) ينظر، أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص 32.

(8) معاني القرآن، 2/246، 245.

(9) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 10/435، 434، والطبرسي، مجمع البيان، 7/176، والرازي، مفاتيح الغيب، 23/142، 141، والقرطي، الجامع، 12/179.

أما عدم قبول شهادة القاذف في المستقبل، فلأنه لما قذف دون إثبات فقد صار غير عدول، وكان حقيقياً بأن لا يؤخذ بشهادته. ومعنى الجملة: ولا تقبلوا شهادة القاذف مدة حياته، ما لم يأت بأربعة شهاداء. ويدل مضمون الجملة على وحوب رد شهادة المحدود على الحكام، معنى إذا شهد عندهم على حكم وجوب عليهم عدم قبول شهادته. ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿لَا تَقْرُئْ فِيهِ أَبَدًا﴾<sup>(1)</sup>. الخطاب - هنا - للرسول ﷺ، والضمير المحرور "فيه" عائد إلى المسجد في قوله: ﴿مَسْجِدًا ضَرَارًا﴾ - في الآية السابقة - والتقدير: لا تقام في مسجد التخذه ضراراً. وعبر بالقيام عن الصلاة؛ لأن أولها قيام، والمعنى: لا تصلي فيه أبداً؛ لأن بناته كانوا خادعوا الرسول، فقد هم النبي ﷺ بالشيء معهم، واستدعى قميصه لينهض، فترتلت الآية، وأمر جماعة بحمد ذلك المسجد، وجعل مكاناً ترمي فيه القمامات<sup>(2)</sup>. وفي هذا إشارة إلى قضية اتخاذ المنافقين مساجداً قرب مسجد قباء لقصد الضرر بالمؤمنين، وهم طائفة من بين غنم بن عوف، وبين سالم بن عوف، وهم من منافقي الأنصار، وكان الذين بنوه أثنا عشر رجلاً سماهم ابن عطية<sup>(3)</sup>.

ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي ﷺ فيه تمنحه خيراً وينعاً، فلا يرى المسلمين لمسجد قباء - القريب منه - أي مزية عليه، فيقتصر أولئك المنافقون على الصلاة فيه لقربه من مساكنهم، وبذلك تتحقق غاية أولئك القوم من موقعه للتفريق بين جماعة المسلمين. وهذا النهي يشمل جميع المسلمين، لأنه لما نهى تعالى النبي عن الصلاة فيه علم أن الله أخذ عنه صفة المسجدية، فأصبحت الصلاة فاسدة فيه، لأن النهي يقتضي بطلان النهي عنه.

### **الصورة العاشرة: أدلة نهي + مسند إليه (وأو الجماعة) + جار و مجرور + حال.**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

الخطاب لقوم موسى عليه السلام بدلالة سياق الآية. وجملة النهي: "ولا تعثوا..." معطوفة على جملة الأمر - في الآية - في قوله: ﴿كُلُّوا وَاشْرُبُوا مِنْ مِرْقِ اللَّهِ﴾، فقد نهاهم الله تعالى - بعدما أمرهم بالأكل والشرب - أن لا يقابلوا تلك النعم بما يكرهها، وهو ارتكاب المعاصي، وفي هذا تذكير لليهود المعاصرين لزوال القرآن بالاعظام، وشكر نعمة الله، والإيمان بمحمد ﷺ. ووجه النهي أن النعمة قد تنسى العبد حاجته إلى ربه، فيترك أحكامه، فيقع في الفساد، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ أَسْتَغْنَى﴾<sup>(5)</sup>.

(1) التوبية، 108.

(2) ينظر، الواحدي، أسباب التزول، ص 220. وابن عطية، المحرر الوجيز، 7 . 35/7 .

(3) ينظر، المحرر الوجيز، 7/31 .

(4) البقرة، 60 .

(5) العلق، 7 . 6 .

والمضارع في قوله: "ولَا تَعْثُوا" من عشي، كرضي، وهذه لغة أهل الحجاز، وهي الفصحى<sup>(1)</sup>، قال ابن عطية: "عشى الرجل، يعشى، عُشواً، وعشي، عُشياً، إذا أفسد أشد فسادٍ، والأولى هي لغة القرآن، والثانية شادة"<sup>(2)</sup>. وذكر له صاحب اللسان مصدر العشيّ، والعشيّ، بضم العين وكسرها، مع كسر الثاء فيهما، وتشديد الياء فيهما<sup>(3)</sup>. وفي لغة غير أهل الحجاز: عشا، يعشوا، عُشواً، مثل: سما، يسموا، سمواً، ولم يقرأ أحد من القراء بهذه اللغة التي توجب ضم الثاء<sup>(4)</sup>.

وذهب جل المفسرين إلى أن "العيث" أشد الفساد<sup>(5)</sup>، ومنه قول رؤبة العجاج:

**وعاثَ فِيهَا مُسْتَحْلِّ عَائِثُ مُصْدَقٌ، أَوْ فَاجِرٌ مُنَاكِثٌ**

وفي الكشاف جعل معنى: "لا تعثوا" لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، لأنهم كانوا متmadin فيه<sup>(7)</sup>. فجعل المنهي عنه هو الدوام على الفعل، وكأنه يرفض صحة الحال المؤكدة للجملة الفعلية، فحاول المغايرة بين "لا تعثوا" وبين "مفاسدين" تحاشيا للتأكد.

وذكر أبو البقاء العكبي أن العشي: الفساد، والحال مؤكدة، وفيه أن مجيء الحال المؤكدة بعد الفعلية خلاف مذهب الجمهور<sup>(8)</sup>.

و"ال" في "الأرض" لاستغراب الجنس، وقد يقصد الله بالأرض أرض التي، ويجوز أنه يريدها وغيرها مما قدر أن يبلغوا إليها، فینالها فسادهم، ويكون فسادهم فيها بسبب كثرة تردهم وعصيائهم وإصرارهم على المخالفات، لأن هذه الصفات قد تجسدت في بني إسرائيل.

**الصورة الحادية عشرة: أداة نهي + مسندة إليه (واو الجماعة) + جار و مجرور + أداة حصر + مفعول به.**

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقٌ﴾<sup>(9)</sup>.

الخطاب للنصارى بدلالة العطف، لأن جملة النهي معطوفة على مضمون النداء في هذه الآية- في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُو فِي دِينِكُمْ﴾. وهذا العطف خاص على عام للاهتمام بالنهي عن الافتراء

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتسير، 1/520، 521.

(2) الخر الوجيز، 1/313.

(3) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 15/29، (عش).

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 1/349، وابن عطية، الخر الوجيز، 1/313.

(5) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، 2/90، والطبرى، جامع البيان، 1/349، والماوردي، النكت والعيون، 1/128، والبغوى، معلم التزيل، 1/77، وابن الجوزى، زاد المسير، 9/87، والرازي، مفاتيح الغيب، 1/99.

(6) ذكره الماوردي في النكت والعيون، 1/128.

(7) الزمخشري، الكشاف، 1/284.

(8) ينظر، البيان في إعراب القرآن، 1/67.

(9) النساء، 171.

الشنيع الصادر من النصارى الذين أفرطوا في تعظيم المسيح، حتى ادعوا فيه ما ادعوه فنهاهم الله عن الافتراء والكذب بقولهم غير الحق، وذلك بتزويجه تعالى عن الشرير والولد.

و فعل القول إذا عدي بـ "على" دل على أن نسبة القائل القول إلى المخرب بـ "على" نسبة كاذبة<sup>(1)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(2)</sup>. ومعنى القول على الله في هذه الجملة: أن يقولوا قولًا يزعمون أنه من دين الله المترد على عيسى عليه السلام، وهو من عند أنفسهم؛ فإن الدين الصحيح من شأنه أن يصدر منه تعالى.

ومعنى الجملة: لا تذكروا إلا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والحلول والتخاذل الصاحبة والولد. ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا مَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ ﴾<sup>(3)</sup>.

تألف الجملة من أدلة نهي، ومسند، ومسند إليه "واو الجماعة"، وأداة استثناء "إلا" ومستثنى اسم موصول "من" بمحورا لفظا بـ "اللام" الزائدة، منصوب محلاً على الاستثناء المنقطع، وجملة ماضوية "تابع دينكم" صلة الموصول. هذا النهي من كلام الطائفة من أهل الكتاب بدليل قوله تعالى -في الآية السابقة-: ﴿ وَقَاتَ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابَ أَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾. أرادوا بقولهم هذا التنبية والاحتراس بألا تظن الطائفة المخاطبة من قولهم: ﴿ أَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ أنه إيمان حق. ومعنى الجملة: لا تصدقوا تصديقا صحيحا وتومنوا إيمانا حقا إلا من جاء بمثل دينكم، فأما محمد فلا تومنوا به؛ لأنه لم يتبع دينكم. وقال ابن كثير في تفسير ذلك: "لا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا من تبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتاجوا به عليكم"<sup>(4)</sup>. وفي هذا المعنى إظهار الاستغناء عن متابعتهم لما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين. وهو موقف يدل على شدة كفرهم وحسدهم مع العلم بصحة نبوة محمد عليه السلام.

**الصورة الثانية عشرة: أدلة نهي + مسند + مسند إليه (محذوف) + نون التوكيد + أدلة حصر+حال (جملة).**

وردت هذه الصورة في موضوعين، وتتصفح في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿ وَكَمْ تُؤْمِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتبيير، 51/6.

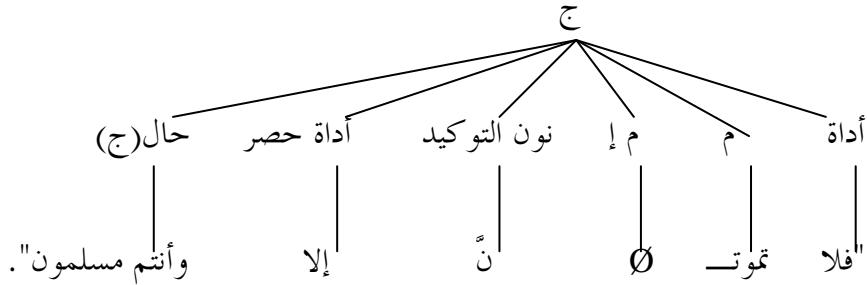
(2) آل عمران، 78، 75.

(3) آل عمران، 73.

(4) تفسير القرآن العظيم، 2/57.

(5) البقرة، 132.

(6) آل عمران، 102.



تتألف الجملة من أداة نهي، وفعل مضارع مجزوم، اتصلت به نون التوكيد الثقيلة، أما الفاعل (المسند إليه) فمحذوف، وهو واو الجماعة، وقد حذف لانقاء الساكنين (الواو والنون)، والضمة فوق لام الفعل (المسند) دليل عليه. ثم جيء بجملة حالية "وأنتم مسلمون"، والرابط واو الحال والضمير معاً.

تميزت هذه الجملة بنظام بديع وجيز، ونظيرها ما حكى سيبويه من قول العرب: "لا يرثك ههنا، أولاً أرثك ههنا"<sup>(1)</sup>، والمقصود: لا تكن هنا فتكن رؤيتك لك، وبمعنى آخر: اذهب عن هذا المكان.

وتدل البنية السطحية للجملة على النهي، إلا أن البنية العميقية تدل على الأمر؛ فليس معناها في الحقيقة نهياً عن الموت، وإنما هو أمر بالتمسك بالإسلام حتى الموت<sup>(2)</sup>، فالنهي عن الموت على غير الإسلام يتطلب النهي عن مفارقة الإسلام طول حياة الإنسان، وذلك كنایة عن ملازمته زمن الحياة، لأنه ليس بمقدوره أن يدرك متى يأتيه الموت، فنهي عن ألاّ يموت على غير الإسلام.

وموضع النهي هو المستثنى منه المحذوف، والمستثنى هو جملة الحال؛ لأنها استثناء مفرغ من أحوال. يقول أبو حيان: "ومجيئها اسمية أبلغ لتكرر الضمير، وللمواجهة فيها بالخطاب"<sup>(3)</sup>، والتقدير: ولا تموتن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت.

وفي هذا المعنى حدث على المبادرة إلى الإسلام ابتداء واستمراراً والمحافظة عليه في حال سلامتكم لتموتوا عليه، وليس معناه النهي عن الموت حتى يسلموا، وإنما المطلوب هو التدين بالإسلام قبل مفاجأة الموت.

<sup>(1)</sup> ينظر، الكتاب، 3/101.

<sup>(2)</sup> ينظر، ابن عطية، الخرر الوجيز، 3/247، وأبو حيان، البحر الخبيط، 1/571، 3/20، وقما حسان، البيان في روايَة القرآن، ص 153.

<sup>(3)</sup> البحر الخبيط، 3/20.

**الصورة الثالثة عشرة: أداة نهي + مسند + مسند إليه + مفعول به + مضاف إليه + أداة استثناء + مستثنى (اسم موصول) + جملة فعلية ماضوية (صلة الموصول).**

تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَكَأْيُّدِينَ زَرِيتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُمَا﴾<sup>(1)</sup>.

الفعل مضارع متعدٍ، وقد تقييد بالمفعول به "زينة" المضاف إلى ضمير الإناث "هنّ"، والزينة: ما يحصل به الزين، والزين الحسن، مصدر زانه، يقال: زين بمعنى حسن<sup>(2)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿زَرِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(3)</sup>. الخطاب - في الآية - للمؤمنات بدلاً عن العطف على جملة الأمر - في هذه الآية - في قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...﴾، فقد ناهن الله تعالى عن إبداء زينتهن لل الرجال؛ لأن التزيين أساسه الظاهر بالحسن، فكان جاذباً للأنظار، ولذلك كان النهي عن إظهاره تحذيراً لهن من الافتتان الذي يمكن أن يتعرضن له، وهن بadiyat في زينتهن. واستثنى الله تعالى من الزينة ما يظهر منها فقال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. والظاهرة غير الخفية.

واختلف في قدر تلك الزينة التي استثنى، فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: "الزينة الظاهرة الوجه وكحل العينين وخطاب الكف والخاتم، فهذا تظاهره في بيتها لمن دخل عليها"<sup>(4)</sup>، وقال ابن عطية: "ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بـألا تبدي زينتها، وتحتجد في الإخفاء إلا ما غلبها بحكم الضرورة مما لا بد منه، والغالب أن الوجه والكفين يكثر منهما الظهور"<sup>(5)</sup>.

فالله تعالى رخص في إبداء مواضع الزينة الظاهرة؛ لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والنكاح، ولذلك استثنى بقوله: "إلا ما ظهر منها"، يعني ما جرت العادة على ظهوره، فهو مباح أن تريه المرأة لكل أحد، لأن إخفاءه فيه مشقة وحرج<sup>(6)</sup>. ويكون التزيين الذي نهى الله عن إظهاره للأجانب كالخلخال والسوار والقلادة والقرط والوشاح، ونحو ذلك مما يظهر غالباً.

وفي الغرض من النهي صون لكرامة المرأة المسلمة، لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد، لا يحل لمن ليس بمحرم النظر إليها، وهي الرأس والعنق والصدر والساقي والذراع والعضد والأذنان. فنهى عن إبداء الزين نفسها، ليعلم أن النظر لا يحل إليها ملابستها تلك الواقع، بدليل أن النظر إليها غير ملائمة، كالنظر إلى سوار

(1) التور، 31.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 13/201، (زين).

(3) آل عمران، 14.

(4) صحيفـة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 372.

(5) الخر الوجيز، 10/488، 489.

(6) ينظر، القرافي، الاستغناء في الاستثناء، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1986، ص 341.

امرأة يباع في السوق، فكان النظر إلى الواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهداً على أن النساء حقهن أن يختطفن في سترها ويتقين في الكشف عنها<sup>(1)</sup>. وهذا المعنى يكون الكلام على تقدير مضاف، أي: ولا يبدئن موقع زيتنهنّ. وفي معنى النهي الوجوب.

ويعاشر هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبَدِّلْنَ مِنْتَهِنَ إِلَّا لِعُولَتْهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعْلَتْهِنَّ.. أَوِ الظِّلِّلِ الَّذِينَ لَمْ يَضْمُرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾<sup>(2)</sup>.

تكررت جملة "ولا يبدئن زيتنهنّ" في هذه الجملة - تأكيداً للجملة المتقدمة - في هذه الآية - وذلك ليحيى على الحكم الاستثناء - في قوله: "إلا لبعولتهن..." الذي مقتضى ظاهره أن يعطف على "إلا لبعولتهن"، أي: ولا يبدئن زيتنهن غير الظاهرة إلا ممن ذكروا بعد أدلة الاستثناء لشدة الخرج في إخفاء الرينة غير الظاهرة في أوقات عده ، فإن الملاقبة بين المرأة وبين أقربائها وأصحابها المستثنين ملاقبة متكررة، فلو وجب عليها ستر زيتها في أوقاتها ، كان ذلك مشقة وحرجاً عليها. وذكر في هذه الجملة اثنا عشر مستثنى كلهم من يتردد دخولهم على المرأة ، وهم صلة القرابة أو صهر ، وسكت عن غيرهم من هم في حكمهم بحسب المعنى .

وكل من عدّ من الرجال الذين استثنوا من النهي هم من الذين لهم بالمرأة علاقة هي وازع لهم من أن يهموا بها، وبدأ بالبعولة، وهم الأزواج، وهم المقصودون بالمتعة والنظر، ثم ثني بذوي المحارم، وهم من ليس شأنهم أن تتحرك منهم شهوة تجاههن لحرمة، وهم آباء النساء، وكذا الأجداد، أو آباء الأزواج وأبناؤهم، والإخوة الأشقاء، أو لأب أو لأم، وأبناء الإخوة كذلك، فكل هؤلاء محارم، يجوز للمرأة أن تبدي زيتها أمامهم بلا حرج، ولكن من غير تبرج.

ويتحقق بهذه الصورة قوله: ﴿وَكَانُوكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمُقْتَنَّا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب للمؤمنين بدلالة سياق هذه الآية وسابقاتها. الفعل "تنكح" مسند إلى واو الجماعة، وتعدى إلى المفعول به "ما" ، و "ما" بمعنى اسم الموصول، وذكر "من النساء" بياناً لكون "ما" موصولة، وعدل عن أن يقال: لا تنكحوا نساء آبائكم، ليدلّ بلفظ "تنكح" على أن عقد الأب على المرأة كافٍ في حرمة زواج ابنه منها. والاستثناء في قوله: "إلا ما قد سلف" منقطع، لأن النهي للمستقبل، و الفعل "سلف" ماضٍ، فليس من جنسه، وهو في موضع نصب<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر، الرمخنري، الكشاف، 61/3، وأبو حيان، البحر الخيط، 6/412.

(2) التور، 31.

(3) النساء، 22.

(4) ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، 38، والعكبري، البيان، 1/343، والقرافي، الاستغناء في الاستثناء، ص 371، 372، وأبو حيان، البحر الخيط، 3/217.

ومعنى المنقطع أنه لا يكون داخلاً في الأول، بل يكون في حكم المستأنف، وتقدر "إلا" فيه بـ"لكن"<sup>(1)</sup>، والتقدير هنا: ولا تتزوجوا النساء اللاتي نكح آباؤكم لكن ما سلف من ذلك فمعفو عنه. وهذا نظير قوله: ما مررت برجل إلا بأمرأة، أي لكن مررت بأمرأة<sup>(2)</sup>. ودلالة النهي تحرير، ويبدو لنا من حكمة هذا التحرير عدّة اعتبارات منها: إن امرأة الأب بمثابة الأم؛ فلا يصح أن يختلف الابن أباًه، حتى لا تكون شبهة الإرث لزوجة الأب، ولهذا حيء بالجملة التعليلية: "إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلاً"، فجعله الإسلام فاحشة وسيلاً سيئاً، إلا ما قد مضى منه قبل أن يرد في الإسلام تحريره، فهو متزوك أمره الله.

**الصورة الرابعة عشرة: أدلة نهي + جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه)(ضمير متصل)+مفعول به+جار و مجرور)+أدلة عطف+جملة مضارعية(مسند+مسند إليه+مفعول به)+حال-جملة).**

جاء من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَلِّسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب لبني إسرائيل بدلالة العطف، لأن جملة النهي معطوفة على مضمون النداء في الآية السابقة، والتي وجه النداء فيها لبني إسرائيل. وجملة "و تكتموا الحق" معطوفة على "ولا تلبسو الحق بالباطل"، وكلاهما منهي عنه. والتغليظ في النهي على الجمع بينهما واضح.

وجملة "وأنتم تعلمون" في موضع نصب على الحال من الضمير في "تكتموا"، وهو أبلغ في النهي، لأن صدور ذلك من العالم أشد وأفظع، ومفعول "تعلمون" مذوق اختصاراً ، وقد دل عليه ما تقدم، والتقدير: وأنتم تعلمون لبسكم الحق بالباطل؛ فلا يناسب من كان عالماً أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل.

والمعنى: ولا تخلطوا الحق المترل من الله بالباطل الذي تبتدعونه وتكتبونه، ولا تكتموا وصف النبي وبشارته التي هي حق. وفي هذا المعنى دليل على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره للناس، ويحرم عليه كتمانه.

**الصورة الخامسة عشرة: أدلة نهي + مسند+مسند إليه (واو الجماعة) + مفعول به+حال (جملة).**

من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾<sup>(4)</sup>.

(1)ينظر، العكري، البيان، 1/343.

(2)ينظر، المصدر السابق، 1/343.

(3)البقرة، 42.

(4)البقرة، 187.

يتتألف التركيب من أداة نهي، وفعل مضارع مسند إلى جماعة المخاطبين (الواو) المتصل ببنيته، ومفعوله الضمير المتصل "هن"، وجملة حالية، تربطها (الواو) والضمير بجملة النهي. والنهي عن مباشرة الزوجات مقيد بحال الاعتكاف في المساجد، وهو نهي تحريم، المراد بال مباشرة: الجماع، وقال بعض المفسرين المعنى: ولا تلامسوهن بشهوة<sup>(1)</sup>، أما الملامة بغیر شهوة فغير محظورة.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿وَلَا تَيْمِمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

قرأ الجمهور: "ولاتيمموا" ببناء واحدة خفيفة وصلا وابتداء. وقرأه البزي عن ابن كثير بتشديد التاء في الوصل على اعتبار الإدغام<sup>(3)</sup>.

وحكى الطبرى ومن أخذ عنه أن في قراءة عبد الله بن مسعود: "ولا تأمووا" من أممت، أي قصدت وعمدت، المعنى في القراءتين واحد<sup>(4)</sup>، يقال: تيمم الرجل كذا وكذا، وتأمنت فلانا إذا قصده<sup>(5)</sup>، ومنه قول امرئ القيس:

تَيْمَمْتُ الْعَيْنَ الَّتِي عَنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلُّ عَرْمَضَهَا طَامِي<sup>(6)</sup>

وقرأ الزهرى ومسلم بن حنبل<sup>(7)</sup>: "ولا تيّمموا" بضم التاء وكسر الميم، وهذا على لغة من قال: تيممت الشيء بمعنى قصده<sup>(8)</sup>.

وال فعل: "تيمم" عدى إلى المفعول به "الخبث"، والخبث: الشديد سوء في نوعه وصفاته، فلذلك يطلق على الشيء الحرام، وعلى الكريه المستقذر، قال تعالى: ﴿وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِث﴾<sup>(9)</sup>، وهو ضد الطيب، ووقوع هذا اللفظ في سياق النهي يدل شمولية ما يصدق عليه اللفظ.

والجملة الفعلية " منه تتفقون" في موضع الحال، والجار وال مجرور منه" معمولان للحال، وقدما عليه للدلالة على الاختصاص. ومعنى التركيب: ولا تقصدوا المال الخبيث مخصوصين الإنفاق به، وقادرين ذلك عليه. وفي هذا المعنى تقرير وعتاب، لأن محل النهي أن يخرج المسلم زكاته أو صدقته من الأصناف الرديئة، ويترك الجيدة، أما

(1) ينظر، ابن عطية، الخرر الوجيز، 2/130، والزمشري، الكشاف، 1/339، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/60.

(2) البقرة، 267.

(3) ينظر، الدانى، التيسير، ص 70، وابن عطية، الخرر الوجيز، 2/449، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/330.

(4) ينظر، جامع البيان، 3/82، وابن عطية، الخرر الوجيز، 2/449، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/331.

(5) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 12/23، 22، (أمم).

(6) الديوان، ص 168.

(7) هو مسلم بن حنبل أبو عبد الله الذهلي، تابعي مشهور، عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعرض عليه نافع. توفي سنة 130هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/80-82، وابن الجزري، خاتمة النهاية في طبقات القراء، عن بشره بر جستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.3، 1982، 297/2.

(8) ينظر، ابن جني، الخصب، 1/138، وابن عطية، الخرر الوجيز، 2/450.

(9) الأعراف، 157.

إخراجه من الصنف الجيد ومن الرديء معاً، فليس بمنهي عنه، لا سيما في الزكاة ، لأنه يخرج عن كل ما هو عنده من نوعه جيداً كان أو رديئاً.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

جيء بالفاء لترتيب جملة النهي على الكلام السابق؛ فالنهي مرتب ومتعلق بالأمر بالعبادة في الآية السابقة-من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا مَرَّكُم﴾.

ال فعل في قوله: "فلا يجعلوا" يتعدى إلى مفعولين، وقد تعدد إلى أحدهما بحرف الجر "الله" وتعدى للثاني مباشرة "أنداداً" ، والأنداد: الأكفاء والنظراء والأمثال في أمر من مجد وغيره<sup>(2)</sup>، واحد نِدٌّ- بكسر النون- وكذلكقرأ ابن السمييع<sup>(3)</sup>: "نَدًّا"<sup>(4)</sup> ، وهو مفرد في سياق النهي. فالمراد به العموم، إذ ليس المعنى: فلا يجعلوا الله نَدًّا واحدا بل أندادا. وزاد على هذا المعنى بعض أهل اللغة أن يكون مخالفا، أي مناؤا ومعاديا، وكأنهم نظروا إلى اشتقاده من نَدًّا إذا نفر وشرد<sup>(5)</sup> ، ولعل وجہ دلالة الند على المناوأة والمضاادة أنها من لوازם المماثلة، لأن شأن المثل أن ينافس مماثله ويزاوجه في مراده وحكمه، فتحصل من ذلك المضاادة والمخالفة. ومنه قول حسان بن ثابت:

فَشَرُّكُمَا لِخَيْرٍ كُمَا الْفِدَاءُ<sup>(6)</sup>      أَتَهُجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدًّ؟

ومنه - كذلك - قول جرير:

وَهَلْ تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدٍ<sup>(7)</sup>      أَتَيْمٌ تَجْعَلُونَ إِلَيْ نَدًّا

والمعنى في الآية: لا تبنوا الله أنداداً وتجعلونها جعلاً، وهي ليست أنداداً، وسماتها أنداداً تعرضاً بزعمهم الفاسد الذي ينبع عن تفكير ساذج، لأن حال العرب في عبادتهم لها كحال من يسوى بين الله وبينها، وإن كان أهل الجاهلية يقولون: ﴿مَا بَعْدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ مِنْ لَفْي﴾<sup>(8)</sup>.

و جيء بجملة حالية " وأنتم تعلمون" ، والخطاب بـ "أنتم" للكفار والمنافقين بدلالة السياق. ومفعول "تعلمون" محدود، لأن الفعل لم يقصد تعليقه بل قصد إثباته لفاعله، فترت الفعل متصلة اللازم، وذلك للدلالة على

(1) البقرة، 22.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 3/420، (نند)، والفيروز آبادي، القاموس الخيط، 1/341، (نند).

(3) هو محمد بن عبد الرحمن بن السمييع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءات، ينسب إليه، شذ فيه، قرأ على أبي حبيبة، وقيل: قرأ على نافع، وقرأ عليه إسماعيل بن مسلم. ينظر، ابن الجوزي، غاية النهاية في طبقات القراء، 2/161، 162.

(4) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/236، والقرطبي، الجامع، 1/230، وأبو حيان، البحر الخيط، 1/239.

(5) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 3/420، (نند).

(6) الديوان، حققه ولد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974، 18/1.

(7) الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص: 129.

(8) الزمر، 3.

عدم اختصاص ما هم عليه من العلم بنوع واحد من الأنواع الموجبة للتوحيد، المعنى: وأنتم ذو علم. والمراد بالعلم—هنا—رجحان الرأي المضاد للجهل.

وفي هذه الجملة إشارة إلى أنهم يعلمون أن الله لا ندّ له، ولكنهم مع ذلك تناسوا وعمت قلوبهم؛ فهم يعلمون أنه المنعم عليهم بالرزق دون الأنداد، ويعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان، ولو تأملوا وأعملوا عقوبهم، ما استخدمو الوسائل المزعومة. وفي هذا دليل على الأمر باستعمال الحجج والبراهين العقلية وإبعاد التقليد الأعمى. وجعلت هذه الحال محل النهي تربينا وتحسينا للكلام، و ذلك للجمع بين التوبيخ وإثارة النحوة والهمة؛ فإنه تعالى قد أثبت لهم علمًا ليثير همهم، ويلفت نظرهم إلى تأمل دلائل وحدانيته، فلا يجعلون له أندادًا.

ولقد استخدم القرآن هذا الأسلوب حتى لا يقتل الهمم بالقنوط من كمال قدرته، فإنه إن ساءت ظنون المرأة في نفسه، حارت إرادته وعزيمته، وضعفت مداركه، وشلت أفكاره.

ويتحقق—كذلك—ما جاء في قوله: ﴿وَكَا تَوَلَّا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب للمؤمنين، لأن النداء في الآية—”الذين آمنوا”. وجملة النهي معطوفة على جملة الأمر (مضمون النداء). والضمير في قوله: ”ولا تولوا“ عائد إلى الرسول—في الآية—لأن التولي إنما يصح في حق الرسول بـأن يعرضوا عنه، وهذا إذا كان التولي حقيقة، أما إذا كان مجازاً، فيجوز أن يعود إلى الأمر—في الآية—في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أو هو عائد إلى لفظ الحاللة ”الله“.

وجملة ” وأنتم تسمعون“ في موضع الحال من ضمير ”تولوا“. والمقصود من هذه الحال تشويه التولي المنهي عنه؛ فإن التولي عن رسول الله يعني الانصراف عنه وعصيائه. وهذا لا ينبغي أن يحدث من المؤمنين، لأنهم سمعوا الحق، فإذا لم يعلموا به فهم كمن لم يسمع سواء بسواء. ولما كان الكلام الصادر من الله ورسوله من شأنه أن يقبله أهل العقول، كان مجرد سماعه مقتضياً عدم التولي عنه. وتضمين ”تولي عنه“ بعد سماعه فأمر عجيب يستدعي الدهشة والخيرة، ثم زاد في تشويه التولي عن رسول الله ﷺ بالتحذير من التشبيه بفتنة ذميمة، يقولون للرسول: سمعنا، وهو لا يعلمون بما يأمرهم وبنيهم، وهم المنافقون والمشركون.

### الصورة السادسة عشرة: أداة نهي + جملة فعلية مضارعية + جملة غائية.

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾<sup>(2)</sup>.

تتألف جملة النهي من أداة نافية ”لا“ ومسند (فعل مضارع)، ومسند إليه ”واو الجماعة“، ومفعول به ”هم“، وظرف مكان ” عند“ متعلق بـ” تقاتلوا“ مضاد إلى اسم معرف بالـ ”المسجد“، وصفة ”الحرام“،

(1) الأنفال، 20.

(2) البقرة، 191.

وخصصت جملة النهي بجملة غائية، تكون من أدلة غائية "حتى"، ومسند (فعل مضارع)، ومسند إليه "وأو الجماعة" ومفعول به "كم"، وجار و مجرور "فيه".

قرأ حمزة<sup>(1)</sup>، والكسائي، والأعمش: "ولا تقتلواهم"، وكذلك "حتى يقتلوكم"، وغير ألف، وقرأ ذلك الباقيون بالألف<sup>(2)</sup>، ووجه القراءة بالألف أنه جعله من القتال، ووجه القراءة بغير الألف أنه جعله من القتل<sup>(3)</sup>.

وحكى الفراء عن العرب أئمّهم يقولون: "قد قتل بنو فلان إذا قتل منهم الواحد"<sup>(4)</sup>، والقراءات متداخلتان حستتان<sup>(5)</sup>، لأن من قاتل قاتل، ومن قاتل قاتل قاتل، واحتياط القراءة بالألف، لأن عليه جمهور القراء<sup>(6)</sup>.

والتركيب يفيد في المخاطبين -وهم المسلمين- عن قاتل المشركين عند المسجد الحرام، وهذا النهي مقيد بجملة غائية؛ إذ ينتهي بابتداء المشركين القتال، فإذا بدأ المشركون في قاتل المسلمين عند المسجد الحرام بطل النهي، ووجب قتالهم، لأنهم خرقوا حرمة المسجد الحرام.

ومن هذه الصورة قوله تعالى: **﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنْ﴾**<sup>(7)</sup>.

قرأ الجمهور: "ولا تنكحوا" بفتح التاء من (نكح)، وهو يتعدى إلى واحد<sup>(8)</sup>، ويطلق معنى العقدحقيقة، ومعنى الوطء مجازاً. وهو هنا معنى العقد، أي: لا تعقدوا عليهم عقد النكاح<sup>(9)</sup>. وقرأ الأعمش: "ولا ننكحوا" بضم التاء<sup>(10)</sup> من (أنكح)، والتقدير: ولا تنكحوا أنفسكم المشركات. والمشركات في لسان الشرع من تدين بتعدد الآلهة مع الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والمراد -هنا- مشركات العرب، وتدخل الكتايات، ومن جعل مع الله إلها آخر<sup>(11)</sup>.

والنهي يقتضي حرمة نكاح المشركة. والجملة الغائية "حتى يؤمن" غاية للنبي، فإذا آمن زال النبي.

وكذلك قوله: **﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾**<sup>(12)</sup>.

(1) هو أبو عمارة حفظة بن حبيب بن إسماعيل الزيات الكوفي. أخذ القراءة عن سليمان الأعمش، وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود. توفي سنة 156هـ. ينظر، ابن الجوزي، النشر، 1/158، وما بعدها.

(2) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 128، 127، 126، والقيسي، الكشف، 1/285، وابن عطية، الخرر الوجيز، 2/142، 141، وابن الجوزي، النشر، 2/227.

(3) القيسي، الكشف، 1/285.

(4) الفراء، معاني القرآن، 1/116.

(5) ينظر، المصدر السابق، 1/116، والقيسي، الكشف، 1/285.

(6) ينظر، القيسي، الكشف، 1/285.

(7) البقرة، 221.

(8) ينظر، زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق بماء الدين عبد الموجود، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ت)، ص 33.

(9) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 6/48.

(10) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 2/391، والقرطبي، الجامع، 3/67، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/173.

(11) ينظر، ابن عطية، الخرر الوجيز، 2/246، وابن العربي، أحكام القرآن، 1/156.

(12) البقرة، 221.

القراءة بضم التاء إجماعاً من القراء، والخطاب للأولىاء، والمفعول به الثاني ممحض، والتقدير: ولا تنكحوا المشركين المؤمنات، والنهي نهي تحرير؛ فيحرم تزويج المؤمنة من المشرك، وجيء بجملة غائية "حتى يؤمنوا" وهي غاية للنهي، فإذا آمنوا زال النهي.

ويعاشر هذه الصورة -أيضاً- قوله: **﴿وَكَا تَعْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَلْغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾**<sup>(1)</sup>.

انتصب لفظ "عقدة" على المفعول به لتضمين "تعزموا" معنى ما يتعدى بنفسه، فضمن معنى ثبتوا، أو تنووا، أي: لا تنووا، لأن عزم في أصله لا يتعدى إلا بـ"على" تقول: عزمت على كذا<sup>(2)</sup>، وقد ينصب "عقدة" على إسقاط حرف الجر، وهو على تقدير: و لا تعزموا على عقدة النكاح، حكى سيبويه أن العرب تقول: "ضرب زيد الظهر والبطن"<sup>(3)</sup>، أي: على الظهر والبطن، قال عترة:

**وَلَقَدْ أَبِيَتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ  
حَتَّى أَنَّالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ**<sup>(4)</sup>

والتقدير: ... وأظل عليه. فحذف "على"، وتقييد الفعل بالضمير فنصبه، إذ أن أصل هذا الفعل أن يتعدى بـ"على". قال أنس بن مدركة:

**عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ  
لِشَيْءٍ مَا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُوَّدُ**<sup>(5)</sup>

الخطاب -في الآية للMuslimين، وقد نهوا عن العزم على عقدة النكاح، وإذا كان العزم منهيا عنه، فالأولى أن ينهى عن العقدة. وعقدة النكاح ما يتوقف على صحة النكاح على اختلاف آراء العلماء ، ولذلك قال ابن عطية: "عزم العقدة: عقدها بالإشهاد والولي، وحيثند تسمى عقدة، وقوله تعالى: **﴿حَتَّى يَلْغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾** يريد تمام العدة"<sup>(6)</sup>، والمعنى: لا تعقدوا النكاح حتى تنقضى العدة.

وهذا النهي معناه التحرير، فلو عقد عليها في العدة فسخ النكاح.

ومن هذه الصورة كذلك قوله: **﴿فَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَهُنَّ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**<sup>(7)</sup>.

دخلت "لا" النافية الدالة على طلب ترك الفعل والكف عنه. ثم وردت جملة غائية "حتى يهاجروا...". فـ"حتى" يعني: "إلى أن يهاجروا". فالله تعالى المؤمنين عن ولایة المنافقين إلى أن يخرجوا في سبيل الله في غزوة تقع بعد نزول الآية، وهي الغزوة التي تلي غزوة أحد، لأن غزوة أحد التي خذل فيها عبد

(1) البقرة، 235.

(2) ينظر، الصبان، الحاشية، ضبطه وصححه وخرج شواهد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 141/2.

وأبو حيان، البحر الخيط، 238/2.

(3) الكتاب، 158، 159/1.

(4) الديوان، 57.

(5) من شواهد سيبويه، الكتاب، 1/227، والمbrid، المقتصب، 4/345، وابن حني، الحصانص، 3/32، والسيوطى، همع الهوامع، 1/301.

(6) المحرر الوجيز، 2/310، وينظر، البغوى، معلم الترتيل، 1/216، والقرطبي، الجامع، 3/192.

(7) النساء، 89.

الله بن أبي وأصحابه رسول الله ﷺ قد مضت قبل نزول هذه الآية<sup>(1)</sup>، فأقام الله للمؤمنين بالهجرة عالمة على كفر المظاهرين بالإسلام، حتى لا يبقى بينهم الاختلاف في أمرهم، وهي عالمة واضحة، فلم يعد من النفاق شيء مستور إلا نفاق أهل المدينة، يقول أبو حيان: "لما نص على كفرهم، وأئمّم تمنوا أن تكونوا مثلهم بانت عداوتهم لاختلاف الدينين، فنهى تعالى أن يوالى منهم أحد، وإن آمنوا حتى يظاهروا بالهجرة الصحيحة لأجل الإيمان، لا لأجل حظ الدنيا"<sup>(2)</sup>، فالنهي مستمر إلى غاية إظهار نيتهم بالهجرة إلى المدينة، فهي واجبة يومذاك، ولم يزل حكمها كذلك إلى أن فتحت مكة ، فنسخ بقول رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"<sup>(3)</sup>، فالمهاجرة في سبيل الله هي الخروج من مكة إلى المدينة بقصد مفارقة أهل مكة في الدين، ولذلك قال تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: لأجل الوصول إلى الله، والمراد: دينه الذي ابتغاه لعباده، وأتم به الأديان.

وتكرر هذا النهي – في هذه الآية – لتأكيد الخطاب في قوله: ﴿وَلَا تَتَخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. فقد أكد القرآن للمؤمنين لثلا يتخذوا المنافقين أولياء مناصرين لهم على أعدائهم، وهم على حالة ارتدادهم وكفرهم، إلا إذا أسلموا وهاجروا في سبيل الله مخلصين محتسبين صابرين. وترد بقية هذه الصورة في البقرة، (196)، والمنافقون، (7).

**الصورة السابعة عشرة: أداة نهي+مسند+مسند إليه(واو الجماعة)+مفعول به+حال+Aداة عطف+معطوف(حال)+مفعول لأجله(جملة مصدرية).**  
يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكُبُرُوا﴾<sup>(4)</sup>.

أنسند الفعل المضارع "تأكل" إلى واو الجماعة، وتقييد بالمفعول به "ها" العائد على أموال اليتامي في الآية في قوله: ﴿فَادْفُعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾. وقد عبر القرآن بالأكل عن الأخذ، وهو تعبير مجازي، لأن الأكل أعظم وجوه الانتفاع بالشيء المأخوذ، وانتصب "إسرافا" على أنه مصدر في موضع الحال، و"بدارا" على العطف،

(1)ينظر، القرطبي، الجامع، 5/306.

(2)البحر الخيط، 3/327.

(3)أخرجه البخاري في صحيحه، 3/285، (كتاب الجهاد والسير)، ومسلم في صحيحه، 2/986، (كتاب الحج).

(4)النساء، 6.

أي: مسرفين ومبادرين. ويجوز أن يكون "إسراها" مفعولا لأجله، أي: لإسرافكم ومبادرتكم<sup>(1)</sup>. وجيء بالمعنى لأجله المصدر المؤول "أن يكروا" لبيان سبب الفعل، والتقدير: لا تأكلوها إسراها مخافة أن يكروا، وقيل: يجوز أن يقع هذا المصدر في محل نصب لـ"بدارا"، أي: بدارا كبركم<sup>(2)</sup>. والبدار: مصدر بادره، يقال: بدره عجله، وبادره عاجله<sup>(3)</sup>، وهو من باب المفاعة، والمفاعة هنا تكون بين اثنين غالبا، لأن اليتيم إلى الكبر، والولي ساع إلى أحد ماله، فكأنهما يستبقان<sup>(4)</sup>. وأريد بالمفاعة تصوير هيئة الأولياء وحالتهم وهم يتسرعون لاستهلاك أموال اليتامى قبل أن يبلغوا رشدهم، فيقوموا بمحاسبتهم والمطالبة بحقوقهم، وهذا هو المعنى الذي عبر عنه القرآن الكريم بالإسراف؛ فإن الإسراف هو سوء الإنفاق والإفراط فيه، وفي النهي تحذير للأولياء.

**الصورة الثامنة عشرة: أداة نهي + مسند إليه + مفعول مطلق + مضاف إليه + صفة.**

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْ جَنَّ تَبَرَّجْ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾<sup>(5)</sup>. الخطاب لأمهات المؤمنين بدلالة سياق الآية.

انتصب لفظ "تَبَرَّجَ" على المفعول المطلق، وأضيف إلى اسم معرف بــ"الجاهلية"، ووصف المضاف إليه بــ"الأولى"، والتقدير: تبرج نساء الجاهلية الأولى، فحذف المضاف إليه الأول "نساء"، وأقيم المضاف إليه الثاني مقامه، أي "الجاهلية"، وفي هذا الوصف تحذير لما كان عليه أمر البشرية قبل الإسلام.

وقال الزمخشري المراد بالجاهلية الأولى: "القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام... ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسق والفحور في الإسلام"<sup>(6)</sup>.

وقال ابن عطية: "والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنقلة عن سيرهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفارة، لأنهم كانوا لا غيره عندهم، وكل أمر النساء دون حجبة، وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى"<sup>(7)</sup>، وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأنه يقال لكل

(1) ينظر، أبو حيان، النهر الماء، 1/428.

(2) ينظر العكاري، البيان في إعراب القرآن، 1/332.

(3) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 4/48، (بدر).

(4) ينظر، العكاري البيان، 1/332.

(5) الأحزاب، 33.

(6) الكشاف، 3/260.

(7) الخير الوجيز، 12/61.

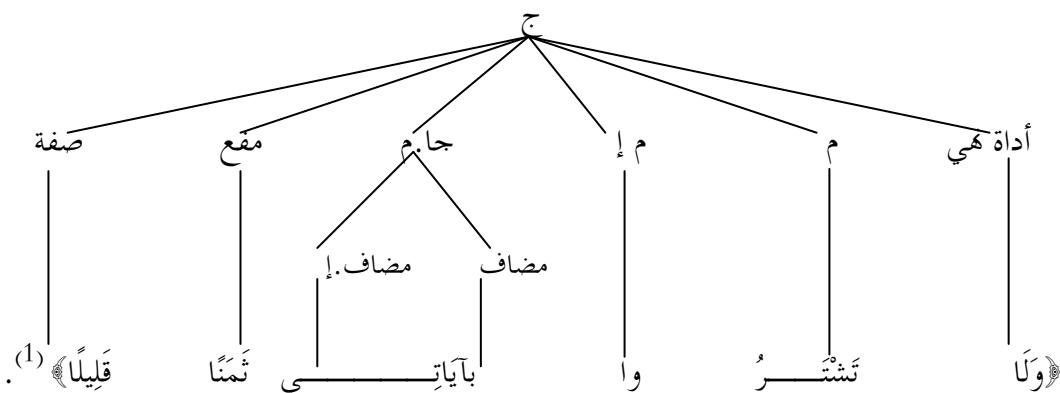
متقدم: أول وأولى، وهذه "الجاهلية الأولى": هي جاهلية الكفر قبل الإسلام، فهي واحدة وإن اختلفت مشاربها واتجاهاتها.

والمراد من النهي الاستمرار على ترك التبرج. والترجم: إبداء المرأة محسن حسمها وثيابها وحليتها للرجال. والظاهر من بنية الجملة أن أمهات المؤمنين منهيات عن التبرج مطلقاً، حتى في الأحوال التي رخص النساء التبرج فيها كما ورد في سورة النور، لأن ترك التبرج تنزعه عن الاهتمام بسفاسف الأمور.

وفي هذا النهي تعرِّض بنهايَّة غيرهنَّ من المسلمين بقصد تربيتهنَّ على الاحتشام.

**الصورة التاسعة عشرة:** أداة نهي + مسند + مسند إليه (واو الجماعة) + جار مجرور + مفعول به + صفة.

تظهر هذه الصورة في الجملة الآتية:



الأصل في الباء أن تدخل على الشمن بعد فعل الشراء والبيع، وقد دخلت هنا على المبيع "بآياتي" فانتصب لفظ "ثمناً" على المفعولية، أي: أن الآيات هي الواقعية موقع الشمن، لأن الشمن هو مدخل الباء. ودل دخول الباء على أن الآيات شبهت بالشمن في كونها أهون العوضين عند المستبدل.

والقاعدة في هذا أن تدخل الباء على المتروك لا على المأمور. يقول الفراء: "وكل ما كان من القرآن من هذا قد نصب فيه الشمن وأدخلت الباء في المبوع أو المشتري، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئين لا يكون ثمناً معلوماً مثل الدنانير والدرارهم، فمن ذلك اشتريت ثوباً بكسائه، أيهما شئت تجعله ثمناً لصاحبِه،

(1) البقرة، 41، والمائدة، 44.

لأنه ليس من الأئمان<sup>(1)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿اَشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثُمَّاً قَلِيلًا﴾<sup>(2)</sup>.

إن الاشتراء يوضع موضع الاستبدال، فكذا الثمن يوضع موضع البدل عن الشيء والعوض عنه. فإذا اختير على ثواب الله شيء من الدنيا فقد جعل ذلك الشيء ثمنا عند فاعله، وهي مبادلة خاسرة، لأن كل كثير بالنسبة للحق المتروك قليل ومحير.

والنهي موجه إلى علماء بني إسرائيل، وهم القدوة لقومهم، فقد كانوا يأخذون من فقراء اليهود المدايا، وعلموا أنفسهم لو اتبعوا محمداً صلوات الله عليه لانقطعت عنهم تلك المدايا، فأصرروا على الكفر، لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر القليل، وقد ثبت أن علماءهم كانوا يأخذون الرشا على كتمان أمر الرسول وتحريف ما يدل على ذلك من التوراة لتبقى لهم رئاستهم عليهم<sup>(3)</sup>، قال رسول الله صلوات الله عليه: "لو آمن بي عشرة من أصحاب اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض"<sup>(4)</sup>، ومعنى الجملة: لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بشمن بخس، فالله تعالى نهى اليهود عن الاعتباض عن بيان الحق في أمر الإيمان برسوله محمد صلوات الله عليه ثمنا قليلاً من متاع الحياة الدنيا.

والنهي لا يدل على إباحة ذلك بالشمن الكبير، بل يفهم من السياق استعظام وقوع الجحود والإنكار من قرأ في التوراة والإنجيل نعت الرسول صلوات الله عليه وصفته.

ويستخلص من هذا النهي وجوب بيان الحق، وحرمة كتمانه. وينطبق هذا الحكم على الأمة الإسلامية؛ فمن أخذ من المسلمين رشوة على إبطال حق أمر الله، أو إثبات باطل نهى الله عنه، أو كتم البيان الذي أخذ الله عليه ميشاقه به، فقد اشتري بآيات الله ثمناً قليلاً.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

تتألف الجملة من أداة نهي، ومسند فعل مضارع "تأس"، ومسند إليه مضمر وجوباً في البنية السطحية، يقدر في البنية العميقية بالضمير "أنت"، وجار و مجرور "على القوم" ، وصفة"الفاسقين".

ويلحظ أن لفظ "ال القوم" ألحق بوصف "الفاسقين" ليدل على أن المراد بالفاسقين هم الذين صار الفسق لهم صفة تقوم عليها قوميتهم، ولو لم تذكر كلمة "ال القوم" لكان بمثابة اللقب لهم؛ فلا يدل على التوصيف، فكان دالاً على من كان الفسق غير ثابت فيه، بل هو في تردد وحيرة من أمره، ولذلك فمرجو توبته وإسلامه.

(1) معاني القرآن، 1/30.  
(2) النوبة، 9.

(3) ينظر، السمرقدي، بحر العلوم، 1/114، وابن عطية، الخر الوجيز، 1/271، والقرطبي، الجامع، 1/334.

(4) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، 2/346، (مشفرات كتاب الحج والعمرة).

(5) المائدـة، 26.

ومعنى فلا تأس: فلا تحزن، يقال: أَسَىَ الرَّجُلُ يَأْسِيَ أَسَىً، وأَسِيَتُ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا حَزَنَتْ عَلَيْهِ<sup>(1)</sup>، ومنه قول متمم بن نويرة:

**فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتِنِي  
وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَشْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَهَا<sup>(2)</sup>**

والخطاب-في الآية-لوسى اللطيف لما ندم حين دعائه على قومه، وحزن عليهم<sup>(3)</sup>.

وفي النهي تسلية له على أن لا يحزن، وأن لا يأسف على أولئك القوم الفاسقين، فإن ضرر ذلك راجع إليهم وواقع بهم. وعلل كونه لا يحزن عليهم بأن وصفهم بأنهم قوم فاسقون، وفي هذا الوصف تحذير لشأنهم. ونظير هذه الجملة ورد في الآية (68) من سورة المائدة، والخطاب فيها للرسول ﷺ، فقد نهاه الله ألا يحزن على تكذيب أولئك الكفار من اليهود والنصارى؛ فإن مثل ذلك منهم سجية وخلق في تكذيب رسليهم. وفي معنى النهي تسلية للرسول وتحذير للقوم الكافرين.

**الصورة العشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه(مضمر)+مفعول به+مضاف إليه+جار و مجرور)+جملة فعلية ماضية (صلة الموصول).**

تبرز هذه الصورة في قوله: **(وَكَاتَبَهُ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)**<sup>(4)</sup>.

الفعل "تبني" ضمن معنى فعل آخر يتعدى بالحرف "عن"، نحو: تنحرف، أو تعدل،<sup>(5)</sup> أي: لا تنحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق.

والجار والمجرور "عما" متعلق بـ "لا تبني"، والمعنى: لا تبني ما يريدون، وهو الحكم بما يسهل عليهم منحرفا بذلك عما جاءك من الحق المترى الذي لا ريب فيه.

والنهي هو رسول الله ﷺ نهاه الله عن اتباع أهواء اليهود، أو أهل الكتاب حين حكموه طامعين أن يحكم عليهم بما تقرر من عوائدهم وشرائعهم، ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه، فإن كل ملة من الملل تريد أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدر كوا عليه أسلفهم، وإن كان باطلًا كما وقع في القصاص والرجم ونحوه مما حرقوه من كتب الله، إذا لا يجوز الحكم بما هو في عوائدهم أو شريعتهم، لأن القرآن نسخ ما قبله، فأبطل ما خالفه في الديانات السابقة، وزكي ما وافقه. والمراد من النهي أن يتقرر ذلك في علم جميع الناس، ثم أكد القرآن هذا النهي -في الآية المولية من السورة- بقوله: **(وَكَاتَبَهُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ)**، أي: لا تبني أهواءهم بالاستماع لهم، وقبول كلامهم، ولو لفائدة في ذلك كجذبهم إلى الإسلام؛ فالحق لا يأتي عن الباطل.

(1) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن ، 1 / 161، وابن فارس، مقاييس اللغة، 1 / 106، (أسي).

(2) ينظر، المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر، ط، 4، 1964، ص 268.

(3) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 6 / 527، وابن عطية، المحرر الوجيز، 4 / 408.

(4) المائدة، 48.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 3 / 513.

**الصورة الحادية والعشرون: أداة نهي+جملة اسمية منسوبة( تكون+مسند إليه) و او الجماعة)+مسند (جار و مجرور)+جملة ماضوية(صلة الموصول).**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَخَتَّلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب للمؤمنين باعتبار العطف على جملة الأمر – في الآية السابقة- في قوله: ﴿وَكَتَّبْنَا مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، فقد نهى الله تعالى أمة الإسلام عن أن يكونوا كالمتفرقين من الأمم.

واختلف المفسرون في المشار إليهم في الجملة الموصولة، فقال ابن عباس: هم الأمم السالفة التي افترقت في الدين<sup>(2)</sup>، وقال جمهور المفسرين: المراد بهم: اليهود والنصارى الذين تفرقوا واحتلقو من بعد مجيء الدلائل التي فيها عصمة من الواقع في الاختلاف<sup>(3)</sup>، وقد زاد الزمخشري: "هم مبتدعوا هذه الأمة، وهم المشبهة، والمحيرة، والخشوية، وأشباههم"<sup>(4)</sup>، والظاهر رأي الجمهور، لأن التفرق والاختلاف المتحدث عنه كان قبل مجيء الإسلام، وهذا ما يدل عليه الفعلان "تفرقوا واحتلقو"؛ فهما يدلان على المضي.

فقد اختلفت اليهود والنصارى في التوحيد والتزيه وأحوال المعاد، وهذا معنى "تفرقوا" كذلك، لأن التفرق لغة خلاف الجمع<sup>(5)</sup>، والاختلاف بمعنى المضادة والمفارقة<sup>(6)</sup>، فاللفظان هنا- يعني واحد، وكرر الفعل المعطوف "احتلقو" للتأكيد.

وقدم الافتراق على الاختلاف إذ يذانا بأن الاختلاف علة التفرق إذ تكثر التراعات، فتنشق الأمة انشقاقاً بعيداً، ويصعب التحكم في زمام الأمور.

وهذا الترتيب والتنسيق من نظام الكلام، وذكر الأمور مع مقارناتها، ليتجلى المعنى للمتلقي. وفيه إشارة إلى أن الاختلاف المذموم المؤدي إلى الافتراق هو الاختلاف في أصول الدين الذي يفضي إلى تكفير بعض أفراد الأمة بعضاً دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأزمنة والأمكنة، وهو المعبر عنه بالاجتهاد.

(1)آل عمران، 105.

(2)ينظر، علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص130،129،129، والطبرى، جامع البيان، 4/386.

(3)ينظر، الطبرى، جامع البيان، 4/385، والزمخشري، الكشاف، 1/453، والقرطبي، الجامع، 4/166، وال Shawkan، فتح القدير، 1/470.

(4)الكشاف، 1/453.

(5)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 10/299، (فرق).

(6)ينظر، المصدر السابق، 9/90، (خلف).

ومعنى التركيب: لا تتفرقوا - يا معاشر المؤمنين - في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، وذلك لأن التفرق في الدين والسياسة العامة للأمة أمر شنيع وحرام. فهو يؤذن بتهميم المصلحة العامة والقضاء على كيان الدولة المسلمة.

وقد عد القرآن المترفين في الدين من الكفار والمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>. ويستفاد من هذه النصوص أن الاختلاف المحظور، إنما هو الاختلاف في العقيدة وأصول الدين، وأما الاختلاف في الفروع الاجتهادية بين الفقهاء، فهو محمود، لأن به تسن الأحكام الشرعية، فيتم التسهيل على الأمة. وورد نظير هذه الجملة في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب لـ"الذين آمنوا" في الآية السابقة، لأن جملة النهي هذه معطوفة على مضمون السداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَكُونُوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾، وهو نهي عن أن يكونوا كالذين ادعوا السماع. والمشبه بهم اليهود والمشركون أو المنافقون، أو الذين ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْنَشَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾<sup>(4)</sup>. وعن ابن عباس أن المراد بأصحاب هذه الصلة هم نفر من قريش، وهم بنو عبد الدار بن قصي، والنصر بن الحارث وأصحابه<sup>(5)</sup>، وقد شبه القرآن سماعهم بسماع من لا يصدق؛ فهم أرادوا بقولهم "سمعنا": إيهامهم بأنهم مطيعون.

والمراد بالسماع: سماع تدبر وتأمل في المسموع، كما هو الشأن في المؤمنين أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ مِنْ بَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير﴾<sup>(6)</sup>.

وجاءت الجملة المنافية "وهم لا يسمعون" على شكل المثبتة إذ لم تأت وهم ما سمعوا أو لم يسمعوا، لأن لفظ الماضي لا يدل على استمرار الزمن بخلاف نفي المضارع بـ"لا"؛ فكما يدل إثباته على الاستمرار يجيء

.32. (الروم، 31).

.159. (الأنعام، 2).

.21. (الأنفال، 3).

.31. (الأنفال، 4).

.190. (ينظر، المقاييس من تفسير ابن عباس، ص).

.285. (البقرة، 6).

كذلك نفيه. وحيءـ كذلكـ بالنفي "لا"، لأنه أوسع في نفي المضارع من "ما" وأدل على انتفاء السمع في المستقبل، أي: وهم من لا يقبلون أن يسمعوا.

وقدم المسند إليه "هم" على المسند الفعلي "يسمعون" للاهتمام به، ليقرر مفهومه في ذهن المتلقى، فتشبت صفتـ مفهوم المسندـ وهو انتفاء السمع عنـهمـ.

والمراد من النهيـ التـعرـيـضـ بـأـصـحـابـ هـذـهـ الـصـلـةـ مـنـ الـكـافـرـينـ أـوـ الـمـشـرـكـينـ أـوـ الـمـنـافـقـينـ، وـتـحـذـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ الـوقـوعـ فـيـمـاـ وـقـعـ فـيـهـ أـوـلـىـكـ،ـ أـيـ:ـ اـحـذـرـوـاـ أـنـ تـكـوـنـوـاـ مـثـلـ الـذـيـنـ قـالـوـاـ:ـ سـمـعـنـاـ وـهـمـ لـاـ يـسـمـعـونـ،ـ فـإـنـمـاـ يـتـظـاهـرـوـنـ بـالـسـمـاعـ وـالـاسـتـجـابـةـ،ـ وـالـحـالـ أـنـمـ لـاـ يـسـمـعـونـ أـبـداــ.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَئَاءَ النَّاسِ﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب فيها لـ"الذين أمنوا"، لأن هذه الجملة معطوفة على مضمون النداءـ في هذه الآيةـ في قوله: "ولا تنازعوا". فيكون عطف نهيـ علىـ نهيـ، ويـصـحـ أنـ تكونـ معـطـوـفـةـ عـلـىـ جـمـلـةـ "فـاـبـتـوـاـ"ـ،ـ فـيـكـوـنـ عـطـفـ نـهـيـ عـلـىـ أمرـ إـكـمـالـ لـأـسـبـابـ النـجـاحـ وـالـفـوزـ عـنـ لـقـاءـ الـجـمـعـيـنـ حـيـنـ اـحـتـدـامـ الـقـتـالـ فيـ غـزـوـةـ بـدـرـ الـكـبـرـىـ،ـ بـأـنـ يـتـبـلـبـسـوـاـ بـمـاـ يـقـرـبـهـمـ مـنـ نـصـرـ دـيـنـهـ،ـ وـمـؤـازـرـةـ رـسـولـهـ،ـ وـأـنـ يـتـعـدـوـاـ عـمـاـ يـدـنـسـ إـخـلـاـصـ نـيـتـهـمـ فيـ جـهـادـ أـعـدـادـ إـلـاسـلـامـ.ـ فـكـانـ أـنـ نـهـاـمـهـ عـنـ تـشـبـهـهـمـ بـحـالـ الـمـشـرـكـينـ فيـ خـرـجـوـهـمـ لـبـدـرـ،ـ إـذـ "ـخـرـجـوـاـ بـطـرـاـ وـرـئـاءـ النـاسـ"ـ.

والمرادـ بـالـمـوـصـولـ جـمـاعـةـ خـاصـةـ،ـ وـهـمـ أـبـوـ جـهـلـ وـأـصـحـابـهـ،ـ خـرـجـوـاـ الـحـمـاـيـةـ الـعـبـرـ بـالـقـيـانـ وـالـمـعـاـزـفـ،ـ فـنـحـاـ هـاـ أـبـوـ سـفـيـانـ،ـ فـقـالـ لـهـمـ أـبـوـ جـهـلـ:ـ لـاـ نـرـجـعـ دـيـارـنـاـ حـتـىـ نـرـدـ بـدـرـاـ،ـ وـنـنـحـرـ إـلـبـلـ،ـ وـنـشـرـبـ الـخـمـرـ،ـ وـتـعـزـفـ عـلـيـنـاـ الـقـيـانـ،ـ وـيـسـمـعـ بـنـاـ الـعـرـبـ،ـ وـيـهـابـنـاـ الـنـاسـ،ـ فـكـانـ مـنـ أـمـرـ اللـهـ مـاـ كـانـ<sup>(2)</sup>.

وانتصبـ "ـبـطـرـاـ وـرـئـاءـ النـاسـ"ـ عـلـىـ الـحـالـيـةـ،ـ أـيـ:ـ بـطـرـيـنـ مـرـائـيـنـ،ـ وـالـمـعـنـىـ:ـ مـعـجـيـنـ مـسـتـكـبـرـيـنـ مـفـتـخـرـيـنـ.ـ وـذـلـكـ حـالـ الـمـشـرـكـينـ لـمـ خـرـجـوـهـمـ لـقـتـالـ الـمـؤـمـنـيـنـ؛ـ خـرـجـوـهـمـ عـجـباـ بـمـاـ هـمـ فـيـهـ مـنـ القـوـةـ.

وبقية هذه الصورة وردت في الآية (69) من سورة الأحزاب، والآية (19) من سورة الحشر، فالنـهـيـ في الآية الأولى تحذيرـ للمـؤـمـنـيـنـ مـاـ يـؤـذـيـ الرـسـولـ ﷺـ بـتـرـيـهـمـ عـنـ أـنـ يـكـوـنـوـاـ مـثـلـ قـوـمـ مـوـسـىـ الـذـيـنـ نـسـبـوـاـ إـلـىـ رـسـوـلـهـ ماـ هوـ أـذـىـ لـهـ كـتـعـيـبـهـ كـذـبـاـ وـبـهـتـانـاـ أـوـ تـعـجـيزـهـ بـرـؤـيـةـ اللـهـ جـهـراـ،ـ وـهـمـ لـاـ يـيـالـوـنـ بـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ إـغـضـابـهـ الـذـيـ فـيـهـ غـضـبـ اللـهـ تـعـالـىـ،ـ وـهـوـ فـيـ الـآـيـةـ الثـانـيـةـ تـحـذـيرـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ عـنـ إـلـعـارـضـ عـنـ الـدـيـنـ وـالـتـغـافـلـ عـنـ تـقـوـيـ اللـهـ.

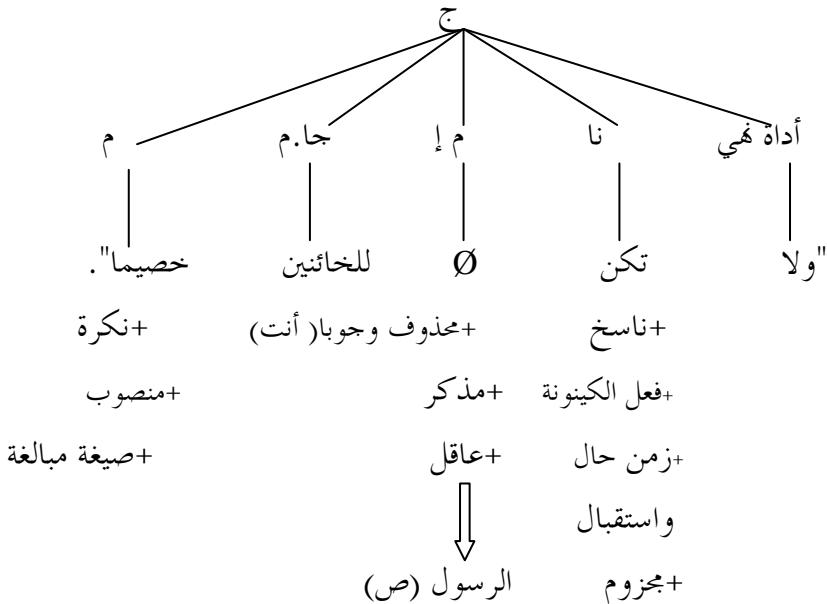
**الصـورـةـ الثـانـيـةـ وـالـعـشـرـونـ:ـ أـدـاـهـ نـهـيـ+ـجـمـلـةـ اـسـمـيـةـ مـنـسـوـخـةـ (ـتـكـنـ+ـمـسـنـدـ إـلـيـهـ+ـجـارـ وـمـجـرـورـ+ـمـسـنـدـ).**

تـبـرـزـ هـذـهـ الصـورـةـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ:ـ ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِ حَصِيمًا﴾<sup>(3)</sup>.

(1) الأنفال، 47.

(2) يـنظـرـ،ـ اـبـنـ عـطـيـةـ،ـ الـحـرـ الـوـجـيـزـ،ـ 6/332ـ،ـ وـالـمـاـوـرـدـيـ،ـ الـكـتـ وـالـعـيـونـ،ـ 2/324ـ،ـ وـأـبـوـ جـيـانـ،ـ الـحـرـ الـخـيـطـ،ـ 4/500ـ.

(3) النساء، 105.



المسندي إليه مضمر في البنية السطحية مقدر في البنية العميقه بالضمير(أنت)، ويراد به الرسول ﷺ وذلك بدلالة سياق الآية.

واللام الحارة تفيد التعليل، أي لأجل الخائين، ويجوز أن تكون بمعنى "عن"<sup>(1)</sup>. أي: لا تخاصم عنهم. ومفعول صيغة المبالغة "خاصِيماً" محدود دل عليه ذكر مقابلة، وهو للخائين، والتقدير: لا تكن تخاصم من يخاصم الخائين، أي: لا تخاصم عنهم.

وجمهور المفسرين أن الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لرفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان، وخيّبها عند يهودي<sup>(2)</sup>، وقيل: إن بين أبيرق الثلاثة، ومنهم طعمة، قد أخذوا ذلك، فشكّاهم قتادة: إلى رسول الله ﷺ وأن الرسول هم أن يجادل عن طعمة أو عن بن أبيرق<sup>(3)</sup>، فترلت الآية.

والظاهر من لفظ الجمع في قوله: "للخائين" أن بين أبيرق الثلاثة هم الذين فعلوا ذلك، وإن كان طعمة وحده هو الذي سرق الدرع، فجاء الجمع باعتباره واعتبار من شهد له بالبراءة من قومه،<sup>(4)</sup> فكانوا بذلك شركاء له في الإثم.

(1) ينظر، العكبري، البيان في إعراب القرآن، 1/387.

(2) ينظر، بن عباس، تسوير المقياس، ص 104، وابن عطيّة، المحرر الوجيز، 4/218، والواحدي، أسباب التزول، ص 152، والبغوي، معالم التزيل، 1/477.

(3) ينظر، الترمذى، الجامع الصحيح، 5/228، 229، (كتاب تفسير القرآن). والطبرى، جامع البيان، 5/265، والطبرسى، مجمع البيان، 3/136.

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 5/266، وابن عطيّة، المحرر الوجيز، 4/217.

والخطاب-في الجملة-لرسول ﷺ، المعنى: لا تكن من خان مدافعاً ومعاهداً، وفيه تأنيب للنبي ﷺ على

قبول ما رفع إليه بسرعة في أمر بني أبیرق.

وبلغت هذه الصورة قوله: ﴿فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمُتَرِّنِ﴾.<sup>(1)</sup>

ت تكون الجملة من "لا" النافية، و فعل مضارع ناقص مجزوم، اتصلت به نون التوكيد الثقيلة للمبالغة في النهي، ومسند إليه-اسم "تكن"-مضمر وجوباً في البنية السطحية، يقدر في البنية العميقه بالضمير "أنت"، وجار ومحروم "من المتررين" متعلق بخبر (مسند) تكون.

و الامتناء: افعال من المراء : وهو الشك، ومصدر المريء لا يعرف له فعل مجرد بل هو دائماً بصيغة الافعال<sup>(2)</sup>، "يقال": امترى فلان في كذا إذا اعتبره اليقين مرة، والشك أخرى، فدافع أحدهما بالآخر<sup>(3)</sup>، قال سيبويه: وهذا الفعل من الأفعال التي تكون للواحد<sup>(4)</sup>.

ونظير هذه الجملة ورد في قوله: ﴿فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمُتَرِّنِ﴾.<sup>(5)</sup>

الخطاب في الموضعين للرسول ﷺ، والمقصود أنته، وهو تحذير للأمة من الوقوع في الشك. والمعنى: فلا تكن من الذين يشكون في الحق، لأن ما جاء من الله سبحانه لا يمكن أن يحدث فيه ريب ولا جدال، إذ هو الحق الذي لا يلحق به شك ولا ريب.

**الصورة الثالثة والعشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه+ مفعول به+بدل+جملة تعليلية (فاء السبيبة+ ناسخ+ مسند إليه+مسند).**

يمثل الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ قَاتَلُوكُنَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.<sup>(6)</sup>

الأداة "لا" تفيد النهي، والنهي عنه جملة فعلية مضارعية، تكون من فعل مضارع (مسند) مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، لأنها من الأفعال الخمسة، ومسند إليه، جاء ضميراً للمثنى، يعود على "آدم وحواء" - في الآية-ومفعول به اسم إشارة "هذه"، وبدل أو عطف بيان "الشجرة".

والإشارة بـ"هذه" إلى شجرة مرئية لآدم وزوجه، ولم يعين الله تعالى هذه الشجرة، وقد نهى المخاطبين عن اقتراها. والمعنى: لا تأكلوا من الشجرة، لأن قربانها إنما هو لغرض الأكل، فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل، لأن القرب من الشيء ينشئ ميلاً إليه، وقد جاء في الحديث الشريف: "من حام حول الحمى يوشك

(1) البقرة، 147.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 15 / 278، (متر).

(3) الماوردي، النكت و العيون، 1 / 205.

(4) ينظر، الكتاب، 1 / 279.

(5) آل عمران، 60.

(6) البقرة، 35.

أن يقع فيه<sup>(1)</sup>، فيكون المعنى: لا تقربها بالأكل. يقول أبو حيان: "وحكى بعض من عاصرناه عن ابن العربي يعني القاضي أبا بكر، قال: سمعت الشاشي في مجلس النصر بن شميل يقول: إذا قلت: لا تقرب-يفتح الراء-معناه: لا تلبس بالفعل، وإذا كان بضم الراء كان معناه: لا تدن"<sup>(2)</sup>.

والواقع أن "قرُبَ" و "قرَبَ" بمعنى "دَنَا"<sup>(3)</sup>، فسواء ضمت الراء أو فتحت في المضارع فالمراد النهي عن الدنو، إلا أن الاقتراب أو الدنو بعضه مجازي وبعضه حقيقي، ويراد هنا المعنى المجازي، وهو النهي عن الأكل. وقرئ: "ولا تقرَبَا" بكسر الناء<sup>(4)</sup>، وهي لغة عن الحجازيين في "فعَلَ" "يَفْعُلُ" يكسرون حرف المضارعة<sup>(5)</sup>.

وقد خصص النهي -في هذا التركيب- تخصيصاً سبيلاً، يفيد التعليل، وفي ذلك إقناع لآدم وحواء، ليكفا عن الفعل. فال فعل المنهي عنه سبب في وجود الفعل الثاني الذي تتحقق بأن ارتكبا ما نهي عنه، فترتباً عنه الحرمان من نعيم الجنة الدائمة.

ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِلُوا كُلَّ الْمَيْلِ قَذَرٌ وَهَا كَالْمَعْلَقَةِ﴾<sup>(6)</sup>.

يتضح من البنية العميقية للجملة أن متعلق "تميلوا" مخدوف في البنية السطحية، والتقدير: فلا تميلوا إلى إداهن كل الميل، فالله تعالى أقام ميزان العدل بين الزوجات، فلا يفرط الزوج بإظهار الميل إلى إداهن أشد الميل حتى يسوء الأخرى، بحيث تصير كالمعلقة.

وإن ضمير "تذروها" المنصوب على المفعولية عائد إلى غير المتعلق المخدوف بالقرينة، والجاري والمحروم في قوله: ﴿كَالْمَعْلَقَةِ﴾ متعلق بالفعل في "تذروها"، والمتعلقة: هي المرأة التي يهجرها زوجها هجرا طويلاً، فلا هي مطلقة، ولا هي زوجة، وقد دل المفعول المطلق أو نائه في لفظ "كُلَّ" على أن الزوج لا يكلف بما ليس في وسعه من الحب لزوجته، ولكن ينبغي أن يروض نفسه على الإحسان والحب إليها.

ويلحق -كذلك- قوله: ﴿وَكَا تَنَزَّلَ عَوَافِتَنَسْلَوْا وَذَهَبَ مَرْجُحُكُمْ﴾<sup>(7)</sup>.

الخطاب للمؤمنين، لأن الضمير المتصل بالفعل يعود على "الذين آمنوا" -في الآية- وقد نهوا عن التنازع، وهو يقتضي التشاور والتفاهم وعدم الاختلاف، لتكون كلمتهم واحدة.

(1)الربيدي، إنجاف السادسة المقين لشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر (د.ت)، 159/4، 275/7.

(2)البحر الخيط، 309/1.

(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 1/662، 663، (قرب).

(4)ينظر، الرمخشري، الكشاف، 1/273، وأبو حيان، البحر الخيط، 1/309.

(5)ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 1/309.

(6)النساء، 129.

(7)الأنفال، 46.

ووجه بالجملة التعليلية "فتفشلوا وتذهب ريحكم" للتحذير من التنازع الذي يؤدي إلى أمررين معلومي العاقبة، وهما: الفشل، وذهاب الريح.

والمعنى: إن تنازعتم ففشلتم وذهب قوتكم، لأن التنازع مقوض لبني الجماعة، ومبدد لقوة الدولة وهيبيتها.

**الصورة الرابعة والعشرون: أداة نهي+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه+مفعول به+مضارع إليه)+جملة تعليلية (اسمية).**

من هذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>(1)</sup>.

ت تكون بنية هذه الجملة من أداة نهي "لا"، وجملة فعلية مضارعية، وقد خصص النهي تخصيصاً تعليلياً بجملة اسمية تتصدرها أداة التوكيد "إن".

ووجه بالجملة الاسمية مجرد الاهتمام بالخبر، لأن العداوة بين الشيطان والناس معلومة عند المؤمنين والمشركين.

الضمير (المسند إليه) المتصل ببنية الفعل المضارع عائد على "الناس"-في الآية- وهم المشركون المتسلبون بالمنهي عنه، وهو اتباع خطوات الشيطان، "والنهي عن اتباع خطوات الشيطان كناءة عن ترك الاقتداء به وعن اتباع ما سُنَّ من المعاصي"<sup>(2)</sup>. وفي معنى النهي تحذير من اتباع سبل الشيطان، لأن من اتضحت عداوته، فالأخق ألا يقع في شيء. وتكررت هذه الجملة في الآية (208) من سورة البقرة، والخطاب فيها للمؤمنين، وتتضمن تحذيراً لهم مما يصدح عن الدخول في السلم المأمور به، لأن كل ما يحول بينهم وبين الدخول في السلم هو من مسالك الشيطان.

ونلحظ بهذه الصورة ما جاء في قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب للمؤمنين بدلالة السياق، وقد نهوا عن الابتداء بقتال العدو، قال ابن عطيه المعنى: "ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلكم"<sup>(4)</sup>، وفي ذلك مسالمة للعدو من جهة واستبقاء على حيالهم من جهة أخرى.

وروي عن ابن عباس أنه قال: "ولا تقتلوا النساء والصبيان وهكذا، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فمن فعل ذلك فقد اعتدى"<sup>(5)</sup>، وقال أبو حيان: في الجملة "نهي عام في جميع محاوزة كل حد حده الله تعالى، فدخل فيه الاعتداء في القتال بما لا يجوز"<sup>(6)</sup>، والظاهر من السياق أن الله تعالى نهى المؤمنين عن البدء بالقتال، كما نهاهم عن قتل المسلمين وغير المقاتلين من نساء وأطفال وعجزة وشيوخ.

(1) البقرة، 168.

(2) أبو حيان البحر الخيط، 654/1.

(3) البقرة، 190.

(4) الآخر الوجيز، 2/139.

(5) علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 97.

(6) البحر الخيط، 2/73.

وتكررت جملة "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدلين" في الآية (87) من سورة المائدة. والخطاب فيها للمؤمنين، لأن الضمير المتصل بالفعل يعود على "الذين آمنوا" في الآية، وهذه الجملة وردت في سياق النهي عن تحريم الطيبات، فلما نهاهم تعالى عن تحريم الحلال أردهه بالنهي عن استحلال المحرمات، وذلك بالاعتداء على حقوق الله تعالى كأكل الدم ولحم الخنزير وشرب الخمر، ويعلم الاعتداء في سياق النهي -كل ما حرم الله، وفي هذا المعنى تحذير من كل اعتداء.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في الآية (40) من سورة التوبة.

### الصورة الخامسة والعشرون: أداة نهي + جملة فعلية مضارعية + جملة تعليمة مصدرية.

من هذه الصورة قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبُرُّوا وَتَسْقُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(1)</sup>. الفعل في قوله "تجعلوا" عدي إلى مفعولين، هما: لفظ الحالة "الله" و"عرضة"، وتعليق الفعل بالذات- هنا هو على معنى التعليق بالاسم، والتقدير: ولا يجعلوا اسم الله، وحذف لكثرة الاستعمال، كقول النابغة: حَلَفْتُ، فَلَمْ أَثْرُكْ لَنفْسِكَ رِبِّيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرءِ مَذْهَبٌ<sup>(2)</sup> والتقدير: وليس بعد اسم الله للمرء مذهب للحلف.

وقوله: "عرضة" على وزن " فعلة" وهو وزن دال على المفعول بمعنى معروض، وهو مشتق من "عرض" ، يقال: عرضه إذا وضعه على العرض، أي: على الجانب.

ومعنى العرض - هنا- جعل الشيء حاجزا، وهو من قولهم: فلان عرضة للناس، لا يزالون يقعون فيه،<sup>(3)</sup> فنشأ عن ذلك إطلاق العرضة على الحاجز أو المانع المعرض، وهو إطلاق شائع الاستعمال.

وقد خصص النهي تخصيصا تعليمه بجملة مصدرية، تتصدرها أداة مصدرية "أن" ، والتقدير: لأن تبروا... وذلك على الإثبات، وهذه الجملة هي علة النهي.

وجملة "أن تبروا" في محل نصب مفعول لأجله، والتقدير: كراهة أو إرادة أن تبروا، وهو قول الجمهور<sup>(4)</sup>. وقال الفراء: المعنى: ولا يجعلوا الحلف بالله معتبرا مانعا لكم أن تبروا،<sup>(5)</sup> فجعل العرضة بمعنى المعتبر، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: "ولا يجعلن الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير،

(1) البقرة، 224.

(2) الديوان، تحقيق كرم البستان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص 17.

(3) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 179/7، (عرض).

(4) ينظر، السمين الحلبي، الدر المصنون، 1/546، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/188.

(5) ينظر، معاني القرآن، 1/144.

ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير"<sup>(1)</sup> فيكون ذلك نهيا عن الحلف بالله على ترك الطاعات، لأن تعظيم الله لا ينبغي أن يكون سببا في قطع ما أمر الله بفعله، وهذا النهي يتطلب: إنه إن وقع اليمين على ترك عمل البر والتقوى والإصلاح، أنه لا حرج في ذلك، وأن على صاحبه أن يكفر عن حلفه، وي فعل الخير.

ويحتمل أن يكون المسلمين قد نهوا عن أن يجعلوا الله عرضة لإيمانهم فيحلفو به في البر والفجور، كما روی عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "نزلت في تكثير اليمين بالله نهيا أن يخلف الرجل به برا، فكيف فاجرا"<sup>(2)</sup> ويكون المعنى على هذا الوجه لا تكثروا الحلف بالله تعالى؛ فهو مذموم، والذي يجعل الله عرضة لأيمانه هو كالحلف في قوله تعالى: ﴿وَكَاٌطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِنٍ﴾<sup>(3)</sup>.

والحكمة في النهي عن تكثير الإيمان بالله أن ذلك يكون معه الحنث وقلة اهتمام الحق لله تعالى.

ونظير هذه الجملة ورد في قوله: ﴿وَكَاٌتِلٍ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةٌ أَنْ يُؤْتُوا أُولَئِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ

<sup>(4)</sup> **وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

دخلت "لا" النافية على فعل مضارع معتل الآخر "يأتل"، فحذف حرف العلة من آخره، وهو الياء. وهذا الفعل من آلي، يؤلـي، إيلـاء، من الآلـية، وهي الحلف أو القسم<sup>(5)</sup>، على وزن "يفتعلـ"، وقيل معناه: يقصر، يقال: ألوـتـ، أي، قصرت<sup>(6)</sup> ومنه قوله امرئ القيس:

**وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاشَةً تَفْسِهِ بِمُدْرِكٍ أَطْرَافِ الْخَطُوبِ وَلَا آليٍ**<sup>(7)</sup>

قرأ الجمهور: "يأتـلـ" ، وقرأ ابن عياش<sup>(8)</sup> وأبو جعفر مولاـه والحسن: "يتـأـلـ" صيغة "يتـفعـلـ" مضارع "تأـلـى" بمعنى حلف.<sup>(9)</sup> ومنه قول الشاعر:

**تَأَلِّيْ ابْنَ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدْنِي إِلَى نِسْوَةٍ لِيْ كَانَهُنَّ مَقَائِدُ**<sup>(10)</sup>

(1) صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 107.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/259، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/187.

(3) القلم، 10.

(4) النور، 22.

(5) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن، 2/65، والعكري، إملاء ما من به الرحمن، 2/155، وابن منظور، لسان العرب، 14/40، (ألا).

(6) ينظر، ابن جني، الختسب، 2/106، والزمخشري، الكشاف، 3/56.

(7) الديوان، ص: 145.

(8) هو عبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي المكي القاري. قرأ القرآن على أبي بن كعب. سمع من عمر وابن عباس وأبيه عياش، وقرأ عليه مولاـه أبو جعفر. وقيل: مات سنة 70 هـ، وقيل: سنة 78 هـ. ينظر، النهي، معرفة القراء الكبار، 1/58.

(9) ينظر، القراء، معاني القرآن، 2/248، والطبرى، جامع البيان، 18/289، وابن جنى الختسب، 2/106، والزمخشري، الكشاف، 3/56، والطبرسى، مجمع البيان، 7/186، وابن الجزرى، النشر، 2/331.

(10) البيت لزيد الفوارس بن حصين. ينظر، السيوطي، همـع المـوـاـمـعـ، 4/246، والألوسي، روحـ المـعـانـ، 18/321.

وقال الفراء: هذه القراءة هي مخالفة للكتاب من تَأْلِيْتُ<sup>(1)</sup>، وقال الطبرى: "والصواب من القراءة في ذلك عندي: قراءة من قرأ، ولا يأتى، بمعنى يفعل من الألية، وذلك أن ذلك في خط المصحف... والقراءة الأخرى مخالفة خط المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء"<sup>(2)</sup>.

وجملة "أن يؤتوا أولى القربى..." تعليلية، وقد نصب الفعل مضارع بـ "أن" المصدرية، وإن كان الفعل "يأتى" بمعنى الحلف، فيكون التقدير: كراهة أن يؤتوا، على الإثبات، وأن لا يؤتوا على النفي، فحذفت الأداة "لا"، وإن كان بمعنى يقصر، فيكون التقدير في "أن يؤتوا" أو عن "أن يؤتوا".<sup>(3)</sup>

ومعنى التركيب: لا يخلف ذُو التفضيل والمال منكم على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقتصروا في أن يحسنوا إليهم، وإن كانت بينهم شحناء لجنائية اقترفوها.

وبما يمثل هذه الصورة قوله: ﴿وَكَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾<sup>(4)</sup>.

يتتألف التركيب من أداة نهي، و فعل مضارع مسندة إلى واو الجماعة، ومفعول به ضمير الإناث "هن"، ومفعول لأجله "ضراراً"، أو حال، ثم حيء بجملة تعليلية "تعتدوا"، تكون من لام التعليل، و فعل مضارع مسندة إلى واو الجماعة، منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وحذف مفعول "تعتدوا" ليشمل الاعتداء على الزوجات، وعلى أحكام الله تعالى.

هذه الجملة معطوفة على جملة الأمر في هذه الآية - في قوله: ﴿فَأَكْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، فالضرار ضد المعروف؛ فحينما تتحقق المعروف في الإمساك انتفى الضرار، وحينما انتفى المعروف تتحقق الضرار، وكل إمساك بقصد الضرر والاعتداء منهى عنه.

وجيء بجملة النهي بعد جملة الأمر تنبئها على ما كان بعض الناس يفعلونه من الرجعة، ثم الطلاق، ثم الرجعة، ثم الطلاق على سبيل الضرار، فنهى الله عن هذه الفعلة القبيحة بخصوصها تعظيمًا لهذا المركب السيئ الذي هو أعظم إيذاء النساء حتى تطول عدتها<sup>(5)</sup>.

وروى الطبرى عن السدى قال: "نزلت في رجل من الأنصار، يدعى ثابت بن يسار، طلق امرأته، حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة، راجعها، ثم طلقها، ففعل بها ذلك حتى مضت عليها تسعة أشهر مضاراة يضارها، فأنزل الله ذكره"<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر، معاني القرآن، 248/2.

(2) جامع البيان، 18/289.

(3) ينظر، أبو حيان ، البحر الخيط، 6/404، والألوسي، روح المعان، 18/321.

(4) البقرة، 231.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/218.

(6) جامع البيان، 2/494.

والمعنى: لا تراجعوهن بقصد مضارهنهن وإيذائهم للاعتداء عليهم، لتجاؤلوا حد الإحسان إلى الإساءة. فالله تعالى حرم على الزوج مراجعة زوجه من أجل أن يضر بها؛ فلا هو يحسن إليها، ولا يطلقها فنستريح منه.

و كذلك قوله: ﴿وَكَا يُضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾<sup>(1)</sup>.

ال فعل المضارع في قوله "يُضربن" أُسند إلى نون الإناث (النسوة)، وهو متعد، ومفعوله ممندوف للدلالة المعنى عليه، والتقدير مثلاً: ولا يُضربن الأرض بأرجلهن، أو لا تُضربن رجلها بالأخرى.

والجملة التعليلية "ليعلم ما يخفين من زينتهن"، حيء بها لبيان سبب التحرير، أي: لا يجوز للمرأة أن تدق برجليها في مشيتها، ليعلم الرجال صوت خلخالها، لأنها مظنة الفتنة، وإثارة مشاعر الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفسوق، فإسماع صوت الزينة مؤثر كإظهارها أو أشد تأثيراً.

وروي عن ابن عباس أن المعنى: "هو أن تقرع الخللخال بالآخر عند الرجال أو يكون في رجلها خللخال، فتحرر كهنهن عند الرجال"<sup>(2)</sup>.

وقال الفراء المعنى: "لا تُضربن رجلها بالأخرى فيسمع صوت الخلخال، فذلك قوله: "ليعلم ما يخفين". وفي قراءة عبد الله "ليعلم ما سر من زينتهن"<sup>(3)</sup>، وهي قراءة بالمعنى، لأنها مخالفة رسم المصحف.

والغرض من النهي التستر، فقد أُسند الطبرى عن المعتمر عن أبيه، أنه قال: زعم حضرمي أن امرأة اخزت برتئين<sup>(4)</sup> من فضة، واتخذت جزعاً<sup>(5)</sup>، فمررت على قوم، فضربت برجلها الأرض، فوقع الخلخال على الجزء، فصوت، فنزلت هذه الآية<sup>(6)</sup>.

ومن فعل ذلك منهن فرحاً بخلبيهن دون إرادة الغواية والفتنة، فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجاً وتباهياً بالحسن لجذب انتباه الرجال، فيفتنون هن، فهو حرام<sup>(7)</sup>، وإذا كان السبب في تحريم هذا الفعل هو ما يؤدي إليه من الفتنة والغواية كان كل ما في معناه مما يجر إلى الفتنة ملحقاً به في التحرير كتحريك الأساور في اليد، ولذلك فالتنصيص في الجملة على الضرب بالأرجل ليس كقصر النهي عليه، بل لأن هذا الفعل هو ما كان عليه النساء قبل الإسلام، فقد كانت إحداهن تمشي في الطريق حتى إذا مررت بالرجال، وفي رجلها خللخال ضربت برجلها الأرض، ليسمع رنين خلخالها، فيتعلق الرجال بها.

(1)النور، 31.

(2)آخرجه علي بن أبي طلحة، صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ص 373، والطبرى، جامع البيان، 18/310.

(3)معانى القرآن، 2/250.

(4) مثني "بن" بضم الباء وفتح الراء خفيقة، وهي الخلخال. ينظر، بن عطية، المحرر الوجيز، 10/494.

(5)الجزع، ضرب من العقيق يعرف بخطوط مستديرة مختلفة الألوان. ينظر، المصدر السابق، 10/494، وابن منظور، لسان العرب، 8/48، (جزع).

(6)ينظر، الطبرى، جامع البيان، 18/310.

(7)ينظر، القرطى، الجامع، 12/238.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿وَكَاتَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِيَنَّكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ تَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَثْمِ وَأَسْمُمُ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

أداة النهي "لا" دخلت على جملتين فعليتين، فعلهما مضارع، وقد ربطت بينهما أداة عطف "الواو"، ويدعم هذا العطف قراءة أيّ: "ولا تدلوا" بإعادة "لا" الناهية<sup>(2)</sup>، وأجاز الأخفش وغيره أن يكون الفعل المضارع في قوله "وتدلو" منصوباً على جواز النهي بإضمار "أن"<sup>(3)</sup>، كقول أبي الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مُثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمَ<sup>(4)</sup>

فالشاهد في البيت الفعل المضارع المنصوب "تأتي".

وردت جملة النهي في الآية معللة بجملة فعلية مضارعية تتصدرها "لام التعليل"، وفي التعليل إقناع للمخاطب (المنهي) بأن يكف عن الفعل، وقد خصص النهي بجملة حالية: " وأنتم تعلمون" ، ومفعول "تعلمون" محدود، والتقدير: تعلمون أنكم مبطلون. وفي هذا دلالة على أن الإقدام على الباطل مع العلم بقبحه أشد، وصاحبته بالتوبيخ أحق، أما من لا يعلم أنه مبطل ، وحكم له الحكم بأخذ مال، فإنه يجوز له أخذه<sup>(5)</sup>. ويلاحظ أن كلمة "أموال" أضيفت إلى المخاطبين –وهم المسلمون عمامة– في قوله: "أموالكم" باعتبار أن المال مال الأمة، ينفع به الأفراد والجماعات.

والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير وجه مشروع، ولا تدلوا بالأموال إلى الحكام أو القضاة، لتأخذوا قسماً من أموال الناس بالباطل، وأنتم تعلمون أن ذلك القسم من المال ليس بحق لكم. والإدلاء بالأموال هنا –مجاز في الدفع والتسلل، وهو دفعها لارشاد القضاة<sup>(6)</sup>، ليقضوا للدافع عمال غيره. فمضمون الجملة يدل على تحريم أكل الأموال لغير حق، وعلى تحريم إرشاد القضاة والحكام.

188. (البقرة، 1).

(2) ينظر، القراء، معاني القرآن، 115/1، والطبرى، جامع البيان، 2/191، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/135، وأبو حيان، البحر الخيط، 2/63.

(3) ينظر، معاني القرآن، 1/353، والقراء، معاني القرآن، 115/1، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/133.

(4) ينظر، سيبويه، الكتاب، 3/42، والقراء، معاني القرآن، 1/34، والطبرى، جامع البيان، 2/191.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر الخيط، 2/64.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/133.

## خصائص جملة النهي

- يتضح من خلال الدراسة التطبيقية لجملة النهي أنها تمثل الثالث تقريرياً بالنسبة لجملة الأمر، ووردت وجملة الأمر متعاقبتين غالباً.  
- وإذا كانت جملة النهي قد جاءت على نمط واحد، فإن صورها تنوعت. وقامت بتحليل أغلبها، وبينت مختلف العناصر التي تسهم في بناء الجملة.  
وتكون جملة النهي من أربعة عناصر: أدلة النهي، والناهي، والمنهي، والمنهي عنه.  
والناهي (المتكلّم) لا يظهر في البنية السطحية للجملة، وتدل عليه القرائن السياقية والمقامية، إذ هو الله سبحانه وتعالى - غالباً - فهو المشرع.

وقد يظهر ما يدل عليه في الجملة كياء المتكلّم، نحو قوله: **﴿وَكَا تَفْنِي﴾**<sup>(١)</sup>.  
والمبني هو الذي أُسند إليه الفعل؛ فهو فاعل لفعل النهي، ويظهر في البنية السطحية للجملة، إذا كان ضميراً لغير المفرد - كما ذكر آنفاً - أو اسمًا ظاهراً كقوله: **﴿وَلَا يَأْتِي أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ﴾**<sup>(٢)</sup>، ولا يظهر إذا كان مخاطباً مفرداً، فتغيّر عنه قرينة الخطاب، كقوله: **﴿فَلَا تَأْتِ سَعَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**<sup>(٣)</sup>، أو تدل عليه صيغة الفعل، كقوله: **﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾**<sup>(٤)</sup>، ولا يظهر - كذلك - إذا اتصلت بالفعل نون التوكيد، وكان الخطاب لجماعة المخاطبين أو الغائبين، كقوله: **﴿وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَاتَّسِعُ مُسْلِمُونَ﴾**<sup>(٥)</sup>، وكقوله: **﴿فَلَا يُنَاهِي عَنِكَ فِي الْأَمْرِ﴾**<sup>(٦)</sup>.  
والمبني عنه يلازم جملة النهي، فيكون المسند (الفعل) وحده، كقوله: **﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾**<sup>(٧)</sup>، فالنهي واقع على الاتصال بالاعتذار. وقد يرد شاملاً المسند مقيداً بالمفعول به، إن كان متعدياً لواحد، كقوله: **﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ﴾**<sup>(٨)</sup>. أو يرتبط النهي بالمفعولين معاً، كقوله: **﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**<sup>(٩)</sup>.

(١) التوبية، 49.

(٢) النور، 22.

(٣) المائدـة، 26.

(٤) البقرة، 282.

(٥) آل عمران، 102.

(٦) الحج، 67.

(٧) التوبية، 66.

(٨) المائدـة، 44.

(٩) آل عمران، 28.

- وتنوعت جملة النهي من حيث المخاطب؛ فشمل الخطاب المفرد المذكر، والمثنى، وجمع الذكور والإإناث. وجاءت مسندة إلى الغائب المفرد، والجمع المذكر، وجمع الإناث.

- ويكثر بجزء المسند إليه (الفاعل) ضميراً متصلًا ببنية الفعل دالاً على جماعة الذكور المخاطبين، وصيغته "لا تفعلوا". وقد ورد مرة واحدة مخاطباً به المثنى في قوله: ﴿وَلَا تُقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

والجدول الآتي يوضح كمية الاستخدام.

العدد	المبني	صيغة النهي
95	مخاطب جمع	لا تفعلوا
26	مخاطب مفرد	لا تفعل
13	غائب مفرد	لا يفعل
3	مخاطب جمع المؤنث	لا تفعلن
2	غائب جمع المؤنث	لا يفعلن
2	غائب جمع المذكر	لا يفعلوا
1	مخاطب مثنى	لا تفعلا
<b>142</b>		<b>المجموع</b>

- وجاءت جملة النهي بسيطة ومركبة، كما وردت مؤكدة وغير مؤكدة، فمن ورودها بسيطة مؤكدة قوله: ﴿فَلَا تَحْسِنْهُمْ بِمَقْنَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾<sup>(2)</sup>، ومن مجئها مركبة غير مؤكدة قوله: ﴿إِنَّ أَطْعَنَّكُمْ فَلَا يُبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا﴾<sup>(3)</sup>.

- وتراوح الجمل بين الطول والقصر حسب ما يقتضيه الخطاب من إيجاز وإطناب، ويعود طول الجمل لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، لأن تفصيل الأحكام يناسبه الاسترسال، وبحد هذه الظاهرة اللغوية-بوصف عام- في الجمل المعطوفة والجمل التعليلية، وكان الغالب على هذه الجمل تقدير الأحكام للعبادات والمعاملات والفرائض والحدود وأحكام الجهاد وغيرها.

(1) البقرة، 35.

(2) آل عمران، 188.

(3) النساء، 34.

- ارتكاز الجملة على أسلوب التعليل، وفي التعليل إقناع للمتلقي، ليكشف عن الفعل، سواءً أكان التعليل بـ "أن" المؤكدة الناسخة، كقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّمَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(1)</sup>، أو بـ "فاء" السبيبية، كقوله: ﴿وَلَا تَنْأِيْرُ عَوْنَافَنْشَلُوا وَتَذَهَّبَ مِنْهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، أو بـ "أن" المصدرية، كقوله: ﴿وَلَا يَأْتِيْلُ اُولُوا الْفَضْلِ مِنْهُمْ وَالسَّعَةِ اُنْ يُؤْتُوا اُولَى الْقُرْبَى﴾<sup>(3)</sup>، أو بـ "لام" التعليل، كقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَمْرٍ جُلُّهُنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ نَرِيْتَهُنَّ﴾<sup>(4)</sup>.

- ويلاحظ أن النهي طلب الترك والكف عن الفعل على سبيل التحرير في أصل وضعه ومعناه، و هذا المعنى الأكثـر وروداً في الجمل التي تناولها البحث، وقد خرج عن معناه الأصلي إلى دلالات، منها:  
 1- النصح والإرشاد، كقوله: ﴿فَلَا تَخْشُوْا النَّاسَ﴾<sup>(5)</sup>. و ك قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾<sup>(6)</sup>.

2- التسلية، كقوله: ﴿وَلَا يَحْرُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾<sup>(7)</sup>.

3- التهويل، كقوله: ﴿وَلَا تُسَأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾<sup>(8)</sup>، ومعنى النهي عن السؤال تعظيم ما وقع فيه الكفار والمنافقون من العذاب المهين.

4- الدعاء، كقوله: ﴿وَلَا تُخْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(9)</sup>.

5- التسوية، كقوله: ﴿إِسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْلَأَ سَتَغْفِرُ لَهُمْ﴾<sup>(10)</sup>، أي: أمرك-أيها الرسول- بالاستغفار للمنافقين أو نحيك عنهم سواءً، وذلك كنائية عن كون الأمر والنافي ليس بمغير مراده فيهم.

(1) المائدة، .87

(2) الأنفال، .46

(3) النور، .22

(4) النور، .31

(5) المائدة، .44

(6) آل عمران، .175

(7) آل عمران، .176

(8) البقرة، .119

(9) آل عمران، .194

(10) التوبية، .80

6- الكراهة، كقوله: ﴿وَكَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بِيَكُمْ﴾<sup>(1)</sup>، النهي - هنا - دعوة إلى إبقاء التفضل والإحسان والمؤدة بين أسرة المرأة المطلقة، وأسرة الزوج المطلق، وذلك حتى لا يكون الطلاق سبباً في التقاطع والعداوة.

7- التحذير، كقوله: ﴿وَكَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَرَّقُوا وَأَخْتَلُّوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾<sup>(2)</sup>.

8- اليأس، كقوله: ﴿لَا تَعْنَزُهُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

9- الاستمرار على الحال التي عليها المخاطب، كقوله: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِّينَ﴾<sup>(4)</sup>، فالمخاطب وهو الرسول ﷺ - غير متصف بالنهي عنه؛ فهو ليس من الممترفين. وحاشاه أن يشك؛ فهو المعصوم مما هو أقل من الشك الذي هو كفر، ولهذا كان النهي استمراً على الحال التي هو عليها، أي: انتفاء المريء أو الشك عنه.

10- بيان العاقبة، كقوله: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا كَلَّا هُنَّ أَحْيَاءٌ﴾<sup>(5)</sup>. أي: عاقبة الشهادة في سبيل الله الحياة لا الموت.

(1) البقرة، 237.

(2) آل عمران، 105.

(3) التوبية، 66.

(4) آل عمران، 60.

(5) آل عمران، 169.

## الفصل الثالث: جملة النداء

النداء : هو تنبية المنادى، و طلب الإقبال منه بحرف من حروف النداء. أو أنه التصويت بالمنادى ليسميل و يعطف على المنادى<sup>(1)</sup>. و عامل النصب في المنادى هي الأداة، و لا حاجة لنا أن نقدر فعلاً. معنى أنادي أو أدعوا<sup>(2)</sup>، كما قدر بعض النحاة<sup>(3)</sup>.

و تتكون جملة النداء من عناصر، هي : أداة النداء و المنادى ، و محتوى النداء (مضمون النداء). أما معانى النداء فتفهم من السياق .

و وردت جملة النداء – في السور المدنية – في سبع و مائتي (207) جملة ، تتوزع على الأنماط الآتية :

النطط الأول : أداة نداء (يا) | + منادى (مركب وصفي و بيان) + مضمون النداء .

ورد هذا النمط في ثمان عشرة و مائة (118) جملة ، يوزع على الصور الآتية:

الصورة الأولى : أداة نداء (يا) + منادى + مضمون النداء (جملة أمرية) .

وردت هذه الصورة في أربع وعشرين(24) جملة ، من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّو

مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾<sup>(4)</sup>.

أداة النداء "يا" ، والمنادى "أي" . والمقصود بالنداء لفظ "الناس" ، ولما استقلت العرب نداء الحالى بـ "الـ" توصلوا بلفظ "أي" للتخلص من التقاء الساكدين<sup>(5)</sup> ، في تركيب (يا + الناس) . ولفظ "أي" مبهم يحتاج إلى تفسير ، وعطف البيان بعده "الناس" توضيح له . و لابد له من "ها" الدالة على التنبية ، وهو و ما بعده بمحنة اسم واحد<sup>(6)</sup> .

<sup>(1)</sup> ينظر ، ابن يعيش ، شرح المفصل، 2/118، و عباس حسن ، النحو الواقي، 4/1.

<sup>(2)</sup> ينظر ، ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة، ص 80، 79.

<sup>(3)</sup> ينظر ، سيبويه ، الكتاب، 2/182، و ابن مالك ، شرح التسهيل، 3/385، و ابن هشام ، شرح شدور الذهب، ص 215.

<sup>(4)</sup> البقرة، 168.

<sup>(5)</sup> ينظر ، المرد ، المقتضب، 4/239، و الأنباري ، أسرار العربية ، ص 228، 229، و ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، 2/275.

<sup>(6)</sup> ينظر ، سيبويه ، الكتاب ، 2/88 - 197.

و المنادى "أي" عوامل معاملة النكرة المقصودة ، فهو مبني على الضم في محل نصب ، والاسم بعده بدل مرفوع بالضمة تبعاً للمحل<sup>(1)</sup> .

ومضمون النداء جملة أمر، تكونت بنيتها من مستند و مستند إليه "كلوا" ، وجار و مجرور مكرر "ما في الأرض" و "من" للتبعيض ، تدل على أن ما في الأرض ما هو حلال و ما هو حرام ، وهو متعلق بمفعول "كلوا" الحذوفة، والتقدير: كلوا بعضاً ما في الأرض. فالتبسيط راجع إلى كون المأكول بعضاً من كل نوع وليس راجعاً إلى كون المأكول أنواعاً دون أخرى، وقد خصص المأكول العام "ما في الأرض" بالوصف "حالاً طيباً" ، وتنزح بذلك المحرمات الثابت تحريمها بالحكم الشرعي<sup>(2)</sup> .

والظاهر من لفظ النداء أنه لعامة الناس ، فالآية نزلت في كل من حرم على نفسه ما أحله الله ، أو أنه موجه إلى المشركين كما هو شأن الخطاب القرآني بـ "يأيها الناس" ، والخطاب به يرد في السور المكية ، و قد يرد في المدنية<sup>(3)</sup>. ويقال : نزلت الآية في الذين حرموا على أنفسهم السوائب والوسائل والبحائر و نحوها ، وهم قوم من ثقيف و خزانة و بني عامر بن صعصعة و بني مدلج<sup>(4)</sup> . فأباح الله لهم أكل ما حرموه ، وجعله لهم حلالاً مستطاباً. ولم يبين القرآن هذا الذي حرموه على أنفسهم – في هذه الآية – ولكن فصله في موضع آخر ، فصرح بأنه لم يحرم ذلك بقوله : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةَ لَاسَائِبَةَ وَلَا وَصِيلَةَ وَلَا حَامِ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾<sup>(5)</sup> .

و في معنى النداء توبیخ للذين يحرمون الحلال ، و جملة النهي المعطوفة على جملة الأمر – في هذه الآية – توضح ذلك أكثر في قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوكَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ دُّوَّمٌ مُّبِينٌ﴾ .

<sup>(1)</sup> ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، ص 150، 151، و القسيسي، مشكل إعراب القرآن، 1/187، و ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 584.

<sup>(2)</sup> ينظر، أبو حيان ، البحر المحيط، 1/652، 653، و ابن عاشور، التحرير و التویر، 2/102.

<sup>(3)</sup> ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 1/196، و القرطبي، الجامع، 1/225، و محمد عبد السلام كفافي، و عبد الله الشريفي، في علوم القرآن، ص 55.

<sup>(4)</sup> ينظر، الماوردي، النكت و العيون، 1/220، و البغوي، معلم التنزيل، 1/138، و ابن الجوزي، زاد المسير، 1/172، و الخازن، لباب التأويل، 1/101، و القمي النيسابوري، غرائب القرآن، 1/464.

<sup>(5)</sup> المائدة، 103.

و من هذه الصورة – أيضاً – قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَةً﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب بـ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" خطاب للمؤمنين على طريق القرآن في إطلاق هذه الصفة عليهم ، و لأن شأن اسم الموصول أن يكون بمثابة الاسم المعرف بلا م العهد .

وقد ورد الخطاب بـ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" في ثمانية وثمانين (88) موضعًا ، كلها في سور المدنية .

ويتألف مضمون النداء من فعل أمر "ادخلوا" مسند إلى "واو الجماعة" ، وحار وبحور "في السلم" ، وحال "كافحة" . وهذه الحال تفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به ، وهو – هنا – حال من ضمير "ادخلوا" ، أي : حالة كونكم جميعا لا يستثنى منكم أحد ، وقال ابن هشام : إن "كافحة" إذا استعملت في معنى الجملة و الإحاطة لا تأتي إلا حالا مما جرت عليه ، ولا تكون إلا نكرة ، ولا يكون موصوفا إلا مما يعقل<sup>(2)</sup> . لكن الزمخشري جوز جعل "كافحة" حالا من السلم ، لأنها مؤنث ، كأنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها أو شعب الإسلام وشرائعها كلها<sup>(3)</sup> .

ولقد اختلف القراء في قراءة "السلم" – بفتح السين و كسرها – فقرأ نافع وابن كثير و الكسائي و أبو حعفر بفتح السين ، وقرأ باقي العشرة بكسر السين<sup>(4)</sup> . وقرأ الأعمش بفتح السين و اللام<sup>(5)</sup> . فأما الذين فتحوا السين فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسألة ، بمعنى : أدخلوا في الصلح و المسألة و ترك الحرب و إعطاء الجزية . و أما الذين كسروا السين فإنهم مختلفون في تأويله ، فمنهم من يوجهه إلى الإسلام ، بمعنى : ادخلوا في الإسلام كافة ، ومنهم من يوجهه إلى الصلح ، بمعنى : ادخلوا في الصلح<sup>(6)</sup> . ويستشهد على أن السين تكسر و هي بمعنى الصلح يقول زهير :

وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ تُدْرِكَ السِّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسِلْمٌ<sup>(7)</sup>

<sup>(2)</sup> ينظر ، مغني اللبيب ، 266/2 .  
<sup>(3)</sup> ينظر ، الكشاف ، 353/1 .

<sup>(4)</sup> ينظر ، أبو زرعة ، حجة القراءات ، ص 130 ، و الداني ، التيسير ، ص 68 ، و ابن عطية ، المحرر الوجيز ، 197/2 ، و الرازمي ، مفاتيح الغيب ، 175/5 .

<sup>(5)</sup> ينظر الزمخشري ، الكشاف ، 1/353 ، و ابن الجوزي ، زاد المسير ، 1/224 ، و الرازمي ، و مفاتيح الغيب ، 5/176 .

<sup>(6)</sup> ينظر ، ابن خالوية ، الحجة في القراءات السبع ، ص 95 ، و أبو زرعة ، حجة القراءات ، 130 ، و أبو حيان ، البحر المحيط ، 2/118 .

<sup>(7)</sup> الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، 1986 ، ص 79 .

و قال أبو عمر بن العلاء : "السلم بكسر السين : الإسلام ، وبالفتح المسالمة"<sup>(1)</sup> . وقد كان يقرأ سائر ما في القرآن مما ذكر فيه "السلم" عدا هذه التي في سورة البقرة ، فإنه كان يختصها بكسر سينها توجيهها منه لمعناها إلى الإسلام دون سواها<sup>(2)</sup> . ورجمع الطبرى حمل هذه اللفظة على معنى الإسلام ، فقال : "أولى التأويلات بقوله : "ادخلوا في السلم" ، قول من قال : معناه : ادخلوا في الإسلام كافة . وأما الذي هو أولى القراءتين بالصواب في قراءة ذلك ، فقراءة من قرأ بكسر "السين" ، لأن ذلك إذا قرئ كذلك – وإن كافية قد يحتمل معنى الصلح – فإن معنى الإسلام و دوام الأمر الصالح عند العرب أغلب عليه من الصلح و المسالمة"<sup>(3)</sup> . و يؤيد هذا المعنى قول أمير القيس بن عباس الكندي في قضية ارتداد قومه :

**دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسلْمِ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ تَوَلُّوْا مُذْبِرِينَا**<sup>(4)</sup>

و نقول : إن كون "السلم" – بكسر السين – فيه معنى الصلح فهذا لا خلاف فيه، و كونه يطلق على الإسلام إذا دل المعنى على ذلك جاز أن يكون مقصوداً أيضاً، ويكون من استخدام المشترك اللغظي في معنيه . و "السلم" – بكسر السين و فتحها – لغتان مستعملتان كما ذهب بعض العلماء<sup>(5)</sup> ، إلا أن ما يمكن ملاحظته أن الخطاب للمؤمنين دون سواهم ، لأن النداء بـ "يأيها الذين آمنوا" للمؤمنين، وهو معهود في لغة القرآن . و لا يتصور أنه يأمرهم بالدخول في الإسلام و هم مؤمنون . ولذلك ينبغي أن يؤول الأمر بالدخول في الإسلام بأنه أمر بزيادة التمسك منه و التغلغل فيه و المداومة عليه . و يكون المعنى : يأيها الذين آمنوا داوموا على الإسلام ، ولا تخروا عن شيء من شرائعه ، بل خذوا الإسلام بحملته و تفهموا المراد منه ، لتكون كلمتكم واحدة ، فيترتفع التنازع و الشقاق .

و من هذه الصورة – أيضاً – قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾<sup>(6)</sup>

مضمون النداء جملة أمرية: "عليكم أنفسكم" ، مكونة من حرف جر "على" ، وضمير مجرور "كم" ، واسم معرف بالإضافة "أنفسكم" . و يمكن أن يأخذ هذا الاسم الضمة فتكون الجملة خبرية ، والتقدير: أنفسكم عليكم ، أو تقديم المسند إليه ، فتقول : عليكم أنفسكم وهذا ما أكدته القراءة الشاذة : "عليكم أنفسكم" برفع المسند إليه .

<sup>(1)</sup> ابن عطية ، المحرر الوجيز ، 197/2

<sup>(2)</sup> ينظر ، الطبرى ، جامع البيان ، 336/2

<sup>(3)</sup> المصدر السابق ، 336/2

<sup>(4)</sup> ذكره الطبرى في المصدر السابق ، 336/2 ، و ابن منظور ، لسان العرب ، 12/295 ، (سلم) ، و أبو حيان ، البحر المحيط ، 118/2

<sup>(5)</sup> ينظر ، النحاس ، إعراب القرآن ، 1/300 ، و ابن الجوزي ، زاد المسير ، 1/224 ، و الرازى ، مفاتيح الغيب ، 5/176 .

<sup>(6)</sup> المادة ، 105

وقد حكى هذه القراءة الرمخشري <sup>(1)</sup> عن نافع رضي الله عنه . و توجيه هذه القراءة عند أبي حيأن الأندلسى <sup>(2)</sup> ، تتحتمل وجهين :

أحدهما : يرتفع "أنفسكم" على أنه مبتدأ (مسند إليه) ، وعليكم في موضع الخبر "المسند" . والمعنى : على الإغراء

ثانيهما : أن يكون توكيدا للضمير المستتر في "عليكم" ، ولم يؤكده ضمر منفصل ، ويكون مفعول "عليكم" محدودا لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : عليكم أنفسكم هدایتكم .

ولكن في قراءة الجمهور بنصب "أنفسكم" على المفعولية لا يراد بها الإخبار بل يراد معنى آخر هو الحث على أمر مخصوص ، معنى : الْرَّمُوا وقد دل على الوجوب ، و لما كان كذلك كان إزاما أن تغير حركة المسند إليه "أنفسكم" من ضمة إلى فتحة ، لتعبر عن هذه الدلالة ، فالفتحة تعبر هنا عن معنى ، وليس أثرا لعامل محدود سدت مسده "عليكم" التي هي معناه ، وهو الْرَّمُوا ، فاسم الفعل "عليكم" متقول من الجار و المحروم . و هذا الجار و المحروم ظل على ما كان عليه في الأصل ، وقد جرى التحويل في الحركة الإعرابية على الاسم الذي يليه "أنفسكم" ليعبر عن هذا المعنى الجديد <sup>(3)</sup> .

و تلحق ضمائر الخطاب بحرف الجر "على" ، فيقال : عليك : و عليكما ، وعليكم ، و لا تلحق به ضمائر الغيبة ، لأن الغائب لا يؤمر بهذه الصيغة ، بل يأمر بواسطة لام الطلب ، يقول الفراء : "هذا أمر من الله عزّ وجلّ ، كقولك : عليكم أنفسكم ، والعرب تأمر من الصفات بعليك ، وعندك ، ودونك ، وإليك " <sup>(4)</sup> . و المأمورون — هنا — هم المؤمنون . والمأمور به : إلزم النفس ، أي : الزموا أنفسكم واحرصوا عليها . والمقام يوضح المحروص عليه ، وهو ملازمة الاتهادء بقرينة الجملة الشرطية بعده — في هذه الآية — "إذا اهتديتم" ، فهو يومي بالحرص على النفس و الإعراض عن الغير . وقد وضحه جواب الشرط المقدم "لا يضركم من ضل ..." . فهذه الجملة بيانية لما قبلها ، ولذلك فصلت ، لأن أمر المخاطبين ملازمة أنفسهم مراد منه دفع ما أصابهم من الأسى و المم على عدم قبول الضالين للاحتماء و مخافة أن يكون ذلك لتقصير في دعوتهم ، فخاطبهم المولى بقوله : "عليكم أنفسكم" ، أي : الزموا هدایتها و إصلاحها <sup>(5)</sup> .

و يفهم من سياق الجملة الشرطية أن الاتهادء يعم كل ما أمروا به ، و من جملة ذلك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فلو سكتوا عن المنكر بتقصير منهم لضرهم من ضل ، لأن إثم ضلاله يتحملون وزره .

<sup>(1)</sup> ينظر، الكشاف، 1/650.

<sup>(2)</sup> ينظر، البحر المحيط، 4/42.

<sup>(3)</sup> ينظر، عمایر، في نحو اللغة و تراكيبها، ص 166.

<sup>(4)</sup> معانی القرآن، 322.

<sup>(5)</sup> ينظر، التقاعي،نظم الدرر، 2/553.

و لا ينبغي أن يشك أن مضمون جملة "عليكم أنفسكم" رخصة للمؤمنين في ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لأن ذلك واجب بأدلة شرعية لا خلاف فيها ، وكان ذلك داخلا في مضمون الجملة الشرطية "إذا اهتديت .." .

و ييدوا أن اقتصار الفهم على الجملة الأمرية "عليكم أنفسكم" يدخل الملتقي في شك . وهذا ما جعل بعض الناس يشك في أن يكون معناها الترخيص في ترك الدعوة. وقد حدث ذلك في عهد رسول الله بما أخرجه أبو داود و الترمذى و غيرهما عن أبي أمية الشعابي، أنه قال: سألت عنها أبا ثعلبة الخشني ، فقال: سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: "بل ائتمروا بالمعروف و تناهو عن المنكر حتى رأيت شحاما مطاعا و هو متبعا و دنيا مؤثرة و إعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك و دع العام..."<sup>(1)</sup> وبلغ أبا بكر الصديق أن بعض الناس تأول الآية على أنه لا يلزم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فصعد المنبر ، وقال : " يا أيها الناس إنكم تقررون هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَفْسَحُكُمْ...﴾ وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أو شرك أن يعمهم عقاب "<sup>(2)</sup> .

ويتضح أن ظاهر هذه الآية قد أوهم بعض السلف في أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر غير واجب ، إلا أن مقصد الآية لا يدل على ذلك ، بل يوجب أن المطيع لربه لا يؤخذ بذنب العاصي . أما وجوب الدعوة فثبت بالدلائل <sup>(3)</sup>. وهذا ما أكدته - كذلك - ابن العربي في أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يعد من أصل الدين و خلافة المسلمين <sup>(4)</sup> . فالمؤمن لا يكون مهتما بمجرد إصلاحه لنفسه إذا لم يهتم بإصلاح غيره . فالواجب عليه أن يعمل على فعل الخير ، وأن يقاوم الشر و يحارب الرذيلة و المنكر .

وترد بقية هذه الصورة في الموضع الآتي : البقرة،(267، 254، 172)، آل عمران ، (102)، النساء ، (47)، 136، 135)، والمائدة ، (1، 8، 11، 67)، الأنفال ، (24، 65، 70)، والأحزاب ، (9، 28، 41، 59)، والصف ، (14)، والتحريم ، (6، 8) .

<sup>(1)</sup> أبو داود ، السنن،2/526، (كتاب الملاحم) ، و الترمذى ، الجامع الصحيح،5/240، (كتاب تفسير القرآن)، و ابن ماجة،السنن،2/1331،(كتاب الفتن) .

<sup>(2)</sup> الترمذى ، الجامع الصحيح،5/240،(كتاب تفسير القرآن)، و ابن ماجة،السنن،2/1327 .

<sup>(3)</sup> ينظر،الرازي ، مفاتيح الغيب،12/93 .

<sup>(4)</sup> ينظر،أحكام القرآن،2/709 .

الصورة الثانية : أداة نداء (يا) + منادى + مضمون النداء (جملة أمرية مكررة).

وردت في عشر مواضع ، وذلك كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ هُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

أعيد فعل الأمر في قوله : " أطِيعُوا الرَّسُولَ " مع أن أداة العطف (الواو) تغنى عن إعادته إظهارا للعناية بتحصيل طاعة الرسول ، لتكون في أسمى المراتب من طاعة أولي الأمر، وللإشارة على وجوب طاعته فيما يأمر به ، ولو أن أمره غير مقترب بتبلیغ ما أنزل عليه ، لكيلا يتوهם المتلقی أن طاعة الرسول المأمور بما تعود إلى طاعة الله فيما يبلغه عن ربه دون ما يأمر به في غير الحكم الشرعي ، فإن امتنال أمره كله واجب ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(2)</sup> وقال : ﴿وَمَا أَتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا﴾<sup>(3)</sup>

والمعنى: الرموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به ونهاكم عنه. والزموا طاعة رسوله أيضا. ولم يكرر الفعل (العامل) في الجملة الأخيرة " وأولي الأمر منكم "، بل اكتفى بالعاطف تحبنا للتكرار وثقل التركيب. ولكن من هم أولو الأمر؟ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهم الأمراء والحكام<sup>(4)</sup>. وذهب آخرون إلى أنهم العلماء الذين يبيّنون للناس الأحكام الشرعية<sup>(5)</sup>.

والظاهر إرادة ذلك كله، فتحب طاعة الأمراء والحكماء والولاة في السياسة وقيادة الجيوش ، وتحب طاعة العلماء في بيان أحكام الدين. قال ابن العربي: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء فلان أصل الأمر منهم والحكم إليهم. وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متبعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتنال فتواهم واجب"<sup>(6)</sup>.

وقال الرمخشي: إن "المراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق، لأن أمراء الحور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم ، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهم في إيشار العدل و اختيار الحق ، والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين و منتبعهم بإحسان "<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> النساء، 59.

<sup>(2)</sup> النساء، 80.

<sup>(3)</sup> الحشر، 7.

<sup>(4)</sup> ينظر، ابن عباس، تنویر المقباں، ص 72، والماوردي، النکت و العيون، 499/1.

<sup>(5)</sup> ينظر، علي بن أبي طلحة، صحیفة عن ابن عباس في تفسیر القرآن الکریم، ص 151، و الطبری، جامع البیان، 15، 152/5.

<sup>(6)</sup> أحكام القرآن، 452/1.

<sup>(7)</sup> الكشاف، 1، 535/1.

ويرى فخر الدين الرازي أن المراد من أولى الأمر : أهل الخل و العقد ، ليستدل بالآية على حجية الإجماع الصادر من العلماء<sup>(1)</sup> . فموجب ذلك أن إجماع الأمة حجة قاطعة .

و يماثل هذه الصورة قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(2)</sup> .

الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار و المنافقين ، وإنما وجه الأمر له دون المؤمنين ، لأنه جُبِلَ على الرحمة ، فأمر بأن يتخلَّ عن جُبْلِه في شأن الكفار و المنافقين ، وأن لا يشفع عليهم كما هو شأنه من قبل .

و لم يكرر المسند " جاهد" في الجملة المعطوفة ، بل استغنى عنه بأداة العطف (الواو) ، لأن المجاهدة لهما معا ، و بدأ بمجاهدة الكفار ، لأنهم أقوى أسبابا في إثارة الحرب ، و أشد شकيمة من المنافقين .

و قُرن المنافقون بالكافر إشارة منه تعالى إلى أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين كذلك؛ فهم سواء ، إلا أن كيفية الجهاد تختلف . فقال ابن عباس و غيره : مجاهدة الكفار تكون بالسيف، ومجاهدة المنافقين باللسان<sup>(3)</sup> .

وجيء بجملة معطوفة " واغلظ عليهم" لتوضيح أمر الجهاد بأن يغلوظ عليهم في المجاهدين ، و الغلوظ : الشدة ، وهو ضد الرقة<sup>(4)</sup> . و المراد : خسونة الكلام و تحصيل الانتقام ، أي : كن شديدا في إقامة حكم ما أمر الله به .

و معنى التركيب : يأيها الرسول قاتل الكفار بالسيف و المنافقين بالحجنة و البرهان و إقامة الحدود عليهم إذا ارتكبواها ، وشدد على الفريقين فيما يجاهدهما به من القتال و المحاجة .

و يماثل هذا التركيب ما ورد في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَمَّنْوَا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِي كُمْ غُلَظَةً﴾<sup>(5)</sup> .

في توجيه الخطاب - هنا - للذين آمنوا دون الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أن الرسول لا يقاتل بعد ذلك ، وأن أجله قد اقترب . ولعل في الجملة المعطوفة ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى التسلية على فقد نبيهم ، و أن الله معهم .

وتعد بقية هذه الصورة فيما يأتي : النساء ، (71) ، والتوبه (119)، و الأحزاب،(56،70) و الحديد،(28) ، الحشر ، (18) .

<sup>(1)</sup> ينظر، مفاتيح الغيب، 10/117.

<sup>(2)</sup> التوبة، 73، و التريم، 9.

<sup>(3)</sup> ينظر، تنویر المقباس، ص، 162، و ابن أبي طلحة، صحیفة عن ابن عباس فی تفسیر القرآن الکریم، ص 268، و الطبری، جامع البیان، 10/420.

<sup>(4)</sup> ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 7/449، (غلط).

<sup>(5)</sup> التوبه، 123.

**الصورة الثالثة :** أداة نداء (يا) + منادى + مضمون النداء (جملة أمر) + جملة تعليلية (إن + جملة اسمية منسوبة) .

وردت في موضوعين، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّابَرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>

افتتح الكلام بالنداء للمؤمنين ، لأن فيه إشعارا بخبير جليل مهم ، وفي استهلال هذا الخطاب بالاستعانة بالصبر تنبئه وإشعار بأنه سيعقب - في الجملة الموالية - بالندب إلى عمل عظيم يحتاج إلى التجلد ، وذلك تهيئة لجهاد الكفار ، وجيء بجملة منسوبة " إن الله مع الصابرين " .

ووردت - كذلك - في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ﴾<sup>(2)</sup> .

مضمون النداء جملة أمرية "اجتنبوا كثيراً من الظن" . واجتناب: من جنبه وأجنبه، إذا أبعده، أي: جعله جانبا آخر<sup>(3)</sup> . وفعله يتعدى إلى مفعولين ، يقال : جنبه الشر ، قال تعالى : ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي أَنْ تُبَدِّلَا أَكْصَانَمَ﴾<sup>(4)</sup> .

أي : اجتنبي عبادة الأصنام . وقد يتعدى إلى مفعول واحد كما هو في هذه الآية ؛ فقد تعدى إلى المفعول به "كثيراً" و ذلك كقولنا : اجتنب الشر .

والمأمور باجتنابه هو بعض الظن ، وذلك البعض موصوف بالكثرة . ويتبين - هنا - في الجملة التعليلية : " إن بعض الظن إثم " . وقد حذفت اللام الدالة على التعليل لاطرادها مع "إن" الناسخة ، والتقدير : لأن بعض الظن إثم . وهذا الظن المنهى عنه أو المحظور هو سوء الظن بالله وسوء الظن بالمؤمنين . أما ظن الخير بالمؤمن فمحمود ؛ لا يلزم اجتنابه<sup>(5)</sup> . قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه ، وأن يُظن به ظن السوء"<sup>(6)</sup> . فعلى المسلم أن يكون معياره في تمييز أحد الظنين من الآخر أن يعرضه على ما بيته الشريعة الإسلامية من أحكام .

ومعنى التركيب : يا أيها المؤمنون ابتعدوا عن كثير من الظن بإخوانكم ، بأن تظنوهم السوء مما وجدتم إلى ذلك سبيلا .

<sup>(1)</sup> البقرة، 153.

<sup>(2)</sup> الحجرات، 12.

<sup>(3)</sup> ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 1/278، (جنب).

<sup>(4)</sup> براheim، 35.

<sup>(5)</sup> ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/405، والقرطبي، الجامع، 16/332، والكتبي، التسويل، 2/359.

<sup>(6)</sup> ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، 16/332، والألوسي في روح المعاني، 26/307.

**الصورة الرابعة :** أداة نداء (يا) + منادي + مضمون النداء (جملة أمرية) + جملة تعليلية (عل + جملة منسوبة).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

تحتختلف هذه الصورة عما قبلها في أن مضمون النداء ورد جملة أمرية تعليلية مصدرة بـ "عل" التي يمعن "كي" ، فحملت على التعليل<sup>(2)</sup>.

و الأداة "عل" تدل على الرجاء، والرجاء هو الإخبار عن وقوع أمر في المستقبل وقوعاً مؤكداً<sup>(3)</sup>. فتبين أن الأداة "عل" مدلها خبرى ، لأنها إخبار عن تأكيد حصول الشيء . فهي للإخبار بأن المخاطب يكون طاماً في الرجاء<sup>(4)</sup>. وتعلق بفعل الأمر في قوله : "اعبدوا" لا بالفعل الماضي في قوله : "خلقكم" ، لأن الناس أمرموا بالعبادة على رجائهم حين حصولها حصول التقوى المنجية لهم من عذاب الله تعالى<sup>(5)</sup>.

وقد جيء بجملة الترجي ، لأن المقام يقتضي معنى الرجاء ، وهو حصول التقوى . ولما كانت التقوى نتيجة عبادة الله تعالى جعل رجاؤها أثراً للأمر بالعبادة ، لأن انتقاء عذاب الله يحصل بالعبادة ، وذلك بتوحيد الله والتزام شرائع دينه<sup>(6)</sup>.

والخطاب يعم كل الناس في كل مكان وزمان . و المخاطب في هذا المقام هم المشركون من العرب و غيرهم ، وأهل الكتاب و المؤمنون ، كل بما عليه من واجب العبادة لله ، و الامتثال لما شرعه .

**الصورة الخامسة :** أداة نداء (يا) + منادي | + مضمون النداء (جملة أمرية مكررة)+جملة تعليلية (عل + جملة منسوبة).

وردت هذه الصورة في ثلات جمل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَبِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

اشتمل مضمون النداء على جمل أمرية متعاطفة ، ارتبطت بأداة العطف (الواو)، وهي تتضمن مجموعة وصايا جامعة للمؤمنين تحدد إرادتهم وتبعث في نفوسهم الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو لكسب النصر .

<sup>(1)</sup> البقرة، 21

<sup>(2)</sup> ينظر، القرطبي، الجامع، 1/227، والأستراباذي، شرح الكافية، 2/346، والковي، الكليات، ص1076.

<sup>(3)</sup> ينظر المبرد، المقتصب، 3/73، و السيوطي، معرن المفرد، 4/108، و السيوطى، معرن المفرد، 2/626.

<sup>(4)</sup> ينظر، سيبويه ، الكتاب، 2/148.

<sup>(5)</sup> ينظر، القرطبي، الجامع، 1/227، أبو حيان، البحر المحيط، 1/235.

<sup>(6)</sup> ينظر، ابن عاشور، التحرير و التوبيخ، 1/326.

<sup>(7)</sup> آل عمران، 200.

فأمرهم الله تعالى - بادئ ذي بدء- بالصبر الذي هو جامع الفضائل ثم بالمصايرة، أي أن: مغالبة الأعداء على الشدائـد . وخص المصايرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر ، لكونها أشد منه و أشق<sup>(1)</sup>. ثم أمرهم بالمرابطة ، وفي معناها الحذر من العدو و الاستعداد للغزو . وأعقب هذا الأمر بالأمر بتقوى الله بأن لا يخالف ما شرع . ثم ذيل التركيب بجملة تعليية "لعلكم تفلحون" أي: ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه و نجاحه بما يريد من النصر على الأعداء و الفوز بعيش الشهداء .

ووردت - كذلك - في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

يلحظ تكرير مضمون النداء في ثلاث جمل أمرية متراقبة بأداة العطف "الواو" . فقد أمر الله المؤمنين بتقواه ، وابتغاء الوسيلة إليه ، و الجهاد في سبيله .  
و الوسيلة : هي القربة من توسل فلان إلى فلان بكذا ، أي تقرب إليه ، وجمعها وسائل<sup>(3)</sup> . ومن ذلك قول عترة :

و المحرر في جملة " وابتغوا إليه الوسيلة-في الآية- " متعلق بـ "ابتغوا" ، ويجوز تعلقه بـ "الوسيلة" ، وقدم على متعلقه للحصر ، والتقدير : لا تتوسلوا إلا إليه .

و التعريف في "الوسيلة" تعريف الجنس ، أي كل ما تعلمون أنه يقربكم إلى الله ، فتتالون رضاه . فالوسيلة ما يقرب العبد من ربه بالعمل بأوامره و نواهيه . وفي الحديث الشريف : " ما تقرب لي عبدي بشيء أحب إلى ما افترضت عليه " <sup>(5)</sup> .

أما جملة الترجي فتفيid التعليل، أي : لكي تفزوا بالجنة ، لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه ، والفوز بكل محبوب . ومعنى التركيب: اخشوا عقاب الله ، وقربوا إليه بالطاعة و العمل بما يرضيه، وجاحدوا لإعلاء دينه، لتفزوا بالنعيم . وفي دلالة النداء إرشاد . وقد ورد عقب ذكر العقوبات النازلة بمحاري الله و رسوله – في الآية السابقة – وهذا من أبلغ الوعظ ، لأنه يرد على التغوس وهي وجلة . وعادة طبائع الإنسان إذا سمع أو رأى أمراً كريهاً أن يرِقَّ و يخشع ، فجاء الوعظ في هذا المقام ، ليكون أنسٌ تأثيراً ، فتنقاد النفوس لبارئها ملتزمة بما أمرتُ به .

<sup>(1)</sup> ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/491.

المائدة، 35<sup>(2)</sup>

<sup>(3)</sup> ينظر، البغوي، معلم التزيل، 2/34، و الفنوجي، فتح البيان، 3/412.

<sup>(4)</sup> الديوان، ص 33.

<sup>(5)</sup> البيهقي، السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت 1992، 3/346، (كتاب الصلاة).

ونظير هذه الصورة -أيضا- قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنْ كَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(1)</sup>

يضم مضمون النداء أربع جمل أمرية متعاطفة ، ربطت بينها "الواو" . وتتمثل في قوله : "اركعوا" ، "واسجدوا" ، "وابعدوا..." ، "وافعلوا..." فقد أمر المؤمنون بالركوع والسجود وعبادة الله و فعل الخير . و المراد بالركوع والسجود : الصلوات . و تخصيصهما بالذكر من بين أركان الصلاة ، لأنهما أعظم أعمال الصلاة وأركانها ، إذ بهما يتم إظهار العبودية .

و تخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية العبادات المشمولة لقوله : "وابعدوا ربكم" إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين وأشرف العبادات . والمراد بالعبادة : ما أمر الله عباده أن يتبعدوها به كالصيام والحج . و قوله : "وافعلوا الخير" أمر بالأخلاق الكريمة من حسن المعاملة ، وصلة الرحم ، وأداء نوافل الطاعات . وهذه الأوامر تكليفية يراد بها توثيق العلاقة بالله ، و التربية النفس ، و إقامة العدالة الاجتماعية . و عمل تلك الأوامر يجعلة ترج "لعلكم تفلحون" ، أي : لنفلحوا . والرجاء مستخدم في معنى تقريب الفلاح والفوز للمؤمنين إذا امتنعوا ما أمروا به .

**الصورة السادسة** : أداة نداء (يا) + منادي + مضمون النداء (جملة أمر و نهي) .

من هذه الصورة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتْقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾<sup>(2)</sup>

نادي الله سبحانه نبيه محمدا بـ"النبي" دون اسمه تكريما وتشريفا له ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره من الأنبياء والرسل ، ولذلك لم يناد في القرآن بغير "يأيها النبي" ، أو "يأيها الرسول" . أما مضمون النداء فاشتمل على جملة أمر ، وجملة نهي عطفت عليها ؛ فأمر الرسول ومنه أمره بالتقوى للاستمرار على ملازمتها والازدياد منها<sup>(3)</sup> . و نهي عن قبول أقوال الكافرين والمنافقين . و هذا التكليف يومئ أن تشريفا عظيما سيلقى إليه ، لا يخلو من حرج عليه و على أمره ، وأنه سيلقى مكائد و مطاعن الكافرين والمنافقين ، ولذلك كان التعقيب بجملة النهي ليحصل من الجملتين قصر تقواه على التعليق بالله دون غيره ؛ فإن معنى قوله : "لا تطع..." مرادف معنى : لا تتق الكافرين والمنافقين ؛ فإن الطاعة تقوى ، فصار مجموع الجملتين المتعاطفتين مفيدا معنى : يأيها النبي لا تتق إلا الله . فعدل عن صيغة القصر ،

<sup>(1)</sup> الحج، 77

<sup>(2)</sup> الأحزاب، 1

<sup>(3)</sup> ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 12/2، و ابن الجوزي، زاد المسير، 6/348، والمرتضى، غرر الفوائد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1967/79، و أبو حيان، البحر المحيط، 7/206، و البقاعي، نظم الدور، 6/68.

وهي أشهر في الكلام البليغ وأوجز إلى ذكر حملتي الأمر و النهي للدلالة على أنه قصر إضافي<sup>(1)</sup>؛ أريد به أن لا يطيع الكافرين و المنافقين ، لأنه لو اقتصر على القول: لا تتق إلا الله ، لما أصاحت إليه الأسماء إصاحة خاصة، جعلت الملتقي يدرك التكليف المأمور به و النهي عنه، فكان أن انتهج القرآن أسلوب الإطناب . ويتبين من سياق هذه الآية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يميل إلى الكافرين بقصد استعمالهم إلى الإسلام ، وعلم الله أن ميله إليهم لا يجلب منفعة ، ولذلك نهاه عنه. وهذا رأي أغلب المفسرين<sup>(2)</sup> . وفي معنى التركيب نص و إرشاد .

ومثال هذه الصورة قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تُوكِلُوا عَنْهُ وَإِنَّمَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>(3)</sup> .

يختلف هذا التركيب عن سابقه - من نفس الصورة - في أنه اشتمل على جملة حالية " و أنتم تسمعون " . الأمر للمؤمنين بطاعة الله و طاعة رسوله . و المعنى: " لا تخالفوا أمره، وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم مؤمنون"<sup>(4)</sup> . و الأمر بالطاعة هنا - في مسألة الجهاد<sup>(5)</sup> ، لأن فيه بذل النفس و النفيس . وأردف الأمر بجملة النهي لتوضيح الطاعة المأمور بها ؛ فقد فهو عن التولي ، أي الإعراض و الانصراف. وهو هنا - لمخالفة أمر الرسول في القتال ، بدليل الضمير المحور بـ"عن" ، لأنه راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحملة " وأنتم تسمعون " في موضع الحال من الفاعل المتصل بالفعل في قوله : " و لا تولوا " . والمراد بالسماع سماع تدبر و تأمل المسنون ، كما هو شأن المؤمنين أن يقولوا : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُرْبَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(6)</sup> . أي: لا تنصرفوا عنه في حال لا يعوزكم ترك التولي ، لأن غاية السمع العمل بالمسنون. وهؤلاء سمعوا الحق ، فيجب أن يعملوا به . ومعنى التركيب: يأيها المتصفون بالإيمان أطعوا الله و رسوله في الدعوة إلى الجهاد، ولا تعرضا عنه . فاحذروا أن تكونوا مثل الذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون ، وهم المنافقون و المشركون . و في مضمون النداء إرشاد للمؤمنين بطاعة الله و الرسول إذا دعاهم للجهاد و غيره ، و تحذير من مخالفة أمرهما و نهيهما ، لئلا يتقاусوا عن الدفاع عن الدين .

<sup>(1)</sup> ينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص159.

<sup>(2)</sup> ينظر ، الماوردي، النكت و العيون،4،369، و الوادي ، أسباب النزول،ص292 و ينظر له، والوسيط،3/457، و ابن عطيه، المحرر الوجيز،2/12، 3 ، و القرطبي ، الجامع،14/115، و أبو حيان، البحر المحيط،7/206.

<sup>(3)</sup> الأنفال،20.

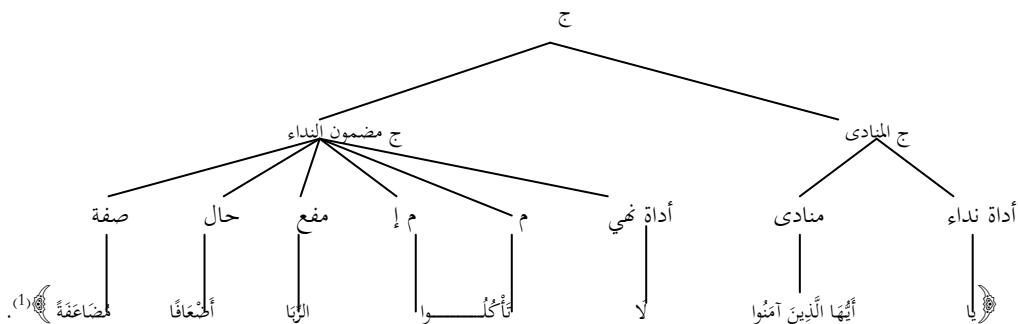
<sup>(4)</sup> ابن اسحاق، التفسير، جمع و ترتيب، محمد عبدالله أبو صعيديك، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1996،1،ص93،و ينظر، الطبرى، جامع البيان،9/209،

<sup>(5)</sup> ينظر ،البغوي، معلم التنزيل،2/203.

<sup>(6)</sup> البقرة ، 285.

## الصورة السابعة: أداة نداء+ منادي+ مضمون نداء(جملة نهي).

وردت هذه الصورة في اثنين وعشرين جملةً، ومنها الجملة الآتية:



الخطاب موجه إلى المؤمنين، وقد نهوا عن التعامل بالربا الفاحش كما يظهر من دلالة الحال في "اضعافاً"؛ فهو حال من "الربا". وقد وصف بـ"مضاعفة" بقصد التشنيع لينفر منه المتلقى.

وقريء: "مضاعفة"<sup>(2)</sup>-بتشديد العين-ومعناه: "الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين"<sup>(3)</sup>. وـ"مضاعفة"- على قراءة الجمهور-إشارة إلى تكرار التضييف سنة بعد أخرى<sup>(4)</sup>. والقراءتان بمعنى واحد؛ فهما يدلان على مضاعفة الربا. وهو ما يسمى بالربا الفاحش أو المركب.

والربا المضاعف كان سائدا قبل تحريم، فقد كان الناس "يقولون: إذا حل أجل الدين، إما أن تقضي وإما أن تربى، فإن قضاه، وإلا زاده في المدة، وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، وربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا"<sup>(5)</sup> والربا الفاحش محظ قطعا كما يتضح من هذا النص. ولا يقتصر التحريم على الربا المضاعف بل ولو كان قليلا يحرم التعامل به<sup>(6)</sup>. وأما التقييد بالأضعاف المضاعفة في الجملة، فهو قيد لبيان الواقع الذي كان عليه الناس قبل التحريم. ولا يعني هذا التقييد أبدا أن الربا القليل حلال، وأن الحرام هو الربا الفاحش فقط.

والمعنى: يا أيها المؤمنون إياكم أن تأكلوا الربا كما كان الناس يفعلون. فهو نهي صريح للمؤمنين عن تعاطي الربا. وفي هذا المعنى تحذير لهم عن التعامل به.

(1) آل عمران، 130.

(2) ينظر، القرطي، الجامع، 4/202.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/317.

(4) ينظر، المصدر السابق، 3/317، والقرطي، الجامع، 4/202، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/57.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/111.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/318، وابن عاشور، التحرير والتبيير، 4/86.

ويماثل هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(1)</sup>.

جملة مضمون النداء: "لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ" نظير قوله: ﴿وَكَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(2)</sup>.

يحتوي مضمون النداء على أداة نحي، ومضارع مسند إلى واو الجماعة "تأكلوا"، ومفعول به مضاف "أموالكم"، وظرف مكان مضاف "بينكم"، وجار و مجرور "بالباطل"، متعلق بحال في محل نصب، معنى: باطلًا.

والمفعول به "أموال" مضاف إلى ضمير المخاطبين "كم" معنى: أموال بعضكم، وهو راجع إلى "الذين آمنوا". فأكل أموال الغير بالباطل منهي عنه؛ فقد نهى الله أن يأكل الناس أموال غيرهم بالحرام، أي: طريق غير مشروع، وذلك عن طريق السرقة والخيانة والغصب والربا والعقود الفاسدة<sup>(3)</sup>. ويدخل تحت أموال غيره أموال نفسه، لأن قوله: "أموالكم" يدخل فيه القسمان معاً. وهذا كقوله تعالى -في هذه الآية-: ﴿وَلَا تَقْتُلُو أَنفُسَكُمْ﴾.

فقد نهى عن قتل الغير وقتل النفس بالباطل. أما أكل مال نفسه بالباطل، فهو بإنفاقه في المعاصي<sup>(4)</sup>. وأما أكل مال غيره فقد ذكر آنفاً. وأكل الأموال أسلوب مجاز، وهو الانتفاع بها انتفاعاً كاملاً بنية عدم إرجاعها لأصحابها.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

الفعل في قوله: "تخونوا" مسند إلى واو الجماعة، وهو موجه للمؤمنين بدلالة النداء، وقد تعدد إلى مفعول واحد. وقد اختزل الفعل والفاعل معاً في الجملة الثانية، واكتفي بالمفعول به "الرسول" المعطوف على لفظ الحاللة "الله" تجنباً للتكرار وثقل التركيب، لأن أصل التركيب: لا تخونوا الله وتخونوا الرسول وتخونوا أماناتكم. والمضارع في الجملة الأخيرة مجزوم لوقوعه في الجملة المعطوفة، فهو في حكم النهي.

والخيانة ضد الأمانة، وهي الغدر وإبطال ما وقع عليه تعاقد دون إعلان<sup>(6)</sup>. يقول ابن عطيه: "الخيانة لله تعالى هي في تنقص أوامره في سر، وخيانة الرسول تنقص ما استحفظ، وخيانات الأمانات هي تنقصها وإسقاطها"<sup>(7)</sup>.

والنهي عن الخيانة يشمل كل المؤمنين. وهو يجمع كل أنواع الخيانات، فيحذرهم الله من العصيان الخفي بإظهار الطاعة والاستجابة وإنفاس المعصية والخلاف.

(1) النساء، 29.

(2) البقرة، 188.

(3) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 417/1، والكتبي، التسهيل، 186/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/240.

(4) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 10/57، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/241.

(5) الأنفال، 27.

(6) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 9/219. والسفى، مدارك التنزيل، 1/467.

(7) المحر الوجيز، 6/269.

وقال بعض المفسرين: إن الآية نزلت في أبي لبابة بن المنذر الأنصاري حين استنصرته قريظة لما أبى الرسول ﷺ أريحا، كفعله ببني النضير. فأشار أبو لبابة إلى حلقه، أي: ليس عند الرسول إلا الذبح. وقال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. فاستغفر لذنبه فتاب عليه<sup>(1)</sup>. ومعنى التركيب: يا أيها المؤمنون لا تخونوا الله والرسول بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن، وتخونوا أماناتكم التي تؤمنون عليها بعضكم بعضاً، وذلك كإظهار من أظهر لرسول الله وللمؤمنين الإيمان والنصيحة في الظاهر، وهو يخفي الغش لهم في الباطن؛ فيدل الكافرين على عورات المؤمنين وغيرهم ويخبرهم بما خفي عنهم. ودلالة النداء تحذير للمؤمنين من مخالفة أمر الله ورسوله.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُو خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(2)</sup>.

تألف جملة مضمون النداء من أدلة نحي، و فعل مضارع مسند إلى واو الجماعة "تبعوا"، ومفعول به "خطوات" مضاد إلى "الشيطان".

وخطوات: جمع خطوة بضم الخاء. قرأه نافع وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير بسكون الطاء. وحاجتهم أنهم استثنوا الضمتيين بعدهما واو، فأسكنوا الطاء للتخفيف. وقرأ عداتهم بضم الطاء، وحاجتهم أن "خطوة" على وزن "فُعلَة" كظلمة جمع ظلمات، وقرية وقرىات، فلم تستثن فيهما العرب ضم العين<sup>(3)</sup>. فالخطوة والخطوة-فتح الخاء وضمها- والجمع خطى وخطوات-بضم الطاء وإسكانها- هما لغتان سائدتان<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ هو تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى يتبعوها عن اتباعها. وفيه تشبيه وسوء الشيطان في نفوس الذين جاءوا بالإفك بالمشي<sup>(5)</sup>.

والمعنى: لا تتبعوا آثار الشيطان ومسالكه بالقبائح من الأقوال والأفعال، وكل ما نهى الله عنيه، لأن كل معصية يرتكبها المؤمن فهي من وساوس الشيطان.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(6)</sup>.

حذف المفعول به للفعل مضارع "تقْدِم" المزيد بالتضعيف. والمقصود به: "كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل"<sup>(7)</sup>. أي: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل.

(1) ينظر، الواحدي، أسباب النزول، ص198، 197، وينظر له الوسيط، 453/2، والبغوي، معلم التنزيل، 2/242، وابن الجوزي، زاد المسير، 3/344، 343/3.

(2) النور، 21.

(3) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص121، 120، والقرطبي، الجامع، 12/207.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 14/231، (خطا).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/186، 187.

(6) الحجرات، 1.

(7) النسفي، مدارك التنزيل، 2/579.

ويقول ابن حزقيال الكلبي: إن هذا الكلام يحتمل "ثلاثة أقوال: أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره. والثاني: لا تقدموا الولادة بحضوره، فإنه يقدم من يشاء. والثالث: لا تقدموا بين يديه إذا مشي. وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب "لا تَقْدِمُوا" يفتح التاء والكاف والدال. والأول هو الأظاهر، لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ فنهاهم الله عن ذلك"<sup>(4)</sup>. وللمقصود: اتبعوا الله والرسول ولا تخالفوا همّا أمرا.

وَدَلَالَةُ الْجَمْلَةِ النَّهْيِ عَنِ إِبْرَامِ أَيِّ شَيْءٍ دُونَ إِذْنِ الرَّسُولِ. وَفِي هَذَا النَّهْيِ تَأْدِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَعْمَلُونَ بِهِ رَسُولُهُمْ مِنْ التَّوْقِيرِ وَالتَّسْجِيلِ وَالاعْظَامِ، فَلَا يَسْرِعُونَ فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ قِيلَهُ يَا يَكُونُوا تَعْلَمُوا لَهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَذَّرُوا عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ كُمْ أَوْلَيَاءُ﴾<sup>(5)</sup>.

يتألف مضمون النداء من: أداة نهي، مسند، ومسند إليه، ومفعول به أول، ومضاف إليه، وأداة عطف، ومعطوف (مفعول به)، ومضاف إليه، ومفعول به ثان. وفي إضافة "عدو" إلى ضميره يجلى تغليظاً لجرم الكافرين ولأمر اتخاذهم أولياء، وإشارة منه إلى حلول عقابه بhem<sup>(6)</sup>. وعوامل لفظ "عدو" معاملة المصدر لكونه على وزنه، فاستوى في الوصف به المفرد والثني والجمع والمذكر والمؤنث<sup>(7)</sup>. والعداوة ضد الصدقة، وهو لا يجتمعان في محا، وزمن واحد. واستخدمت تنفيراً للمؤمنين من مناصرة الكفار.

.69/3 الفراء، معاني القرآن، (1)

(2) يعقوب، هو ابن إسحاق بن عبد الله أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري. أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها. أخذ القراءة عرضاً عن سلام الطويل ومهدى بن ميمون، وسمع العروف من الكسائي وحمزة. توفي سنة 205هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 157، وابن الجزي، الشر، 1/186.

(3) ينظر، ابن جنی، المحتسب، 278/3.

.355/2 التسهيل، (4)

.1) الممتحنة، 5)

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 8/250.

(7) ينظر، ابن فارس، مجمل اللغة، 3/653.

والمعنى: لا تخذلوا أعدائي وأعداءكم أنصارا. فنهى الله المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء، لأن في اتخاذهم أولياء ضلال؛ فهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالقول والفعل، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين. والنهي عن موالاة الكفار جاء في غير موضع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِ بْنَ أُولَئِيَّاءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾<sup>(2)</sup>. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا إِلَيْهِودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولَئِيَّاءَ﴾<sup>(3)</sup>.

وذكر العلماء التفسير أن هذه الآية نزلت في شأن حاطب بن بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بأن رسول الله ﷺ متوجه إليهم لغزوهم، فقال: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، ما فعلت ذلك إلا لأنك قد يدا أحمي بها قرأتي عندهم، ولم أفعله كفرا ولا ردة عن ديني، فصدقه رسول الله ﷺ<sup>(4)</sup>. والخطاب موجه إلى جميع المؤمنين-في كل زمان ومكان-تحذيرا من مناصرة الكفار والتودد إليهم بأي وجه من الأوجه.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا إِلَيْهِمْ﴾<sup>(5)</sup>. الخطاب موجه للكافرين بقرينة اللفظ في صلة الموصول. وقد نهوا عن الاعتذار يوم القيمة. فيقال لهم يومئذ: إن المقدرة لا تنفعكم، وإنما تخزون بأعمالكم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، لأنه قد قدم إليكم الإنذار والإعتذار، ولا ينفعكم الاعتذار والتوبية؛ فذلك مردود بعد دخولكم النار التي أعددت لكم<sup>(6)</sup>. وهذا المعنى ورد -أيضا- في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ مَيْدَنٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَكَاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>(7)</sup>. ودلالة النداء تأييس لأهل الكفر.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَرَأَعَنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾<sup>(8)</sup>. يختلف هذا التركيب عن سابقيه-من نفس الصورة-في أن مضمون النداء ورد جملة نهي عطفت عليها جملتان أمريتان، وهذا النظام يلحظ في التراكيب القرآنية إذ أن النهي والأمر يتعاقبان.

(1) آل عمران، 28.

(2) آل عمران، 118.

(3) المائدة، 51.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 3/148، والواحدي، أسباب النزول، ص347، وابن العربي، أحكام القرآن، 4/224، والرازي، مفاتيح الغيب، 29/257، والسيوطى، أسباب النزول، ص300.

(5) التحرير، 7.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 14/524، والرازي، مفاتيح الغيب، 30/42، والخازن، لباب التأويل، 4/316.

(7) الروم، 57.

(8) البقرة، 104.

فقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا: راعنا، وأمرهم أن يقولوا: انظروا. اختلف القراء في الكلمة "راعنا"، فقرأ الجمهور: "راعنا" على أنه أمر من المراعاة، أي: ارعنَا نرَعَك. وفي هذا المعنى جفأ أن يخاطب به أحدُ رسوله<sup>(1)</sup>. وقرأ ابن مسعود: "راعونا"<sup>(2)</sup> على إسناد الفعل لضمير الجمع للتعظيم والتوقير. وهي قراءة شادة. وقرأ الحسن، وابن ليلي، وأبو حية، وابن محيصن: "راعناً" بالتنوين<sup>(3)</sup>. حيث جعل "راعناً" صفة مصدر مذوف، أي: قولًا راعنا. ويحتمل أن يكون وجه النصب بالتنوين على نصب القول، والتقدير: لا تقولوا حمْقاً، كما يقال: قالوا خيراً وقالوا شرًا<sup>(4)</sup>.

فالقرآن نهى عن قول: "راعنا" للرسول ﷺ وأمر بقول: "انظروا". وما كلامتان مترادافتان<sup>(5)</sup>. إلا أن كلمة "انظروا" هي بمعنى: انتظروا وتأن علينا، وكما يقول ابن عطية: "لفظة مخلصة لتعظيم النبي"<sup>(6)</sup>. وأنها تدل "على استدعاء نظر العين المقترب بتدبر الحال. وهذا هو معنى راعنا، فبدللت للمؤمنين اللفظة ليزول تعلق اليهود"<sup>(7)</sup>. فقد كان لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبيه هذه الكلمة، وهي: "رعنَا" ومعناها: "اسمع لا سمعت"<sup>(8)</sup>. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعَ وَرَأَعْنَا لِيَأْسِتُهُمْ وَطَعَنَاهُ فِي الدِّينِ﴾<sup>(9)</sup>.

وقال بعض المفسرين: أرادوا نسبة ﷺ إلى الرعن وهو الحمق والجهل<sup>(10)</sup>. وذلك على سبيل السخرية، وحاشاه أن ينسب إلى ما نسبه إليه اليهود، عليهم لعنة الله تعالى.

وترد بقية هذه الصورة في الموضع الآتية: البقرة، (264)، آل عمران، (156)، النساء، (144)، والمائدة، (2، 41، 57، 101)، والتوبة، (23)، والأحزاب، (69)، والحجرات، (2)، والمحتحنة، (1)، والمنافقون، (9).

(1) ينظر، القراء، معاني القرآن، 1/69، وابن عطية، المحرر الوجيز، 1/425، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/508.

(2) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/302، وابن عطية، المحرر الوجيز، 1/426، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/508، والألوسي، روح المعاني، 348.

(3) ينظر، القراء، معاني القرآن، 1/70، الزمخشري، الكشاف، 1/302، وابن عطية، المحرر الوجيز، 1/425، 426، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/508، والألوسي، روح المعاني، 348/1.

(4) ينظر، القراء، معاني القرآن، 1/70.

(5) ينظر، السرازي، مفاتيح الغيب، 3/203، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/508، واليسابوري، غرائب القرآن، 1/354، والألوسي، روح المعاني، 1/348.

(6) المحرر الوجيز، 1/426.

(7) المصدر السابق، 1/426، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/509.

(8) ينظر، القراء، معاني القرآن، 1/69، 70، والبغوي، معالم التزيل، 1/134، والزمخشري، الكشاف، 1/302، والرازي، مفاتيح الغيب، 3/203.

(9) النساء، 46.

(10) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 1/348، والرحيلي، التفسير المنير، 1/254.

**الصورة الثامنة:** أداة نداء(يا)+منادي+مضمون النداء(جملة نهي)+جملة معتبرضة+جملة نهي معطوفة+جملة معتبرضة

وردت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخُرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾<sup>(1)</sup>.

جملة النهي: "لا يسخر قوم من قوم" ، وقد عطفت عليها جملة "لا نساء من نساء" . والرابط أداة العطف "اللَّوَّا" الدالة على مطلق الجمع والاشتراك بين الجملتين المتعاطفتين. وحذف الفعل اختصاراً، لأنّه معلوم، ولأنّ ما قبله دل عليه. أي: لا يسخر نساء من نساء. والقوم: اسم جمع يدل على الرجال بخاصة دون النساء<sup>(2)</sup>. ومن هذا قول زهير بن أبي سلمى:

أَقْوَمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٌ؟<sup>(3)</sup>

وتنكير "قوم"-في الموضعين-لإفاده الشيوع، لئلا يتصور أحد أن القرآن نهى قوما معينين سخروا من قوم معينين. وإنما أسند المضارع "يسخر" إلى قوم، وعدل أن يقول: لا يسخر بعضكم من بعض، أو لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة. وذلك النهي هو ما كان منتشرًا بين العرب من سخرية القبائل ببعضها من بعض. فوجه النهي إلى الأقوام لتصير قبيلة منهية عن السخرية.

وخص النساء بالذكر- هنا- مع أن لفظ " القوم " يعمهم بطريق التغليب دفعاً لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال، إذ كانت السخرية في النساء أكثر بسبب طبعهن وميلهن إلى السخرية والتهكم من بعضهن.

وجيء بجملة الترجي: "عسى أن يكونوا خيراً منهم" للتفسيـر؛ فهي جملة- معتبرضة بين الجملتين المتعاطفتين- تفيد المبالغة في النهي عن السخرية بـ ذكر ظاهرة متفشية؛ فـ تكون سخرية الساخرين أشنع من المسخور بهم. ويتحمل الساخرون ما اقترفوا من ذنب، لأن الله تعالى نهى عن هذا الفعل الشنيع. ولذا فإن جملة "عسى أن يكونوا خيراً منهم" ليست صفة لـ "القوم"؛ الاسم المحرر بـ "من" ، وإنـا صار النهي عن السخرية خاصاً بما يظن البعض أن المسخور به خير من الساحر. وكذلك القول بالنسبة لجملة "عسى أن يكن خيراً منهاـن" فـ ليست صفة لـ الاسم المحرر "نساء".

فالله تعالى نهى المؤمنين عن السخرية بـ بعضهم بـ جميع أنـواع السخرية؛ فلا يحل لـ مؤمن أن يـسـخـرـ منـ لاـ لـقـبـحـهـ ولاـ لـفـقـرـهـ، ولاـ لـغـيرـ ذـلـكـ<sup>(4)</sup>.

وفي معنى النداء تأديب للأمة الحمدية بـقصد الإـقـلاـعـ عنـ هـذـهـ الصـفـةـ الـذـمـيمـةـ.

**الصورة التاسعة:** أداة نداء(يا)+منادي+مضمون النداء(جملة نهي)+جملة نهي معتبرضة+جملة تعليـيةـ.

(1) الحجرات، 11.

(2) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 12/505، (قوم).

(3) الديوان، ص12.

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 26/390.

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحْلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

مضمون النداء جملة نهي: "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم". وجملة "ولا تعتدوا" معترضة لمناسبة أن تحريم الطيبات اعتداء على ما شرعه الله تعالى. والمراد بالاعتداء: ظلم الناس، والاعتداء على حقوقهم، أو على حقوق الله في أوامره ونواهيه. وما نهى الله ﷺ عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات؛ فالنبي تضمن الأمرين معاً، أي: "لا تتشددوا فتحرموا حلالاً، ولا تترخصوا فتحلوا حراماً"<sup>(2)</sup>. وهو رد على الغلاة المتزهدين والمتصوفين<sup>(3)</sup>.

وقد تظافرت مجموعة روايات في سبب التزول مفادها أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ عزموا على العبادة المفرطة الدائمة، وعلى التقشف المفرط، وترك إتيان النساء، فنهاهم الرسول عن ذلك، ونزلت هذه الآية<sup>(4)</sup>.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: "ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفتر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"<sup>(5)</sup>. ومعنى التركيب: لا تحرموا ما طاب ولذ من الحلال مبالغة منكم في العزم على تحريم تزهداً وتقشفاً، فإن من حرم شيئاً أحله الله فقد كفر. أما ترك متاع الحياة والتفرغ للعبادة من غير إضرار ففضيلة مأمور بها.

وفي هذا النهي تنبئ الأمة الإسلامية على الاحتياز في القول بتحريم شيء لم يرد فيه دليل شرعي.  
**الصورة العاشرة: أداء نداء(يا)+منادي+مضمون نداء(جملة نهي)+جملة حالية+جملة غائية.**

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

مضمون النداء جملة نهي: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى". فنهى القرآن عن قربان الصلاة في حالة سكر. والنهي عن قربان الصلاة أبلغ من أن يقول: لا تصلوا وأنتم سكارى، وذلك للإشارة إلى أن تلك حالة منافية للصلاحة يجب اجتنابها.

وهذا أسلوب سلكه القرآن في عدة مواضع، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾<sup>(7)</sup>، وكقوله:

(1) المائدة، 87.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/5، وبنظر القرطي، الجامع، 6/263، والتعالي، الجواهر الحسان، 1/449.

(3) ينظر، القرطي، الجامع، 6/262.

(4) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 1/318، والطبرى، جامع البيان، 7/11، والكلبى، التسهيل، 1/247، وأبو حيان، البحر المحيط، 4/10.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، 9/178، (كتاب النكاح)، والنمسائي في السنن، 6/46، (كتاب النكاح).

(6) النساء، 43.

(7) الأنعام، 151.

﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(1)</sup>. والقرب هنا مستعمل في معناه المجازي، وهو التلبس بالفعل، ومعناه: لا تلبس به. والمراد النهي عن التلبس بالصلاوة وغشيانها. وبه قال جمهور المفسرين<sup>(2)</sup>. وقالت طائفة: المراد موضع الصلاة، وعلى هذا لا بد من تقدير مضاف، أي: لا تقربوا موضع الصلاة وأنتم سكارى<sup>(3)</sup>. وقال بعض المفسرين: المقصود الصلاة ومواقعها معاً، لأن المسلمين كانوا حيث لا يأتون المسجد إلا للصلاحة، ولا يصلون إلا جماعة، فكانوا متلازمين<sup>(4)</sup>.

وروبي أن هذه الآية نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قبل تحريم الخمر، فقد كانوا يشربونها، ثم يحضرون الصلاة وهم نشاوي، فلا يدركون عدد الركعات التي صلواها، و لا ما يقولون، فنهوا عن ذلك الفعل<sup>(5)</sup>، فيكون الخطاب لجماعة الأمة الصالحين، وأما السكران فليس بمحاطب في ذلك الوقت لذهب عقله، وإنما هو محاطب بامثال ما يجب عليه، ويفكر ما ضيع في وقت سكره من الأحكام التي تقرر تكليفه إياها قبل السكر<sup>(6)</sup>. يقول الشافعي: "فمن صلى سكران، لم تجز صلاته، لنهى الله تعالى إياه عن الصلاة حتى يعلم ما يقول"<sup>(7)</sup> والجملة الاسمية: " وأنتم سكارى" في موضع نصب على الحال، ويتوقف المعنى عليها<sup>(8)</sup>، لأنه تعالى ينهى عن الصلاة في هذه الحال.

والجملة الغائية: " حتى تعلموا ما تقولون" إشارة إلى علة النهي. واستخدم الفعل "تقولون" بدل "تفعلون" لبيان أن السكر يفضي إلى اختلال العقل، وإذا اختل العقل، اختلت أعمال الصلاة، فلا يدرك المصلي ما يقول. ولمعنى: لاتصلوا و الحال أنكم سكارى حتى تكون عقولكم تامة، تميزون بها الخطأ من الصواب، فتعلموا ما تقولون في صلاتكم.

ومثال هذا التركيب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَمُوا مَا نَفَلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾<sup>(9)</sup>.

الجملة الاسمية: " وأنتم حرم" في محل نصب حال. و "حرم" أو "حرم" جمع حرام، بمعنى محرم، والحرم: أصله التلبس بالإحرام. ويطلق على الكائن في الحرم، فيقال: أحمر الرجل إذا أهل بالحج أو العمرة وبasher شروطهما<sup>(10)</sup>.

(1) الأئم، 152.

(2) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 5/99. والقرطى، الجامع، 201/5، والخازن، لباب التأويل، 1/378.

(3) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 1/356، وابن العربي، أحكام القرآن، 1/433، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/265.

(4) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1/434، والقرطى، الجامع، 5/202.

(5) ينظر، القراء، معاني القرآن، 1/270، والطبرى، جامع البيان، 5/98، والواحدى، أسباب النزول، ص 129، والرازي، مفاتيح الغيب، 10/87.

(6) ينظر، القرطى، الجامع، 5/201، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/265.

(7) أحكام القرآن، ص 58.

(8) ينظر، ابن هشام، معنى الليبب، 2/126.

(9) المائد، 95.

(10) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 12/122، (حرم)، والفيروز آبادى، القاموس المحيط، 4/95، (حرم).

ويحمل مضمون النداء النهي عن قتل الصيد. ولفظ الصيد في الجملة عام، إلا أن الآية بعدها خصصت هذا العموم بصيد البر، في قوله: ﴿أَحْلِكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَنَاعًا لَكُمْ وَلِسَيَّارَةٍ وَحَرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدٌ الْبَرِّ مَا دَمْتُمْ حُرْمًا﴾<sup>(1)</sup>.

ويستثنى من صيد البر ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: "خمس فواسق يقتلن في الحرم: العقرب، والفارة، والحداء، والغراب، والكلب العقور"<sup>(2)</sup>.

يقال على هذه كل الحيوانات المفترسة أو الحيات السامة، لأنها في حكم العقرب<sup>(3)</sup>. وما عدا ذلك من حيوانات البر فهو منهي عن قتله في الحرم، وإن قتل الحرم فدا<sup>(4)</sup>. ومعنى الجملة: لا تقتلوا صيد البر وأنتم محرومون بحج أو عمرة.

والظاهر من الجملة أن النداء لجميع المؤمنين. وقيل: إن الآية نزلت في أبي اليسر، واسمـه عمرو بن مالك الأنصاري كان حرماً بعمرـة عامـ الحديـبية، فقتلـ حمارـ وحـشـ<sup>(5)</sup>. ثم صـارـ هـذـاـ الحـكـمـ عـاماـ لـلـمـؤـمـنـينـ، فـلاـ يـجـوزـ لـهـ قـتـلـ الصـيـدـ ماـ دـامـ حـرـمـينـ أوـ فيـ الحـرـمـ. حـرـمـ صـيـدـ البرـ لـتـعـظـيمـ شـأـنـ الـكـعـبـةـ الشـرـيفـةـ، لـأـنـ الصـيـدـ إـثـارـةـ لـلـحـيـوـانـاتـ الـآـمـنةـ حـوـلـهـاـ. وـلـمـ يـحـرـمـ صـيـدـ الـبـحـرـ، إـذـ لـيـسـ بـقـرـبـ مـكـةـ بـحـرـاـ وـلـاـ نـهـراـ<sup>(6)</sup>. فـالـلـهـ تـعـالـىـ حـرـمـ صـيـدـ البرـ عـلـىـ الحـرـمـ، فـلـيـسـ لـهـ أـنـ يـعـرـضـ لـهـ مـاـ دـامـ حـرـمـاـ بـحـجـ أوـ عـمـرـةـ.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيوْتًا غَيْرَ بُيوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(7)</sup>.

لقد وردت عقب النهي جملة غائية: "حتى تستأنسوا...". وهذه قراءة الجمهور. والمعنى في هذه القراءة: تلتمسوا الأنـسـ، أوـ يـائـسـ بـكـمـ صـاحـبـ الـبـيـتـ، فـهـيـ كـنـايـةـ لـطـيفـةـ عنـ الاستـئـذـانـ<sup>(8)</sup>. وكان ابن عباس يقرأ: "تستأذنوا"<sup>(9)</sup> أي: تطلبـوا الإـذـنـ، والاستـئـذـانـ بـمـعـنـىـ الاستـئـنـاسـ<sup>(10)</sup>. فـهـيـ قـرـاءـةـ بـمـعـنـىـ. وتدلـ الجـملـةـ الغـائـيـةـ عـلـىـ أـنـ يـجـوزـ الدـخـولـ بـعـدـ الاستـئـذـانـ وـالـسـلـامـ إـنـ سـعـ صـاحـبـ الـبـيـتـ بـذـلـكـ.

(1) المائدة، 96.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، 8/352، (كتاب الحج)، والنـسـائـيـ فيـ سـنـتـهـ، 5/148، (كتاب مناسك الحج).

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 38، 37/5.

(4) ينظر، المصدر السابق، 38/5.

(5) ينظر، البغوي، معالم التزيل، 2/64، والخازن، لباب التأويل، 2/78.

(6) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/42.

(7) التور، 27.

(8) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/197.

(9) ينظر، الطبرى، جامـعـ الـبـيـانـ، 19/296، وابـنـ جـنـىـ، الـمحـسـبـ، 2/108.

(10) ينظر، ابن جـنـىـ، الـمحـسـبـ، 2/108.

والعطف على الاستئناس، وجعل كلامها غايتها للنهي عن دخول البيت يدل على وجوب القيام بهما معا؛ لأن النهي لا يرتفع إلا بهما.

وسبب نزول هذه الآية أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: "إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يرايني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فلا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي، فماذا أصنع؟".<sup>(1)</sup> ويدل مضمون النداء على أن الاستئذان واجب وكذا السلام؛ فلا يدخل بيت الغير إلا بعد الاستئذان وإلقاء السلام. وسياق الآية لتشريع حكم الاستئذان.

ونظير هذا النهي ورد في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَّهُ﴾<sup>(2)</sup>.

يتألف مضمون النداء من جملة نهي وجملة استثنائية. وجملة الاستثناء: "إلا أن يؤذن لكم" بمعنى: وقت أن يؤذن لكم . فحذف الظرف والمستثنى، وأقيم المصدر "الإذن" المضاف إليه مقامه. وقوله: "غير ناظرين" حال من الفاعل في "لا تدخلوا"، فوقع الاستثناء على الحال والوقت معا، بتقدير: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن. ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. أي: غير متظرين أو متربعين وقت الأكل<sup>(3)</sup>. وهؤلاء نفر من المؤمنين كانوا يتiffinون طعام النبي، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ويطيلون المكث، وكان يتأنى بهم<sup>(4)</sup>.

والنهي للتخييم، أي: لا تدخلوا إليها المتظرين للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير متظرين إدراكه. وليس المراد بالنهي عن دخول بيوت النبي إلى الطعام، فهذا من باب التخصيص بالذكر للمناسبة، لأنه يجوز دخول بيته إلى غيره؛ فدلالة النهي عام.

**الصورة الحادية عشرة: أداء نداء+منادي+مضمون نداء(جملة خبرية).**

وردت هذه الصورة في أربع عشرة جملة. ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَهَّا﴾<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر، الواهidi، أسباب النزول، ص 272، وابن الجوزي، زاد المسير، 6/28، والسيوطى، أسباب النزول، ص 205، 206.

(2) الأحزاب، 53.

(3) ينظر، ابن قبيطة، غريب القرآن، ص 352، والزمخشري، الكشاف، 3/270.

(4) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 3/58، والواحدى، أسباب النزول، ص 298، والنسفى، مدارك التنزيل، 2/352، وابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، 5/490، 489.

(5) النساء، 19.

الخطاب موجه للمؤمنين للتنويه لما خوطبوا به، ليعلم جميع أفراد الأمة، فیأخذوا بحکمه؛ فلا يرثوا النساء كرها، لأن الفعل المضارع "يحل" المنفي بـ"لا" الدال على الحال والاستقبال يرادف معنى التحرير.

وقد تعدى الفعل في قوله: "يرثوا" إلى الموروث "النساء". ثم جيء بالحال "كرها" من النساء، ليدل مضمون النداء عن أحوال كانت قبل الإسلام، منها إرث النساء وهن مكرهات أو كارهات؛ فقد كن كالمال يورثن عن الرجال<sup>(1)</sup>. وتنزيل النساء منزلة الأموال الموروثة للتدليل على شناعة صورة المجتمع آنذاك.

وقرأ الجمهور: "كرها" -بفتح الكاف- وقرأ حمزة والكسائي -بضم الكاف<sup>(2)</sup>- وهم لغتان، "يقال: الْكُرْهَ: المشقة، والْكُرْهَ: أن تكلف الشيء فتتعمله كارها"<sup>(3)</sup>. أي أن الْكُرْهَ-بالضم- ما أكرهت نفسك عليه، والْكُرْهَ-بالفتح- ما أكرهك غيرك عليه<sup>(4)</sup>.

ولهذا فعل القراءة بالضم يكون المعنى أنه يحرم إرثهن وهن غير راضيات. وعلى القراءة بالفتح يكون المعنى أنه يحرم إرثهن إزاماً وإرغاماً، وذلك بأن يزوجن أو يورث مالهن وهن مكرهات<sup>(5)</sup>.

وقد روی في سبب نزول هذه الآية عدة روايات. فقد أخرج البخاري عن ابن عباس، فقال: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم يتزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك"<sup>(6)</sup>. وقيل: نزلت لما توفي أبو قيس بن الأسلت الأنباري، وترك امرأته كبيشة بنت معن الانبارية، فقام ابن له من غيرها، فأراد أن يتزوجها<sup>(7)</sup>. وقال ابن عطية: "كانت هذه السيرة في الأنبار لازمة، وكانت في قريش مباحة مع التراضي"<sup>(8)</sup>. فالآية أبطلت ذلك الحكم السائد في الجاهلية، وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت في بيت زوجها، فإذا انقضت العدة ذهبت حيث أرادت، ولها ما لها وما ورثه عن زوجها.

ومن هذه الصورة-أيضاً- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَنِيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَئْنَانِ ذُوَّا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أَخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، القرطيسي، الجامع، 95/5.

(2) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 1/341، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 195، والقىسى، الكشف، 1/382، وابن الجوزي، زاد المسير، 2/40.

(3) ابن فارس، مجمل اللغة، 3/788، (كره).

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 13/534، (كره).

(5) ينظر، القرطيسي، الجامع، 5/95، والخازن، لباب التأويل، 1/356.

(6) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إخراج واشراف، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، 245/8.

(7) ينظر، الماوردي، النكت والميون، 1/465، والواحدى، أسباب النزول، ص 125، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3/540، والخازن لباب التأويل، 1/356.

(8) المحرر الوجيز، 3/540. وينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/211.

(9) المائدة، 106.

في مضمون الجملة وجوب التوثيق للوصية. وقد كانت الوصية مشروعة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمُؤْتُمِ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا وَصِيرَةً لِلْوَالَّدِينِ وَالْأَقْرَبَينَ﴾<sup>(1)</sup>. وأعيد ذكرها هنا للاهتمام بالوصية قصد بيان التوثيق لها.

والمعنى: شهادة منكم فيما بينكم على وصية أحدكم إذا حضره الموت اثنان مسلمان عدلان أو غير مسلمين. فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في خصوص الوصايا.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرِّكَاجَامِيرًا﴾<sup>(2)</sup>.

مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إن" الناسخة، المسند فيها متصل وهو الضمير "نا" الدال على تعظيم الله تعالى، والمسند جملة فعلية ماضوية، "أرسلناك". وقد اشتغلت على خمسة أوصاف للرسول الكريم، هي: شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا. وهي أوصاف تنطوي على شموليات رسالته، ولذلك اقتصر عليها دون ذكر أوصاف العديدة. والغرض من ذكرها الإشارة والتتنويه بمقامه الكريم، وتذكيره بأركان رسالته.

وانتصب "شاهدًا" وما بعده على الحال من المفعول به "كاف الخطاب"، وهي حال مقدرة، أي: أرسلناك مقدراً أن تكون شاهدا ... على الأمم في الدنيا والآخرة. ومثل سبيوبيه للحال والمقدرة بقوله: "مررت ب الرجل معه صقر صائدا به"<sup>(3)</sup>.

و"شاهدًا" اسم فاعل من فعل ثلاثي متعدد يحتاج إلى مفعول به، وقد يتعدى بحرف الجر، تقول: ... شاهدا على أمته.

واسم الفاعل "مبشرا" معطوف على "شاهدًا". وهو مشتق من الفعل "بشر" الثلاثي المزيد بالتضعيف، ويتعدي بحرف الجر. والمبشر: المخبر بالبشرى، والبشرة هي الحادث المسر لم يخبر به. والرسول مبشر للمؤمنين المتقيين بالفوز بالجنة في الآخرة. وصيغة المبالغة "نذيرا" على وزن "فعيل"، مشتق من الفعل "أنذر" الثلاثي المزيد بالهمزة. والإنذار بمعنى الإخبار بوقوع حادث غير سار. والنبي منذر للكافرين والعصاة من النار. وقدم لفظ " بشيرا" على "نذيرا" ، لأن النبي غالب على رسالته التبشير، فهو مبعوث رحمة للعالمين. و"داعيا" اسم فاعل تعدى إلى لفظ الحاللة "الله" بحرف الجر. والداعي إلى الله هو الذي يدعوا إلى الله دون غيره، أي: بعنانك داعيا إلى الله والإقرار بوحدانيته.

وإضافة المتعلق "بإذنه" لاسم الفاعل "داعيا" للدلالة على أن الله أرسل نبيه داعيا إليه، وقد سهل له سبل التبليغ.

(1) البقرة، 180.

(2) الأحزاب، 45.

(3) الكتاب، 49/2.

و "سراجا" معطوف على ما قبله، وهو تشبيه بلية، أي: أرسلناك كالمصباح في المداية. وقال ابن عطية: هو "استعارة للنور الذي يتضمنه شرعيه، فكان المهدى به والمؤمنين يخرجون بنوره من ظلمة الكفر"<sup>(1)</sup>.  
و "منيرا" وصف للسراج، ووصف "بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليمه ودقت فتيلته"<sup>(2)</sup>.  
ودلالة النداء. تأنيس للنبي ﷺ وتكريم له.

وتكرر نداء الرسول الكريم -في مثل هذه الصورة- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّذِي أَثْيَتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ... وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾<sup>(3)</sup>.

مضمون النداء جملة خبرية "إنا أحللنا لك أزواجك...". وهو خبر أريد به التشريع. ودخلت "إن" الناسخة على الجملة لتأكيد الخبر. والمسند إليه ضمير المتكلمين "نا" يدل على معظم نفسه، وهو الله جل جلاله. والمسند في قوله: "أحللنا لك أزواجهك" مراد به الإباحة.

وتعدى فعل الإحلال إلى المفعول به "أزواجهك" المضاف إلى كاف الخطاب العائد إلى النبي. وتفيد الكاف إلى أنهن الأزواج اللائي في عصمتهم كعائشة وحفصة وأم سلمة -رضي الله عنهن-.  
ووصفت الأزواج بـ"التي أتيت أجورهن" إشارة إلى أنه تم الزواج بهن على حكم النكاح.  
وعطف على هؤلاء النساء آخر، وهن ثلاثة أصناف:

**الصنف الأول:** ما ذكر في قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، أي: مما أعطاك الله من الإمام والغنائم كمارية القبطية أم إبراهيم وصفية وجوبيرية<sup>(4)</sup>.

**الصنف الثاني:** المذكور في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّكَ... الَّذِي هَاجَرَنَّ مَعَكَ﴾. وقد وصفن بـ"اللاتي هاجرن معك" للتنويه بشرف الهجرة وشرف من هاجر. والمراد بالمعية في قوله: "معك": الإشراك في الهجرة لا في الصحبة.

**الصنف الثالث:** ورد في قوله: ﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. اختلف المؤولون فيما إذا كان عند الرسول امرأة وهبت نفسها على قولين: أحدهما: لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له. واستدلوا بقراءة الجمهور: "إن وهبت"<sup>(5)</sup> -بكسر الميم- "إِنْ"، على أن الأداة للشرط، والفعل محمول على المستقبل. والمعنى: يحل لك -يا أيها النبي- المرأة المؤمنة التي تحب نفسها لك وأن تتزوجها بغير مهر إن أرادت. ويكون التشريع على هذا المعنى للمستقبل.

(1) المحرر الوجيز، 12/81.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، 7/230.

(3) الأحزاب، 50.

(4) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 4/413.

(5) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 22/310، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/233.

**الثاني:** أنه كانت عنده امرأة وهبت نفسها له، واستدلوا بقراءة من قرأ: "أن وهبت"<sup>(1)</sup>-بفتح المهمزة-على أن الفعل وقع في الماضي. ويرجح هذا الرأي قراءة زيد بن علي<sup>(2)</sup>: "إذ وهبت"، فـ"إذ" ظرف لما مضى من الزمان، أي: حين وهبت. فالفعل دل على امرأة بعينها<sup>(3)</sup>. وكذلك قراءة ابن مسعود: "وامرأة مؤمنة وهبت"<sup>(4)</sup>. بنصب "امرأة" بالفعل في "أحللنا"، وحذف "إن" على أن الفعلين في قوله: "أحللنا" و"وهبت" يدلان على المضي، والمعنى: "لا جناح عليه أن ينكحها في أن وهبت"<sup>(5)</sup>.

واختلف العلماء فيما وهبت نفسها للنبي، فقال بعضهم: ميمونة بنت الحارث، وقال بعضهم: هي أم شريك بنت جابر، وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة<sup>(6)</sup>. ويكون على هذا الرأي تقرير حكم سابق للنبي وشخص به توسيعة عليه.

ويلحق بهذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ فِلَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ...﴾<sup>(7)</sup>.

يختلف هذا التركيب عن سابقيه -من نفس الصورة- في أن مضمون النداء فيه ورد جملة خيرية معللة، تتالف من مسند "كتب"، وجار ومحرور "عليكم" متعلق بالمسند، ومسند إليه "الصيام"، كما ورد نائب مفعول مطلق "كما كتب"، أي: كتب الله عليكم الصيام كتابة، بمعنى فرضه فرضاً. وذلك لتأكيد حكم الصيام. ثم جاء بجملة تعليلية "لعلكم تتقوون" بمعنى: لتتقوا الذنوب. وحذف المفعول به في هذه الجملة اختصاراً. والغرض من الجملة التعليلية بيان حكمة الصيام ومشروعيته.

ويلاحظ تأخير المفعول فيه -ظرف الزمان- "أياماً" عن عامله بعد جملة الترجي. ولا يضر وقوع الفصل بين العامل "كتب" أو "الصيام"، وبين المعمول "أياماً"، لأن الفصل لم يكن بأجنبي. وهذا اختيار الزمخشري وابن عطية<sup>(8)</sup>. وهو الذي نختاره.

ومعنى "أياماً معدودات": مؤقتات بعد معلوم أو قلائل. والمراد شهر رمضان عند جمهور المفسرين<sup>(9)</sup>. وإنما عبر عن رمضان بأيام، وهي جمع قلة، ووصفت بـ"معدودات" وهي جمع قلة كذلك تسهيلاً وتهويناً على المكلفين بأن هذه الأيام التي يحصرها العد ليست بالكثيرة.

(1) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 22/310.

(2) هو زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب. روى عن أبيه وأخيه محمد بن علي. توفي سنة 123 هـ. ينظر، محمد بن شاكر الكتبى، فوات الوفيات والمذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 2/36، 35.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 11/233.

(4) ينظر، الفراء، معانى القرآن، 2/345.

(5) المصدر السابق، 2/345.

(6) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 22/310.

(7) البقرة، 183.

(8) ينظر، الكشاف، 1/335، والمحرر الوجيز، 2/103.

(9) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 1/237، وابن الجوزى، زاد المسير، 1/185، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/130، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/36.

ومعنى التركيب: فرض عليكم شهر رمضان في أيام مؤقتات كما فرض على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدهم، لتقوا ما حرم عليكم فعله، لأن الصيام كما قال عليه السلام: "الصوم وجاء"<sup>(1)</sup>، لما فيه من قهر النفس وترك الشهوات.

ويدل مضمون النداء على وجوب صيام شهر رمضان بدلالة الفعل "كتب" الذي يفيد الفرضية.

ويلحق بهذه الصورة - كذلك - قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَبَقَائِلَ لِتَعْارِفُوا﴾<sup>(2)</sup>.

استخدم لفظ "الناس" دون لفظ المؤمنين، لأن أغلب النداء في السور المدنية يكون بلفظ المؤمنين. واستعمل هنا بهذا اللفظ لل المناسبة، لأن القرآن ينادي البشرية قاطبة.

أما مضمون النداء فورد جملة خيرية معللة: "إنا خلقناكم... لتعارفوا".

واختلف القراء في قوله: "لتعارفوا"، فقرأ الجمهور: "لتعارفوا" مضارع "عرف" مخدوف التاء. وقرأ الأعمش: "لتعارفوا" بباءين مضارع "تعارف"<sup>(3)</sup>. وقرأ ابن مسعود: "لتعارفوا بينكم"<sup>(4)</sup>. و الظاهر أنها قراءة تفسير لمحالفتها الرسم العثماني. وقرأ أبي، وابن عباس، والضحاك، وابن يعمر<sup>(5)</sup>: "لتعرفوا" بإسكان العين وكسر الراء. وقرأ مجاهد،<sup>(6)</sup> وابن محيصن: "لتَّعارفوا" بباء واحدة مشددة، وبألف وراء مخففة<sup>(7)</sup>.

ويلاحظ أن عامة القراء مالوا إلى التحقيق، والأصل: "لتعارفوا"، فحذفت إحدى التاءين، والمفعول به مخدوف، تقديره عند ابن جني: "لتعرفوا ما أنتم محتاجون إلى معرفته"<sup>(8)</sup>. أو حذف المفعول فيه كما مر في قراءة ابن مسعود. والمعنى واحد، أي: ليعرف بعضكم بعضاً بقرب النسب وبعده. فالله تعالى يخاطب الناس قاطبة بأنه خلقهم من ذكر وأنثى أنساباً وأصهاراً وقبائل وشعوباً للتواصل الاجتماعي، وذلك لحكمة إلهية قدرها. والمقصود التسوية بين الناس جميعاً من حيث الخلق والمنع مما كانت الشعوب تفعله من التفاخر بالأنساب والأحساب.

أما اللام في "لتعارفوا" فهو لام التعليل، أضمرت بعدها "أن" الناسبة للمضارع، أي: لأن تعارفوا، لأن اللام تبين السبب، وهي ليست لام الأمر (الطلب) كما رأى أبو حيان، حيث قال: "...لام في

(1) أخرجه البخاري في الصحيح، 438/6، (كتاب النكاح)، وأبو داود في السنن، 624/2، (كتاب النكاح)، والترمذمي في الجامع الصحيح، 392/3، (كتاب النكاح).

(2) الحجرات، 13.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/516، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/115.

(4) ينظر، المصدر السابق، 13/516.

(5) هو يحيى بن عمر المصري، تابعي جليل. عرض على ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن إسحاق. توفي سنة 90هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/67، 68.

(6) هو مجاهد بن جبر، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين. أخذ عنه القراءة عرضاً ابن كثير وابن محيصن. توفي سنة 103هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/66، 67.

(7) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 7/474.

(8) المحتسب، 2/280.

"لتعارفوا" لام الأمر، وهو أحود من حيث المعنى<sup>(1)</sup>، إلا أن المعنى يستقيم على لام التعليل.

وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الآتي:

البقرة،(178)، والنساء،(174)، والمائدة،(90)، والأنفال،(64)، والحج،(49)، والتغابن،(14).

**الصورة الثانية عشرة: أداة نداء + منادى + مضمون نداء (جملة استفهامية).**

وردت في أربعة مواضع، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ افْرُوا فِي سَبِيلِ

اللهِ اثْأَلْتُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

في مضمون النداء تحريض على الجهاد في سبيل الله بأسلوب اللوم والعتاب على التباطئ بإجابة دعوة النفير إلى الغزو. والمراد بذلك غزوة تبوك. قال ابن عطية: "هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من المحرقة بعد الفتح بعام، غزا فيها الروم في عشرين ألف بين راكب وراجل، وتختلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقين"<sup>(3)</sup>.

وجملة الاستفهام: "ما لكم...؟" تتألف من مسند إليه "ما" ومسند "لكم". والاستفهام يفيد الإنكار، والمعنى: أي شيء يمنعكم عن النفير؟

و"إذا" ظرف بمعنى "حين"، وقد تعلق بمعنى الاستفهام الإنكري على معنى أن الإنكار قد حدث في ذلك الزمان الذي قيل لهم فيه: "انفروا في سبيل الله". وليس مضموناً لمعنى الشرط، لأنه ظرف يحمل دلالة الزمن الماضي بخلاف الشرط الذي يدل على المستقبل.

وجملة "اثاقلتكم إلى الأرض": في موضع نصب حال من ضمير الجماعة. وتلك الحالة هي محل الإنكار على المحاطبين. أي: ما لكم متشاقلين إذا قيل لكم انفروا؟.

والفعل في قوله: "اثاقلتكم" أصله: تثاقلتكم، كقراءة الأعمش. وقد أدخلت التاء في الثاء لتقارب مخرجيهما، ثم احتاج إلى ألف الوصل<sup>(4)</sup>.

والتشاقل: تكليف الثقل، والمعنى إظهار الثقل بحيث يصعب النهو. وعدى فعل التشاقل بـ"إلى"، لأنه ضمن معنى الخلود والميل<sup>(5)</sup>. أي: خلدمكم أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم.

(1) البحر المحيط، 8/116.

(2) التوبية، 38.

(3) المحرر الوجيز، 6/493.

(4) ينظر، المصدر السابق، 6/495.

(5) ينظر، المصدر السابق، 6/495، وأبو حيان، البحر المحيط، 5/44.

وفي معنى "اشاقلتم إلى الأرض": تصوير لحال الذين كرهوا الجهاد طلباً للمراجعة وخوفاً من ملاقاً جيش الروم.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

دخلت اللام المفيدة للتعليل على "ما" الاستفهامية التي تدل على الشيء المهم المراد تعينه. والمعنى: لأي شيء تقولون قولاً وخالفونه عملاً؟.

والاستفهام عن العلة مستخدم في إنكار أن يكون سبب قول المؤمنين ذلك مرضياً لله عَزَّوجَلَّ. فقد روى الفراء في سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناه، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد تولوا عن رسول الله ﷺ حتى شج وكسرت رباعيته<sup>(2)</sup>.

والظاهر مما أورده الفراء أن يكون القول الذي قالوه وعداً وعدوه ولم يفوا به. وفي ذلك تحذير لهم من الواقع في مثل ما وقعوا فيه يوم أحد بطريق الرمز والإشارة.

وكذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيِّبُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلَيْمٌ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِآمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

جواب النداء جملة استفهامية "هل أدلكم...؟" وجاء هذا الجواب لما قال المؤمنون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه؟<sup>(4)</sup> وجعل ذلك منزلة التجارة، لأنهم يرجحون فيها رضى ونيل جنته والنجاة من النار. ثم بين الله تعالى تلك التجارة، فقال "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله...".

وأختلف القراء في قوله: "تؤمنون" و "تجاهدون" ، فقرأ الجمهور: "تؤمنون" و "تجاهدون" وقرأ عبد الله بن مسعود: "آمنوا" و "جاحدوا" على أئمماً أمران. وقرأ زيد بن علي: "تؤمنوا" و "تجاهدوا"<sup>(5)</sup>، وذلك بمحذف نون الرفع على الحزم بلام الطلب المحذفة، أي: لـتؤمنوا ... وـتجاهدوا.

أما توجيه قراءة الجمهور، فقال المبرد: قوله "تؤمنون" يعني: آمنوا، فجاء على صورة الخبر، ومعناه الأمر<sup>(6)</sup>.

(1) الصف، 2.

(2) معاني القرآن، 3/153، وينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 3/357، والواحدى، الوسيط، 4/291، وابن عطية، المحرر الوجيز، 14/424.

(3) الصف، 10-11.

(4) ينظر، البغوي، معلم التزييل، 4/338، والخازن، باب التأويل، 4/288.

(5) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 3/359، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 708، وابن عطية، المحرر الوجيز، 14/433.

(6) ينظر، المقتصب، 2/82، 135.

والقول نفسه ذكره الزمخشري، فهو يرى أنه استئناف وقع في جواب الاستفهام<sup>(1)</sup>. وعند العكيري وابن هشام يصح أن يكون بدل من "تجارة"<sup>(2)</sup>. وهو ما يرفضه أبو حيان إلا على تقدير "أن" المصدريه<sup>(3)</sup>.

والحقيقة أن المضارع "تؤمنون" يفسر غموض الكلمة "تجارة". ولم يقل: "أن تؤمنوا"، لأن العرب إذا فسّرت الاسم يفعل تثبت في تفسيره "أن" أحياناً، وتطرحها أحياناً أخرى، فيقال: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ وهل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟ بذكر "أن" وحذفها<sup>(4)</sup>. يقول الفراء: لو قيل في قراءتنا: "أن تؤمنوا"، لأن ترجمة للتجارة لكان صواباً<sup>(5)</sup>.

أما المضارع "يغفر" في قوله: "يغفر لكم ذنوبكم"<sup>(6)</sup>. فهو محزوم لوقوعه في جواب الاستفهام في قراءة الجمهور، كأنه قيل: هل تتجررون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ ووجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد<sup>(7)</sup>، لأن المعنى: فإنك إن تفعل أفعالاً. أما في قراءة عبد الله وزيد بن علي، فهو محزوم لوقوعه في جواب الطلب الظاهر.

وأختلف - كذلك - في قوله: "تَنْجِيْكُمْ" ، فقرأ بن عامر بفتح النون وشد الجيم، من الفعل "نجي" ، "يننجي" . وفيه دلالة التكثير. وقرأ الجمهور بتحقيق النون وكسر الجيم دون شد من "أنجى" ، "يننجي" . ويدل على القليل والكثير<sup>(8)</sup> .

والقراءتان لغتان مستعملتان في القرآن، فقد جاء بهما إجماعاً. ومن ذلك قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾<sup>(9)</sup> . و﴿فَأَنْجَاهُ اللَّه﴾<sup>(10)</sup> . و﴿وَبَيْجِينَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(11)</sup> .

وفي دلالة الاستفهام ترغيب وتشويق. فقد جعل الله العمل الصالح لنيل الرضوان بمنزلة التجارة؛ لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة.

ومن هذه الصورة - كذلك - قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ بَئْتَغِي مَرْضَاتَ أَنْوَاجِكَ﴾<sup>(12)</sup> .

(1) ينظر، الكشاف، 99/4.

(2) ينظر، التبيان في إعراب القرآن، 2/1221، ومعنى الليب، 2/41.

(3) ينظر، البحر المحيط، 4/99.

(4) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 28/84.

(5) ينظر، معاني القرآن، 3/154.

(6) الصف، 12.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 4/100.

(8) ينظر، السمرقندى ، بحر العلوم، 3/359، والقىسى، الكشف، 2/320، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 708.

(9) الأعراف، 64.

(10) العنكبوت، 24.

(11) فصلت، 18.

(12) التحرير، 1.

الخطاب لرسول الله ﷺ لما حرم جاريته مارية القبطية، وذلك حين خلا بها في بيت إحدى زوجاته، فاطلعت عليه، فقالت له: يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها، أي مارية عليه حراماً ترضية لصاحبة البيت<sup>(1)</sup>. والاسفهان في قوله: "لم تحرم ... ؟" مستخدم في معنى النفي، كأنه قال: لا يوجد ما يدعوك إلى التحرم. وفعل "تحرم" من التحرير على وزن "تفعيل"، بمعنى تصوير، أي: تجعل ما أحل لك حراماً؛ بمعنى: تحرمه على نفسك دون كونه حارماً. وهذا التحرير تحرير امتناع، لا تحرير اعتقاد لكونه حراماً. فالنبي حرم مارية إرضاء لأزواجه مع اعتقاده أن ذلك حلال<sup>(2)</sup>.

والجملة الموصولة: "ما أحل الله لك" حذف منها المفعول به، والتقدير: ما أحله الله لك. وجيء بالموصول "ما" لما في الصلة من الإشارة إلى تعليل الحكم الشرعي هو أن ما أحله الله ينبغي أن يتمتع به لا أن يحرم.

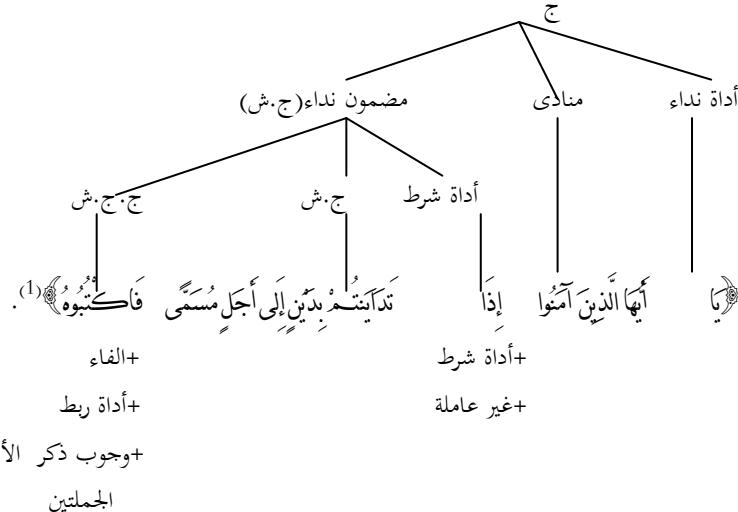
والجملة المضارعية: "تبغى مرضاه أزواجه" حالية في محل نصب من فاعل "تحرم"، أي: لم تحرم مبتغيها به مرضاه أزواجه؟ وقد تكون استفهامية ، حذفت منها أداة الاستفهام(المهزة) ، وناب عنها التبغيم، أي: أتبغى؟ وفي مضامون هذه الجملة إشارة إلى عذر الرسول فيما فعله من أنه يتبعي حلب رضا أزواجه بسبب ما نشأ بينهن من غيرة. فأخبر أن رأيه في غير محله، وأنه ينبغي أن يعدل عنه. وفي معنى النداء عتاب منه تعالى إلى رسوله.

### الصورة الثالثة عشرة: أداة نداء+ منادي+ مضامون نداء(جملة شرطية).

وردت هذه الصورة في اثنين وعشرين جملة، ومنها الآتي:

(1) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 3/165، والجصاص، أحكام القرآن، 3/621، والقرطبي، الجامع، 18/178، 179/178، وابن عطية، المحرر الوجيز، 14/510، وأبو حيان، البحر المعجظ، 8/284.

(2) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 4/312.



تحتاج هذه الصورة عن السابقة في أن مضمون النداء ورد جملة شرطية، تتألف من أدلة شرط "إذا"، وجملة شرط ماضوية "تدانتم بدين إلى أجل مسمى"، وجملة جواب أمرية "فاكتبوه"، والضمير "الماء" عائد إلى "دين" في جملة الشرط.

والظاهر من البنية السطحية لجواب النداء أنه للوجوب. وقال أغلب علماء التفسير: أنه أمر ندب وإرشاد، يصان به المال، ويزال به الشك<sup>(2)</sup>، لغلا يقع المتداينين في الخصومات. وفي ذلك تعليم لذوي الحقوق حتى لا يتسللوا في أمر المعاملات، ثم يصلوا إلى المنازعات بعد ذلك.

والخطاب موجه إلى المؤمنين جميعاً. والمقصود منه خصوص المتداينين، والأخص بالخطاب هو المدين، ليجعل دائنه مطمئناً على ماله، وإن لم يطلب الكتابة<sup>(3)</sup>.

والمعنى: اكتبوا الدين الذي تدانتموه إلى وقت معلوم من بيع كان أو سلماً أو قرضاً أو غير ذلك.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

النداء بـ"يا أيها الذين آمنوا" عام في المؤمنين. والإشارة بذلك وقت نزوله إلى الأوس والخزرج بسبب ثائرة شاس بن قيس اليهودي الذي يذكر أنه كان شديد الحقد على المسلمين،

(1) البقرة، 282.

(2) ينظر، البغوي، معلم التنزيل، 1/267، وابن عطية، المحرر الوجيز، 2/501، وابن العربي، أحكام القرآن، 1/248، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/359.

(3) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/98.

(4) آل عمران، 100.

فذكر رجال القبيلتين بما كان بينهم في الماضي من أحقاد لإثارة الفتنة<sup>(1)</sup>. ومضمون النداء جملة شرطية، تتربّع من شقين متلازمين:

-**جملة الشرط**: "إن تطعوا فريقا...". وتكون من: أداة شرط حازمة، و فعل شرط "تطعوا" يدل على الاستقبال، وقد أُسند إلى "واو الجماعة". المراد به: الأوس والخزرج، وتعدى إلى المفعول به "فريقا". المراد به: الأحبار ورؤوس القوم.

-**جملة جواب الشرط**: "يردوكم بعد إيمانكم كافرين". تتّالُف من المضارع المجزوم في قوله: "يردوكم"، وقد أُسند إلى "واو الجماعة"، وتعدى إلى مفعولين: "كم" المخاطب به الأوس والخزرج، و"كافرين"، لأن الرد هنا-التصريح<sup>(2)</sup>. أي: يجبرونكم، كقول الشاعر:

فَرَدَ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً      وَرَدَ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودًا<sup>(3)</sup>

ومعنى التركيب: "إن حملتم السلاح فاقتتلتم كفراً"<sup>(4)</sup>. إلا أن "الكفر المشار إليه هنا ليس بكفر حقيقة، لأن سبب النزول هو إلغاء العداوة بين الأوس والخزرج، ولو وقعت لكانت معصية لا كفراً"<sup>(5)</sup>.

فالله تعالى حذر المؤمنين من إغواء اليهود وإضلالهم، ومنعهم عن الالتفات إلى أقوالهم، فبين لهم إن لانوا وقبلوا ما قاله الحاسدون أدى بهم حتما إلى أن يصيروا كفاراً بعد أن من الله عليهم بالإسلام، كما جاء في قوله: ﴿وَدَّ

كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْيَرُدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(6)</sup>.

ومن هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(7)</sup>.

مضمون النداء جملة شرطية: "إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا". وتتألُف من:

-**جملة فعل الشرط**: "ضررت في سبيل الله". تقول العرب: ضربت في الأرض، إذا سرت لتجارة أو غزوة أو غير ذلك، فيتعدي الفعل بـ"في".

-**جملة جواب الشرط**: جاءت أمرية "فتبيّنوا". وتطلب ربطها بالفاء وجوباً لتغاير الجملتين.

(1) ينظر، الواهدي، أسباب النزول، ص 99، والبغوي، معالم التزيل، 1/331، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3/243، والخازن، لباب التأويل، 1/275، والقرطبي، الجامع، 4/155.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/17، وابن هشام، أوضح المسالك، 1/217.

(3) البيت للكمي، ينظر، القالي، كتاب الأمالي، 3/115.

(4) الطبرى، جامع البيان، 3/373.

(5) أبو حيان، البحر المحيط، 3/17.

(6) البقرة، 109.

(7) النساء، 94.

قرأ الجمهور: "فتبنوا" بالباء، وقرأ حمزة والكسائي: "فتبتوا" بالشاء<sup>(1)</sup>. وكلاهما على وزن "تفعل"، بمعنى: است فعل التي تأتي لدلالة الطلب، بمعنى: اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تقدموا من غير روية وإيضاح<sup>(2)</sup>. أو قفوا واثبوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر قبل الإقدام عليه<sup>(3)</sup>.

وقيل: إن "تبينوا" أشد وأبلغ من "تثبتوا"، لأن المثبت قد لا يتبيّن الشيء<sup>(4)</sup>. وقيل: -أيضاً- إن "من أمر بالتبين فقد أمر بالثبت"، يقال: تبيّنت الأمور، وتبيّن الأمور بنفسه، فهو متعد ولازم<sup>(5)</sup>. وحاصل معنى القراءتين: أن القراءة بالشاء "فتبتوا"، أي: تأموا، ولا تقدموا وقفوا حتى يتضح الأمر<sup>(6)</sup>. والقراءة بالباء "فتبنوا"، أي: افحصوا واكتشفوا حتى تبيّن لكم الحقيقة. ففيها أمر زائد على مجرد التوقف والتأمّل، وهو الحث على التبيّن وكشف الحال<sup>(7)</sup>، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبيّن، ففي هذه القراءة تأكيد. ويكون الاختيار لها لعموم لفظها، وأن جمهور القراء عليها<sup>(8)</sup>.

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا إن التبيّن من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا"<sup>(9)</sup>. فالمراد من التبيّن - هنا - التثبت.

ويذكر لسبب نزول هذه الآية عدة روایات، أشهرها: إن سرية من سرايا الرسول لقيت رجالاً له غنيمة، فحمل عليه أحدهم فقتله<sup>(10)</sup>.

وفي معنى النداء وجوب التبيّن في الأحكام الشرعية، وعدم التسرّع في أمر القتل لخطورته، وأنه يكتفى في الحكم على الشخص بالإسلام، وذلك بنطقه بالشهادتين دون استبطان عما في القلب، لأن ذلك متربّك لله سبحانه وتعالى<sup>(11)</sup>. فالحكم عام، ولكنه خص السفر بالذكر، لأن الحادثة التي نزلت فيها الآية وقعت في السفر. والمقصود المبالغة في تحريم قتل الأنفس البريئة، وأمر المجاهدين بالتبين والتثبت فيه حتى لا ترهق الأرواح

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/183، أبو حيان، البحر المحيط، 3/342، وابن الجوزي، الشر، 2/251، والمعالي، الجوادر الحسان، 1/377.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/342، والكلبي، التسهيل، 1/205، والنسيفي، مدارك التنزيل، 1/274.

(3) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 1/466، وابن عطية، المحرر الوجيز، 4/183، أبو حيان، البحر المحيط، 3/342.

(4) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 11/3، والقرطبي، الجامع، 5/337.

(5) ينظر، القرطبي، الجامع، 5/337.

(6) ينظر، بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 2/518.

(7) ينظر، المرجع السابق، 2/518.

(8) ينظر، الواحدى، أسباب النزول، ص 146، 147، والقرطبي، الجامع، 5/337.

(9) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر أحمد الرواوى، ومحمد الطناхи، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 1/175.

(10) ينظر، الواحدى، أسباب النزول، ص 146، 147، والرازي، مفاتيح الغيب، 1/3، والخازن، لباب التأويل، 1/413، والقرطبي، الجامع، 5/336، والمعالي، الجوادر الحسان، 1/377.

(11) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1/481، وهبة الرحيلي، التفسير المنير، 5/217.

ه德拉، أو تسفك دما حراما بتأويل ضعيف<sup>(1)</sup>. ويكون فحص الأمر وكشفه واجبا في من التبس أمره، ولم يعلم يقينا أنه عدو الله.

ونظير هذه الجملة ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِّإِنَّمَا قَبَيْنَا﴾<sup>(2)</sup>.

وكان اختلاف القراء -أيضا- في لفظ "فتبنوا" على ما مر بنا في الآية السابقة.

الخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا" للرسول وللمؤمنين معه، ويظل الخطاب للمؤمنين عامة.

وقد ذكر أغلب المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المطلق ليأتي بصدقائهم، إلا أنه عاد دونها بحجة أن القوم منعوه وأرادوا قتلهم<sup>(3)</sup>.

ومضمون النداء جملة شرطية جوابها أمر على سبيل الوجوب. وقد جيء بـ "أن" التي "تدل على الشرط المشكوك في وقوعه"<sup>(4)</sup>، وذلك لأن أصحاب رسول الله ﷺ لهم منزلة لا يتحقق لأحد أن يخبر عنهم بكذب، وما وقع من الوليد يعد من الندرة. والدلالة الزمنية لفعل الشرط استقبال، لأنه يشترط فيه ألا يكون ماضي المعنى<sup>(5)</sup>. وتنكير الكلمة "فاسق"، وـ "بِإِنْ" في سياق الشرط يدل على العموم في الفساق بأي فسق اتصفوا. ومعنى التركيب: إن يأتكم أي فاسق بأي نبا فتأملوه وتفحصوه لتعرفوا حقيقته.

وهذه الآية ترد على من قال أن المسلمين كلهم عدول حتى ثبتت حقيقة الخبر، لأن الله تعالى أمر المؤمنين بالتبين في حقائق الأمور قبل القبول<sup>(6)</sup>. فلا يعتمد على شهادة مجھول الحال، ولا يبني عليه حكم، إلا بعد التبین والتثبت معاً<sup>(7)</sup>. فلا يجوز ترك أي واحد منها<sup>(8)</sup>. وذلك ل الاحتياط، فلا يحكم بقول قد يكون صاحبه كاذباً أو مخاطئاً، فالامر بتبيان الخبر واجب في القضاء، فلا يتبع الحكم أو القاضي القيل والقال، ولا ينساق وراء الشكوك والأوهام.

(1) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 223/5، والقىسى، الكشف، 394/1، والرازى، مفاتيح الغيب، 11/3.

(2) الحجرات، 6.

(3) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 383/11، والواحدى، أسباب النزول، ص 322، والزمخشري، الكشاف، 3/560، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/109.

(4) الأهدل، الكواكب الدرية على متممة الأجرومية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1995، 2/500، وينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/560، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/109.

(5) ينظر، العكربى، الباب، 2/52، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 439.

(6) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 13/493.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 3/560، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/109.

(8) ينظر، حسن ضياء الدين عتر، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار الشانز الإسلامية، بيروت، ط 1988، 1، ص 206.

ويما مثل هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنَا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ وَامْسَحُوا بِرُуْسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(1)</sup>. ومضمون النداء جملة شرطية "إذا قمت إلى الصلاة فاغسلوا...".

وقال الأنباري: إن المرافق والكعبين داخلة في الغسل، لأن "إلى" يعني "مع"، أي: مع المرافق ومع الكعبين<sup>(2)</sup>.

وأختلف القراء في اللام من قوله: "وأرجلكم". فقرأ نافع، والكسائي، وابن عامر، وحفظ عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب-بالنصب- عطفا على "وجهكم وأيديكم". وهذه القراءة متواترة<sup>(3)</sup>.

وكل من قرأ بالنصب جعل العامل الفعل في قوله: "فاغسلوا"، وبني على الفرض في الرجلين الغسل بالماء دون المسح، وهذا هو مذهب الجمهور، وعليه فعل النبي ﷺ، وهو اللازم من قوله، وقد رأى قوما يتوضؤون وأعقاهم لم يمسسها الماء، فنادى بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار"<sup>(4)</sup>.

وتكون جملة "وامسحوا برؤوسكم" معتبرضة بين المتعاطفين. وكأن فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء. ومن هنا أخذ العلماء بوجوب الترتيب حسبما ورد في الآية الكريمة. أما الباء "هنا" فتفيد معنى الإلصاق، أي لتعليق أحد المعنيين بالأخر حقيقة، والمعنى: اجعلوا المسح ملائكة برؤوسكم<sup>(5)</sup>.

وقرأ أبو عمرو، وأبن كثير، وحزنة، وأبو بكر عن عاصم، وخلف-بالخفظ- عطفا على "برؤوسكم". ومعنى "إذا قمت إلى الصلاة" إذا عزتم عليها، لأن القيام يطلق في لغة العرب بمعنى العزم على الفعل. قال النابغة الذبياني:

فَقَامُوا، فَقَالُوا: حَمَانًا غَيْرُ مَقْرُوبٍ      نُبْتِ حِصْنًا وَحِيًّا مِنْ بَيْنِ أَسْدٍ<sup>(6)</sup>

والمعنى: عزموا أمرهم فقالوا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُهُ﴾<sup>(8)</sup>. أي: لما عزم. وفي معنى "قمتم"- كذلك- عمدتم بقرينة تعدية الفعل بـ"إلى"، أي: إذا عمدتم إلى الصلاة<sup>(9)</sup>.

(1) المائدة، 6.

(2) ينظر، مسائل الخلاف، 248/1.

(3) ينظر، الداني، التيسير، ص 82، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 4/369، والأبا ربي، مسائل الخلاف، 2/125، وابن الجزري، النشر، 2/254.

(4) آخرجه مسلم في صحيحه، 1/213، (كتاب الطهارة)، وبن ماجة، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1975/154، (كتاب الطهارة وسننها).

(5) ينظر، الزركشي، البرهان، 4/253، والكتبي، الكليات، ص 228.

(6) ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 4/369، والأبا ربي، مسائل الخلاف، 2/125، والقرطبي، الجامع، 6/91، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/452.

(7) الديوان، ص 14.

(8) الجن، 19.

(9) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/128.

أما مضمون النداء فظاهر جملة الشرط الأمر بالوضوء عند كل صلاة، لأن الأمر بغسل ما أمر بغسله شرط بـ"إذا قمت"، فوجب غسل الأعضاء المذكورة عند القيام لكل صلاة إلا أن جمهور العلماء حملوا الآية على معنى: إذا قمت إلى الصلاة إن كنتم محدثين أو جنبا فاغسلوا<sup>(1)</sup>. فحذفت أداة الشرط، وفعل الشرط في هذه الجملة لاقتضاء المعنى.

وقد اختلف في أن المرافق والكهفين مغسولة أو متروكة؟. والظاهر أنها تغسل بدلاله "إلى" في قوله: "فاغسلوا... إلى المرافق... إلى الكعبين"، لأنها تدل على الغاية، فهي معنى "حتى". والأصل في الغاية في الحد أنه داخل في المحدود<sup>(2)</sup>.

فيكون حكم الأرجل هو المسح، لأنها معطوفة على "رؤوسكم" لفظاً ومعنى. ويحتمل أنها معطوفة لفظاً لا معنى فيكون حكم الأرجل الغسل على الجوار، إذ العرب تخفض الكلمة بجاوزتها للمحفوظ. ولو اعتربنا هذه القراءة تدخل في هذا الباب لرجوع معنى هذه القراءة إلى القراءة بالنصب، فلا تفيد القراءة عندها إلا حكماً واحداً، وهو غسل الرجلين، فتكون قراءة النصب موضحة لقراءة الخفيف<sup>(3)</sup>.

وقرأ الحسن: "وَأَرْجُلُكُمْ" بالرفع<sup>(4)</sup>. وذلك على الابتداء، والخبر مذوف، والتقدير: وأرجلكم مغسولة أو نحو ذلك<sup>(5)</sup>. فيكون حكم الأرجل الغسل. ويتفق معنى هذه القراءة بالقراءة المتواترة بالنصب.

ومما يمثال هذه الصورة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيمْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَرْحِفًا فَلَا تُوكُدُ هُمُ الْأَدْبَارُ﴾<sup>(6)</sup>.

ت تكون بنية الجملة الشرطية (مضمون النداء) من: أداة شرط "إذا"، و فعل شرط "القيمت" مسند إلى ضمير المخاطبين، متعد إلى مفعول به "الذين"، وحال "رحفاً" ، تبين حالة جيش الكفر، وهم كثيرون العدد. وجواب شرط جملة نهي "فلا تولوهם الأدبار". الفعل فيها "ولى" متعد إلى مفعولين بسبب التضعيف، وهما: ضمير الغائبين المتصل بالفعل "هم" - العائد على "الذين كفروا" -، و"الأدبار".

وجملة النهي "ولا تولوهם الأدبار" إشارة وكتابية عن الفرار من العدو يوم الرحم. وهذه الآية نزلت بعد وقعت بدر<sup>(7)</sup>. وقد نهى الله مؤمنين عن التقهر إذا لاقوا العدو، لتوقع حدوث غزوات قوية يكون فيها جيش المسلمين قليلاً، كما كان الحال في غزوة بدر التي نصر الله فيها المؤمنين رغم قلة العدد والعدة.

(1) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 2/18، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 4/364، والطبرسي، مجمع البيان، 3/213، عبد الفتاح أحمد الحموز، التأويل الحوي في القرآن الكريم، 1/630.

(2) ينظر، سيبويه، الكتاب، 4/231.

(3) ينظر، بازمول، القراءات وأثرها في تفسير الأحكام، 2/523.

(4) ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 4/370.

(5) ينظر، ابن جني، المحتسب، 1/208، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 6/142.

(6) الأنفال، 15.

(7) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 4/469، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/286، ومحمد علي الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن، دار القلم العربي، حلب، سوريا، (د.ت.)، 1/427.

ومعنى التركيب: يا أيها المؤمنون إذا لقيتم جماعاً كثيراً من الكافرين وأنتم قليلو العدد، وقد دنوا منكم للقتال، فلا تراجعوا منهزمين، ومن يتراجع فقد استوجب غضب الله<sup>(1)</sup>.

فالنصوص الشرعية تدل حرمة الفرار حين الزحف، إلا إذا كان لخدمة أو للانضمام إلى صفوف جيش المسلمين<sup>(2)</sup>، ليتسنى لهم قتال الكافرين والتمكن منهم.

ونظير هذه الجملة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَابْتُوْلُوا﴾<sup>(3)</sup>.

عرف المنادى بالوصولية لما تؤذن به صلة الموصول من الاستعداد لامثال أمر الله تعالى الذي ورد في الجملة الشرطية (جواب النداء)، وذلك في جواب الشرط في قوله: "فاثبتو". وفعل الشرط المستند إلى ضمير المحاطبين-الدال على المؤمنين-تعدى إلى مفعول به "فتنة" وهو موصوف، وحذفت الصفة المقدرة بـ"كافرة"، لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار. وللقاء هنا-يدل على القتال والمنازلة.

ومعنى الجملة: إذا حاربتم -أيها المؤمنون- جماعة من الكفار فلا تفرروا أمامهم، وألزموا الثبات في أماكن الحرب مستظهرين بذلك الله مستنصرين به داعين النصر على عدوكم. يقول ابن عطية: "هذا أمر في داعية إلى النصر وسبب العز، وهي وصية من الله متوجة بسبب التقييد الذي في آية الضعف".<sup>(4)</sup> وفي معنى الآية جاء عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألو الله العافية، فإذا لقيتموه فاثبتو".<sup>(5)</sup>

في هذه الجملة بيان أسباب النصر وعوامله، ووجوب الأخذ بها في كل وقعة عند احتدام القتال بأن يثبتوا في وجه العدو وأن يصدوا حتى لكانهم جبل شمخ لا تزعزعه الأهواء.

ومن هذه الصورة- كذلك- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.<sup>(6)</sup>

النداء خطاب للمؤمنين. ومضمون النداء جملة شرطية "إذا نودي...". فعل الشرط فيها مبني للمجهول "نودي". والنداء للصلوة هو الآذان لها. وللصلوة يعني بذلك الجمعة دون غيرها، لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلوة.

(1) ينظر، السمرقدي، بحر العلوم، 10/2، والخازن، لباب التأويل، 2/299.

(2) ينظر، الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن، 1/427، وابن عاشور، التحرير والتبيير، 9/289.

(3) الأنفال، 45.

(4) المحرر الوجيز، 6/327. آية الضعف إشارة إلى قوله تعالى، "لَا نَخْفِي اللَّهَ عَنْكُمْ وَعْلَمَ أَنْ فِيهِمْ ضُعْفًا". الأنفال، 66.

(5) آخرجه الدارمي في السنن، دار الفكر، القاهرة، 1978، 2/216، (كتاب الجهاد).

(6) الجمعة، 9.

وأداة الجر "من" في قوله : "من يوم الجمعة" للتبعيض؛ فإن يوم الجمعة زمان تقع فيه أعمال كالصلوة، أو طرفية بمعنى "في". ويجوز أن تكون لبيان "إذا" الشرطية. ودل على التخصيص إضافة "يوم" إلى "الجمعة".  
وجواب الشرط "فاسمعوا" فعل أمر ارتبط بالفاء وجوباً لتغاير الجملتين. وقد تعدد بـ"إلى"، ثم أضيف المحرور "ذكر" إلى اسم الحالة "الله". والمراد بـ"ذكر الله" الخطبة والصلوة.  
والمأمورون بالسعى هم المؤمنون. ومعنى "فاسمعوا" على قراءة الجمهور: أن يكون في المشي خفة وسرعة دون عدو<sup>(1)</sup>. أما قراءة عبد الله وبعض الصحابة: "فامضوا" أي: امشوا دون سرعة<sup>(2)</sup>. فتحمل على التفسير من حيث لا يراد بال усили -هنا- الإسراع، ففسروه بالمضى، ولا يكون قرآننا لمخالفته ما أجمع عليه المسلمون<sup>(3)</sup>.  
ويبدو غموض المعنى في قراءة الجمهور لمخالفته ما جاء عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتواها تمثون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا"<sup>(4)</sup>.  
ووضحت القراءة الشاذة المقصود من السعي في القراءة المتواترة، وأنه السعي القلي، لا المشي السريع، بمعنى: انشغلوا بها وأقبلوا عليها فلا تفوتكم. فيبيت أن (ال усили) يقصد به (المضى)، لأن (المضى) ليس مدلول السرعة<sup>(5)</sup>.  
وحضور الجمعة واجب عند الجمهور لقول رسول الله ﷺ: "الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة، عبد ملوك، أو امرأة أو صبي أو مريض"<sup>(6)</sup>.

وكذلك الأمر بترك البيع يكون واجباً إذا أذن المؤذن للصلوة<sup>(8)</sup>. فيقتضي تحريم التجارة في ذلك الوقت إلى حين الفراغ من صلاة الجمعة. والأمر بتترك البيع يقتضي ترك الشراء، وهذا بدلالة المقام. ففي الجملة حذف المعطوف، والتقدير: وذروا البيع والشراء. وحذف لوضوحه وسهولة تقاديره. ويقاس على ترك البيع والشراء كل ما يشغل عن المشاركة في صلاة الجمعة.

(١) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 4/105، ابن عطية، المحرر الوجيز، 14/447، والرازي، مفاتيح الغيب، 30/8، وأبو حيّان، البحر المحظى، 8/264.

<sup>(2)</sup>ينظر، الفراء، معاني القرآن، 3/156، والطبرى، جامع البيان، 28/95، 94، وابن جنوى، المحتسب، 2/322.

<sup>(3)</sup> ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 8/265.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، ١/١٩٥، (كتاب الآذان)، ومسلم في الصحيح، ٥/١٠١، ١٠٠ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

<sup>5</sup>(ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 14/385)

(٦) أخرجه البيهقي، السنن الكبير، ١٧٢/٣.

<sup>7</sup>(ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 1803/4)

<sup>8</sup>(ينظر، الفراء، معانٍ القرآن، 3/157، وابن العربي، أحكام القرآن، 4/1805، وابن الجوزي، زاد المسير، 8/262).

وما يماثل هذه الصورة-أيضا- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّهُنَّ﴾<sup>(1)</sup>.

المنادى "النبي" ، وخطوب بهذا اللفظ لتكريمه وتعظيمه. وجملة فعل الشرط "إذا طلقتم..." خطاب له مخاطبة الجمع للتعظيم، أو لأمتة بقصد تلوين الخطاب، وذلك بإضمار القول، أي: يا أيها النبي قل لأمتك... أو له ولأمته بحذف تقديره: يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم... فالخطاب للرسول وللمؤمنين<sup>(2)</sup>، أو أنه خطاب خص به النبي وعم المؤمنين، لأن النبي إمام أمته وقدوئهم<sup>(3)</sup>.

وقرأ الجمهور: "إذا طلقتم النساء فطلقوهن عدتهن". وقرأ ابن عباس : "فطلقوهن في قبل عدتهن". وقرأ ابن عمرو ومجاهد: "فطلقوهن لقبل عدتهن". وهي قراءة عثمان وجابر بن عبد الله وأبي بن كعب وجعفر بن محمد<sup>(4)</sup>.

جاءت اللام في القراءة المتواترة: "عدتهن" بمعنى (في)، أي : في عدتهن، وهو الزمان الذي يصلح لعدتهن. وقال بعض العلماء: إن معنى اللام في الأصل هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها<sup>(5)</sup>. ولا يصلح في المعنى- هنا- أن تكون اللام بمعنى "في" ، لأن الطلاق لا يكون في نفس العدة، فاللام في معنى التوقيت<sup>(6)</sup>. أي: فطلقوهن في وقت عدتهن.

أما القراءتان الشاذتان: "في قبل عدتهن" ، و"قبل عدتهن" ، أي: الوقت الذي تستقبل فيه العدة، أو الزمان الذي يصلح لعدتهن<sup>(7)</sup>. فيفسر هذا في حديث ابن عمر: "... فطلقوهن في قبل عدتهن"<sup>(8)</sup>.

وعلى هذا إذا طلقت المرأة في طهرها، فقد طلقت في قبل عدتها، بخلاف إذا طلقت وهي حائض، فإنها لا تعتد بتلك الحি�ضة، وينتظر انقضاء الطهر الذي يليها، ثم تشرع في العدة.

وحمل هاتين القراءتين ابن حزم على أحنتما مما نسخت تلاوته حيث أورد حديث ابن عمر في قراءة النبي ﷺ: "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن".

(1)الطلاق، 1.

(2)ينظر، القرطي، الجامع، 148/18، والخازن، لباب التأويل، 4/305.

(3)ينظر، الزمخشري، الكشاف، 4/117.

(4)ينظر، ابن جني، المحتسب، 2/323، والسيوطى، الدر المنثور، 8/191.

(5)ينظر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 5/631، 6/630.

(6)ينظر، المصدر السابق، 5/615، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/277، والألوسي، روح المعاني، 28/129.

(7)ينظر، القرطي، الجامع، 18/153.

(8)آخرجه مسلم في صحيحه، 10/59. (كتاب الطلاق)، والسناني في سننه، 6/102، (كتاب الطلاق).

ثم قال: "وهذا مما قرئ ثم رفعت لفظة: "في قبل" وأنزل الله تعالى: "لعدهن"<sup>(1)</sup>.

وحملها أبو حيان على أنها قراءة تفسيرية، فقال: "وما روی عن جماعة من الصحابة والتابعين رض من أنهمقرأوا "فطلقوهن في قبل عدهن" ، وعن بعضهم "لقبل عدهن" ، وعن عبد الله "لقبل طهرن" هو على سبيل التفسير، لا على أنه قرآن لخلافه سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقاً وغرباً"<sup>(2)</sup>.

والخطاب في "طلقتم" و "فطلقوهن" و "أحصوا" للأزواج. وفي جملة الأمر المعطوفة " وأحصوا" للأزواج والزوجات معاً، لأن الزوجات داخلة بالإلحاق بالزوج؛ فالزوج يخصي ليراجع، وليلحق نسبه، أو يقطع الرابطة الزوجية، وهي كلها مشتركة بينه وبين امرأته<sup>(3)</sup>. فالله تعالى أمر بإحصاء العدة " لما يبغي عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك"<sup>(4)</sup>.

ومعنى التركيب: يا أيها الرسول والمؤمنون به إذا أردتم تطليق زوجاتكم، فطلقوهن مستقبلات لعدهن أو قبل وقت عدهن. والمراد الأمر بالطلاق في طهر لم يقع فيه جماع. والنهي عن إيقاعه في الحيض، كما وردت السنة الصريحة بذلك في حديث ابن عمر المذكور آنفاً. فالتركيب اشتمل على حكم الطلاق السنوي الذي تستقبل به العدة، وحكم العدة وإحصائها.

وتعد بقية هذه الصورة فيما يأتي:

آل عمران، (149)، المائدة، (54)، الأنفال، (29)، التوبة، (38، 23)، الأحزاب، (49)، محمد، (7)،  
المجادلة، (12، 11، 9)، الممتحنة، (10، 12)، الجمعة، (6).

**النمط الثاني: مضمون النداء+ أداء نداء(محذفة)+منادي(مركب وصفي وبياني).**

ورد النمط في ثلات جمل، تتقاسمها ثلاثة صور:

**الصورة الأولى: مضمون النداء(جملة أمر)+أداء نداء(محذفة)+منادي+جملة تعليلية.**

وردت في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا كَمَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ فُلْحُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) المحلى بالأثار، 381/9.

(2) البحر المحيط، 287/8.

(3) ينظر، ابن العربي، أحكام القرآن، 4/1827، والألوسي، روح المعاني، 28/128.

(4) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 4/306، والكلبي، التسهيل، 2/455.

(5) النور، 31.

أداة النداء مخدوفة في البنية السطحية للجملة، وتقدر بالأداة "يا"، حيث لا يقدر غيرها من أدوات النداء<sup>(1)</sup>. ويفصح عنها المنادى "أي" لتضمنه معنى الخطاب. و"ها" زائدة للتبني، سقطت ألفها لانتقاء الساكين. واختلف القراء في لفظ "أيها"، فقرأ الجمهور بفتح الماء دون ألف في الوصل. وقرأ ابن عامر بضم الماء اتباعاً لحركة "أيٌّ"، وهي لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة. ووقف عليها أبو عمرو والكسائي بالألف في آخرها. ووقف الباقيون عليها بسكون الماء على اعتبار ما رسمت به في المصاحف<sup>(2)</sup>. ويرجح الوقف بالألف، لأن علة حذفها في الوصل، إنما هي سكونها وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهب العلة وثبتت ألف<sup>(3)</sup>.

وورد مضمون النداء جملة أمرية: "وتوبوا إلى الله جميعاً". وهي معللة بجملة ترج: "لعلكم تفلحون"، أي: لتفلحوا.

ويلاحظ توسط جملة المنادى بين جملة الأمر والجملة التعليلية. وأصل التركيب: أيها المؤمنون توبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون.

وقدمت جملة الأمر "وتوبوا إلى الله جميعاً" على جملة المنادى للاهتمام. والتوبة مأمورة بـها كل المؤمنين والمؤمنات بدلالة الحال في لفظ "جميعاً". أما ورود الخطاب بضمير التذكير فعلى أساس التغليب.

وهذه الجملة معطوفة على جملة: "قل للمؤمنين ... وقل للمؤمنات ..."- في هذه الآية وسابقيها- وذلك على طريق الالتفات من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب الأمة الإسلامية للتذكير بوجوب التوبة المقررة عليهم. والمعنى: توبوا إلى الله مما كنتم تفعلونه، أو مما وقع لكم من النظر الممنوع، لعلكم تسعدون في الدارين. أي: راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والتنزه عن الإثم صغره وكبierre. يقول رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"<sup>(4)</sup>.

فأمروا بالتوبة، ليراجعوا أنفسهم على ما يفلت منهم من ذلك اللحم المؤدي إلى ما هو أعظم. وذلك على سبيل الإرشاد.

**الصورة الثانية:** مضمون النداء(جملة خبرية)+ أداة نداء (مخدوفة)+ منادي (مركب وصفي).

وردت في قوله تعالى: ﴿سَنُرْعُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَالَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر، ابن هشام، معنى الليب، 598/1.

(2) ينظر، القيسري، الكشف، 137/2، والداني، التيسير، ص 131، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 495/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 414/6، وابن الجوزي، التشر، 142/2.

(3) ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 495/10.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، 4/2076، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار).

(5) الرحمن، 31.

تقديم مضمون النداء: "سنفرغ لكم" - وهو جملة فعلية - على جملة المنادي "أيه الثقلان" للعنابة.

والخطاب للإنس والجن بدلالة لفظ "الثقلان". والمعنى: ننظر في أمركم يوم القيمة، لا أنه تعالى كان له شغل فيفرغ منه<sup>(1)</sup>. وهذا في معنى تحديد منه سبحانه، لأنه لا يشغله شأن عن شأن<sup>(2)</sup>.

وحرى على هذا كلام العرب في أن المعنى سيقصد لحسابكم وجزائكم يوم القيمة. فهو استعارة تمثيلية، حيث شبه محاسبة الخلائق وجزائهم يوم القيمة بالتفريغ للأمر. والله جلت قدرته لا يشغله شيء عن شيء، وإنما ذلك على سبيل المثال، إذ شبه تعالى ذاته في المحاجة بحال من فرغ الأمر. فهو من قول أحدهم من يتهده: سأفرغ لك، أي: سأجحد للإيقاع والانتقام بك من كل ما شغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه<sup>(3)</sup>. إلا أن معنى "فرغ" تستعمل عند انتقاء الشغل الذي يشتغل به الإنسان؛ فلذلك كان المعنى في هذه الجملة يحتاج إلى تأويل، على أنه قيل: إن "فرغ" يعني: قصد واهتم<sup>(4)</sup>. واستدل عليه بما أنشده ابن الأباري بقول جرير:

الآن وقد فرغت إلى نميرٍ فهذا حين كنت لهم عذاباً<sup>(5)</sup>

وتدل قراءة أبي<sup>(6)</sup>: "سنفرغ إليكم" على أن الفعل "فرغ" يعني قصد، لأن الفعل "قصد" يتعدى بـ"إلى"، ولا يتعدى الفعل "فرغ" بـ"إلى" إذا كان يعني الفراغ من الشغل<sup>(7)</sup>. ولذلك فهو يعني: سنقصد أو سنهم. وقراءة حمزة والكسائي: "سيَفْرُغُ لكم" بالياء المفتوحة على الغيبة<sup>(8)</sup>. وهي بلغة تحامة<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 4/228، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/192، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/492.

(2) ينظر، الفراء، معاني القرآن، 3/116، والخازن، لباب التأويل، 4/228، والألوسي، روح المعاني، 27/111.

(3) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 2/631.

(4) ينظر، القيسبي، الكشف، 2/302، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/192.

(5) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 339، وأبو حيان، البحر المحيط، 8/192، والقرطبي، الجامع، 17/168، (لم أغير على البيت في ديوان الشاعر).

(6) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبد بن زيد بن معاوية، أبو المنذر الأنصارى. عرض القرآن على النبي ﷺ. أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن المسائب، وعبد الله بن عياش، توفي سنة 19هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/28، وما بعدها.

(7) ينظر، القيسبي، الكشف، 2/302، والمخشري، الكشف، 4/47، والألوسي، روح المعاني، 27/112.

(8) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 692، والقيسبي، الكشف، 2/301، ومحمد بن عمر بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، 2/884.

(9) ينظر، القرطبي، الجامع، 17/169، والألوسي، روح المعاني، 27/111.

وفاعل "سنفرغ" مضمر تقديره "هو". والمقصود به الله تعالى، لأنه يعود على لفظ "ربك" من قوله: ﴿وَيَقِنَّ  
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(1)</sup>. وحينئذ تكون الضمائر في الجمل قد جرت على نسق واحد، وهو الغيبة.  
أما قراءة الجمهور: "سنفرغ" بـ"بنون التعظيم المفتوحة، مضارع "فرغ" بفتح الراء"<sup>(2)</sup>. لغة تميم<sup>(3)</sup>. وذلك على  
الالتفات من الغيبة إلى التكلم. والفاعل مضمر تقديره: "نحن"، والمقصود به الله تعالى.  
وهاتان القراءتان فصيحتان<sup>(4)</sup>. والأفضل قراءة الجمهور، لأنها أدل على غضب الله ووعيده، ولأن أكثر القراء  
عليها<sup>(5)</sup>. يقول الطبرى: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ  
القارئ فمصيب"<sup>(6)</sup>. ومعنى الجملة: ستنجرد أيها الثقلان لحسابكم وجزائكم يوم القيمة. وفي هذا المعنى دلالة  
التهديد؛ إذ لا مهرب ولا مناص من عقابه، فهو آت لا محالة.

### الصورة الثالثة: مضمون النداء(جملة شرطية)+ أدلة نداء(محذوفة)+ منادى.

وردت في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهِبُكُمْ إِلَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِيَكُمْ بِآخَرِينَ﴾<sup>(7)</sup>.

تقدير أدلة النداء المحذوفة بـ"يا"، والظاهر من النداء بـ"يا أيها الناس" أنه خطاب للناس الذين يسمعون  
الخطاب تنبئها لهم بهذا النداء.

وقال الزمخشري: هذا خطاب لمن كان يعادى رسول الله ﷺ من العرب<sup>(8)</sup>. وقال الطبرى: الخطاب للذين  
شعروا في طعمه بن أبيرق وخاصم وخاصموا عنه في أمر خيانته في الدرع والدقيق<sup>(9)</sup>. وهذا التأويل بعيد الاحتمال،  
لأن الخطاب عام؛ يشمل المسلم والكافر والمنافق.

وقدم مضمون النداء: "إن يشاً يذهبكم" عن جملة المنادى: "يا أيها الناس" اهتماما بالجواب. وأصل الجملة:  
أيها الناس إن يشاً يذهبكم ويأت بآخرين.

ويتضح من مقابلة قوله: "أيها الناس" بقوله: "آخرين" أن المراد بناس آخرين غير كافرين.  
وهذا ما يدل عليه الوصف في الكلمة "آخرين" بعد ذكر مقابل الموصوف.

(1) الرحمن، 27.

(2) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 692، والقيسي، الكشف، 301/2، وبازمول، القراءات وأقرها في التفسير والأحكام، 2/884.

(3) ينظر، القرطبي، الجامع، 169/17، والألوسي، روح المعاني، 27/111.

(4) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 339.

(5) القيسي، الكشف، 2/302.

(6) جامع البيان، 27/593.

(7) النساء، 133.

(8) الكشف، 1/570.

(9) ينظر، جامع البيان، 5/318.

وأجاز المخشي وابن عطية أن يكون المقصود بـ"آخرين" من نوع المخاطبين. قال المخشي معناه: "مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس"<sup>(1)</sup>. وقال ابن عطية: "وتحتمل الفاظ الآية أن يكون وعيدا لجميع بنى آدم، ويكون الآخرون من غير نوعهم"<sup>(2)</sup>.

وعقب هذا الرأي أبو حيان، فقال: "وما جوزه لا يجوز، لأن مدلول آخر في اللغة هو مدلول غير خاص بجنس ما تقدم، فلو قلت: جاء زيد وأخر معه، أو مررت بامرأة وأخرى معها... لم يكن آخر ولا أخرى مؤنته ولا تشتيته ولا جمعه إلا من جنس ما يكون قبله، ولو قلت: اشتريت ثوبا وأخر، ويعني به غير ثوب، لم يجز، فعلى هذا تجويفهم أن يكون قوله: "بآخرين" من غير جنس ما تقدم، وهم الناس ليس ب صحيح، وهذا هو الفرق بين غير وبين آخر"<sup>(3)</sup>. ذلك لأن غير تقع للمغايرة في جنس أو وصف وأخر لا تقع إلا على المغايرة من الجنس"<sup>(4)</sup>.

ومعنى الجملة: أيها الناس إن يرد الله هلاكم وإيجاد قوم آخرين بدلا عنكم، فهو قادر على ذلك. ويظهر من هذا المعنى غضب الله وسخطه على المخاطبين. ونظير هذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(5)</sup>. وفي مضمون النداء تحديد.

**النمط الثالث: أداة نداء (يا) + منادي (مركب إضافي) + مضمون نداء.**

ورد هذا النمط في ثلاثة(30) جملة. يوزع على الصور الآتية:

**الصورة الأولى:** أداة نداء "يا" + منادي "مركب إضافي" + مضمون نداء "جملة أمر".

وردت هذه الصورة في خمس جمل، ومنها الجملة الآتية:

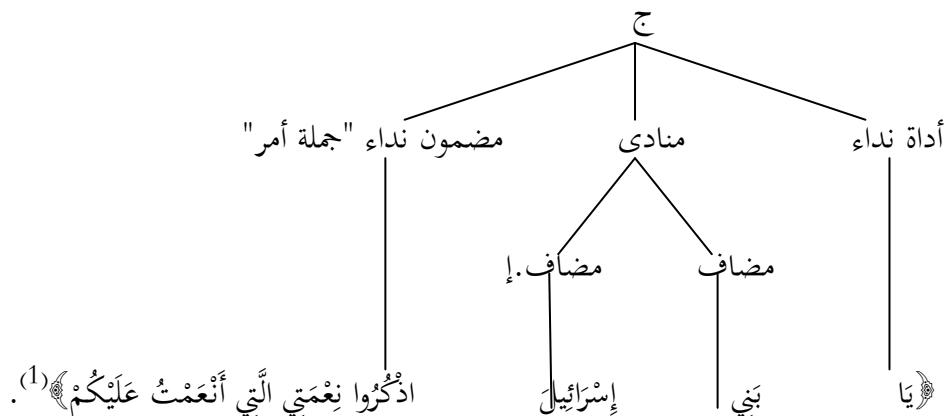
(1) الكشاف، 570/1.

(2) المحرر الوجيز، 254/4.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، 3/383.

(4) أبو حيان، النهر الماد، 1/516.

(5) إبراهيم، 20/19.



المنادي المضاف "بني"، أضيف إلى لفظ "إسرائيل". والمنادي المضاف منصوب، وعلامة نصبه الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. وحذفت منه النون للإضافة. ومضمون النداء جملة أمرية، تتألف بنيتها من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة "اذكروا"، ومفعول به مضاف "نعمتي" وصفة "التي...".  
والغرض من نداء بني إسرائيل أن يذكروا نعم الله التي أنعمها على أسلافهم من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، لأن النعمة على الأسلاف نعمة على الأنبياء؛ فهي شرف لهم وقدوة يقتدون بها لإصلاح حاضرهم، وهي كثيرة، وتذكرها يتطلب شكر الله، والإقرار بفضلله، والإيمان بما جاء به خاتم النبيين.

وتكرر نداء بني إسرائيل في مثل هذه الصورة من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

يعد هذا التكبير تكريراً جزئياً للتركيب السابق. وقد تماسك النصان في ضوئه تماسقاً قوياً، لأن التكبير من أدوات الربط والاتساق. ومن اللافت للانتباه أن علماء التفسير لم يكتفوا بتبعه كأدلة ترتبط بها أجزاء الخطاب بعضها بعض بل اهتموا إضافة إلى ذلك بدلالة<sup>(3)</sup>. فلعل الرازي على هذا النص بقوله: "اعلم أنه تعالى إنما أعاد

(1) البقرة، 40.

(2) البقرة، 47، 122.

(3) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 179.

هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحججة عليهم، وتحذيرا من ترك اتباع محمد ﷺ<sup>(1)</sup>. فقد أسمهم هذا التكرير في تماسك بناء الخطاب، وأدى وظيفة أخرى هي توكيد الحججة على بني إسرائيل وتحذيرهم، وهي وظيفة غير موجودة في النص، ذلك أن ما يستفاد من هذا التركيب هو كونه تذكيرا لهم بنعم الله عليهم<sup>(2)</sup>. أما وظيفة التحذير فهي مستفادة من السياق.

ولكن ابن عاشور يرى وظيفة التكرير هنا مختلفة عما رأه الرazi، فيقول: "أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلا لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترب عليه ... فلتكرير هنا نكتة جميع المخاطبين بعد تفريقيهما ونكتة التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة"<sup>(3)</sup>. إن في كلامه هنا تنصيصا على الوظيفة التداوilyة المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي جذب انتباه المتلقين إلى أهمية الكلام. ويفضّل إلى هذا أن افتتاح الخطاب على هذا النحو الإجمالي من ذكر النعم يمنحك إمكانية تفصيلها<sup>(4)</sup>.

ويفهم من قوله: ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أنه تعالى فضل بني إسرائيل في أشياء معينة كبعثة الرسل منهم، وإنزال الكتب، وإنزال المحن والسلوى، وإنقاذهم من بلاء فرعون وأتباعه، وانفجار الماء من الحجر<sup>(5)</sup>. وغير ذلك من النعم. وهذه النعم ذكر بعضها في الآيات المعاوية، وبعضها ورد في سور أخرى من القرآن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِي كُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنَّكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(6)</sup>.

وتفضيلهم بهذه النعم لا يعني أئمـاً أفضل مطلقاً بل هو فضل في عهد إرسال الرسل إليهم. ويظل التفضيل الأبدى للمسلمين الذين قال الله فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(7)</sup>. وذلك لأن نعمة الإسلام لا تضاهيها أي نعمة. وترد بقية هذه الصورة في آل عمران، (64)، والمائدة، (72).

(1) مفاتيح الغيب، 3/55.

(2) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 179.

(3) الحرير والشوير، 1/482.

(4) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 179.

(5) ينظر، الطري، جامع البيان، 1/287، وابن عطية، المحرر الوجيز، 1/267، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/328.

(6) المائدة، 20.

(7) آل عمران، 110.

**الصورة الثانية:** أداة نداء(يا)+منادي(مركب إضافي)+ مضاف إليه(محذف)+مضمون النداء(جملة أمر).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِي كُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا...﴾<sup>(1)</sup>.

أداة النداء "يا"، والمنادي "قوم" مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المخل بحركة مناسبة، وهي ياء المتكلم التي حذفت اختصاراً، وبقيت الكسرة دالة عليها. وهذه الياء تدل على المنادي "موسى" بقرينة اللفظ، وهو الأمر قوله.

وقال المبرد: إذا أضفت المنادي إلى نفسك فالأجود حذف الياء<sup>(2)</sup>. وهذا الرأي يتفق وقراءة الجمهور. والترخيص في قرينة البنية بحذف بعض حروفها شائع في تراكيب القرآن الكريم عند أمن اللبس<sup>(3)</sup>. وقد أمن اللبس هنا بقرينة المقام إذ أن الياء المحذوفة يدل عليها المنادي.

وورد المنادي "قوم" مضموم الميم في قراءة ابن حميسن، وكذا حيث وقع في القرآن<sup>(4)</sup>. وهذا الضم على معنى الإضافة، وهي إحدى اللغات الخمس الجائزة في المنادي المضاف ليء المتكلم<sup>(5)</sup>.

وفي مضمون النداء جملة أمرية؛ فقد أمر بنوا إسرائيل بذكر نعمة الله عليهم، إذ جعل فيهم أنبياء وملوكاً وسادة... والغرض من التذكير تهيئة نفوسهم لقبول هذا الأمر، وطمأنتهم بالنصر إن هم قاتلوا أعدائهم الجبارين.

وردت كذلك في قوله: ﴿يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم﴾<sup>(6)</sup>.

أداة النداء "يا"، والمنادي "قوم" والمنادي "موسى" العلامة بقرينة السياق. وكرر النداء لقومهبني إسرائيل لزيادة استحضار ذهانهم بامتثال الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة، وهي المطهرة المباركة. واختلاف العلماء في تعينها، فقال ابن عباس: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن<sup>(7)</sup>. وتبعه ابن قتيبة<sup>(8)</sup>. وقال الطبرى: ولا يختلف أنها بين الفرات وعرش مصر<sup>(9)</sup>.

(1) المائدة، 20.

(2) ينظر، المقتضب، 4/245.

(3) ينظر، تمام حسان، البيان في روانع القرآن، ص 225، 224.

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/397. وابن الجوزي، زاد المسير، 2/323، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/469.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 3/469.

(6) المائدة، 21.

(7) تنویر المقاييس، ص 120.

(8) ينظر، غريب القرآن، ص 142.

(9) ينظر، جامع البيان، 6/513.

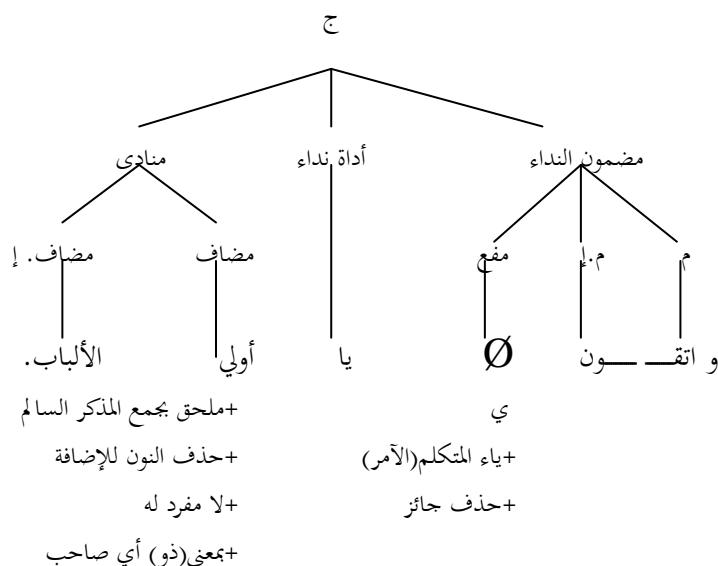
وقال بعضهم: هي بيت المقدس<sup>(1)</sup>. وقيل: إيليا، فقال ابن الجوزي: قرأت على أبي منصور اللغوي، قال: إيليا بيت المقدس<sup>(2)</sup>. قال الفرزدق:

وَيَتُّبِعُ إِلْيَاهُ مُشَرِّقٌ<sup>(3)</sup>      بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَا تُ<sup>(4)</sup>

الظاهر ما قاله ابن عاشر في أن المراد بالأرض المقدسة أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر المتوسط، وبين نهر الأردن والبحر الميت، ووصفت بالمقدسة، لأنها قدست بburial of Ibrahim في أول قرية من قراها، وهي حبرون<sup>(4)</sup>. وفي وصف "الأرض المقدسة" بـ"التي كتب الله" حث لبني إسرائيل على الإقدام لدخولها ومجahada الأعداء.

**الصورة الثالثة: مضمون النداء** (جملة أمر) + أداة نداء(يا)+منادي(مركب إضافي).

وردت في ثلاث جمل. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَاب﴾<sup>(5)</sup>.



تقديم مضمون النداء وهو جملة أمر للاهتمام، وتتألف من فعل أمر مسند إلى واو الجماعة "اتقوا"، وهو متعدٍ، ومفعوله مخدوف جوازاً، وهو ياء المتكلّم الدال على الأمر (الله تعالى).

(1) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 315/1، والكلبي، التسهيل، 1/231.

(2) ينظر، زاد المسير، 2/323.

(3) الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984، 2/32.

(4) ينظر، التحرير والتنوير، 6/162.

(5) البقرة، 197.

وهذا الحذف يعد ترخيصا في البنية بحذف بعض حروفها<sup>(1)</sup>. والمنادى لفظ "أولي" مضaf إلى "الأباب". والياء علامة نصبه، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. والمراد بـ"أولي الأباب": أصحاب العقول، وخصهم المولى بالخطاب – وإن كان الأمر لكل متعلق- لأنهم الذين قاموا عليهم حجة الله، وهم قابلو أوامره، وناهضون بها، وأنه لا يحذر العاقب إلا من كان ذا لب. وللمعنى: اخشوا الله بالمحافظة على امتحان أوامره، والانتهاء عن نواهيه، واحذروا أن تعتدوا في ذلك.

ونظير هذه الصورة قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ﴾<sup>(2)</sup>.

أمر تعالى أولى الأ بصار – هم أصحاب العقول- بالاعتبار. والاعتبار: هو "النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من غير جنسها"<sup>(3)</sup>. أي: التدبر في دلالة الأشياء على لوازمهما وعواقبها وعللها، وهو من العبرة، وهي الموعظة. والخطاب موجه إلى غير معين. ونودي أولى الأ بصار إشارة إلى أن العبرة بحالبني النصير واضحة جليلة لكل ذي بصر من شاهدوا موقع ديارهم وهي مخربة، فتكون للمبصر عبرة، فيعلم أن الله له القدرة على إخراجهم وتسلیط المؤمنين عليهم من غير قتال<sup>(4)</sup>. وللمعنى: تدبروا ما نزل بهم وهو خروجهم من أوطنهم.

وتكررت هذه الصورة -أيضا- في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَبْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(5)</sup>.

في نداء المؤمنين بوصف "أولي الأباب" إشارة إلى أن العقول الراجحة تدعوا إلى تقوى الله، لأنها كمال نفساني، ولأن بها يتبع عن الشرور والضلال.

وقوله: "الذين آمنوا" بدل من "أولي الأباب". والإتيان بصلة الموصول "آمنوا" إشارة إلى أن الإيمان مدعوة للتقوى، وأن المحاطين قد استقر الإيمان في قلوبهم. وما عليهم إلا أن يتقووا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وورد هذا التركيب مذيلا بجملة تعليلية في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَبْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

تدل الجملة التعليلية "لعلكم تفلحون" على تقريب حصول الفلاح لذوي العقول، إن اتقوا الله فميزوا الخبيث من الطيب، ولم يغتروا بكثرة الخبيث وقلة الطيب في أي مكان كان. وهذا المعنى يدل عليه سياق هذه الآية، والمراد: "تبنيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل"<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر، تمام حسان، البيان في روان القرآن، ص 225.

(2) الحشر، 2.

(3) الوحدى، الوسيط، 4/270، وابن الجوزي، البصرة، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1993، 1/267.

(4) ينظر، الماوردي، النكت والعيون، 5/500، والبغوي، معلم التنزيل، 4/315، والكلبي، التسهيل، 2/426.

(5) الطلاق، 10.

(6) المائدة، 100.

(7) ابن عطية، المحرر الوجيز، 5/60.

ومعنى التركيب: فاتقوا الله يا أهل العقول الراجحة، ولا تغتروا بكثرة المال الخبيث، ولا بكثرة أهل الباطل والفساد أو كثرة المال الحرام، فإن العاقل هو الذي يعي ويحذر. وتقوى الله تجعلكم في زمرة الطيبين، فيرجى لكم أن تكونوا من الفائزين بخير الدنيا والآخرة.

**الصورة الرابعة:** أداة نداء (يا)+منادي(مركب إضافي)+مضمون النداء (جملة نهي).

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ﴾<sup>(1)</sup>.

الخطاب موجه إلى النصارى بقرينة المقام، وقد على ذلك اللفظ في آخر الآية. وقد خوطبوا بلفظ "يا أهل الكتاب" للتثنية و التعرض بأنهم خالفوا أحكام الكتاب المنزل عليهم.

ومضمون النداء جملة نهي: "لا تغلوا في دينكم". فقد نحوا عن الغلو في الدين. والغلو من الفعل "غلا"، يقال: غلا في الأمر إذا حاوز الحد المعلوم<sup>(2)</sup>. فالغلو: الزبادة في عمل متعارف عليه شرعاً أو عادة. و فعل الغلو مقيد بالجاحر والمحروم في قوله: "في دينكم". أي: في الدين الذي أنتم مطالبون به. فيكون الغلو في الدين - هنا - هو إظهار المتدين ما يفوق الإطار المحدد شرعاً و "أهل الكتاب" من النصارى تجاوزوا الحد الذي شرعه لهم دينهم بأن أفرطوا في تعظيم المسيح حتى أدعوه ألهيته، أو أدعوه أنه ابن الله، مع عدم الإيمان بما جاء به خاتم المرسلين.

وأعقب هذا النهي بجملة نهي معطوفة: "ولا تقولوا على الله إلا الحق". وهو عطف خاص على عام. وجيء به للعناية بالنهي عن الكذب الشنيع على الله المنزه عن الشريك والولد. ومعنى القول على الله - هنا - أن يقولوا شيئاً زوراً يزعمون أنه من عند الله، وما هو من عنده؛ فإن الدين الصحيح هو ما يأتي من عند الله، ويمثل دون تحريف. والمعنى: يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا حدود شرع الله بالزيادة والنقص، ولا تعتقدوا إلا بالحق الثابت بنص نقلٍ أو برهان عقلي قاطع، وإياكم ما زعمتم من دعاوى باطلة كإيمانكم بالشillet.

وتكرر ندائهم - في مثل هذه الصورة - في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾<sup>(3)</sup>.

الخطاب - هنا - لعامة أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون تخصيص بدليل لفظ "يا أهل الكتاب".

وقوله: "غير الحق" منصوب على النيابة عن مفعول مطلق لفعل "تغلوا". والتقدير: لا تغلوا غلو غير الحق. وغير الحق هو الباطل، وعدل عن أن يقال باطلاقاً إلى "غير الحق" فهو أبلغ، لما في وصف "غير الحق" من تشنيع أمر الموصوف. والمقصود أنه مخالف للحق المأمور به، فهو في زمرة المذمومين، لأن الحق محمود فاعله، وغيره مذموم. فالله تعالى نهى أهل الكتاب عن تجاوز الحد في اتباع الحق.

(1) النساء، 171.

(2) ينظر، ابن فارس، معجم اللغة، 3، 683، (غلو).

(3) المائدة، 77.

وقد أشار بجملة "لا تغلوا..." إلى غلو كل من اليهود والنصارى في الدين؛ فمن غلو اليهود تجاوزهم الحد في التمسك بشرع التوراة بعد عيسى ومحمد عليهمَا السَّلَامُ، ومن غلو النصارى دعوى ألوهية عيسى وتكذيبهم محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويدل هذا المعنى على حرمة الغلو و الابتداع في الدين.

**الصورة الخامسة: أدلة نداء (يا)+منادي (مركب إضافي)+مضمون نداء (جملة شرطية).**

وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْنَسَةَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مُبِيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعِيفَيْنِ﴾<sup>(1)</sup>.

أدلة النداء "يا"، والمنادى "نساء" مضاد إلى لفظ "النبي". ونادهن الله تعالى بوصف "نساء النبي"، ليعلمهن أن ما سيلقي إليهن حدير بالاهتمام. ومضمون النداء جملة شرطية "من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها الغراب ضعفين". والأدلة المستخدمة للشرط "من" الجازمة لفعلين مضارعين؛ الأول فعل الشرط "يأت"، والثانى جواب الشرط "يضاعف".

واختلف القراء في قوله: "يأت"، فقرأه الجمهور بالياء حملا على لفظ "من" الشرطية التي وضعت للدلالة على ما يعقل<sup>(2)</sup>. بمعنى: أي أحد، وأصلها عدم التأنيث. وقرأ يعقوب، وعمرو بن قائد الأسواري، وزيد بن علي، والحدري<sup>(3)</sup>: "تأت" ببناء التأنيث حملا على معنى "من"<sup>(4)</sup>. يقول ابن جني: "هذا حمل على المعنى، كأن "من" هنا امرأة في المعنى، فكأنه قال: أية امرأة أتت منك بفاحشة أو تأت بفاحشة"<sup>(5)</sup>.

واختلف القراء - كذلك - في قوله: "يُضَاعِفْ"، فقرأ الجمهور الفعل بباء الغيبة، وفتح العين، مبنيا للمجهول، ورفع "العذاب" على أنه نائب فاعل. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: "نُضَعِّفْ" بنون العظممة وبتشديد العين مكسورة، ونصب "العذاب" على المفعولية. وقرأ أبو عمر ويعقوب: "يُضَعِّفْ" بباء الغيبة وتشديد العين مفتوحة<sup>(6)</sup>. والقراء بـ"يُضَاعِفْ": من الفعل "ضَاعَفَ" المزيد بالألف. ومن قرأ: "نُضَعِّفْ" أو "يُضَعِّفْ"، فمن الفعل "ضَعَفَ" المزيد بالتضييف. والمضاعفة تدل على تكرير شيء ذي مقدار بمثل مقدار. ومعنى مضاعفة العذاب: أنه

(1)الأحزاب، 30.

(2)بنظر، ابن هشام، شرح شدور الذهب، ص 434.

(3)هو عاصم بن أبي الصباح العجاج البصري، أحد القراءة عرضا عن سليمان بن قتيبة عن ابن عباس. وقرأ أيضا على نصر بن عاصم والحسن وبحي بن عمر. وقرأ عليه عيسى بن عمر الفقي. مات سنة 128هـ، ينظر، ابن الجوزي، التفسير، 146/1، وما بعدها.

(4)بنظر، ابن جني، المحتسب، 179/2، والقرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 220/7.

(5)المحتسب، 179/2.

(6)بنظر، القرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 220/7.

يكون ضعف عذاب أمهات المؤمنين أمثال تلك المعصية إذا صدرت من غيرهن، وهو ضعف في المدة والمقدار، وأريد عذاب الآخرة<sup>(1)</sup>.

وتعريف العهد، بمعنى العذاب الذي جعل للفاحشة أو المعصية. ولا يتوهם أنها الزنا لعصمة أمهات المؤمنين من ذلك، ولأنه وصفها بالتبين، والزنا مما يستتر به. وينبغي أن يحمل لفظ "فاحشة" - هنا - على العقوق وفساد العشيرة. ولما كان مكاحن مهبط الوحي لزمهن بسبب ذلك، ولكونهن تحت الرسول أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن العذاب<sup>(2)</sup>. يقول الزمخشري: "إِنَّمَا ضَوْعَفَ عَذَابُهُنَّ، لِأَنَّ مَا قَبَحَ مِنْ سَائِرِ النِّسَاءِ كَانَ أَقْبَحَ مِنْهُنَّ، لِأَنَّ زِيَارَةَ قَبَحِ الْمُعْصِيَةِ تَبَعُ زِيَادَةَ الْفَضْلِ وَالْمَرْتَبَةِ... وَكَوْنُ الْجَزَاءِ عِقَابًا يَتَبعُ كُونَ الْفَعْلِ قَبِحًا، فَمَتَى ازْدَادَ قَبِحًا ازْدَادَ عِقَابَهُ شَدَّةً"<sup>(3)</sup>.

ومعنى الجملة: يا نساء النبي وأمهات المؤمنين من يرتكب منكن معصية كالنشوز وسوء الخلق يكن عقابها مضاعفا لشرف مكانتكن. وكان ضعف العذاب يسير على المولى الذي لا يحابي أحدا لأجل أحد.

وفي هذا المعنى تنبية وتحذير من المحالفة والعصيان.

وكذلك قوله: ﴿يَا مُعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَغْذُوا مِنْ أَقْطَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاقْنُذُوا﴾<sup>(4)</sup>.  
أداة النداء "يا"، والمنادى "معشر" مضاد إلى "الجن" و"الإنس" عن طريق العطف. والمعشر اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد<sup>(5)</sup>.

ومضمون النداء جملة شرطية، تتالف بنيتها من جملة شرط "استطعتم"، وهي ماضوية، تقدرها "إن"، وجواب شرط "فانفذوا"، وهي أمرية، ولذلك وجب ارتباطها بالفاء وجوبا لاختلاف الجملتين بين الخبر والطلب.

اختلف في قراءة "إن استطعتم"، فقرأ زيد بن علي: "إن استطعتما" على التشنيمة مراعاة للفظ الجن والإنس.  
وقرأ الجمهور: "إن استطعتم" على خطاب الجماعة، لأن كلا من الجن والإنس تحته أفراد كثيرة<sup>(6)</sup>. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَكَيْنُ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>(7)</sup>.

ويحمل معنى الجملة دلالة التعجيز، أي فهذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم الفرار من أي جهة منها فاخروا وخلصوا أنفسكم.

(1) ينظر، الواحدي، الوسيط، 468/3.

(2) ينظر، القرطبي، الجامع، 176/14، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/220.

(3) الكشاف، 3/259.

(4) الرحمن، 33.

(5) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 29/99، وابن منظور، لسان العرب، 4/574، (عشر).

(6) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 8/193.

(7) الحجرات، 9.

وفي معنى "فانفذوا" إشارة إلى طلب خلاصهم، ولا يخلصون من العذاب إلا بسلطان من الله يجيرهم، وإلا فلا مجير لهم<sup>(1)</sup>. وهذا بيان للجن والإنس بأهم في قبضة الله تعالى، ولا يقدرون على النفوذ والخلاص من حكمة الله إلا بقوه وغلوتها، ولا قوة لهم على ذلك؛ فلا يمكنهم الغرار.

**الصورة السادسة:** أداة نداء(يا)+منادى(مركب إضافي)+مضمون نداء(جملة خبرية).

وردت في تسع جمل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ لَكُمْ الدِّينُ﴾<sup>(2)</sup>.

تختلف هذه الصورة عن سابقتها في أن المنادي مضاف إلى ياء المتكلم، وهي مدغمة في الياء بلفظ "بني". والمنادي (المتكلم) ظهر ما يدل عليه، وهو الضمير المضاف إلى المنادي العائد على يعقوب أو إبراهيم عليهما السلام، أو إليهما معا في هذه الآية.

وورد مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إن"، لتأكيد المعنى للمخاطبين بأن الله اختار لهم الدين الكامل من بين الأديان، وأنه فضلهم به. وأراد به الإسلام، فلذلك اتبع الجملة الخبرية بجملة النهي في قوله: ﴿فَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. أي: فلا تفارقوا الإسلام في جميع حياتكم.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(3)</sup>.

الظاهر من البنية السطحية في قوله: "يا أهل الكتاب" أن الخطاب لليهود والنصارى. وقال الطبرى: إن الخطاب لليهود خاصة، ويؤيد ما روى خالد الحذاء عن عكرمة، قال: أتى اليهود الرسول ﷺ يسألونه عن الرجم، واجتمعوا في بيت، فقال: أتكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذى أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور، وناشده بالمواثيق التي أخذت عليهم، حتى أخذته رعدة من الخوف، فقال: لما كثر فينا جلدنا مائة، وحلقنا الرؤوس. فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله هذه الآية<sup>(4)</sup>. فقد بين الله تعالى كثيراً مما كانوا يخفون. قال ابن عباس: أخفوا صفة محمد ﷺ وأخفوا أمر الرجم، وعوا عن كثير مما أخفوه، فلم يفضحهم بيانيه<sup>(5)</sup>. وهذه عادة اليهود فقد أخفوا أمر الرسول ﷺ حسداً من عند أنفسهم، وبدلوا وحرفاً كتاب الله ﷺ.

(1) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، 29/100.

(2) البقرة، 132.

(3) المائدة، 15.

(4) ينظر، جامع البيان، 6/502.

(5) ينظر، تنوير المقابس، ص 119.

وتكر ندائهم في مثل هذه الصورة في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قُدْجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرْسَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَتْنَا مِنْ بَشِيرٍ وَكَانَ ذِيٰ﴾<sup>(1)</sup>. وذلك للتأكيد لهم بأنّ الرسول ﷺ -بوصف مجيهه على فترة من الرسل- جاء ليذكرهم بأنّ كتبكم مصريحة بمجيهه عقب رسالهم، وليبين لهم أنّ التبشير به من لدن رسالهم لم يكن بدعة ولا كذباً منهم، إذ كانوا يعيشون على فترة وانقطاع بينهم. وما مجيهه إلا ليعرفهم الحق، وبهديهم إلى دين الله المرضى.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿يَا أَنِي إِسْرَائِيلٌ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التُّورَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَاتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(2)</sup>.

المنادي لم يظهر في البنية السطحية للجملة، وقد دل عليه المقام، إذ هو عيسى عليه السلام<sup>عليه السلام</sup> وقد نادى قومه "يا بني إسرائيل" دون "يا قوم"، لأنّ بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بهذا الاسم.

ومضمون النداء "إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة...". فأخبرهم بأنه رسول من عند الله كموسى، وقد جاءهم مصدقاً على وجه الجملة بما ورد في التوراة وبكتب الله وأنبيائه جميعاً من تقدم منهم ومن تأخر، وداعياً إلى التصديق بهذا الرسول الكريم الذي جاءت البشرة به في التوراة والإنجيل. وكان وعده كوعده من سبقه من رسالهم؛ فقد كانوا يفتخرون بأقوامهم بهذه الوصية.

ويما似 هذه الصورة ما ورد من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ سَاقَهُمْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتْخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾<sup>(3)</sup>.

المنادي في الجملة "قوم" مضارف إلى "ياء" المتكلّم. وهذه الياء مخدوفة جوازاً، تدلّ عليها الكسرة في آخر المضاف "قوم" وهي تدلّ على المنادي موسى عليه السلام الذي نادى قومه بهذا اللفظ قصد استمالتهم إليه. وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين عاد من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل<sup>(4)</sup>.

ويلاحظ أنّ النداء بلفظ "يا قوم" جرى على لسان الأنبياء الذين اقتصرت رسالتهم على أقوامهم. أما الرسول محمد ﷺ فلم يجر على لسانه لفظ "يا قوم"، لأن رسالته للبشرية جماعة. أما مضمون النداء فورد جملة خبرية مؤكدة بـ "إن". ومفادها أنّ القوم ظلموا أنفسهم بعبادتهم العجل فاستحقوا عقاب الله تعالى.

وفي تعدية الفعل إلى المفعول به "أنفسكم" المضاف إلى ضمير المخاطبين دلالة على أنّ ظلم النفس أفحش أنواع الظلم، وأي ظلم أعظم من اتخاذ العجل لها من غير الله؟! . والمراد من النداء التنبيه على الضلال.

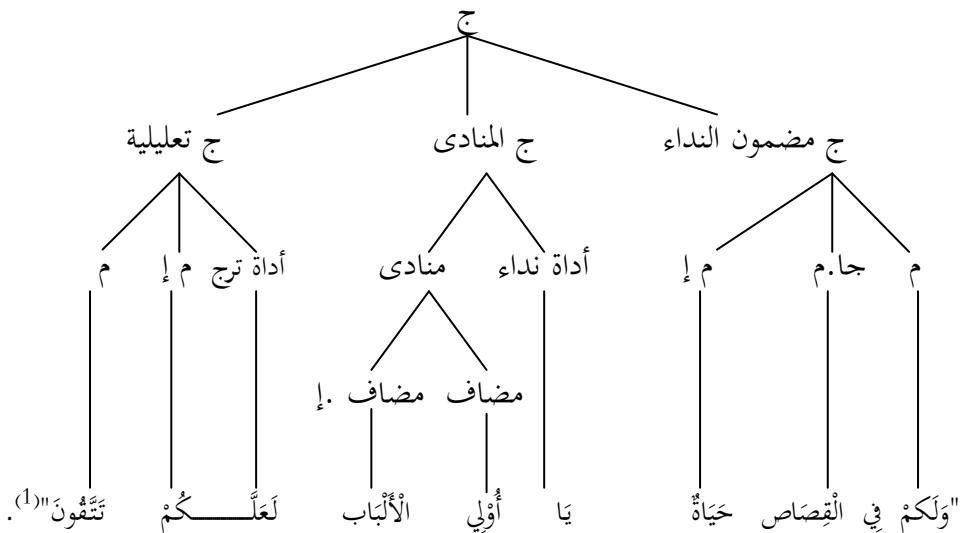
(1) المائدة، 19.

(2) الصاف، 6.

(3) البقرة، 54.

(4) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/300، 299.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد في التركيب الآتي:



المنادى "أولي الألباب" مضاف-مثل المنادى في الجمل السابقة من هذه الصورة- إلا أن رتبته تغيرت؛ فقد تقدم جزء من مضمون النداء الذي هو جملة خبرية، وتتأخر الجزء الثاني المتمثل في الجملة التعليلية. وتقسم مضمون النداء عن جملة المنادى يكون للاهتمام، وهو جائز لغة<sup>(1)</sup>. وفي نداء "أولي الألباب" تنبئه أصحاب العقول على التأمل في مشروعية القصاص، ولذلك عرف المنادى بالإضافة دلالة على أن المنادى يتصرف بالعقل.

وحكمة القصاص لا يدركها إلا ذوي العقول البصرة الخالصة عن شوب الهوى، لأنهم هم الذين ينظرون في عواقب الأمور<sup>(2)</sup>.

وفي جملة: "ولكم في القصاص حياء" إيجاز، كقول العرب الفصحاء: "القتل أنفى للقتل"، وهو من جوامع الكلم البديعة<sup>(3)</sup>. وقد دلت كلمة "القصاص" على إبطال التكاليل بالدماء<sup>(4)</sup>. ذلك لأن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل، قتل أحجم عن القتل، فكان ذلك بمثابة الحياة له،

(1) ينظر، الزركشي، البرهان، 2/323.

((2) ينظر، الألوسي، روح المعاني، 448/1، والشوكاني، فتح القدير، 1/223، وابن عاشور، التحرير والتبوير، 2/145).

(3) ينظر، الباقلي، إعجاز القرآن، علق عليه، أبو عبد الرحمن صلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص55، والسكاكى، مفتاح العلوم، ص277، والرازى، مفاتيح الغيب، 5/49.

(4) ينظر، السكاكى، مفتاح العلوم، ص277، وابن عاشور، التحرير والتبوير، 2/145.

فالقصاص سبب لحياة حاصلة بالارتداع عن القتل<sup>(1)</sup>. ولو ترك لأخذ الناس بالثار، فكان من حكمة الله أن شرعيه. وفي جملة الترجي التي تفيد التعليل: "لعلكم تتقوون" بيان للائقى المراد بها عدم التجاوز في القتل محافظة على الأرواح، واستدامة للحياة، فيكون ذلك سببا للائقى. وإن هذا الحكم يدل على أن شريعة القصاص شريعة أزلية، وأنها كانت في الشرائع السماوية السابقة. وقد ذكرت بحكمتها و نتيجتها، وهي إحياء للأمة، والتخلص عنها إماتة لها. ووردت بقية هذه الصورة في الموضع الآية: المائدة، (68)، والأحزاب، (32).

**الصورة السابعة: أداة نداء (يا) + منادى (مركب إضافي) + مضمون نداء (جملة استفهامية) + جملة حالية.**

وردت هذه الصورة في سبع جمل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَكُفُّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشَهَّدُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

الخطاب لأهل الكتاب الذين يجحدون بما في كتاب الله الذي أنزله إليهم على ألسن رسليهم من أدلة، وهم يعلمون أنه حق من عند الله، أو هم يعلمون أن نعمت محمد ﷺ عندهم في التوراة والإنجيل، وهم ينكرونها، ولا يؤمنون به عناها وحسدا<sup>(3)</sup>.

فاجملة الحالية "وأنتم تشهدون" بينت حالتهم وهم على الكفر، وهي جملة يتوقف عليها المعنى. وتكرر هذا الخطاب في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَكُفُّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(4)</sup>. النداء يخرج إلى الإنكار، فقد أنكر عليهم سبحانه وتعالى كفرهم بآياته، وهم يشهدون أنها من عنده. ونظير هذه السورة - أيضا - قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَبْلِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

أعيد نداءهم قصد تسجيل باطلهم عليهم، ذلك أنهم أظهروا بأسنتهم من التصديق بمحمد ﷺ وما جاء به في غير الذي في نفوسهم من اليهودية والنصرانية،

(1) ينظر، الليساوي، غرائب القرآن، 2/485، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/18، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/371.

(2) آل عمران، 70.

(3) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/307، والسمرقندى، بحر العلوم، 1/276، والسيفى، مدارك التزيل، 1/182.

(4) آل عمران، 98.

(5) آل عمران، 71.

وأنخلطوا بذلك الديانتين بالإسلام، وهم يعلمون أن الله لا يقبل غير الإسلام دينا<sup>(1)</sup>.

والجملة الحالية: "وأنتم تعلمون" بینت هيئتهم وحالتهم حين كانوا يلبسون الحق بالباطل؛ فقد كانوا مدركين لما يقومون به من مخالفات لشريعة الله تعالى. ويحتمل أن يكون المعنى أنهم أدخلوا في دينهم من الخرافات والأباطيل بأن حرفوا الأحكام وعواضوها بتاويلاتهم وأعمال أهبارهم<sup>(2)</sup>. وهذا المعنى ورد أيضاً مخاطباً به بني إسرائيل في قوله: ﴿وَكَا تَبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

أما مضمون النداء فيدل على الإنكار والتوبیخ، وذلك أنه أنكر عليهم ليس الحق بالباطل وكتم الحق، لأن المنكر عليهم هو الكفر بآيات الله.

وتكرر ندائهم رابعة في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَّا تَصَدُّرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِغَوْهَهَا عِوْجَاهَا وَأَنْتُمْ شَهِدَاهُ﴾<sup>(4)</sup>.

والمعنى: قل لهم يا محمد: لأي سبب تصرفون المؤمنين عن جادة الإيمان وأنتم عارفون معرفة تامة بصدق محمد في نبوته؟ فإنكم بموقفكم هذا تريدون الانحراف عن منهج الحق. فهو توبیخ آخر وإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم.

وتكرار الخطاب في هذه الجمل بقوله: "يا أهل الكتاب" للتوبیخ بلين وطف، ولحملهم على الانضمام لدعوة الإسلام المتفقة مع أصول كتبهم.

ويعايش هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لَمَّا تُؤذُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

تحتفل هذه الجملة الندائية عن سابقاتها -من هذه الصورة- في أن المضاف إليه مذوق، وهو ياء المتكلّم الدالة على المنادي "موسى"، وحذفت اختصاراً، وبقيت الكسرة في آخر المنادي "قوم" دالة عليها. أما مضمون النداء فجملة استفهامية دلت على الإنكار؛ أي إنكار إلحاق الأذى برسول الله موسى عليه السلام.

ومعنى الجملة: اذكر يا محمد للمؤمنين خبر موسى حين قال لقوله: يا قومي لم تلحقون الأذى بي بمخالفة ما أمركم به من شرائع أو من الانتهاص وأنتم تعلمون صدقني فيما جعلتكم به؟.

يقول الزمخشرى: "كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتهاصه وعييه من نفسه ووحود آياته وعصيائه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة،

(1) ينظر، الطري، جامع البيان، 3/307، والماوردي، النكت والعيون، 1/401، والرازي، مفاتيح الغيب، 8/82، 81، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/514، 515.

(2) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/279.

(3) البقرة، 42.

(4) آل عمران، 99.

(5) الصاف، 5.

والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه<sup>(1)</sup>. ويبدو من خلال سياق هذه الآية وسابقاً لها في أن قصة أذى موسى سيقت لل المسلمين على سبيل المشابهة بين حاهم وحال بني إسرائيل، إذ أنه بعد أن أنب التاركين للقتال والهاربين منه بقوله: ﴿لَمْ تَقُولُنَّ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>. ذكر هنا أن حاهم يشبه حال بني إسرائيل مع موسى حين أمرهم بقتال أعدائهم. ولعل وجه المناسبة بين القصتين تتجلى في أن المسلمين عصوا أمر الرسول يوم أحد كما أن قوم موسى -أيضاً- جبوا عن قتال عدوهم<sup>(3)</sup>. وقالوا لموسى: "فَإِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبْكَ فَقَاتَلَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ"<sup>(4)</sup>. فناسب أن تكون الآية تحذيراً لل المسلمين من مخالفة أمر الرسول وعبرة بما يعرض لهم من المزعمة يوم أحد لما خالفوا أمره من عدم ثبات الرماة في مكانهم، وتسلية لرسول الله فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر<sup>(5)</sup>. ولهذا قال ﷺ: "رحمة الله على موسى لقد أؤذى بأكثر من هذا فصبر"<sup>(6)</sup>.

وجملة: "وقد تعلمون أني رسول الله" في موضع نصب حال، أي: تؤذوني عالمين أني رسول الله. وعلمهم بذلك يقتضي تعظيمه وتقديره لا أن يستهينوا به. وفيه إشارة إلى نهاية جهلهم إذ عكسوا الأمر فبدلوا مكان تعظيمه بإذاءه<sup>(7)</sup>.

ودلت "قد" - هنا - على تكثير علمهم وتحقق تأكيده، كأنه قال: وتعلمون علماً يقينياً لا شبهة فيه<sup>(7)</sup>. وجيء بالمضارع بعدها للدلالة على أن علمهم بذلك يتجدد بتجدد نزول آيات الله، وذلك أنساب، لأنه لو جيء بماض لما دل على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى، وهذا ليس هو المراد. ويلحق بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(8)</sup>.

المنادي "أهل" مضاد إلى "الكتاب". والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى المنزل عليهم التسورة والإنجيل. ومضمون النداء جملة استفهامية، تتالف بنيتها من: حرف جر "اللام"، و"ما" الاستفهامية، و فعل مضارع مسند إلى واو الجماعة "تحاجون"، وجار مجرور "في إبراهيم" متعلق بالفعل.

والمستفهم (الله تعالى) يسأل أهل الكتاب (المستفهم) عن خصامهم في إبراهيم الخليل "المستفهم عنه".

نزلت هذه الآية بسبب ادعاء كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه، فأكذبهم الله تعالى

(1) الكشاف، 98/4.

(2) الصف، 2.

(3) ينظر، ابن عاشور، التحرير و التبيير، 178/28.

(4) المائدة، 24.

(5) ينظر، الحمصي، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 384/1995، 385.

(6) آخرجه ابن حبلي في مسنته، 380/1.

(7) ينظر، الزمخشري، الكشاف، 38/4.

(8) آل عمران، 65.

وأدحض حجتهم بأن التوراة والإنجيل إنما أنزل من بعده<sup>(1)</sup>. فقال تعالى - في هذه الآية - "... وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده". ثم أخبر عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفي عنه اليهودية والنصرانية والإشراك به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يُهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

ويستفاد من الجملة أن أهل الكتاب كانوا يجادلون فيما لا علم لهم به، لأنه لا مستند لهم في علمهم بأمور الدين إلا التوراة والإنجيل، وهما قد نزلا من بعد إبراهيم. والمقصود من النداء: التنبية على الغلط.

وتكرر نداء أهل الكتاب - في مثل هذه الصورة - في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تُقْرِنُونَ مِنَا إِلَّا أَنَّا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِنَا﴾<sup>(3)</sup>.

المراد بـ"أهل الكتاب" - هنا - اليهود؛ فقد ذكر الطبرى عن ابن عباس، قال: جاء نفر من اليهود، فسألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به من الرسل؟ فقال: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل، إلى قوله: ونحن له مسلمون"<sup>(4)</sup>. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بمن آمن به ! فأنزل الله فيهم هذه الآية<sup>(5)</sup>. وللمعنى: هل تعيرون علينا أو تنكرتون وتعدون ذنبا ما لا ينكر ولا يعاب، وهو الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها؟.

وهذا الحوار لطيف ووجيز، وهو يدل على أن الناقمين اليهود ما نقموا على المسلمين إلا ما لا ينقم ولا يُعد نقية ولا عيما، ونظيره قول النابغة الذبياني:

**وَلَا عَيْبٌ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيِّوفَهُمْ  
بِهِنْ فَلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ**<sup>(6)</sup>

والاستفهام إنكارى تعجبى؛ فالإنكار دل عليه الاستثناء في قوله: "إلا أن آمنا بالله...". والتعجب دل عليه أن مفعولات "تقمون" كلها محسن لا يحق نقمتها، أي: ما وجدتم شيئاً تقمونه إلا ما ذكر !! فاما الإيمان بالله وما أنزل من قبل فقد رضوه لأنفسهم، فلا ينبغي أن ينقموا على المسلمين وهم أهل ديانة مثلهم. وأما الإيمان بما أنزل على محمد كذلك، لأن المسلمين رضوه لأنفسهم، ولا دخل لأهل الكفر فيه، كما أن الإسلام دعاهم إليه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. مما وجه السقم إذا من المسلمين؟! لا شيء إلا الحسد الذي دفعهم إلى ذلك.

(1) ينظر، الطري، جامع البيان، 3/303، والماوردي، النكت والعيون، 1/400، 399، والقرطبي، الجامع، 4/107.

(2) آل عمران، 67.

(3) المائدة، 59.

(4) أي ما نزل في الآية 136 من سورة البقرة.

(5) ينظر، جامع البيان، 6/632.

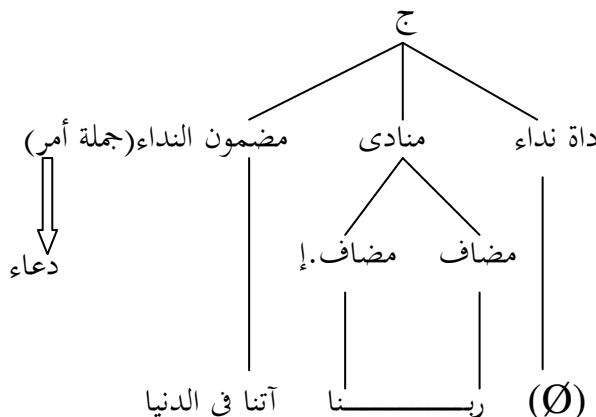
(6) الديوان، ص 11.

**النحو الرابع: أداة نداء مذوقة + منادى (مركب إضافي) + مضمون النداء.**

ورد هذا النحو في اثنين وأربعين جملة، تتوزعها الصور الآتية:

**الصورة الأولى: أداة نداء مذوقة + منادى (مركب إضافي) + مضمون النداء (جملة أمر).**

وردت هذه الصورة في أربع عشرة جملة، منها قوله تعالى: ﴿فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبُّنَا أَنَّا فِي الدُّنْيَا﴾<sup>(1)</sup>.



أداة النداء مذوقة في البنية السطحية، تبرزها البنية العميقية، إذ هي الأداة "يا"، والمنادى "رب" مضاف إلى ضمير المتكلمين "نا"، الدال على المشركين بدلالة المقام. أما مضمون النداء فورد جملة أمر دلت على الدعاء. والفعل فيها متعدد إلى مفعولين، وقد حذف المفعول الثاني، لأنه معلوم، والتقدير: آتنا في الدنيا مطلوبنا أو ما نريد أو ما يماثل هذا. والدعاء صادر من المشركين، فقد كانوا لا يسألون الله تعالى في مناسك الحج ولا متابعة الدنيا، ولا يسألونه التوبة والمغفرة، إذ هم لا يؤمنون. وكان الرجل منهم لا يذكر الله وإنما يذكر أباءه ويسائل أن يعطي رزقا<sup>(2)</sup>. فأخبر القرآن عن هذا القسم من الناس -في هذه الآية- بقوله: **﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾**، أي: ليس له حظ من النعيم عند الله في الآخرة. وهو وعيد منه تعالى لهذه الفئة من الناس. وإذا كان هذا دعاء المشركين، فإن دعاء المؤمنين يخبر الله تعالى عنه بقوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبُّنَا أَنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَاتَ عَذَابَ النَّارِ﴾**<sup>(3)</sup>. فالمؤمن يسأل ربه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

(1) البقرة، 200.

(2) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 2/311، والبغوى، معالم التنزيل، 1/176، والقرطبي، الجامع، 2/432، والخازن، لباب التأويل، 1/133.

(3) البقرة، 201.

ويتضح من الجملتين أن الذين أمروا بذكر الله في مناسك الحج قسمان: أحدهما: اقتصر في الدعاء على طلب الدعاء، فلا يسأل إلا متابعاها، وهم المشركون، لأنهم لا يعتقدون البعث. والثاني: جمع في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة، وهم المؤمنون<sup>(1)</sup>. فسألوا الله في الدنيا المعيشة الحسنة، وفي الآخرة الجنة.

ويكون هذا الخطاب من طرق الالتفات. ولو جاء على الخطاب لقال: فمنكم من يقول، ومنكم من يقول. وغرض هذا الالتفات أنهم ما وجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن ينتهجه العقلاء، وهو الاقتصار على طلب الدنيا، فأظهروا في صورة أنهم غير مخاطبين بذكر الله تعالى بأن جعلوا في صورة الغائبين. وهذا من التقسيم الذي يعد من ضروب الفصاحة والبيان، وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذين الصنفين من الناس.

ومما يمثل هذه الصورة قوله: **﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرْاً وَتَبَّتْ أَفْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**<sup>(2)</sup>.

تحتفل هذه الجملة عن سابقتها —من هذه الصورة— في أن مضمون النداء أجيوب بثلاث جمل أميرية، ربطت بينهما أداة العطف "الواو" وصيغها أمر، دلالاتها دعاء. والدعاء صادر من جماعة المؤمنين في جيش (طالوت) بدلالة السياق، وذلك حينما بزروا لقتال (جالوت) وجندوه، فتضرعوا للله تعالى أن يمنحهم قوة الصبر على القتال والثبات أمام العدو والإعانة على دحض قوى الكفر.

وورد نظير هذه الجملة في قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أَفْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**<sup>(3)</sup>.

يلحظ أن مضمون النداء اشتمل على ثلات جمل أميرية أفادت الدعاء. وفي هذا الدعاء إخبار منه سبحانه وتعالى عن الربيين بعد أن قتل منهم، وقتل نبيهم، وقد استماتوا في القتال، ولم يفروا، ووطنوا أنفسهم على الموت، واستغفروا لذنبهم، ليكون موقهم على التوبة، ودعوا الثبات والانتصار على الكافرين<sup>(4)</sup>.

وفي هذا الإخبار عن هذه الطائفة المؤمنة الخاضعة لأمر الله ورسوله فيجهاد عدوه تأنيب للمسلمين الذين ضعفوا واستنكروا وفروا من العدو يوم أحد، ولم يكونوا كأولئك الربيين الذين سألوا ربهم النصر على الكافرين فانتصروا<sup>(5)</sup>. يقول أبو حيان: "لما ذكر ما كانوا عليه من الجلد والصبر وعدم الوهن والاستكانة للعدو... ذكر ما كانوا عليه من الإبانة والاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء، وحصر قولهم في ذلك القول فلم يكن لهم ملجاً ولا مفرعاً إلا الله تعالى،

(1) ينظر، السمرقندى، بحر العلوم، 194/1، والحازن، لباب التأويل، 134/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/112.

(2) البقرة، 250.

(3) آل عمران، 147.

(4) ينظر، القرطبي، الجامع، 4/231.

(5) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 4/465، والقرطبي، الجامع، 4/231.

و لا قول لهم إلا هذا القول لا ماكنتم عليه يوم أحد من الاضطراب و اختلاف الأقوال<sup>(1)</sup>. وهذا المعنى تبرزه الآيات السابقة التي تتحدث عن انتقام المسلمين في وقعة أحد، ويidel عليه سياق هذه الآية، لأن القصص القرآني عبرة المسلمين.

وورد كذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا أَتِهِمْ ضِعَفَيْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾<sup>(2)</sup>.

الدعاء صادر من الكافرين بدلالة سياق هذه الآية وسابقتها. وقد دعوا الله وهم يومئذ في جهنم بأن يعذب رؤسائهم وكبارهم مثل عذابهم ضعفين على سبيل الانتقام والتشفي. وفي وصف العذاب بالضعفين واللعن بالكثرة إشارة ورمز إلى أن السادة والكبار، استحقوا مثل عذابهم مررتين؛ عذاب الكفر، وعذاب الإضلال والإغواء، لأنهم ضلوا وأضلوا.

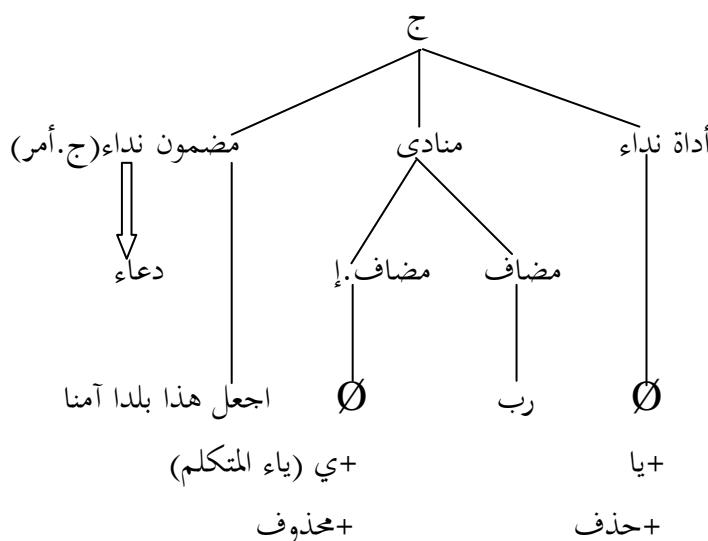
ويidel النداء على الابتهاج والضراوة لله لقبول دعائهم حتى إذا قبل طمعوا في التخلص من العذاب الذي ألقوه على عاتق سادتهم وكبارهم. وفي هذا إحاللة الذنب على غيرهم كما هي عادة المذنب يقوم بذلك وهو عالم أنه لا جدوى من فعله.

وتعد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الموضع الآتية:

البقرة، (129، 127، 128)، آل عمران، (193، 194)، النساء، (75)، والحضر، (10)، والمتمنية، (5)، والتحريم، (8).

**الصورة الثانية:** أداة نداء (محذفة) + منادي ( مضاف ) + مضاف إليه (محذف) + مضمون نداء (جملة أمر).

وردت في خمسة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾<sup>(3)</sup>.



(1) البحر الخيط، 3/81، وينظر، الطبرى، جامع البيان، 4/465.

(2) الأحزاب، 68.

(3) البقرة، 126.

أداة نداء ممحوقة، تقدر بـ"يا". وقد كثر في القرآن حذف أداة النداء مع المنادى "ربٌّ" ، أو "ربنا" ، فهو قريب يسمع دعوة الداعي إذا دعا، ولا يحتاج إلى تصويت مصداقاً لقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتَكُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾<sup>(1)</sup>.

المنادى "رب" مضارف إلى باء المتكلّم الممحوقة، ويجوز حذفها ويكتفى بالكسرة<sup>(2)</sup>. وهذه الياء تدل على المنادي، وهو سيدنا إبراهيم الخليل بقرينة اللفظ، وقد دعا ربه ليجعل مكة المكرمة بلداً يسوده الأمن والرخاء. ومقصده أن تتوفر أسباب الإقامة لأهل مكة فيعمروها ويكونوا دعاة لما بنيت الكعبة الشريفة من أجله<sup>(3)</sup>. ولعل ما جعل إبراهيم عليه السلام يدعوا ربه أنه اسكن ذريته في بلد غير ذي زرع ولا ضرع، فسأل ربه أن يؤمنهم من الجوع، وينحهم الأمان والاستقرار. وقد استجاب الله دعائه، فظلت مكة على مر العصور حرماً آمناً.

ومن هذه الصورة قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾<sup>(4)</sup>.

تبين من مضمون النداء أن إبراهيم الخليل دعا ربه أن يريه كيفية الإحياء. وقد تكون مسأله ربه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه، ويود أن يعرف ذلك من الله ليطمئن، أو أنه احتاج إلى معجزة تظهر على يديه، لتكون دليلاً آخر على صدق رسالته<sup>(5)</sup>، فيزول الإنكار عن قلوب أمنته فيؤمنون. وكذلك قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾<sup>(6)</sup>.

المنادى لفظ "رب" مضارف إلى باء المتكلّم الممحوقة، والكسرة في آخر المنادى تدل على المنادى "زكرياء" بقرينة اللفظ—في هذه الآية—في قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...﴾.

ومضمون النداء جملة أمرية، استخدم فيها الفعل "هُب" المخاطب به الله تعالى، وقد تعلق به الجار وال مجرور" من لدنك" ، بمعنى من عندك. ويحتمل أن يكون الجار وال مجرور" من لدنك" متعلقاً بصفة ممحوقة من "ذرية" ، وقدّم عليها فأصبح حالاً منها. وتعدى الفعل "هُب" إلى مفعول به "ذرية" . والذرية: اسم جنس يقع على واحد فصاعداً. وقال الطبرى: إنما أراد هنا بالذرية واحداً، ودليله طلب زكرياء ولها واحداً، ولم يطلب أولياء<sup>(7)</sup>. فقد أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾<sup>(8)</sup>.

(1) البقرة، 186.

(2) ينظر، الزجاجي، الجمل في النحو، ص 159، ابن هشام، مغني المبيب، 1/ 598، والكتفو، الكليات، ص 1032، وتمام حسان، البيان في روايي القرآن، ص 225.

(3) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 716.

(4) البقرة، 260.

(5) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 419، 418، والرازي، مفاتيح الغيب، 7/ 34.

(6) آل عمران، 38.

(7) ينظر، جامع البيان، 3/ 248.

(8) مريم، 5.

وقال ابن عطية: "وفيما قاله الطبرى تعقب، وإنما الذرية والولي اسم جنس يقعان للواحد فيما زاد، وهكذا كان طلب ذكرياء عليه السلام"<sup>(1)</sup>.

ووصف لفظ "ذرية" بـ"طيبة". وحملت الصفة على الموصوف في التأنيث. ومعنى "طيبة": مباركة<sup>(2)</sup>.

وقال ابن عطية: معناها "سليمة في الخلق والدين نقية"<sup>(3)</sup>. فقد طلب ذكرياء ربه أن يهبه ذرية صالحة. واستعمل الفعل "هب" المفيد للدعاء، لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضاً للواهب، ولما كان ذلك يكاد يكون على سبيل ما لا تسبّب فيه، لا من الوالد بكبر سنه ولا من الوالدة لكونها عاقراً لا تلد، فكان وجوده كالوجود بغير سبب، أتى هبة مخصصة متساوية إلى الله بقوله: "من لدنك"، أي من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب<sup>(4)</sup>.

وفي النص دلالة على مشروعية طلب الذرية الصالحة. وهي سنة المرسلين والصديقين.

وتكرر دعاء ذكرياء في مثل هذه الصورة - في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعُلْ لِي آيَةً﴾<sup>(5)</sup>.

هنا طلب ذكرياء من ربه أن يجعل له آية دالة على حصول ما يبشر به. والأية - هنا - العالمة التي تدلّه على حمل زوجه استعجالاً للابتهاج ولشكر الله على نعمته. وذكر الطبرى عن السدي أن ذكرياء قال: رب إن كان ذلك الكلام من قبلك والبشرة حق فاجعل لي آية أعرف بها صحة ذلك<sup>(6)</sup>. فأجابه الله عقب دعائه - في هذه الآية - بقوله: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾. فجعل الله عالمة ذلك ألا يستطيع مكالمة الناس مدة ثلاثة أيام متالية إلا بالرمز والإشارة بالرأس أو اليد أو نحوهما.

يلحظ أن الدعاء بلفظ "رب" ورد في سبع وستين جملة من القرآن الكريم، منها إحدى عشرة جملة في سور المدنية، أطرد حذف أداة الداء "يا" المتalking (المضاف إليه). ولم تذكر أداة الداء إلا في موضعين<sup>(7)</sup>.

ووردت بقية هذه الصورة في الآية، (11) من سورة التحرير.

(1) المحرر الوجيز، 3/96.

(2) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/247.

(3) المحرر الوجيز، 3/96.

(4) أبو حيان، البحر المحيط، 2/463.

(5) آل عمران، 41.

(6) ينظر، جامع البيان، 3/258.

(7) الموضع الأول، في قوله تعالى، "وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً" الفرقان، 30.

الموضع الثاني، في قوله، "وبكله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون". الرخرف، 88.

والدعاء في الموضعين جرى على لسان محمد ﷺ مناجياً ربه سائلاً النصر.

## الصورة الثالثة: أداة نداء(محذفة)+منادى(مركب إضافي)+مضمون النداء(جملة نهي).

وردت هذه الصورة في خمس جمل، منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾<sup>(1)</sup>.

مضمون النداء جملة نهي أفادت الدعاء. والدعاء صادر من المؤمنين بدلالة سياق الآية. فقد دعوا الله أن لا يزيغ قلوبهم. ويجوز أن يكون محكيا عن قول الراسخين في العلم في الآية السابقة. أي: يقولون: ربنا لا ترغ قلوبنا، وذلك لما رأوا الناس بين زاغ ومتذكر مؤمن. فدعوا بلفظ الرب ألا يزيغ قلوبهم بعد هدايتهم، فيلحقوا بهن في قلبه زبغ . ويجوز أن يكون تلقينا منه سبحانه وإياهم. فيكون التقدير على إضمار القول، أي: قولوا ربنا لا ترغ قلوبنا<sup>(2)</sup>. والأول أرجح لاتصال الكلام.

وال فعل المضارع "تُرِغْ" من الإزاغة. والإزاغة- هنا- الضلاله. يقال: زاغ عن الطريق إذا عدل عنه<sup>(3)</sup>. ويكون معنى الجملة: ربنا لا تقل قلوبنا عن الحق والمداية بابتغاء التأويل الذي لا يليق بنا، كما أزغت قلوب أولئك. وقال الزمخشري: "لا تبلنا ببلايا تزبغ فيها قلوبنا ... أولاً تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا"<sup>(4)</sup>. أي: لا تتكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزبغ عن المهدى.

وجملة: "بعد إذ هديتنا" تدل على حصول المداية للمؤمنين، وهم يرجون قبول دعائهم، لتحقق المداية منه تعالى. وفي هذا المعنى تلطف منهم في الطلب؛ إذ أستندوا الفعل في "هديتنا" إلى المخاطب المراد به الله تعالى، فكانت المداية تفضلا منه.

ويعاشر هذه الصورة قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنَّ نَسِيَّنَا أَوْ أَخْطَأَنَا﴾<sup>(5)</sup>.

مضمون النداء جملة: "لا تؤاخذنا..." والمؤاخذة مشتقة من الأخذ. وهي بمعنى العقوبة، يقال: آخذه بذنبه إذا عاقبه<sup>(6)</sup>. فكأنه تعالى يأخذ المذنب بالعقوبة، والمذنب كأنه يأخذ بالمطالبة بالغفو، إذ لا يخلصه من عذاب ربه إلا هو جلت قدرته، فلذلك يتمسك العبد عند الخوف منه به.

ومعنى الجملة: لا تؤاخذنا بالعقاب على فعل صدر منا نسيانا أو خطأ.

ودلالة النداء دعاء وتضرع. وقد يكون هذا الدعاء محكيا عن قول المؤمنين الذين قالوا "سمعا وأطعنا"، -في الآية السابقة- ويجوز أن يكون تلقينا منه سبحانه وإياهم بأن يقولوا هذا الدعاء. فيكون التقدير على إضمار القول، أي: قولوا في دعائكم: ربنا لا تؤاخذنا.

(1)آل عمران، 8.

(2)ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 2/402.

(3)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 8/432، (زبغ).

(4)الكاف، 1/413.

(5)القراءة، 286.

(6)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 3/473، (أخذ).

وتكرر نظير هذه الجملة في الآية نفسها، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ . وقوله: ﴿رَبَّنَا وَكَا تُحَمِّلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ .

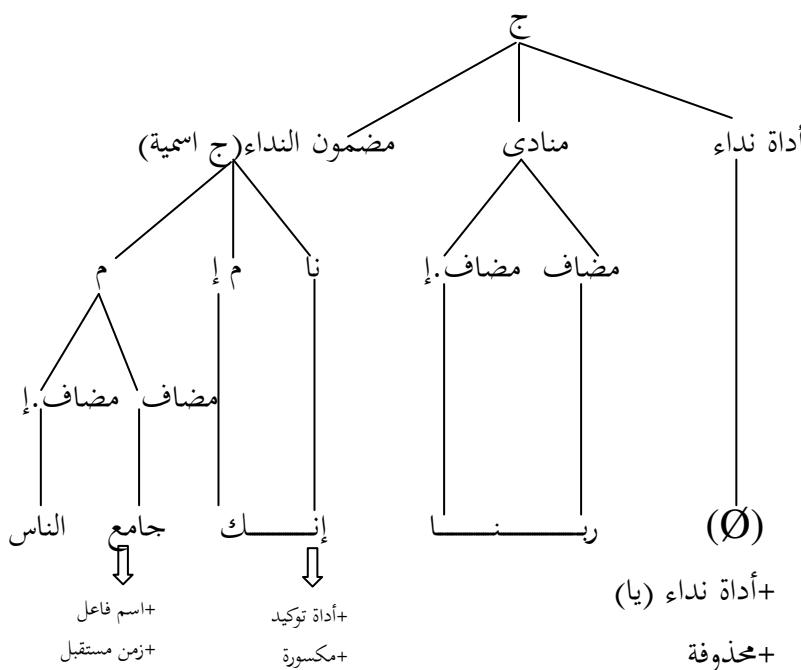
جاءت جمل النهي الثلاث مقابلاً جمل أمرية، ف مقابل: "لا تؤاخذنا" بقوله: "واعف عننا"، و مقابل قوله: "ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به" بقوله: "وارحمنا"، لأن من نتائج وأشار عدم المؤاخذة بالنسیان والخطأ العفو، ومن آثار عدم حمل الأصر عليهم المغفرة، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(1)</sup>.

الدعاء صادر من المؤمنين، ودل على ذلك سياق هذه الآية وسابقتها، فقد دعوا الله تعالى ألا يعذهم بأيدي الكفار، وألا يسلطهم عليهم فيقتلوهم عن الدين.

**الصورة الرابعة:** أداء نداء (محذوفة)+منادي (مركب إضافي)+مضمون النداء (جملة خبرية).

وردت في أحد عشر موضعاً منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا مَرِيبَ فِيهِ﴾<sup>(2)</sup>.



الدعاء صادر من الراسخين في العلم، وذلك بقرينة اللفظ في الآية السابقة. ويدل مضمون النداء على إقرار الراسخين في العلم بالبعث ليوم القيمة؛ فالله باعث الناس ومحييهم بعد تفرقهم. وهو حق وإن وقع فيه شك عند

(1) الممتحنة، 5.

(2) آل عمران، 9.

المكذبين الذين اتبعوا ما تشابه عليهم من أمره حتى أنكروه<sup>(1)</sup>. يقول أبو حيان: "وظاهر هذا الجمع أنه الحشر من القبور للمجازاة، فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم<sup>(2)</sup>: "جامع الناس" بالتنوين ونصب الناس"<sup>(3)</sup>. على أنه مفعول به لاسم الفاعل "جامع".

ومعنى الجملة: إنك يا إلينا جامع الناس للجزاء في يوم القيمة، ووعدك الحق، فهب لنا المداية والتوفيق، لنفوز بالتعيم. وهذا الدعاء كدعاء إبراهيم التكليلا: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِلَّهِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(4)</sup>. وذلك على ما في تذكر يوم الجمع من المناسبة. فالغرض من الدعاء ما يتعلق بالأخرة.

وبما يمثل هذه الصورة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾<sup>(5)</sup>.

الدعاء صادر من أولي الألباب الذاكرين الله. وقد جاء ذكرهم في هذه الآية-في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَيَّامًا وَقُعُودًا...﴾.

ومضمون النداء جملة خبرية منافية بـ"ما". والمعنى: ربنا ما خلقت هذا الخلق عيشا ولا أوجدته باطلا، فأنت منزه عن الباطل، وكل ما خلقت لا يخلو من فائدة وحكمة. والمقصود نفي عقائد الذين يفضي اعتقادهم إلى أن خلق الله باطل، أو لا حكمة فيه.

وتكرر ندائهم ثانية -في مثل هذه الصورة-عقب هذا النداء، في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَى يَتَّهِ﴾<sup>(6)</sup>.

جاء مضمون النداء جملة خبرية مؤكدة بـ"إن" الناسخة للعنابة. والمعنى: يا ربنا إن من أدخلته النار بسبب انحرافه وضلاله فقد أحزنته. ومن أحزنه الله فقد أبعده ومقته وأهانه. يقال: حَزِي، يَحْزِي، حِزِي، إذا وقع في بلية<sup>(7)</sup>. وقال ابن عطية: "الحزى": الفضيحة المخلجة المادمة لقدر المرء<sup>(8)</sup>. وفي هذا المعنى إشارة إلى أن دخول النار حزى ومهانة؛ فالحزى ترفضه النفوس ولا تطيقه.

وتكرر ندائهم ثالثة في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يَنْادِي لِلْإِيمَانِ أَنَّ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَإِنْكُمْ﴾<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/30، والقرطبي، الجامع، 4/21.

(2) هو أبو حاتم السجستاني بن محمد بن عثمان البصري. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره. وأخذ العربية على أبي عبيدة، والأصمعي. توفي سنة 255 هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/220، 219.

(3) البحر المحيط، 2/404.

(4) إبراهيم، 41.

(5) آل عمران، 191.

(6) آل عمران، 192.

(7) ينظر، ابن فارس، معجم اللغة، 2/288، وابن منظور، لسان العرب، 14/226. (خزا).

(8) المحرر الوجيز، 3/464.

(9) آل عمران، 193.

وفي هذا التكرار مبالغة في التضييع والابتهاج لله.

ورد مضمون النداء مؤكداً بـ "إنَّ" الناسخة. والمسند إليه ضمير المتكلمين "نا" عائد إلى أولى الألباب الذاكرين الله، في الآية السابقة. والمسند في قوله: "معنا" يدل على الزمن الماضي، وفيه إشارة إلى أن السمع قد تم، وكانت الاستجابة عن طواعية.

وال فعل "مع" تدعي إلى المفعول به "منادي". والمنادي اسم فاعل، والمراد به الرسول ﷺ؛ فهو المنادي للإيمان. ولما كان الفعل "ينادي" منزلة يدعوا حسن وصوله باللام<sup>(1)</sup>. واللام تفيد العلة، أي: لأجل الإيمان. و"أن" في "أن آمنوا" تفسيرية<sup>(2)</sup>، لما في الفعل المضارع "ينادي" من دلالة القول. وجيء بفاء التعقيب في "فآمنا" للدلالة على السبق إلى الإيمان. وذلك دليل على سلامة سجيتهم وفطرهم التي فطربهم الله عليها.

ومن هذه الصورة -أيضاً- قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتْنَا وَكَبَّرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ﴾<sup>(3)</sup>.

في الابتداء بالنداء ووصف الريوية إظهار للابتهاج لله تعالى. والذين دعوا الله، وتضرعوا له هم الكافرون بقرينة السياق، وذلك حينما رأوا العذاب وحشروا مع رؤسائهم وسادتهم في جهنم. وجملة: "إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ...". مكونة من أداة نسخ "إن"، ومسند إليه ضمير المتكلمين "نا"، ومسند "أطعنا". و فعل الطاعة عدي إلى المفعول به في: "سادتنا".

وأختلف في قراءة "سادتنا"، فقرأ ابن عامر: "ساداتنا" بزيادة ألف بعد الدال وكسر التاء بزنة جمع المؤنث السالم، فهو جمع الجمع، على إرادة التكثير. وقرأ الجمهور: "سادتنا" بفتح التاء. والصادمة جمع سيد على وزن " فعلة"، وهو يدل على القليل والكثير، لأنه جمع تكسير<sup>(4)</sup>. والصادمة عظماء القوم كالملوك والرؤساء.

وعطف قوله: "كباراءنا" على "سادتنا". والكباراء: جمع كبير، وهو كبير القبيلة. وهو أقل شأناً من السادة. والمعنى: يا ربنا إنا أطعنا في الضلال والكفر رؤسائنا وقادتنا، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أنفسنا محقون فيما قالوا، فأبعدونا عن طريق الرشد بما زينوا لنا من حياة الكفر. وقال القرطبي: "والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة، أي: أطعنهم في معصيتك وما دعونا إليه"<sup>(5)</sup>.

ويحمل هذا المعنى إقرار منهم بالحقيقة؛ فقد أطاعوا سادتهم وكبارائهم في الضلال. وهو إقرار يدل على تضجر وشكابة؛ فقد شكوا أمرهم الله متنصلين من تبعه قادتهم الذين غدروا بهم وخددعواهم. والغرض من الإقرار طلب الاعتذار والعفو مما وقعوا فيه. واعتذارهم هذا مرفوض، لأنهم عصوا الله، وقد اعترفوا بذنبهم، حيث

(1) ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 465/3.

(2) ينظر، المصدر السابق، 465/3.

(3) الأحزاب، 67.

(4) ينظر، أبو زرعة، حجة القراءات، ص 580، والقيسي، الكشف، 2/199، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 12/122، وابن الجوزي، زاد المسير، 6/424.

(5) الجامع لأحكام القرآن، 14/249.

أطاعوا المضللين وخالفوا الرسل. ووردت هذه الصورة - كذلك - في قوله: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَبْنَا وَإِلَيْكَ  
الْمُصِيرُ﴾<sup>(1)</sup>.

الظاهر من سياق الآية وسابقتها أن يكون الدعاء من كلام إبراهيم عليه السلام وقومه، مما فيه من أسوة حسنة يقتدى به. ويحتمل أن يكون تعليماً من الله سبحانه لل المسلمين أن يقولوا هذا القول ليجري عملهم بمقتضاه، فهو على تقدير فعل القول، أي قولوا: "ربنا عليك توكلنا..." معناه: اعتمدنا عليك - يا رب - في كل أمور الدنيا، وعدنا إليك بالتوبة والاستغفار من كل ذنب، وإليك المآب والمرجع في الآخرة. وترد بقية هذه الصورة وملحقاتها في الآتي: البقرة، (285)، آل عمران، (16، 53)، والمائدة، (83)، والحضر، (10).

**الصورة الخامسة: أداة نداء (محذوفة) + منادي (مركب إضافي) + مضاف إليه (محذوف) + مضمون النداء (جملة خبرية).**

وردت هذه الصورة في أربع جمل، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ كَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي  
مُحَرَّرًا﴾<sup>(2)</sup>.

أداة النداء محذوفة تقدر بـ "يا"، والمنادي لفظ "رب" مضاف إلى ياء المتكلّم المحذوفة الدالة على المنادي "امرأة عمران" بقرينة اللفظ، وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم - عليها السلام - والمنادي به جاء جملة خبرية مؤكدة بـ "إن" لتأكيد الخبر في جملة "إني نذرت لك ما في بطني محرراً".

وتقديم الجار والمجرور "لك" عن المفعول به "ما" للفعل "نذر" للدلالة على الاهتمام بالمنادي، واللام فيه لام السبب، والكاف لخطاب المنادي "رب" جل شأنه، وذلك على تقدير محذوف: لخدمة بيتك أو للاحتباس على طاعتك<sup>(3)</sup>.

ويتبّع من مضمون النداء أن امرأة عمران نذرت ما في بطنه مخلصاً لخدمة بيت المقدس، لا يشوبه شيء من أمور الدنيا. وكان الخادم للكنائس يومئذ عرفاً في الذكور خاصة<sup>(4)</sup>. ولم تنص على ذكورته بأن قالت: "إني نذرت لك ما في بطني محرراً"، لمكان الإشكال، أو أنها تظنه ذكراً، فصدر منها النذر عن وصف الذكورة مطلقاً، أو لرجاء منها أن يكون ذكراً<sup>(5)</sup>، لأنه ليس كالأنثى في خدمة الكنيسة.

(1) الممتحنة، 4.

(2) آل عمران، 35.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 2/ 455.

(4) ينظر، الطري، جامع البيان، 3/ 234، وابن عطيه، المحرر الوجيز، 3/ 86، 87، 88.

(5) ينظر، ابن عطيه، المحرر الوجيز، 3/ 87، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/ 455، وابن عاشور، التحرير والتبيير، 3/ 232.

وهذا النذر عجيب، لأنها نذرت أعز ما كانت تنتظره، وهو يدل على عمق إيمانها وإخلاصها لله تعالى. وتكرر نداء أم مريم عليها السلام -في مثل هذه الصورة- في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُ أَنِّي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾<sup>(1)</sup>. ورد مضمون النداء: "إني وضعتها أنشى" مؤكدا بـ"إن" مراعاة لأصل الخبرية وتحقيقا لكون المولود أنشى، إذ هو بوقوعه على خلاف المتظر. وأنث الضمير في "وضعتها أنشى" مطابقة للحال الازمة في لفظ "أنشى"، إذ يتوقف المعنى عليها. فهي تعلم أن الله تعالى عالم بالذى وضع، ولكنها تتحسر إذا ولدت أنشى، وكانت تود لو كان المولود ذكرا، ليكون محرا لخدمة بيت المقدس<sup>(2)</sup>. فهي لا تعلم من حالها إلا هذا القدر من كونها أنشى لا تصلح للخدمة بسبب كونها عورة.

وحيء بالجملة المعترضة: "والله أعلم بما وضعت"، لإفاده الكلام تقوية وتسديدا. وقرأ الجمهور: "وضعت" - بتاء التأنيث الساكنة - فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران. وهو عندئذ من كلام الله تعالى، وليس من كلامها المحكي. وفي هذه القراءة تقسم وتأخير، والمعنى: قالت: رب إني وضعتها أنشى، وليس الذكر كالأنثى. فقال الله تعالى: "والله أعلم بما وضعت"<sup>(3)</sup>. المراد: الإخبار من الله بأنه أعلم منها بنفاسة ما وضعت وبحاله، وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر<sup>(4)</sup>: بضم التاء<sup>(5)</sup>، على أنها ضمير المتكلمة (امرأة عمران). فتكون الجملة من كلامها المحكي، وليس ثمة في الكلام تقسم ولا تأخير<sup>(6)</sup>. فقد خاطبت نفسها على سبيل التحسير على فوات المأمول.

ووردت بقية الصورة في موضعين: المائدة، (25)، والمنافقون، (10).

**الصورة السادسة: أداة نداء (محذفة) + منادى (مركب إضافي) + مضمون النداء (جملة استفهامية).**

وردت في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَمْ كَبِّثْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾<sup>(7)</sup>. المنادي غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه المقام في هذه الآية، إذ هم الذين: ﴿قِيلَ لَهُمْ كَفُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَوةَ فَلَمَّا كَبَّثُوا عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَّةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَّةً﴾.

(1) آل عمرن، 36.

(2) ينظر، سعيد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص 90.

(3) ينظر، النحاس، معاني القرآن، 487/1، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 161.

(4) أبو بكر بن عياش، بن سالم الأسدية الكوفي، كان عالماً عاماً. فرأى القرآن على عاصم، وعرض على عطاء بن السائب. توفي سنة 193هـ. ينظر، الذهبي، معرفة القراء الكبار، 134/1، وما بعدها.

(5) ينظر، ابن خالويه، الحجۃ، ص 108، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 160، والداني، التيسير، ص 73، وأبو حيان، البحر المحيط، 457/2.

(6) ينظر، النحاس، معاني القرآن، 487/1.

(7) النساء، 77.

وأختلف في هؤلاء السائلين الله، فقال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في طائفة من المؤمنين، كانوا لقوا بمكة من المشركين أذى كبيراً قبل أن يهاجروا إلى المدينة، فيشكون إلى الرسول، ويقولون: يا رسول الله أئذن لنا في قتال هؤلاء، فإنهم آذونا، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأمروا بالقتال وبالسير إلى بدر شق على فريق من جملة الذين استأذنوه، ففيهم نزلت الآية<sup>(1)</sup>.

ويروى عن ابن عباس أن من هؤلاء عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقادمة بن مطعمون وسعد بن أبي وقاص<sup>(2)</sup>.

والظاهر من مضمون النداء: "لم كتبَ علينا القتال؟" هروب من أمر الجهاد، وقلة خصوص واستسلام لأحكام الله تعالى. وهذا لا يحسن في طائفة من أصحاب رسول الله، وإن كانوا قد طلبوا ذلك، "إنما طلبوا التأخير إلى وقت ظهور الإسلام وكثرة عددهم"<sup>(3)</sup>. ويجتمل أنهم لم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله، ولكن خوفهم من القتال؛ فالماء محبول على كراهيته ما فيه من خوف هلاكه غالباً.

وقال بعض المفسرين الآية نزلت في المنافقين<sup>(4)</sup>. والظاهر من السياق أن الآية كسابقتها نزلت في المنافقين توبخاً لهم. ومن ذلك أن السياق في هذه الآية اشتمل على أمور تدل على أنها مختصة بالمنافقين، لأنه تعالى قال في وصفهم: "يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية". وهذا الوصف لا يكون إلا لمنافق<sup>(5)</sup>.

وعلى هذا الوجه يتبعين تأويل الآية بأن المؤمنين الذين استأذنوا في قتال المشركين وهم بمكة، أنهم لما هاجروا إلى المدينة كرروا رغبتهم، وأن المنافقين تظاهروا بالرغبة تمويهًا. ولما فرض القتال على المؤمنين جبن المنافقون وطلبو تأجيل القتال. فوبخهم الله على ذلك الموقف المتناقض.

**الصورة السابعة: أداة نداء (محذفة)+منادي(مركب إضافي)+ مضاف إليه(محذف)+ مضمون النداء(جملة استفهامية)+ جملة حالية.**

وردت في موضعين، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيْ مَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ لَغَنِيَ الْكَبَرُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر، الواحدى، الوسيط، 2/82، والطبرى، مجمع البيان، 3/101، وابن الجوزى، زاد المسير، 2/134، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/339.

(2) ينظر، تبوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص 98.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/137.

(4) ينظر، ابن الجوزى، زاد المسير، 2/134، وأبو حيان، البحر المحيط، 3/310.

(5) ينظر، القاسمى، محسن التأويل، ضبط وتصحيح، محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997/3، 227.

(6) آل عمران، 40.

المنادى "رب" مضاد إلى ياء المتكلم المخدوفة. وهذه الياء تدل على المنادي "زكرياء"؛ فهو القائل  
هذه المقوله، والضمير في "قال" عائد إليه في الآيات السابقة.

ومضمون النداء استفهام مراد منه التعجب. وأراد منه المنادي (زكرياء) إمكان الولد، لأنه لما سُأله الولد فقد تهيأ لحدوث ذلك، فلا يكون استفهامه إلا طلباً لمعرفة الكيفية<sup>(١)</sup>. وليس شكا في قدرة الله أو في صدق وعده، ولذلك أجيب-عقب السؤال- بقوله: "كذلك الله يفعل ما يشاء"، لرفع تعجبه، أي: مثل ذلك الخلق غير المعتمد يفعل الله ما يشاء في الكون بسبب أو بغير سبب.

وحيء بالجملة الحالية: "وقد بلغني الكبر وأمرأتي عاقر". وهي حال من المفعول به في "بلغني". وكانت الجملة الأولى فعلية، والفعلية تتصف بالتجدد، وكذلك الكبير يتجدد شيئاً فشيئاً؛ فلم يكن وصفاً لازماً، فناسب أن تكون فعلية. وكانت الثانية (المعطوفة) اسمية، والاسمية تتسم بالثبوت، وكذا المسند "عاقر" فهو أمر لازم لها؛ لم يكن وصفاً طارئاً فناسب كذلك أن تكون اسمية<sup>(2)</sup>. وقدمت الجملة الفعلية التي تبين حالة زكرياء على الاسمية التي تبين حال امرأته للاهتمام.

وجاءت جملة: "وقد بلغني الكبر" على طريق القلب، فقلب الفاعل فصار مفعولاً. والأصل: وقد بلغتُ  
الكبير. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبَرِ عَتِيًّا﴾<sup>(3)</sup>. وكقول الأخطل:

على العيارات هَداجُونَ قد بلغتْ نجرانَ أو بلغتْ سوءاتهم هَجْرٌ<sup>(4)</sup>

والاصل: وبلغت سوءاً هم هجراً. فقلب الفاعل فصار مفعولاً، لأن "السوءات" هي التي تبلغ "هجر"، فنصبها ورفع "هجر"<sup>(5)</sup>.

وفائدة القلب في الآية إظهار تمكّن الكبير من المتكلّم (زكياء)، كأنه طالب له وهو المطلوب.  
والمعنى: أصابني الضعف والوهن فشخت.

وتكررت هذه الصورة في قوله: ﴿قَالَ رَبُّ آنِي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَكُمْ يَمْسَسُنِي بَشَرٌ﴾<sup>(6)</sup>.

المنادي- هنا- مريم -**علیهم السلام**- بدلالة سياق هذه الآية وما قبلها. ومضمون النداء: "أني يكون لي ولد...؟" هو استفهام عن الكيفية كما سأله زكرياً عن الكيفية<sup>(7)</sup>. أي: كيف يكون لي ولد وليس لي زوج؟ وهو يدل على التعجب من حدوث الولد من غير أب، إذ ذاك من الأمور الداعية للتعجب،

<sup>(1)</sup> ينظر، القرطبي، الجامع، 4/74، وأبو حيان، البحر المحيط، 2/469.

(2) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 2/470.

.8 میریم، (3)

<sup>4</sup> ينظر، الديوان، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، 209/1.

(5) ينظر، الْجَاجِيُّ، الْجَمَا، فِي النَّحْوِ، ص 203، وابن جنِي، الْمُحَتَسِّ، 2/118.

۴۷(آ) عمان،

٤٨٤ / بحث المخطوطة، أبه جان، ٧

ولذلك أحب-عقب الاستفهام-بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا شَاءُ﴾. وذلك لرفع تعجبها.

والجملة المضارعية المنفية: "لم يمسني بشر" حالية. أي: الحال أنه على حالة منافية للمعتاد من كون أن يولد من غير أب. واستعمل الفعل "يمسني" المستند إلى "بشر" كناية عن الجماع مثل الكناية عنه بالحرث واللباس والمبشرة. وفي الجملة نفي عام أن يكون باشرها أحد بأي نوع من تزوج أو غيره.

**النقط الخامس:** أداة نداء (يا)+منادي (اسم علم)+مضمون النداء.

ورد هذا النمط في ستة عشر موضعاً، يتوزع على الصور الآتية:

**الصورة الأولى:** أداة نداء (يا)+منادي (علم)+مضمون النداء(جملة أمر).

وردت في أربع جمل، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا آدُم اذْبَحْ بَنِيهِمْ بِاسْمَاهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

أداة النداء "يا"، والمنادى "آدم" ممنوع من الصرف. ونودي آدم باسمه كما هو عادته جل شأنه مع أنبيائه  
عدا نبينا ﷺ حيث ناداه بقوله: **"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ"**<sup>(2)</sup>. و **"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ"**<sup>(3)</sup>.

ورد مضمون النداء جملة أمرية، تكونت بنيتها من المسند في قوله: "أَبْنِئُهُمْ"، ومسند إليه مضمر في البنية السطحية وجوباً، تقديره "أنت"، مخاطب به آدم. والفعل متعدد إلى مفعولين؛ أحدهما الضمير المتصل بالفعل "هم" العائد على الملائكة —في الآية السابقة— والثاني: المجرور "بأنسائهم" ، فقد تعددى له بحرف الجر "الباء". تقول: نبئت زيداً. قال سيبويه معناه: نبئت عن زيد<sup>(4)</sup>. أما الضمير المجرور بالإضافة في: "بأنسائهم" فيبدل على المسميات. وقد جرى على صيغة ضمائر العقلاء، فيدخل فيه العاقل وغير العاقل. وهو مختلف فيه بحسب الاختلاف في الأسماء التي تعلمها آدم. والظاهر أنها أسماء تدل على المسميات التي يحتاجها الإنسان. للتعبير عن حاجاته كأسماء الملائكة والأشخاص، والحيوانات والنباتات والكواكب، وكما يقع عليه نظر الإنسان<sup>(5)</sup>.

والقصد من أمره تعالى لنبيه آدم بإعلام الملائكة بذلك أن يظهر عقبه قدرته عليهم في العلم، حيث أقيم مقام المعلم، وأقيموا مقام المتعلمين<sup>(6)</sup>. وفي هذا إشارة إلى التفاوت بين رتبة آدم والملائكة. والنداء على سيا الوجوب.

البقرة، (1) .33

(2) المائدة، 41، 67، وغيرهما.

(3) الآنفال، 64، 65، 70، وغيرها.

(4) ينظر، الكتاب، 1/38.

(5) ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/126، 127، والباقاعي، نظم الدرر، 1/90.

<sup>(6)</sup> ينظر، الألوسي، روح المعاني، 1/229.

وتكرر نداء آدم بعد هذه الآية في قوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتَمَا﴾<sup>(1)</sup>.

يختلف هذا التركيب عن سابقه —من نفس الصورة— بتكرار مضمون النداء عن طريق العطف في جملتي: "اسكن أنت وزوجك الجنة"، و"كلا منها رغدا...".

نداء الله لآدم باسمه قبل تحويله سكني الجنة يدل على التكريم؛ لأن نداءه بين الملايين الأعلى يستدعي الانتباه والتطلع لما سيقع.

ويحمل مضمون النداء خطاباً لآدم وحواء بقرينة المقام. وقد أمرا بالتخاذل الجنة مأوى ومنزلاً، والأكل من ثمارها الطيبة. ولا يدل معنى الفعل "اسكن" على الاستقرار، لأنّه فعل أمر، ولم يكن الخطاب بالماضي كأسكتتك مثلًا، لأنّه ما خلق إلا لعمارة الأرض<sup>(2)</sup>.

والضمير "أنت" تأكيد للضمير المستتر وحوباً في الفعل "اسكن"، المخاطب به آدم. و"زوجك" معطوف عليه. ويكون إذ ذاك من عطف اسم على ضمير. وهذا جائز حسن عند التأكيد<sup>(3)</sup>. أما ما زعمه البعض من عطف الجمل بتقدير: ولتسكن زوجك . مع حذف لام الطلب، لدلالة فعل الأمر "اسكن" عليه، ففيه تكلف<sup>(4)</sup>.

واستخدم القرآن لفظ زوج لحواء. ويقال للمرأة زوجة، وزوج، والزوج أفصح<sup>(5)</sup>. وغرض النداء تنبية المأمور لما يلقى عليه من الأمر للقيام به، إذ هو من الأمور المهمة؛ وهو الأمر بسكنى الجنة والأكل من ثمارها. وذلك على سبيل الإباحة لا الوجوب. وقد يحاب النداء بثلاث جمل أمرية، كقوله: ﴿يَا مَرِيمَ اقْتُنِ لِرِبِّكِ وَاسْجُدْ يَ وَكَمْ كَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(6)</sup>.

المنادى "مريم"، والمنادي غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه السياق، إذ هو الملائكة. فقد أمرتها بفعل ثلاثة أشياء من هيئات الصلاة. واستخدمت واو العطف لربط تلك الجمل. والسواء ليست للترتيب بل لمطلق الجمع والاشتراك. ويجوز أنه قدم السجود على الركوع، لأن السجود أدخل في الشكر، والمقام هنا مقام شكر وتنويعه بمقام مريم عليها السلام. ويجوز أن يكون السجود مقدم في شرع زكرياء<sup>(7)</sup>.

وفي قوله: ﴿أَمْ كَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ إذنٌ وترتخيص لها بالصلاحة مع الجماعة، أي مع جماعة الذكور. وهذه خصوصية اختصت بها دون نساء بني إسرائيل إبرازاً لمقامها الرفيع بين قومها.

(1) البقرة، 35.

(2) ينظر، الواعدي، الوسيط، 1/121، والخازن، لباب التأويل، 1/37، والزرتشي، البرهان، 2/324.

(3) ينظر، سيبويه، الكتاب، 1/247، 2/378، وأبو حيان، تذكرة النحاة، ص 726. وينظر له، البحر المحيط، 1/307.

(4) ينظر، أبو حيان ، الهر الماد، 1/61، والبحر المحيط، 1/307.

(5) ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 2/54، (زوج).

(6) آل عمران، 43.

(7) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/115. والقرطبي ، الجامع، 4/85.

وتكررت هذه الصورة -أيضاً- في قوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ اذْ كُرْتُ بِعَمْتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدِّنَّكَ اذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا...﴾<sup>(1)</sup>.

المنادي غير مذكور في بنية الجملة النداءية، ويدل عليه السياق، إذ هو الله سبحانه. والمنادي "عيسى" يجوز أن يكون مضموماً في التقدير، على أنه منادي مفرد، فيكون عندئذ نداءان، والتقدير: يا عيسى يا ابن مريم. أو يكون قد وصف المضموم بمضاف. ومنه قول الشاعر:

ما أنتَ وَيْبَ أَيْكَ ! وَالفَخْرُ<sup>(2)</sup>  
يا زِيرْقَانَ أَخَا بَنِي خَلْفٍ

ويجوز أن يكون "عيسى" مبنياً مع "ابن" على الفتح في التقدير، لوقوع الابن بين علمين. وهذا كما أنسد النحويون من قول الشاعر:

يَا حَكَمَ بْنَ الْمَنْدِرِ بْنَ الْجَارِ وَدِ  
أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنُ الْجُودِ<sup>(3)</sup>

والشاهد فيه اتباع الموصوف، وهو "حكم" للصفة، وهي "ابن"، لأن الصفة والموصوف كاسم مضاف إلى اسمه. وجملة: "اذكر نعمتي..." أمرية، فقد أمر عيسى بذكر نعمة الله. وذكر نعمة الله شكرها. وأضافها الله إلى نفسه تنبيها على عظمها. ونعم الله على عيسى كثيرة كالمعجزات المؤيد بها. وقد ذكر منها هنا: الكلام في المهد، ونعمة الله على أمه براءتها مما نسب إليها، وتکفيتها لزكرياء، وتقبلها بتقبيل حسن. وعبر الله تعالى عن كل تلك النعم التي امتن بها على عيسى بصيغة الماضي للدلالة على حدوثها.

والظرف في قوله: "إذ أیدتك بروح القدس" متعلق بـ"نعمتي" لما فيها من معنى المصدر، أي: النعمة التي حصلت للمنادي (عيسى) في ذلك الوقت المؤيد فيه بروح القدس. و"روح القدس": هو حقيقة جبريل عليه السلام الذي يؤيد به الله رسلاه.

وجملة: "تكلم الناس" في موضع نصب على الحال من الضمير المنصوب في: "أیدتك". وذلك أن الله ألقى الكلام من الملك على لسان عيسى وهو في المهد. وفي ذلك تأيد له لإثبات نزاهة خلقه؛ إذ خلق من أم بلا أب.

والجار والمحرور في قوله: "في المهد" في موضع الحال من فاعل "تكلم"، و"كهلا" عطف على موضع "في المهد". والمعنى: مكلما الناس صغيراً وكبيراً.

والمراد من مضمون النداء الشكر والامتنان، إذ ليس عيسى بناسٍ نعم الله عليه وعلى والدته.

(1) المائدة، 110.

(2) البيت للمخيل السعدي، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 11/740، (ويل)، والسيوطى، همع الهوامع، 3/198، والبغدادى، خزانة الأدب، 4/150.

(3) الجز لرؤبة، ينظر، سيبويه، الكتاب، 2/203، والمفرد، المقتصب، 4/232.

الصورة الثانية: أداة نداء(محذوفة)+ منادي(اسم علم)+ أداة نداء(محذوفة)+ منادي(مركب إضافي)+مضمون النداء(جملة أمر).

وردت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ ارْسِلْ عَلَيْنَا مَا يَدْعُونَ مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لَأُولَئِنَا وَآخِرًا وَآئِةً مِنْكَ﴾<sup>(1)</sup>.

تحتليف هذه الصورة عن سابقاتها في أنها اشتتملت على نداءين: "اللهـم" و"ربـنا". وكـرـرـ النـداءـ مـبالغـةـ في التـضرـعـ والـابـتهاـلـ. والمـيمـ في "الـلهـمـ" عـوضـ عنـ أـداـةـ النـداءـ (ـيـاـ). كـماـ قـدـرـ النـحـاةـ<sup>(2)</sup>. و"ربـناـ" بـتقـديرـ أـداـةـ النـداءـ (ـيـاـ). المـحـذـوفـةـ فيـ الـبـنـيـةـ السـطـحـيـةـ، المـقـدـرـةـ فيـ الـبـنـيـةـ الـعـمـيقـةـ، وـتـقـدـيرـ الـكـلـامـ: يـاـ اللهـ يـاـ ربـناـ.

فالـنـداءـ وـرـدـ باـسـمـ الذـاتـ "الـلهـمـ" الـجـامـعـ لـكـلـ صـفـاتـ الـعـظـمـةـ وـالـحـلـالـ، وـبـوـصـفـ الـرـبـوـبـيـةـ "ربـناـ"، وـذـلـكـ لـتـأـكـيدـ التـضـرـعـ وـالـاسـتعـاطـافـ وـالـالـتـمـاسـ، لـعـلـ اللهـ يـسـتـجـيبـ لـدـعـاءـ الدـاعـيـ "عـيسـىـ" الـعـلـيـلـاـ وـالـحـوـارـيـنـ منـ قـوـمـهـ. وـدـعـاؤـهـ يـتـمـثـلـ فيـ مـضـمـونـ الـجـملـةـ الـأـمـرـيـةـ: "أـنـرـلـ عـلـيـنـاـ مـائـدـةـ مـنـ السـمـاءـ تـكـونـ لـنـاـ عـيـدـاـ...ـ".

قرأـ الجـمـهـورـ: "تـكـونـ لـنـاـ عـيـدـاـ" بـرـفعـ الـمـضـارـعـ عـلـىـ أـنـ الـجـمـلـةـ صـفـةـ لـلـمـائـدـةـ. وـقـرـأـ ابنـ مـسـعـودـ وـالـأـعـمـشـ: "تـكـنـ" بـالـجـزـمـ عـلـىـ جـوـابـ الـأـمـرـ<sup>(3)</sup>. وـالـمـعـنـىـ: يـكـنـ يـوـمـ نـزـولـهـ عـيـدـاـ لـنـاـ نـخـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ دـوـنـ غـيـرـنـاـ. وـقـرـأـ زـيـدـ بـنـ ثـابـتـ<sup>(4)</sup> وـابـنـ حـيـصـنـ وـالـجـحدـريـ: "لـأـولـانـاـ وـآخـرـانـاـ". لـقـدـ أـشـواـ الـفـظـيـنـ عـلـىـ مـعـنـىـ الـأـمـةـ وـالـجـمـاعـةـ<sup>(5)</sup>.

وقـلـهـ: "لـأـولـانـاـ" بـدـلـ مـنـ الضـمـيرـ فـيـ: "لـنـاـ"، وـهـوـ بـدـلـ بـعـضـ مـنـ كـلـ. وـعـطـفـ "آخـرـنـاـ" عـلـيـهـ ليـصـيرـ الـكـلـ فيـ قـوـةـ الـبـدـلـ مـطـابـقـ لـإـفـادـةـ الـحـصـرـ وـالـاختـصـاصـ. وـقـدـ أـظـهـرـ لـامـ الـجـرـ فـيـ الـبـدـلـ. وـشـأنـ الـبـدـلـ أـلـاـ يـظـهـرـ فـيـهـ الـعـاـمـلـ الـذـيـ عـمـلـ فـيـ الـمـبـدـلـ مـنـهـ، لـأـنـ كـوـنـ الـبـدـلـ تـابـعاـ لـلـمـبـدـلـ مـنـهـ فـيـ الـإـعـرـابـ مـنـافـ لـذـكـرـ الـعـاـمـلـ الـذـيـ عـمـلـ فـيـ الـمـتـبـوـعـ. وـهـذـاـ قـالـ النـحـاةـ: إـنـ الـبـدـلـ عـلـىـ نـيـةـ تـكـرـارـ الـعـاـمـلـ<sup>(6)</sup>. أـيـ: إـنـ الـعـاـمـلـ غـيـرـ مـصـرـحـ بـهـ. وـالـتـقـدـيرـ: تـكـونـ لـنـاـ عـيـدـاـ لـأـولـ مـنـ آـمـنـ مـنـأـ، وـآـخـرـ مـنـ آـمـنـ.

(1) المـائـدـةـ، 114.

(2) يـبـطـرـ، سـيـوـيـهـ، الـكـتـابـ، 1/25، 196/2، وـالـأـبـنـيـ، أـسـوـارـ الـعـرـبـيـةـ، صـ232، وـالـسـيـوـطـيـ، الـأـشـيـاءـ وـالـنـظـائـرـ فـيـ الـنـحـوـ، 3/356، وـيـنـظـرـ لـهـ، مـعـتـكـ الـأـقـرـانـ، 2/62.

(3) يـبـطـرـ، الرـمـخـشـريـ، الـكـشـافـ، 1/555، 655/1، وـالـقـرـطـيـ، الـجـامـعـ، 6/368.

(4) هـوـ زـيـدـ بـنـ ثـابـتـ بـنـ الضـحـاكـ بـنـ عـمـروـ بـنـ عـبـدـ عـوـفـ، كـاتـبـ النـبـيـ ﷺـ وـأـمـيـنـهـ عـلـىـ الـوـحـيـ. قـرـأـ عـلـيـهـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ، وـابـنـ عـيـاسـ. تـوـفـيـ سـنـةـ 45هـ. يـنـظـرـ، الـذـهـبـيـ، مـعـرـفـةـ الـقـرـاءـ الـكـبـارـ، 1/37، 37/38.

(5) يـبـطـرـ، الـقـرـطـيـ، الـجـامـعـ، 6/368، 368/6، وـأـبـوـ حـيـانـ، الـبـحـرـ الـمـحيـطـ، 4/60.

(6) يـبـطـرـ، الرـمـخـشـريـ، الـكـشـافـ، 1/555، 655/1، وـأـبـوـ حـيـانـ، الـبـحـرـ الـمـحيـطـ، 4/60.

## الصورة الثالثة: أداة نداء(يا)+ منادى(اسم علم)+ مضمون النداء(جملة خبرية).

وردت هذه الصورة في ثمانية مواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَنَّمَ﴾<sup>(1)</sup>.

النداء صادر من بني إسرائيل لنبيهم موسى بدلالة سياق هذه الآية وسابقتها. وفي نداء بني إسرائيل لنبيهم باسمه قلة الأدب وجفاء منهم، إذ لم يقولوا يا رسول الله، أو يأكليم الله، أو غير ذلك من الأساليب التي تدل على التعظيم، وهي طبيعتهم في الحديث مع نبيهم. ومضمون النداء جملة خبرية، الفعل فيها مضارع منفي بـ "لن" الدالة على النفي في المستقبل.

وجيء بجملة غائية مصدرة بـ "حتى" قيدت النفي. ومفهومها أن حوارا جرى بين موسى عليه السلام وقومه. وقيل: هم السبعون الذين اختارهم، وذلك أئمما سمعوا كلام الله أخبروه بنفي إيمانهم مستصحبا إلى غاية رؤية الله علينا، ليصدقوا بما جاء به من التوراة، فإن لم يروه لا يقرؤن بالإيمان<sup>(2)</sup>.

وتحتمل الجملة المنافية: "لن نؤمن لك" أئمما سيروتون في المستقبل إن لم يروا الله جهرا. ويحتمل أئمما أرادوا الإيمان الكامل الذي يعتمد على المشاهدة<sup>(3)</sup>. أي: أن أحد هذين الإيمانيين ينتفي إن لم يروا الله جهرا؛ لأن "لن" تنفي المستقبل. قال سيبويه: لن لنفي سيفعل، كقولك: لن أضرب، نفي: سأضرب<sup>(4)</sup>. وكما أن قولك: سيؤمن لا يقتضي أنه الآن غير آمن. فليس في الجملة ما يدل على أنهم كفروا حين قولهم هذا، ولكنها دالة على عدم اكتراشهم بما شاهدوه من معجزات حتى طلبوا أن يروا الله علينا، وإن لم يروه انتابهم الشك في صدق نبيهم. ولذلك عدى الفعل "نؤمن" باللام عوض الباء ، لتضمينه معنى الإقرار بالله وعدم الإقرار بصدق موسى. أي: لن نصدقك فيما جئت به من التوراة<sup>(5)</sup>. وكان قولهم هذا ذنبا عظيما لتكذيبهم رسولهم.

وتكرر نداء بني إسرائيل لموسى في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾<sup>(6)</sup>.

تحتلاف هذه الجملة عن سابقتها في أن جواب النداء منفي للمستقبل بلا قيد. حيث أن قوم موسى أخبروه بأنهم لن يصبروا على طعام واحد. ويقصد بالطعام الواحد ما لا يختلف؛ لأن الطعام المنزل على القوم صنفان، هما:

(1) البقرة، 55.

(2) ينظر، السمرقدي، بحر العلوم، 1/120، والرازي، مفاتيح الغيب، 3/79، 78، أبو حيان، البحر المحيط، 1/370، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/163.

(3) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 1/371.

(4) ينظر، الكتاب، 1/136.

(5) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، 1/370.

(6) البقرة، 61.

المن والسلوى، وكني عنهمما بطعم واحد، لأنهما يؤكلان في آن واحد؛ ويؤكل أحدهما بالآخر، كما يتكرر الغذاء بعما كل يوم<sup>(1)</sup>.

والجملة المنافية: "لن نصبر على طعام واحد" لا تدل على عدم رضاهم بطعم واحد، بل اشتهوا صنوفاً من الأطعمة. وإذا كان كذلك، لم يكن قولهم ذلك معصية، لأن من أبيح له أنواع من الطعام، له أن يسأل غيرها، إما بنفسه أو على لسان الرسول<sup>(2)</sup>. ولو أن صيغة طلب بني إسرائيل فيها من الحفاء وسوء الأدب، إلا أنه يفهم أخفم يتغون الانتقال من نعمة لغيرها بقصد التنوع. وذلك حين ملوا المن والسلوى، وتذكروا معيشتهم الأولى بمصر<sup>(3)</sup>.

وهذا بيان لما دفعهم على سؤال موسى أن يدعوه ربه ظناً منهم أن طلبهم سيلقى قبولاً عند الله. ولا يُعد ما هو من الطبع البشري حرماً يحاسب عليه المرء إذا لم يسقط ذلك في محظور، إلا أن سياق الآية القبلية والبعدي يدل على أن ما عُدّ من أفعالهم مع توارد نعم الله عليهم كله من خطاياهم.

ونجد هذه الصورة كذلك في قوله: ﴿يَا مَرِيمُ اِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(4)</sup>.  
وقوله: ﴿يَا مَرِيمُ اِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمٍ وَجِئَهَا﴾<sup>(5)</sup>. وقوله: ﴿يَا عِيسَى اِنِّي مَتَوْفِيكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾<sup>(6)</sup>.

النداء في التركيبين الأولين لمريم عليها السلام. وهو مؤكّد بـ"بأنَّ" الناسخة لتشبيّث الخبر.  
ففي التركيب الأول يبيّن الله تعالى مقام مريم بين قومها وبين نساء العالمين؛ فقد اختارها أولاً حين تقبلها من أمها، واحتضنها بالرعاية والكرامة، وظهرها من الأدناس. واختارها آخرًا بأن وهب لها عيسى من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء<sup>(7)</sup>. وبين في التركيب الثاني بأنه تعالى يبشرها بابن موجود بكلمة كن: "اسم المسيح عيسى بن مريم". فعبر عن العلم واللقب والوصف بالاسم، لأن لثلاثتها أثراً في تمييز المسمى. ونسب إلى أمها مع أن الخطاب لها إشارة إلى أنه ولد من غير أب، ولبيّنى هذا الوصف ثابتًا في الأذهان في كل زمان، ورداً على من جعله لها، وبياناً لمقامها وتكريماً لها.

أما في التركيب الثالث، فللمسنّين رأيان في تأويله:

الأول: في الجملة تقديم وتأخير، لأن الواو لا تفيد الترتيب. والتقدير: يا عيسى إني رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. أي: أنه تعالى رفعه إلى السماء حياً، وسينزل في آخر الزمان، فيحكم

(1) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/314، والقرطبي، الجامع، 1/422.

(2) ينظر، أبوا حيان، البحر المحيط، 1/394.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/314، والقرطبي، الجامع، 1/422.

(4) آل عمران، 42.

(5) آل عمران، 45.

(6) آل عمران، 55.

(7) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل، 1/176، والشوكاني، فتح القيدير، 1/430.

بشرعية الإسلام ثم يحيته. وهذا ما دلت عليه الأحاديث النبوية الصحيحة، فقد ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "والله لينزلنَّ عيسى بن مريم حكماً عدلاً فليكسرنَّ الصليب ولويقتلنَّ الحنذير ولويضعنَّ الجزية، ولويتركنَّ الفلاسَ" <sup>(1)</sup>.

**الثاني:** الجملة على أصلها. ومعنى "إني متوفيك": إني ميتك الإمامة الحقيقة. و"رافعك": رفع الروح والمكانة. ويؤيد التأويل الأول أكثر العلماء <sup>(2)</sup>. وقال بعضهم الوفاة - هنا - هي وفاة نوم؛ فقد رفعه الله في منامه <sup>(3)</sup>. وقال القرطبي: "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبرى، وهو الصحيح عن ابن عباس" <sup>(4)</sup>.

والأولى أن يحمل قوله: "إني متوفيك" على حقيقته، وأن تؤول الأخبار المستفادة من ظاهر اللفظ أنه حي على معنى حياة كرامة عند الله، بمثل حياة الشهداء وأكثر، وأنه إذا حُمِّل نزوله على ظاهره من غير تأويل، فإن ذلك يقوم مقام بعثه في آخر الأزمان.

ووردت بقية الصورة وملحقاتها في الموضع الآتية: آل عمران، (26)، والمائدة، (24، 22).

**الصورة الرابعة:** أداة نداء (يا)+منادي (اسم علم)+مضمون النداء (جملة استفهامية)".

وردت هذه الصورة في ثلاث جمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْئِمَ هَلْ يُسْتَطِعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ...﴾ <sup>(5)</sup>.

المنادي: "الحواريون" بدلالة المقام، والمنادي "عيسى"، ومضمون النداء جملة استفهامية: "هل يستطيع ربك...؟".

واختلف القراء في قوله: "هل يستطيع ربك؟". فقرأ الجمهور: " يستطيع" بباء الغيبة. وقرأ الكسائي: " تستطيع" بتاء الخطاب <sup>(6)</sup>، على أن الفعل " يستطيع" في قراءة الجمهور - مسند إلى "ربك" ، والمصدر المؤول "أن ينزل" مفعول للفعل " يستطيع" <sup>(7)</sup>. ولمعنى: هل يقدر ربك أن يفعل؟ أو هل يستجيب لك ربك إن سأله ذلك؟ وعلى قراءة الكسائي يكون لفظ "ربك" منصوباً على المفعولة. ويكون المعنى: هل تستطيع - يا عيسى - سؤال ربك؟ على حذف المضاف. ويتبين المعنى من هذه القراءة أن الحواريين كانوا مؤمنين،

(1) أخرجه الهندي في كنز العمال، 14/332، (في ذكر أشرطة الساعة الكبرى).

(2) ينظر، الطبرى، جامع البيان، 3/289، وابن عطية، المحرر الوجيز، 3/143، والخازن، لباب التأويل، 1/252.

(3) ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/142، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/44.

(4) الجامع في أحكام القرآن، 4/100.

(5) المائدة، 112.

(6) ينظر، ابن خالويه، الحجة، ص 135، وأبو زرعة، حجة القراءات، ص 240، 241، والواحدى، الوسيط، 2/245، والبغوى، معالم التنزيل، 77، وابن عطية، المحرر الوجيز، 5/104، 103.

(7) ينظر، العكبرى، البيان، 1/473.

ولم يشكوا في قدرة الله. وبما قرأت عائشة -رضي الله عنها-، وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: "هل يستطيع ربك"<sup>(1)</sup>. وهذا وجه حسن في القراءة<sup>(2)</sup>.

أما قراءة الجمهور فظاهر بنيه الجملة تقتضي أن الحواريين شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. وذلك الذي حمل الزخشي على أن الحواريين لم يكونوا مؤمنين، فقال: "إإن قلت: كيف قالوا: "هل يستطيع ربك" بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهم... قوله: "هل يستطيع ربك"؟ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم"<sup>(3)</sup>.

وأما غير الزخشي من أهل التفسير فاتفقوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين، ولم يشكوا في قدرة الله تعالى. وقد أثني عليهم في مواضع من القرآن، حتى قال ابن عطية: "ولا حلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا غير مؤمنين"<sup>(4)</sup>. وقال الرazi: "إنهم كانوا مؤمنين إلا أنهم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة... فإن مشاهدة هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة، ولهذا السبب قالوا وطمئن قلوبنا"<sup>(5)</sup>.

والظاهر أن تركيب: "هل يستطيع ربك"؟ -وفق قراءة الجمهور- جرى على طريقة العرض، يقال: هل تستطيع كذا؟ وهل تستطيع أن تسعى معنا في كذا؟ وهل تستطيع فلان القيام معنا؟ وأنت تعلم أنه يستطيع، وإنما يستخدم هذا الأسلوب الأدبي للأعلى منه طالبا العذر له إن لم يجده إلى طلبه<sup>(6)</sup>. وهذا وجه حسن في القراءة. ومن هذا الأسلوب ما جاء في حديث يحيى المازني: "إن رجلاً قال لعبد الله بن زيد: هل تستطيع أن تربني كيف كان رسول الله يتوضأ؟"<sup>(7)</sup>. فإن المستفهم يعلم أن المستفهم (عبد الله) لا يصعب عليه ذلك. وكذلك ليس قول الحواريين الحكى بهذا الأسلوب في التنزيل إلا أسلوباً من لغة العرب يدل على التأدب والتلطف في الطلب كما هو مناسب لأهل الإيمان كهؤلاء القوم. وليس شكاً في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوه آية لاطمئنان قلوبهم، وزيادة الإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى المحسوس.

ونظير هذه الصورة ورد في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُمَّ أَنَّتَ قَلْتَ لِلنَّاسَ أَتَخْذُونِي وَأَمِّي إِلَهُنِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) أخرجه الطبرى في جامع البيان، 130/7

(2) ينظر، القراء، معاني في القرآن، 1/325.

(3) الكشاف، 1/654.

(4) المحرر الوجيز، 5/105، وينظر، الوحدى، الوسيط ، 2/245. والبغوى، معلم التنزيل، 2/77، والكلبى، التسهيل، 1/257، وأبو حيان، البحر المحيط، 4/57.

(5) مفاتيح الغيب، 12/107، وينظر، الخازن، لباب التأويل، 2/91.

(6) ينظر، الوحدى، الوسيط، 2/245، وابن عطية، المحرر الوجيز، 5/103، والبقاعي، نظم الدرر، 2/570.

(7) أخرجه أبو داود في السنن، 1/77، (كتاب الطهارة)، وابن ماجة في السنن، 1/149، (كتاب الطهارة وستتها).

(8) المائدة، 116.

مضمون النداء: "أَنْتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ...؟". وهو جملة استفهامية. وقد اتصلت ألف القطع بالضمير "أنت" المحاطب به عيسى عليه السلام. ويجوز في هذه البنية أن تثبت الممزتان معا، أو أن تهمز الأولى وتتمد الثانية، والأولى إثبات الممزتين لتدل الأولى على همزة الاستفهام <sup>(1)</sup>. ويلي همزة الاستفهام المسند إليه "أنت". وقدم على المسند الفعلي في قوله: "قلت للناس". ويدل على أن الاستفهام متوجه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره، مع أن الخبر حصل فعلا. فقول القائلين من ملة عيسى: اخذوا عيسى وأمه إلهين سوى الله، واقع بدلالة الفعل الماضي "قلت" المسند إلى الضمير "أنت". وهو استفهام الله تعالى مخاطب به المسيح عليه السلام. ويدل على استحالة أن يكون قال لأتباعه هذا القول، والله علیم بذلك، وإنما استفهمه لغرض أن يبرئه مما قاله الأحبار الذين ابتدعوا هذا القول، وهم يعلمون أن عقاب الله سيحل بهم على قوله الكاذب <sup>(2)</sup>.

وأختلف المفسرون حول زمان وقوع هذا القول، فقال بعضهم: خاطب الله به عيسى حين رفعه إليه، وقالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن قوله <sup>(3)</sup>. فقال - في هذه الآية - عقب الاستفهام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ﴾.

ونقل ابن عطية رأي ابن عباس، فقال: "قال ابن عباس... هذا القول من الله إنما هو في يوم القيمة، يقوله الله له على رؤوس الخلائق، فيرى الكفار تبريه منهم، ويعلمون أن ما كانوا فيه باطلًا" <sup>(4)</sup>. وروى هذا الرأي أغلب المفسرين <sup>(5)</sup>، مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتُمْ قَالُوا إِنَّا عِلْمَنَا إِنَّا أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ <sup>(6)</sup>.

ويبدو من سياق الآية أن هذا الاستفهام وقع والإنجيل ينزل على عيسى عليه السلام. ويعد من القصص القرآني. ويحمل النداء دلالة الإنكار والتوبیخ لمن ادعى ذلك على نبي الله من النصارى. وبقية هذه الصورة في آل عمران، (37).

(1) ينظر، ابن قيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 2، 1996، ص 223.

(2) ينظر، الخازن، لباب التأويل، 94/2، وابن عاشور، التحرير والتبشير ، 113/7.

(3) ينظر، ابن الجوزي، زاد المسير، 463/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 12/111، والسفي، مدارك التنزيل، 351/1، والخازن، لباب التأويل، 2/94.

(4) المحرر الوجيز، 5/111، وينظر، تنویر المقاييس من تفسیر ابن عباس، ص 137.

(5) ينظر، البغوي، معالم التنزيل، 2/328، وابن الجوزي، زاد المسير، 463/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 12/111، والسفي، مدارك التنزيل، 1/351، والخازن، لباب التأويل، 2/94.

(6) المائدة، 109.

## الصورة الخامسة: أداة نداء (محذفة)+منادي (علم)+مضمون النداء (جملة شرطية).

وردت في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اتْبِعْ بَعْذَابَ الْيَمِّ﴾<sup>(1)</sup>.

المنادي محذف في بنية الجملة. واحتل في هذا المنادي أو القائل، فأخرج الطبرى عن مجاهد أن القائل هو النضر بن الحارث<sup>(2)</sup>. وقال أنس بن مالك فيما رواه البخارى: قائله أبو جهل<sup>(3)</sup>. وأسنده القول هنا-إلى الجمع، لأن كبراء القوم كالنضر أو غيره، إذ قالوا قولاً ردده كثير من أتباعهم، شأن الناس أبداً بعلمائهم. والمنادي "اللهم" حذفت قبله أداة النداء (يا)، وألحقت الميم المشددة عوضاً عنها. وجواب النداء جملة شرطية، تتكون من شقين؛ جملة الشرط "إن كان هذا هو الحق ..."، وجملة الجواب "فأمطر علينا حجارة من السماء...". وقد ارتبطت بالفاء وجوباً لتغاير الجملتين بين الخبرية والطلبية (جملة الأمر). والإشارة في قوله: "إن كان هذا" إلى القرآن. وجيء بـ"إن" الشرطية دون غيرها من الأدوات، لأن الأصل فيها عدم التعين بوقوع الشرط؛ فهم غير حازمين بأن القرآن هو حق من عند الله، بل هم موقتون بأنه غير حق.

وقرأ الجمهور: "هو الحق" بالنصب، جعلوا الضمير "هو" ضمير فصل، وقرأ الأعمش وزيد بن علي بالرفع<sup>(4)</sup>. وقال ابن عطية: "ويجوز في العربية رفع "الحق" على أنه خبر "هو"، والجملة خبر كان"<sup>(5)</sup>. وقال أبو حيان: هي قراءة "جائزة في العربية. فالجملة خبر "كان" وهي لغة تيمير يرافقون بعد (هو) التي هي فصل في لغة غيرهم"<sup>(6)</sup>. وفي مضمون النداء (الجملة الشرطية) مبالغة عظيمة في إنكار الحق، أي: إن كان القرآن حقاً، فعاقبنا على إنكاره بإمطار الحجارة علينا أو بعذاب آخر. قال الزمخشري: "ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً، فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعلقه بال الحال في قولك: إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة. وقوله: "هو الحق" تحكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعين هذا هو الحق... ويقال أمطرت السماء كقولك: أخمنت وأسلبت..." وقد كثر الإمطار في معنى العذاب. فإن قلت: ما فائدة قوله: "من السماء" والأمطار لا تكون إلا منها؟ قلت: كأنه أريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل"<sup>(7)</sup>. وقال أبو حيان: "والذي يظهر لي أن حكمة قوله

(1) الأنفال، 32.

(2) ينظر، جامع البيان، 230/9.

(3) ينظر، صحيح البخاري، 241/5، (كتاب تفسير القرآن).

(4) ينظر، الرمخشري، الكشاف، 2/155، وأبو حيان، البحر المحيط، 4/482.

(5) البحر الوجيز، 6/280.

(6) البحر المحيط، 4/482، والنهر الماد، 1/923.

(7) الكشاف، 2/155.

(من السماء) هي مقابلتهم مجيء الأمطار من الجهة التي ذكر عليه السلام أنه يأتيه الوحي من جهتها، أي: إنك تذكر أنه يأتيك الوحي من السماء فأنت بعذاب من الجهة التي يأتيك منها الوحي<sup>(١)</sup>.

ومعنى الجملة: وادّع يا محمد حين قالت قريش: اللهم إن كان هذا القرآن هو الحق المنزل من عندك، فعاقبنا بإإنزال حجارة ترجمنا بها من السماء، أو آتنا بعذاب آخر. والمراد إنكار كونه حقاً منزلة، وأنهم لا يتبعونه، وإن كان هو الحق المنزل، بل يفضلون العذاب، وأنهم يسخرون بمن يقول: القرآن حق. وهو غاية الإنكار والجحود.

**النقط السادس: أداة نداء (يا)+منادى (مستغاث)+مضمون النداء.**

تمثل هذا النمط في صورة واحدة، جاءت على النظام الآتي:

**أداة نداء(يا)+منادى (مستغاث)+مضمون النداء (جملة استفهامية معللة).**

وردت في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا أَعْجَزْتُمُّا كُونَ مِثْلَ هَذَا الْفَرْكَابٌ فَأَوْمَرْتَنَا سَوَّاهَ أَخْرِي﴾<sup>(2)</sup>.

المنادي غير ظاهر في بنية الجملة، ويدل عليه سياق هذه الآية وسابقها، إذا هو أحد أبناء آدم التي، وقد قتل أخاه بسبب شجار وقع بينهما. وأداة النداء "يا"، وهي الأداة الوحيدة التي تستعمل للمستغاث <sup>(3)</sup>. ولا يجوز حذفها مع المنادي المستغاث <sup>(4)</sup>، لأن الغرض من ذكرها إطالة الصوت، والحدف مناف لذلك <sup>(5)</sup>.

والمُنادى "ويلى" منصوب مضاف. وهذه الكلمة من صيغ الاستغاثة المستخدمة في معنى التعجب. وعوضت الألف عن لام الاستغاثة. والتقدير: يا ويلى احضرى. ويجوز أن تجعل الألف عوضا عن ياء المتكلم. ويكون النداء مجازا؛ نزلت الويلة فيه منزلة ما ينادى، كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جِنْبِ اللَّهِ﴾<sup>(6)</sup>.

ومضمون النداء جملة استفهامية معللة: "أعجزت... فأواري سوءة أخي"؟. وهي تفيد الإنكار. و المعنى:  
وافضيحتي أقول أن الأول حضورك، أبلغ بي ضعفي وقلة معرفتي أن أكون دون الغراب علما وحيلة، فأدفن أخي  
وأواري جثته؟!

وفي هذا المعنى تحسن، وفيه دلالة على ندم الجاني. والندم الذي أظهره من الأمور التي تعرض لكل من يقوم بشيء، ثم يتبيّن له خطأ فعله وسوء عاقبته.

(1) البحر المحيط، 482/4، و النهر الماد، 1/924.

.31 المائدة، (2)

(3) ينظر، عبد السلام هارون، *الأساليب الإنسانية*، ص 144، وعباس حسن، *النحو الوفي*، 78/4.

<sup>4)</sup> ينظر، ابن مالك، شرح التسهيل، 3/386.

(5) فتح الله صالح المصري، الأدوات المفيدة للتبنيه، ص 27.

.56) الزمر، (6)

# خصائص جملة النداء

على ضوء الدراسة التطبيقية لجملة النداء يستنتج ما يأتي:

1- تبين أن المنادى ليس مفعولا به لفعل مخدوف وجوبا تقديره "أنادي" أو "أدعو"، كما ذهب صاحب الكتاب وسائر البصريين<sup>(1)</sup>، لأنه لو أظهر الفعل المقدر لتحول النداء إلى أسلوب خيري، واحتل了一نفه. كما يلاحظ الفرق جليا بين المفعول به الذي هو عنصر متمم لبناء الجملة، وبين المنادى الذي هو ركن أساس في بنائها. وتقدير الفعل الذي أدعوه لم يدفع إليه تصور لفظي ولا معنوي، وإنما دعت إليه الصنعة والتتكلف التحوي في تفسير حركة المنادى وفق نظرية العامل. ولو أن النحاة سلكوا مسلك الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(2)</sup>، أو ابن مضاء القرطبي<sup>(3)</sup> في تفسير حركة المناديات لاستغروا عن التتكلف والتمحيل الذي انتشر في مؤلفات المتأخرین. وقد يكون أقرب إلى منطق اللغة وطبيعتها أن نقول: إن المنادى منصوب بأداة النداء. ويظهر ذلك في المنادى المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصورة، أما المنادى المفرد والنكرة المقصودة فيبنيان على الضم.

2- استخدمت أداة النداء (يا) دون غيرها من الأدوات. وقد جاءت مذكورة ومخدوفة. وحذفت في مواضع لسهولة تقديرها، ولشعور المنادى بقريبه من المنادى. وهذا غالب في نداء لفظ "ربنا" و"رب" ، وبمعنه شعور المنادى (الداعي) أنه قريب من ربه.

3- تنوع النداء إلى ما يأتي:

أ- نداء الله ﷺ رسّله وملائكته لامثال أوامره ونواهيه، كما في قوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ بِعَسْتِيْ عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدِّكَّٰتِ إِذْ أَيْدَتْكَ سَرُوحُ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾<sup>(4)</sup>. ينادي الله ﷺ نبيه عيسى بن مريم، ويأمره بأن يذكر نعمته عليه وعلى والدته. وكقوله: ﴿فَاعْتَبِرْ رُوَايَا أُولَئِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(5)</sup>. ينادي الله عَزَّجَلَّ بعض عباده، وهم أصحاب العقول، ويأمرهم بالاعتبار، وذلك بالتدبر في دلائل الأشياء على لوازمهما وعواقبها وعللها.

(1) ينظر، سيبويه، الكتاب، 182/2، والأبناري، مسائل الخلاف، 1/301.

(2) ذكر سيبويه رأي الخليل في الكتاب، 182/2، 183.

(3) ينظر رأيه في الرد على النحاة، ص 59.

(4) المائدۃ، 110.

(5) الحشر، 2.

بـ- دعاء الرسل والبشر رحمة، كقوله: ﴿قَالَ رَبٌّ لِّي مِّنْ لَدُنِكَ ذُرْيَةٌ طَيِّبَةٌ﴾<sup>(1)</sup>

فقد سأله زكرياً ربه أن يهبه أبناء صالحين، وক قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾<sup>(2)</sup>.

دعا المؤمنون رحمة ألا يملي قلوبهم عن الحق.

جـ- نداء العباد بعضهم بعضاً، كقوله: ﴿وَكَذَّ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾<sup>(3)</sup>. فقد أمر موسى بنى إسرائيل بذكر نعمة الله عليهم، إذ جعل فيهم أنبياء

وسادة وملوكاً، وقوله: ﴿وَكَذَّ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ شَرِبٍ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوْا﴾<sup>(4)</sup>. دعت طائفة بن المنافقين أهل الشرب (المدينة المنورة) للرجوع إلى مدينتهم، ليسلموا من قتال الكفار. فلا يوجد مسوغ في رأيهم للإقامة في معسكر المسلمين.

ـ4ـ تنوع المنادي؛ فقد جاء معرفاً بـ"الـ" ومصافـاـ، وعلمـاـ، ومستـغـاثـاـ. ويلـحظـ أنـ أغـلـبـ النـداءـ وجـهـ للمؤمنـينـ، وقد نـوـدـيـ المؤـمـنـونـ بـوـصـفـهـمـ فيـ السـورـ المـدـيـنـةـ ثـمـانـيـةـ وـثـيـانـيـنـ (88ـ)ـ مـرـةـ. وـنـدـأـهـمـ بـهـذاـ الـوـصـفـ تـكـرـيمـ لـهـمـ؛ فـهـمـ الـذـيـنـ يـسـتـجـيـبـونـ لـأـوـامـرـ اللـهـ وـنـوـاهـيـهـ، وـيـسـارـعـونـ إـلـىـ اـمـتـالـهـ بـسـبـبـ صـفـةـ الإـيمـانـ. وقد أـثـبـتـ الـوـصـفـ كـمـيـةـ اـسـتـخـدـامـ تـلـكـ الـأـنـوـعـ. وـالـجـدولـ الـآـتـيـ يـوـضـحـ ذـلـكـ:

نوع المنادي	عدد الاستخدام
المعروف بـ"الـ"	119
المصافـ	72
العلمـ	16
المستـغـاثـ	1
المجموع	208

ـ5ـ تـبـيـنـ أـنـ الجـملـةـ النـدائـيـةـ مـرـكـبةـ؛ فـهـيـ تـتـأـلـفـ مـنـ ثـلـاثـةـ عـنـاصـرـ: الأـدـاءـ، وـالـمـنـادـيـ، وـمـضـمـونـ النـداءـ. وـلـيـسـ كماـ تصـوـرـ بـعـضـ الـقـدـامـيـ الـذـيـنـ وـقـوـواـ عـنـدـ لـفـظـ الـمـنـادـيـ، وـراـحـواـ يـجـهـدـونـ أـنـفـسـهـمـ فيـ تـقـدـيرـ عـاـمـلـهـ، وـبـذـلـكـ اـبـتـدـعـواـ عـنـ جـوـهـرـ الـلـغـةـ، وـعـنـ وـظـيـفـتـهـاـ التـوـاـصـلـيـةـ. وـيـبـدـوـ أـنـ سـيـبـويـهـ قدـ تـفـطـنـ لـهـذـهـ الـمـسـأـلـةـ، فـقـالـ: "الـمـنـادـيـ مـخـتـصـ مـنـ بـيـنـ

(1) آل عمران، 38.

(2) آل عمران، 8.

(3) المائدة، 20.

(4) الأحزاب، 13.

أمته لأمرك ونحيك وخبرك<sup>(1)</sup>. ولم يوفق الكوفيون في قولهم: "إن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر وما جرى مجراه من الطلب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي"<sup>(2)</sup>. وال الصحيح ما رأه البصريون في أن النداء يأتي بعده الخبر.

6- ورود مضمون النداء جملة أمر في أكثر الأحيان للدلالة على الأهمية والوجوب، كما تتنوع من جملة أمرية إلى خبرية إلى استفهامية إلى شرطية، إلى جملة نهي.

7- طول الجملة الندائية في الغالب بسبب طبيعة الجواب، وما يتبعه من جمل معطوفة. فالجملة الندائية قد لا تكتفي بمكوناتها الأساسية من أداة نداء، ومنادى، ومضمون نداء، بل قد تتمتد فتبني بجمل أخرى عطفية أو غائية أو تعليلية، أو غيرها، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِّنْكُمْ﴾<sup>(3)</sup>. وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دَخَلُوكُمْ بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوهُ وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(4)</sup>. وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكُمْ وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا وَارْبِكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

وهذا الطول ينسجم مع طبيعة المنادى والموضع، لأن الله تعالى كان في أغلب النصوص مفصلاً أحکامه.

8- تواترت التراكيب الندائية، وتتنوعت مبني ومعنى، لتسمح للحمل بالامتداد، لتحقيق الفاصلة، والتالفة بين البنية النحوية والدلالية.

9- خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ آخر تفهم من السياق، ومنها:

- الندب، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقِضُوا مِمَّا مَرَرْنَا قَنَاكُمْ﴾<sup>(6)</sup>.

- التوبیخ، كقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

- الدعاء، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبَيْتُ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(8)</sup>.

- التحریم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَاتَّسِمْ حُرْم﴾<sup>(9)</sup>.

(1) الكتاب، 231/2.

(2) الأنباري، الإنصاف، 104/1.

(3) النساء، 59.

(4) البور، 27.

(5) الحج، 77.

(6) البقرة، 254.

(7) آل عمران، 98.

(8) آل عمران، 147.

(9) المائدة، 95.

-النصح، كقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

-التأنيس والتكريم، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَيَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>(2)</sup>.

-الوجوب، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَيَّابِنَ قَاتِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

-التأديب، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾<sup>(4)</sup>.

-التهديد، كقوله: ﴿سَنَفِرُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الظَّالَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

-التعجيز، كقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطْعُمُ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَذُوا﴾<sup>(6)</sup>.

-التشويق، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْكُنُكُمْ عَلَىٰ بَحَارَةٍ تُجْيِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَيْمَنٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَبْحَادِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُوْلُكُمْ وَأَنْفَسِكُمْ﴾<sup>(7)</sup>.

-اللوم والعتاب، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ ثُبَّغِي مَرْضَاهُ أَنْ رَوَاجِكَ﴾<sup>(8)</sup>.

-اليأس، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَوْمَ﴾<sup>(9)</sup>.

(1) البور، 21.

(2) الأحزاب، 45.

(3) الحجرات، 6.

(4) الحجرات، 11.

(5) الرحمن، 31.

(6) الرحمن، 33.

(7) الصاف، 10، 11.

(8) التحريم، 1.

(9) التحريم، 7.

# \* ثُمَّ بَعْدِهِ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

## أ- المصادر والمراجع العربية والمتربعة

المصحف الشريف برواية حفص.

- الأدمي، سيف الدين أبو الحسن، (ت 631هـ).

- 1- الإحکام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، (ت 606 هـ).

- 2- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن عمر التغلبي، (ت 90هـ).

- 3- الديوان، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979.

- الأخفش، سعيد بن مساعدة البلاخي المجاشعي، (ت 215هـ).

- معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1985.

- الإسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن، (ت 686هـ).

- 5- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- ابن إسحاق، محمد بن يسار بن خيار، (ت 150هـ).

- 6- التفسير، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1996.

- الإسفرايني، تاج الدين محمد بن أحمد، (ت 684هـ).

- 7- لباب الإعراب، تحقيق بحاء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي، الرياض، ط 1، 1984.

اعتمدت في ترتيب مصادر البحث ومراجعه على ما اشتهر به المؤلف سواء اسمه أو كنيته أو لقبه، وذلك حسب ما عرف به لدى الباحثين، كما أني فضلت طريقة إثبات أسماء المؤلفين - وهي الطريقة العلمية المثلثي عند جل الباحثين - بدلاً من الاعتماد على طريقة إثبات عناوين المصادر والمراجع ثم أسماء مؤلفيها.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن مروان بن عبد مناف، (ت 356هـ).
- الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف عبد السنار أحمد الفراج، دار الشفافة، بيروت، ط 8، 1990.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، (ت 1270هـ).
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994.
- امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، (ت 80ق، هـ).
- الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد، (ت 577هـ).
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين التحويين: البصريين والковفيين، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.
- أسرار العربية، تحقيق محمد بحاجت البيطار، مطبوعات المجتمع العلمي العربي بدمشق، (د.ت).
- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1971.
- الانصاري، زكرياء بن محمد أحمد القاهري، (ت 926هـ).
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق بجاء الدين عبد الموجود، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ت).
- أنيس، إبراهيم.
- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط 6، 1978.
- الأهدل، محمد بن أحمد بن عبد الباري، (ت 1258هـ).
- الكواكب الدرية على متممة الأجرمية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
- بازمول، محمد بن عمر بن سالم.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، دار الهجرة بالرياض، السعودية، ط 1، 1996.
- الباقياني، أبو بكر محمد بن الطيب، (ت 403هـ).
- إعجاز القرآن، علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.
- بحيري، سعد حسن.

19- ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، (ت 256هـ).

- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- برجستراسر، جوتاف.

21- التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1972.

- بركات، محمد.

22- البلاغة، عرض وتوجيه وتفسير، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1983.

- بشر، كمال محمد.

23- علم اللغة العام/الأصوات، دار المعارف بمصر، ط 7، 1980.

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي، (ت 317هـ).

24- الخلائق "وجوه النصب"، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط 1، 1987.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر بن الحاج أحمد، (ت 1093هـ).

25- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1989.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، (ت 510هـ).

26- معلم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993.

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت 885هـ).

27- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995.

- بهنساوي، حسام.

28- القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، مكتبة الثقافة الدينية، ودار المناهل، القاهرة، (د.ت).

- بياجيه، جان.

29- البنية، ترجمة عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 2، 1980.

- البيضاوي، ناصر الدين بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت 691هـ).

30- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجليل، بيروت، (د.ت).

- **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت 458هـ).  
31-السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، 1992.
- **الترمذى**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن شورة، (ت 279هـ).
- 32-الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت). والجزء الثالث تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت).
- **تشومسكي**، نوم.
- 33-مظاهر النظرية النحوية، ترجمة مرتضى جواد باقر، دار الرشيد، بغداد، 1983.
- **توامة**، عبد الجبار.
- 34-القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه في النحو العربي، مكتوبة بالإعلام الآلي، جامعة باتنة، السنة الجامعية، 1994، 1995.
- **الثعالبى**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت 875هـ).
- 35-المواهر الحسان في تفسير القرآن، حققه أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.
- **الجرجاني**، أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن، (ت 471هـ).
- 36-دلائل الإعجاز في علم المعانى، تصحيح الشيخ محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطى، ومراجعة محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 37-أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- **الجرجاني**، علي بن محمد، (ت 816هـ).
- 38-التعريفات، ضبطه محمد بن عبد الحكيم القاضى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1991.
- **جرير**، ابن عطية الخطفى، (ت 114هـ).
- 39-الديوان، دار صادر، بيروت، 1986.
- **الجزائري**، أبو بكر جابر.
- 40-أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 2، 1996.
- **ابن الجزري**، أبو الحسن محمد، (ت 833هـ).
- 41-النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 42-غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بشره ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1982.
- **الجصاص**، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (ت 370هـ).

43-أحكام القرآن، ضبط وتحريج عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، 1994.

- جطل، مصطفى.

44-نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا، 1978، 1979.

- عفر، عبد الوهاب.

45-البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف بمصر، 1980.

- الجندي، درويش.

46-علم المعاني، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت 392هـ).

47-الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د.ت).

48-المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، حرقه علي النجدي ناصف، وزميله، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، 1969.

49-اللمع في العربية، تحقيق حامد مؤمن، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٢، 1985.

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (ت 597هـ).

50-زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، 1984.

51-التبصرة، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، 1993.

- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو، (ت 646هـ).

52-الأمالي النحوية، تحقيق عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، الدوحة، ط١، 1986.

- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، (ت 405هـ).

53-المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

- حجازي، محمود فهمي.

54-علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970.

- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي، (ت 516هـ).

55-درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر بالفجالة، القاهرة، (د.ت).

- ابن حزم، أبو محمد علي، (ت 456هـ).

56-الخليل بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).  
**حسان، تمام.** -

57-مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء، المغرب، 1979.

58-اللغة العربية معناها وبناؤها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979.

59-البيان في روائع القرآن، عالم الكتب بالقاهرة، ط1، 1993.  
**حسان، بن ثابت بن المنذر الخزرجي، الأنباري، (ت 54هـ).** -

60-الديوان، حقيقه وليد عرفات، دار صادر بيروت، 1974.  
**حسن، عباس.** -

61-النحو الوافي، الجزء الأول والثاني دار المعارف بمصر، ط8، 198، والثالث والرابع، دار المعارف بمصر، ط7، 1986.  
**الحمصي، أحمد فائز.** -

62-قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995.  
**الحموز، عبد الفتاح أحمد.** -

63-التأويل النحوي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه مطبوعة، (1980، 1981)، مكتبة الرشيد بالرياض، السعودية، ط1، 1984.  
**الحناش، محمد.** -

64-البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980.  
**ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، (ت 241هـ).** -

65-المسند، دار صادر، بيروت، (د.ت).  
**أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسبي، (ت 745هـ).** -

66-البحر الخيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض؛ وشارك في تحقيقه زكريا عبد المجيد النوي، أحمد النجولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

67-النهر الماد من البحر الخيط، تقديم وضبط بوران الصناوي، وهديان الصناوي، دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1987.

68-تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.

69-النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق ودراسة عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.  
**الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت 725هـ).** -

70-باب التأويل في معانٍ التنزيل، ضبطه وصححه عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

- 71- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، (ت 370هـ).  
- إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، العشرين، مطبعة المدنى، القاهرة، ط 1، 1992.

- 72- الحجة في القراءات السبع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1996.

- 73- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991.

- 74- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حقيقه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- 75- العربية وعلم اللغة البنوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

- 76- قواعد تحويلية للغة العربية، الرياض، السعودية، 1981.

- 77- الجملة الفعلية في شعر المتنبي، دار بور سعيد للطباعة، مصر، 1995.

- 78- السنن، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993.

- 79- الدارمي، أبو محمد بن عبد الرحمن بن بهرام، (ت 255هـ).

- 80- التيسير في القراءات السبع، عن بتصحیحه أوتویرتلز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

- 81- سنن أبي داود، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

- 82- علوم القرآن والحديث، دار البشير، عمان، 1984.

- 83- الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1984.

- درويش، محي الدين.
- 84- إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1980.
- دريد، بن الصمة بن بكر بن خزاعة، (ت 8 هـ).
- 85- الديوان، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتبة، دمشق، 1981.
- ابن الدهان، أبو محمد سعيد بن المبارك النحوي، (ت 569 هـ).
- 86- الفصول في العربية، حققه فائز فارس، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988.
- ابن ذريل، عدنان.
- 87- اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981.
- الذبيبي، شمس الدين أبو عبد الله، (ت 748 هـ).
- 88- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، آخران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، (ت 604 هـ).
- 89- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.
- رشيد رضا، محمد.
- 90- تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1993.
- أبو الرضا، سعد.
- 91- في البنية والدلالة، نشأة المعرفة بالإسكندرية، مصر، (د.ت).
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت 384 هـ).
- 92- معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).
- رسالتان في اللغة (منازل الحروف، الحدود)، تحقيق وتعليق إبراهيم السامرائي، دار الفكر والتوزيع، عمان، 1984.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.
- 94- دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة التوبية بالرياض، ط1، 1431 هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، الشهير بمرتضى، (ت 1205 هـ).
- 95- إتحاف السادة المتدينين لشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د.ت).
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، (ت 316 هـ).
- 96- إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1982.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت 340 هـ).

- 97-الجمل في النحو، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1996.  
**الزحيلي، وهبة.**

- 98-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991.

- أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، (ت 403هـ).

- 99-حجۃ القراءات، تحقيق سعيد الأفغانی، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997.

- **الزرقانی، محمد عبد العظیم.**

- 100-مناهل العرفان في علوم القرآن، خرج أحادیثه ووضع حواشیه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

- **الزرکشی، بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت 794هـ).**

- 101-البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980.

- **الزعبلاوي، صلاح الدين.**

- 102-مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ط1، 1984.

- **ذكریاء، إبراهیم.**

- 103-مشكلة البنية أو أضواء على "البنيوية"، دار مصر للطباعة، (د.ت).

- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت 538هـ).**

- 104-الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأویل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1977.

- 105-المفصل في علم العربية، دار الجليل، بيروت، (د.ت).

- 106-أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- **زهیر، بن أبي سلمی، (ت 13ق.هـ).**

- 107-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986.

- **السامرائي، إبراهيم.**

- 108-الفعل زمانه وأبياته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983.

- 109-من بدیع لغة التنزیل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان، عمان، الأردن، ط2، 1986.

- **ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (ت 316هـ).**

- 110-الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988.

- السعران، محمود .

- 111- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

- السكاكى، أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد بن علي، (ت 626هـ).

- 112- مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

- السمرقندى، أبو الليث نصر بن محمد، (ت 375هـ).

- 113- بحر العلوم، حققه وعلق عليه علي معاوض، وأخران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

- السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي، (ت 756هـ).

- 114- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق وتعليق علي محمد معاوض، وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت 180هـ).

- 115- الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، والجزء الرابع، ط2، 1982.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ).

- 116- الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق سعيد المندوة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1996.

- 117- مفہمات الأقران في مبھمات القرآن، تحقيق إیاد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988.

. 118- هم المقام في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

. 119- الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

. 120- معتنک الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

. 121- الدر المنشور في التفسير بالتأثر، وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس رض، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

. 122- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، وأخران، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

. 123- أسباب النزول، مراجعة وضبط وتعليق حمی الدين محمد بعيون، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (د.ت).

124- الإكيليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985.

125- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بصيدا، بيروت، (د.ت).

126- قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق دراسة أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية بالدولة، ط1، 1994.

- الشاذلي، أبو السعود حسنين.

127- العناصر الأساسية للمركب الفعلى وأنماطها من خلال القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1991.

- الشافعي، أبو عبد الله بن إدريس، (ت 204هـ).

128- أحكام القرآن، جمعه أبو بكر أحمد النيسابوري، (ت 458هـ)، وكتب هوامشه عبد الغني عبد الحالق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

- شريم، جوزيف ميشال.

129- دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

- أبو شهبة، محمد بن محمد.

130- المفصل لدراسة القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1992.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت 1250هـ).

131- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير، اعتمى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1997.

- الصابوني، محمد علي.

132- تفسير آيات الأحكام من القرآن، دار القلم العربي، سوريا، (د.ت).

- الصبان، محمد بن علي الشافعي، (ت 1206هـ).

133- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين بن الفضل، (ت 548هـ).

134- مجمع البيان في تفسير القرآن، وضع هوامشه وخرج آياته وشوأهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1977.

- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ).

135- جامع البيان في تأویل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

- طحان، ريمون.

- 136-الألسنية العربية (2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972.

- ابن أبي طلحة، علي بن المخارق، (ت 143هـ).

- 137-صحيفة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال، دار الجليل، بيروت، ط2، 1994.

- ابن عاشور، محمد الطاهر.

- 138-تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، تونس، 1984.

- عبادة، محمد إبراهيم.

- 139-الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، مطبعة نشأة المعارف بالإسكندرية، 1984.

- ابن عباس، عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، (ت 78هـ).

- 140-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلية، بيروت، ط1، 1992.

- ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز السلمي، (ت 660هـ).

- 141-مجاز القرآن ويسىء الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، حققه محمد مصطفى بن الحاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي الجماهيرية العظمى، طرابلس، ط1، 1992.

- 142-تفسير القرآن، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.

- عبد المطلب، محمد.

- 143-البلاغة والأسلوبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، (ت 210هـ).

- 144-مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سرکین، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ت).

- عتر، حسن ضياء الدين.

- 145-الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988.

- عتيق، عبد العزيز.

- 146-علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت 543هـ).

- 147-أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البحاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ).

148-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إخراج وإشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت 395هـ).

149-كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، حرقه مفید قمیحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1984.

150-التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزة حسن، دار صادر، بيروت، ط 2، 1993.

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيلي، (ت 669هـ).

151-شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، دار إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، 1980.

عضيمة، محمد عبد الخالق.

152-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1972.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب عبد الرحمن، (ت 541هـ).

153-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حقق الجزء الأول وعلق عليه الرحالي الفاروق وآخرون، الدوحة، ط 1، 1977، وحقق الأجزاء من 2 إلى 15، السيد عبد العال السيد إبراهيم، الدوحة، ط 1، 1991.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد القرishi، (ت 769هـ).

154-شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط 16، 1979.

العكري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (ت 616هـ).

155-البيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1987.

156-اللباب في علل البناء والإعراب، الجزء الأول حققه غازي مختار طليمات، والجزء الثاني حققه عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط 1، 1995.

157-إملاء مَا مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1979.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (ت 749هـ).

158-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز، (د.ت).

عمايرة، خليل أحمد.

159-أسلوب النفي والاستفهام-في منهج تحليلي وصفي-دار الفكر، بيروت، (د.ت).

160-آراء في الضمير العائد ولغة "أكلوني البراغيث"، دار البشير، عمان، ط1، 1989.

161-في نحو اللغة وتراثها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

- عمر، أحمد مختار، وأخرون.

162-ال نحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1984.

- عنترة، بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، (ت 22ق.هـ).

163-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984.

- عيد، رجاء.

164-في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة بالفجالة، القاهرة، (د.ت).

- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، (ت 708هـ).

165-ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

- غليون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم، (ت 399هـ).

166-التذكرة في القراءات، تحقيق عبد الفتاح بحيري إبراهيم، مطبع الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط2، 1991.

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكرياء، (ت 395هـ).

167-الصافي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

168-جمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.

169-مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991.

- الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، (ت 207هـ).

170-معاني القرآن، حقق الجزء الأول محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، وحقق الثاني محمد علي النجار، وحقق الثالث عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور، (د.ت).

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 175هـ).

171-الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

172-كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.

- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع التميمي، (ت 110هـ).

173-الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1984.

فدريس، ج. -

174-اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواхи، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ).

175-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

176-القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

القاسمي، محمد جمال الدين، (ت 1332هـ). -

177-محاسن التأويل، ضبط وتحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، (ت 356هـ). -

178-الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 276هـ). -

179-أدب الكاتب، تحقيق وتعليق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1996.

180-تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط 2، (د.ت).

181-تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

ابن قدامي، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، (ت 630هـ). -

182-المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

قدور، أحمد مكي. -

183-مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1996.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، (ت 484هـ). -

184-الاستثناء في الاستثناء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1986.

القرضاوي، يوسف. -

185-المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1996.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت 671هـ). -

186-الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985.

- القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد، (ت 739هـ).

187-الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- القطامي، عمير بن شبيم بن عمرو التغلبي، (ت 130هـ).

188-الديوان، تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1960.

-قطان، مناع.

189-مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1998.

- قطب، سيد.

190-في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1990.

- القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين، (ت 1307هـ).

191-فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 1995.

- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت 437هـ).

192-مشكل إعراب القرآن، القسم الأول، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 2، 1984.

193-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1997.

- ابن القيم الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعبي، (ت 751هـ).

194-التفسير القيمي، جمعه محمد أweis الندوبي، وحققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

195-زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27، 1994.

- الكتببي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الدراني، (ت 764هـ).

196-فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (ت 774هـ).

197-تفسير القرآن العظيم، أشرف على الطبع والتصحح لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1980.

- كفافي، محمد عبد السلام، وزميله.

198-في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

- الكفوبي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (ت 1094هـ).

- 199-الكلبات، معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، قابله على نسخة خطية ووضع فهارسه عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993.

- الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي، (ت 741هـ).

- 200-التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995.

- ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، (ت 940هـ).

- 201-أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمان، (د.ت).

- لاشين، عبد الفتاح.

- 202-التركيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ت).

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ).

- 203-السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، 1975.

- الماكري، محمد.

- 204-الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهري)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

- المالقي، أحمد بن عبد النور، (ت 702هـ).

- 205-رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975.

- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحيانى الأندلسي، (ت 672هـ).

- 206-شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد، محمد بدوى المحتون، دار هجر للطباعة والنشر، ط 1، 1990.

- الماوردي، أبو الحسن بن حبيب، (ت 450هـ).

- 207-النكت والعيون، تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت 285هـ).

- 208-المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عصيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

- 209-الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعرف، بيروت، (د.ت).

- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (ت 324هـ).

- 210-كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعرف بمصر، ط 2، (د.ت).

- المخزومي، مهدي.

- 211-في النحو العربي نقد وتجييه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1964.

- المرادي، الحسن بن قاسم، (ت 749هـ).

- 212-الجني الداني في حرف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ونسم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

- المراغي، أحمد مصطفى.

- 213-تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ط3، 1974.

- مرتأض، عبد الملك.

- 214-النص الأدبي من أين؟ إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- المسدي، عبد السلام، والطرابليسي، (الهادي).

- 215-الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1980.

- مسلم، أبو الحسن بن الحاج القشيري النيسابوري، (ت 261هـ).

- 216- صحيح مسلم، بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

- المصري، فتح الله صالح.

- 217-الأدوات المفيدة للتتبیه في كلام العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.

- مصطفى، جمال الدين.

- 218-البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد، بغداد، 1980.

- ابن مضاء، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي، (ت 592هـ).

- 219-الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، 1982.

- المطلاعي، مالك يوسف.

- 220-في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، 1981.

- 221-الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

- المفضل، بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي، (ت 168هـ).

- 222-المفضليات، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط4، 1964.

- مكرم، عبد العال سالم.

- 223-القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996.

- مكرم، عبد العال، وعمر، أحمد مختار.

224- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، ط 1، 1982.

- المنصف، عاشور.

225- التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، (ت 711هـ).

226- لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- الموسى، نهاد.

227- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، ومكتبة وسام، عمان، الأردن، ط 2، 1987.

- مونان، جورج.

228- مفاتيح الألسنية، عربة وذيله بمعجم عربي فرنسي الطيب البكوش، تونس، 1981.

- النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، (ت 18ق.هـ).

229- الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- ابن الناظم، بدر الدين محمد بن عبد الله بن مالك، (ت 686هـ).

230- ألفية بن مالك، تحقيق وضبط وشرح عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، (د.ت).

- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت 338هـ).

231- إعراب القرآن الكريم، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1988.

232- معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، السعودية، ط 1، 1410هـ.

- النسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (ت 303هـ).

233- السنن، بشرح جلال الدين السيوطي، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995.

- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت 710هـ).

234- مدارك التنزيل وحقائق التأویل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زکريا عمیرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995.

- النمر، عبد المنعم.

235- علوم القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب البناني، بيروت، ط 2، 1983.

- نهر، هادي.

236- التركيب اللغوية في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1987.

237- آراء حول إعادة وصف اللغة ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13، 19 دسمبر 1979، المطبعة الثقافية بتونس، 1981.

- هارون، عبد السلام محمد.

238- الأساليب الإنسانية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1979.

- الهروي، أبو الحسن علي بن محمد النحوي، (ت 415هـ).

239- اللامات، تحقيق وتعليق يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1980.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، (ت 761هـ).

240- مغني الليب عن كتب الأعارة، تحقيق ح. الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997.

241- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ربته وعلق عليه وشرح شواهده عبد الغني الدقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الدار المتحدة، دمشق، ط2، 1994.

242- الوسيط في تفسير القرآن الجيد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وأخرون، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

243- أسباب النزول، تعليق وتخریج مصطفی دیب البغا، دار ابن کثیر، دمشق، بيروت، ط1، 1988.

- ابن عیش، موفق الدين بن علي، (ت 643هـ).

244- شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

### بعــ الدوريات

- بکداش، کمال.

1- التعبير الشفهي والتعبير الكتابي، مجلة الفكر العربي، العدد 9/8، السنة الأولى، 1979.

- الحاج صالح، عبد الرحمن.

2- مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة في علم اللسان البشري، المجلد الأول (2)، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971.

- الحمزاوي، محمد رشاد.

3-المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، (عدد خاص)، حوليات الجامعة التونسية، العدد 14، 1977.

- السامرائي، إبراهيم.

4-من أساليب العربية في الدعاء، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (15-16)، السنة الخامسة، 1982.

- عمایرة، أحمد خليل.

5-البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، مجلة الأقلام، دار الحرية للطباعة بغداد، العدد 9، 1982.

6-المعنى الدلالي والقاعدة النحوية(دراسة دلالية في تراكيب الاستفهام)، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد 4، 1997.

- ابن مالك، آمنة.

7-ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، 1995.

- المهيري، عبد القادر.

8-الجملة في نظر النحاة العرب، حوليات الجامعة التونسية (تونس)، العدد الثالث، 1966.

### جـ-المراجع الأجنبية

- BLOOMFIELD , leonard  
1-Langage, London, 1973.
- HARRIS, Zellig  
2-Methods in structure linguistics, Chicago, 1951.
- JESPERSEN, OTTO  
3-The philosophy of language grammar, London, 1924.
- LYONS, John  
4-An introductory to theoretcals linguistics c.u.p, 1968.
- MAPTINET, André.  
5-éléments de linguistique générale, A.colin, paris, 1980.  
6-syntaxe générale. Armand. Colin. Paris 1985.
- PIAGET, Jean.  
7-le structuralisme, presses universitaire de France, Paris, 1974.
- ROBINS.R.H  
8- general Linguistic, An introductory survey, London, 1924.
- SAPIR, Edward.  
9-Linguistique, l'éditions de minuit, Paris, 1968.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مدخل:.....	20-5.....
- مفهوم (بنية) و (جملة)	.....
- الفرق بين مفهومي (المكي) و (المدني) في القرآن الكريم	.....
أولاً: مفهوم (بنية) لغة اصطلاحا.....	9-5 .....
ثانياً: مفهوم (الجملة) عند اللغويين العرب و الغربيين.....	19-9.....
ثالثاً: المراد بالسور المدنية.....	20-19.....
الفصل الأول: جملة الأمر.....	109-21.....
جملة الأمر.....	21.....
النمط الأول: جملة الأمر بصيغة (افعل ).....	85-22.....
النمط الثاني: المضارع المقوون بلام الطلب.....	99-86.....
النمط الثالث: المصدر النائب عن فعل الأمر.....	102-99.....
النمط الرابع: جملة الأمر بصيغة ( اسم الفعل ).....	105-102.....
خصائص جملة الأمر.....	109-106.....
الفصل الثاني: جملة النهي.....	168-111.....
جملة النهي.....	111.....
صور جملة النهي.....	164-111.....
خصائص جملة النهي.....	168-165.....
الفصل الثالث: جملة النداء.....	258-169.....
جملة النداء.....	169.....
النمط الأول: أداة نداء+منادي ( مركب وصفي و بياني ) + مضمون النداء.....	211-169.....
النمط الثاني: مضمون النداء+أداة النداء (محذوفة)+منادي (مركب وصفي و بياني )	..... 215-211
النمط الثالث:أداة نداء+منادي ( مركب إضافي ) + مضمون النداء.....	230-215.....
النمط الرابع:أداة نداء ( محذوفة )+منادي ( مركب إضافي ) + مضمون النداء .....	244-231.....
النمط الخامس:أداة نداء+منادي ( اسم علم ) + مضمون النداء.....	254-244.....
النمط السادس:أداة نداء+منادي ( مستغاث ) + مضمون النداء.....	254.....
خصائص جملة النداء.....	258-255.....
ثبت المصادر و المراجع.....	279-259.....
فهرس الموضوعات.....	280.....

## هذا الكتاب

تعد فكرة إدماج علم المعاني في الدراسات النحوية من الوسائل المفيدة في وصف الدرس اللغوي وتحليله، فرأيت أنه من الأنجح الإفادة من هذه الرؤية ومحاولة تطبيقها على موضوع **بنية الجملة الطلبية في السور المدنية**، وذلك بتصنيف الجمل الطلبية بحسب وظائفها ومعاناتها، وتحديد أنماطها وصورها مفسراً ومحلاً.

ويثبت البحث أنَّ بعض القراءات لها أثر في تفسير الجملة وبيان معناها، بعضها ليس له أثر في المعنى، وإنما الاختلاف يعود إلى أمر لغوي نحوئي أو صرفي أو غير ذلك، ويثبت كذلك أنَّ تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآنى، ولذلك لم يستطع عالم واحد أو علماء في عصر واحد الإحاطة به.

وتبيَّن أنَّ الزمان في أي الذكر الحكيم زمان سياقى، فالسياق هو المجال المناسب لتحديده، وقد تبيَّن - كذلك - أنَّ الزمان خالد، وبخاصة في الجمل التي دلت على أحكام تشريعية.

وقد ارتضى البحث من أنَّ اختلاف القراءات وتنوعها أدى إلى سهولة حفظ القرآن وتيسير نقله إلى هذه الأمة، ومع تنوع الاختلاف لم يتطرق إليه تناقض بل يصدق بعضه ببعض، ويوضح بعضه ببعض، والله من وراء القصد

المؤلف

## الباحث في سطور



• الدكتور: بلقاسم بن مسعود دفـهـ، أستاذ علوم اللسان العربي بجامعة محمد خضر ببسكرة، الجزائر.

• حفظ القرآن الكريم، ودرس بالمعهد الإسلامي بباتنة، فحصل على شهادة الأهلية سنة 1968م، والبكالوريا سنة 1975، وتخرج مجازاً في اللغة والأدب العربي (شعبة لغوية) من جامعة باتنة سنة 1986.

• نال درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية (شعبة لغوية) بتقدير مشرف جداً من جامعة باتنة سنة 1995م، وحصل على دكتوراه دولية في اللغة العربية والدراسات القرآنية بتقدير مشرف جداً من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 2001م.

• رئيس مشروع بحث «التصنيف الميسر لصور الحمل في النحو العربي»، وعضو في عدة مشاريع ومخابر بحث.

• له عدَّة دراسات وبحوث في اللسانيات وفي النحو العربي، صدر عن دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، سنة 2003.

• شارك في عدة ندوات وملتقيات وطنية ودولية.

• نشر عدَّة مقالات في المجالات والدرويات والصحف الوطنية والدولية.

